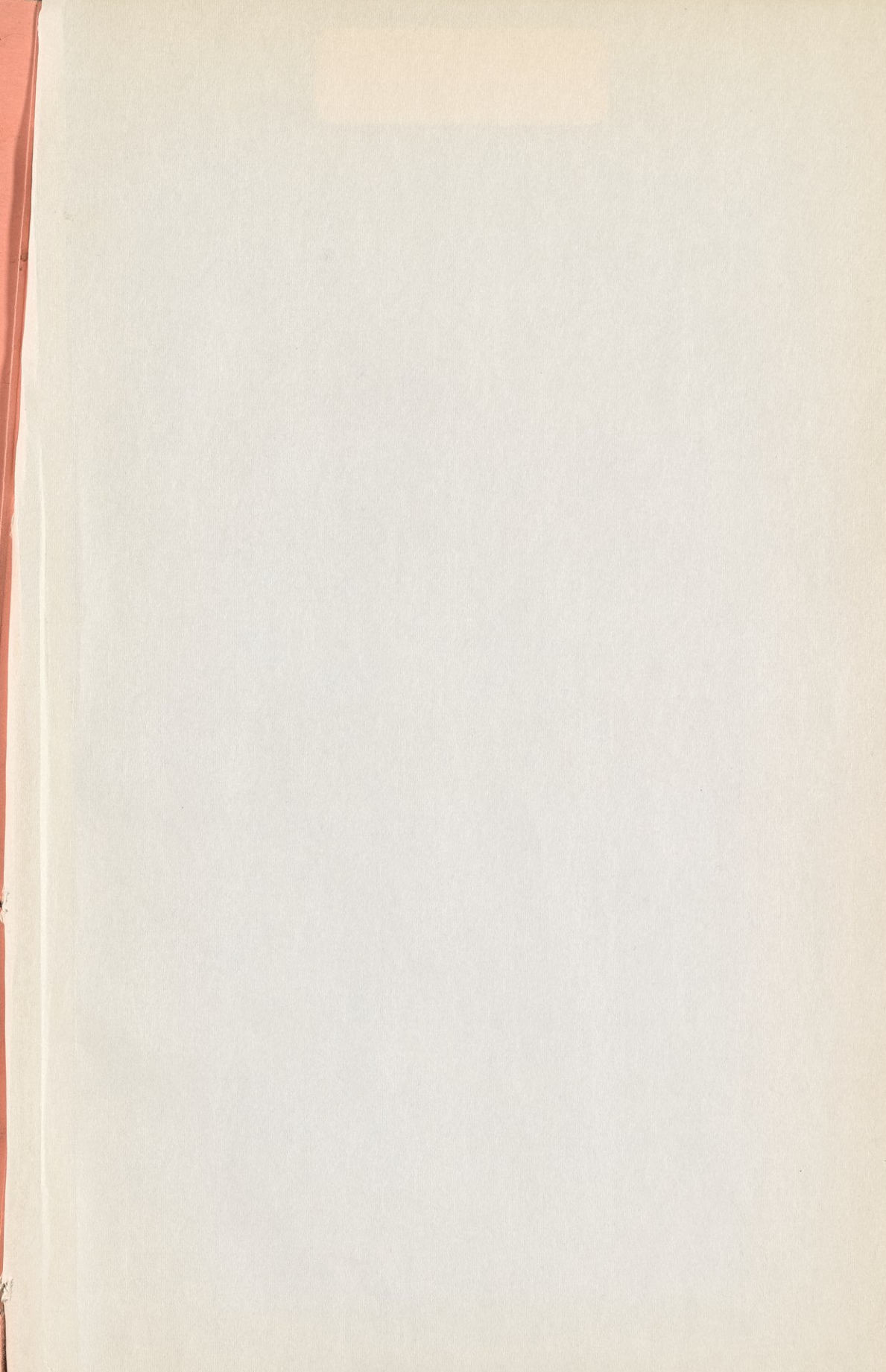


Princeton University Library



32101 073540989



أَخْبَارُ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ

القِسْمُ الْأَوَّلُ

أَدْوَارُ مِنْ حَيَاتِهَا

تَأَلِيفُ

مُرْتَضَى الْعَسْكَرِيِّ

al-Askari, Mustadā

دراسات في الحديث والتأنيخ

٢

Aḥādith Umm al-Mu'minīn

أَحَادِيثُ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ

القسم الأول

أَدْوَارٌ مِنْ حَيَاتِهَا

تأليف

مرضى العسكري

(RECAP)

2264

· 22

1311

v. 1

بِسْمِ تَعَالَى

الْإِهْدَاءُ

فقدت و أنا منصرف إلى إعداد هذا الكتاب للنشر أولاً :
ابن والدي العالم الثقة الحاج السيد علي نجل العالم
التقي الحاج السيد محمد آل شيخ الإسلام .
و بعده : أخي في الله البرّ الثقة الحاج آغا محمد نجل
الفقيه الورع العالم الربّاني المجاهد في سبيل الله الحاج آغا
حسين الطباطبائي القمي ، وإليهما أهدى ثواب هذا الكتاب .

المؤلف

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

والحمد لله رب العالمين . والصلاة على نبينا محمد وآله
و أصحابه و زوجاته أمهات المؤمنين . والسلام على
سائر أنبياء الله و عباده الصالحين .

تعميم

لقد انتبه كثير من الباحثين إلى ما في الحديث النبوي الشريف ، من اختلاف بين حديث و آخر منه ، أو بين بعض تلك الأحاديث و آي من القرآن الكريم ؛ فحدا ذلك بفريق من علمائنا السالفين إلى تأويل «مختلف الحديث» و بيان مشكله ^(١) ، ليدفعوا بذلك ما أورد على نبي الإسلام و حديثه . كما أن الخصومة قد دفعت بفريق آخر من الباحثين من أمثال الملاحدة و مبشري النصارى ، و لفيق من المستشرقين إلى توجيه مختلف الطعن و النقد إلى نبي الإسلام و دينه ؛ مستندين في هجومهم العنيف إلى ما في ظواهر تلك الأحاديث من تهافت و اختلاف . وقد فات أولئك و هؤلاء أن تلك المجموعة الضخمة من الأحاديث و التي يناقض بعضها الآخر ليست كلها سياقاً واحداً ليؤلف مجموعها وحدة تدرس على ضوء أنها صادرة عن نبي الإسلام ؛ وإنما هي مجموعات مختلفة من أحاديث رويت لنا عن رواة مختلفين ؛ و على الباحث أن يقوم بتصنيفها نسبة إلى رواتها ؛ فينسب إلى

(١) ابن قتيبة عبد الله بن مسلم (٢٨٠) او (٢٧٦) مؤلف «تأويل مختلف الحديث» .
و ابن فورك ابو بكر محمد او حسين بن فورك (٤٤٦) او (٤٠٦) ألف «بيان مشكل الحديث» .
و الطحاوي ابو جعفر احمد بن محمد بن سلمة او سلامة بن عبد الملك الازدي (٣٢١) او (٣٢٢هـ) ألف «بيان مشكلات الآثار» .

«أم المؤمنين عائشة» - مثلاً - أحاديثها ، وإلى «أنس» و «أبي هريرة» و «ابن عمر»^(١) أحاديثهم ، ثم يدرس أحاديث كل منهم و أحاديث غيرهم من الرواة المكثرين عن النبي مع دراسة حياة راويها و بيئته . أدركت هذا خلال بحثي عن حوادث تاريخية وقعت في صدر الإسلام ، ولفت نظري في تلكم الأحاديث ما روتته «أم المؤمنين عائشة» خاصة ؛ و رأيت أن التاريخ الإسلامي منذ بعثة الرسول حتى بيعة يزيد بن معاوية لا يفهم صحيحاً إلا بعد دراسة أحاديث «أم المؤمنين» - أحد مصادر تاريخ الإسلامي الهامة - دراسة موضوعية ، كما أنني أرى أيضاً أن فهم قسم من آي القرآن الكريم ، والفقه الإسلامي ، الذي أستخدم في بيانها إلى أحاديثها متوقف على هذه الدراسة ؛ ولما كنت بصدد البحث عن التاريخ الإسلامي في دوره الأول ، لم يكن لي بد من تقديم هذه الدراسة على غيرها من الدراسات .

صعوبات الدراسة

و إن دراسة كهذه و التي تدور حول الشخصيات الإسلامية الأولى لا بد و أن تعرض سبيلها عقبات ليس من الهين تذليلها ، و من تلك العقبات أمام الباحث المسلم الشرقي ، [أولاً] عقائده التي نشأ عليها ، و عقائد مجتمعه الذي يعيش فيه ؛ و الذي يرى في تلك الشخصيات ما لا يراه في غيرها من البشر ، و يعتقد لعصرهم

(١) - أنس بن مالك بن النضر الخزرجي النجاري جاء في حديثه انه خدم النبي عشرين سنة و قد خرجوا له ٢٢٨٦ حديثاً ، توفي سنة ٩٢ او ٩٣ في البصرة ودفن هناك . ترجمته في الاستيعاب ص ٤٠ و في اسد الغابة ج ١٢٧١ - ١٢٩ و في الاصابة ٢٢٧ و جوامع السيرة ٢٧٦ .

ب - ابو هريرة الدوسي اختلفوا في اسمه و نسبه و لم يكن في الصحابة من روى عن النبي اكثر منه ؛ اخرجوا له ٥٣٧٤ حديثاً عن رسول الله . توفي سنة ٥٧ او ٥٨ و دفن في البقيع . جوامع السيرة ٢٧٦ ، و ترجمته في ابن سعد ج ٢٠٧ - و الاستيعاب و اسد الغابة و الاصابة .

ج - عبدالله ابن الخليفة عمر بن الخطاب توفي بمكة سنة ثلاث و سبعين و كان سبب موته ان الحجاج امر رجلا قسم زج رمحه و زحمه في الطريق و وضع الزج في ظهر قدمه ؛ و قد اخرجوا له - ٢٦٣٠ حديثاً . جوامع السيرة ٢٧٦ . ترجمته في الاستيعاب - ١٥٧٩ و اسد الغابة و الاصابة .

ما لا يعتقده لغيره من العصور ، و الباحث إن لم يستطع من تذليل هذه العقبة خرج من بحثه عقائدياً يدافع عن عقيدة لادارساً يبحث عن حقيقة . و لمّا أدركت هذه الحقيقة حاولت في بحثي هذا أن لأنقاد لعواظي في أمّ المؤمنين عائشة ، و تكريمي لها ، كزوج للرّسول الأكرم ، و ألاّ أجرّ الشخصيات الإسلامية المحترمة ، التي يدور البحث حولها عن فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لاستطيع من القيام بدراسة موضوعية لأحاديثها بعد درس الحوادث التي وقعت في عصرها ، و التي تمهد السبيل بفهم أحاديثها . و لست أزعّم بأنّي نجحت في هذه المحاولة و لكنني بذلت الجهد في هذا السبيل ، و الحكم لغيري في ذلك ، و مهما يصدر الحكم عليّ فالله يعلم أنّ الذي حداني هذه الدراسة إنّما هو رجاء انتقاع دارسي التاريخ الإسلاميّ ، و دارسي قرآنه و أحكامه من هذا البحث ، والله من وراء القصد .

ثانياً و يعترض الباحث فيما إذا وفق إلى ترويض نفسه ، و تذليل العقبة الآفة الذّكر عقبة أخرى بعدها ؛ وهي الخوف من تأثير نشر هذه الدّراسات على وحدة كلمة المسلمين ، بعد أن حقق الله أمنيّتهم في هذا العصر ، بتقارب طوائفهم بعضهم من بعض ؛ و تألفهم و تأخيمهم نتيجة لبذل المصلحين ، جهوداً كبيراً في سبيل ذلك . و هل يجوز لمن يغار على مصالح المسلمين أن يبحث اليوم في الماضي السّحيق ، و ينشر منه ما يوجب النّقد و الرد ، و يثير الحفيظة ، و ينتج النفرة ؛ و إذا كان ذلك ممّا لا يستسيغه أحدٌ إذن فليمتنع الجميع عن البحث و التحقيق كي لا يسبّب ذلك عقم جهود المصلحين و يؤدّي بالمسلمين إلى ما لا يحمد عقباه . !

أمّا نحن فلا نرى هذا ، فإنّنا حين ندعو الله مخلصين أن يوفّق المسلمين إلى تلبية نداء المصلحين بنز الحزازات و توحيد الكلمة ؛ لا نريد ذلك على حساب العلم و المعرفة ، و نعتقد أنّ المصلحين أنفسهم أيضاً لا يريدونها كذلك ، فإنّ المصلحين الغياري يدعون إلى الاجتماع حول صعيد الإسلام ؛ و الإسلام ليس برأي سياسيّ دولي ؛ و إنّما هو إيمان و عقيدة ؛ و هما لا يتأتيان من كتم الحقيقة ، بل إنّهما ينتجان من بحث و تحقيق ، و نقد علميّ خالص ، على أن لا ينبعث ذلك من هوى النفس بدافع الحبّ

و البغض ؛ و إن هذا لهو ما يدعو إليه المصلحون ؛ و نسأل الله تعالى أن يوفقنا إلى الالتزام بهذا الطريق السوي وهو الموفق إلى الصواب .

ثالثاً - و يأتي بعد هاتين العقيتين - أو بالأحرى قبلهما - مانع آخر ؛ أو نداء آخر ، وأنه و أيام الحق نداء منبعث من الإيمان المحض ؛ الإيمان بأن الإسلام وحده يجب أن يسود مجتمعنا الإسلامي و تبتني عليه علاقتنا الاجتماعية ، و عليه فواجبنا أن نسعى جاهداً في سبيل إعادة حياة إسلامية وإقامة مجتمع إسلامي ؛ و الأناشتت جهودنا في غير هذا السبيل .

وفيقكم الله يا أيها المجاهدون في سبيل الله . أستم تدعون إلى الرجوع إلى الإسلام ، و اعتناق مبادئه ، و تنفيذ أحكامه ؛ ما السبيل إلى معرفة مبادئ الإسلام و أحكامه غير البحث عن تاريخ الإسلام في بدءه بدئه ، و تمحيص الأحاديث النبوية ، و التحقق عن حال رواتها ؛ لفهم منها شأن نزول القرآن الكريم ؛ ولنستطيع على ضوء هذا العلم من استنباط الأحكام الإسلامية التي نريد أن نعمل بها ، و ندعو الناس إلى العمل بها أيضاً ؛ و لا بد لنا في العمل من العلم .

و الحق الصحيح أن السعي لتقريب المسلمين بعضهم من بعض ، و الجهاد في سبيل إعادة حياة إسلامية ، و القيام بالبحث و التحقيق في تاريخ الإسلام و حديث نبيه لا ينافي بعضه الآخر ؛ وإنما يتمم بعضه بعضاً فإنه لا يتمكّن من إقامة مجتمع إسلامي دون جمع الكلمة و بلا فهم لقرآنه و حديث نبيه و تاريخه ، كما لا يتأتى التأخي الصحيح دون الإيمان بوجوب إعادة حياة إسلامية ، و الأفعلى مجتمع المسلمون ؛ و ما الذي يوحد كلمتهم ؛ و لا يتأتى التأخي أيضاً دون ترويض المسلمين أنفسهم على سماع آراء بعضهم ؛ و مناقشتها مناقشة من يطلب الحق ليتبعه ، ليصدق عليهم قول الله سبحانه : فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ؛ وهذا ما ندعو إليه ؛ و نسأل الله أن يوفقنا وجميع إخواننا المسلمين إلى الاهتداء بهذا القول الكريم .

وفي التاريخ الإسلامي كغيره من تواريخ الملل والنحل في العالم عقبات ثلاث غير ما ذكرنا طالما اعترضت سبيل الباحثين والدارسين ؛ ومنعتهم عن سلوك طريق العلم ؛ وأولى تلك العقبات وأهمها : عادة عبادة السلف الصالح ؛ فقد رأب البشر منذ فجر تاريخه على عبادة سلفه ؛ ومن هنا نشأت عبادة الأوثان ، ولم يكن نسر ، وبغوث ، ويعوق ، وودّ ، وسواع^(٢) غير رجال صلحاء احترّمهم قومهم أولاً ، ثم تدرّجوا إلى عبادتهم .

ومن الدجيب في هذا الأمر : أننا نجد السلف الصالح عندنا كان ينتقد بعضه بعضاً ، ويردّه أشدّ الردّ والنقد ، ويجوز لنفسه قتل من خالفه في الرأي من معاصريه حتّى إذا انصرم عصره ، وجاء الخلف من بعده ، رأينا في المسلمين من يحرمّ نقدهم ؛ فيغلق على نفسه وغيره باب العرفان والعلم .

ويضحكني في التاريخ وشرّ البليّة ما يضحك^(٣) العقبة المهلكة الثانية ، وهي سجيّة التعصّب الذميم ، والتعصّب عقبة أمام العلم لما يسدّ على الإنسان منافذ النور ، ومهلك لما نجد له على مدى التاريخ ضحايا في كلّ عصر ، وكلّ مصر ؛ هذه ريّ في أوائل القرن السابع الهجري^(٤) تدّمرها العصبيّة المذهبيّة ، يُبيد الحنفيّة والشافعيّة الشيعة أولاً ، ثمّ يشتمّ الشافعية بالحنفية ، ويبيدوهم حتّى يتركوأ أحياءهم خراباً ياباً . هذه الضحايا بعض آثار التعصّب الذميم وهي إلى آلاف الآلاف من الضحايا في تاريخ التعصّب الذميم مهزلة ، مضحكة ، مبكية .

وثالثه الأثافي في هذه العقبات تدخل السلطة آلهة العصور السحيقة في هذا الشأن ، فهي التي أيّدت غلق باب البحث رياء ، وسدّت باب الاجتهاد سنة ٦٦٥ هـ^(٥)

(٢) راجع تفسير الاية ٢٤ من سورة نوح في الدر المنثور ٦٦٩ر ٢٦٩ ؛ وغيره من التفاسير .

(٣) مثل عربي قديم .

(٤) راجع ياقوت في لغة الرى ج ٤ ر ٣٥٥ .

(٥) بيبرس البندقدارى سد باب الاجتهاد بمصر . راجع خطط المقرئى ص ١٦١ .

و كان جديراً بمصر المبادرة الى فتح الباب الذى أغلقته .

و بقي كذلك حتى اليوم ولا أدري ألم يأن للمسلمين أن يفتحوا باب البحث والتحقيق ! بعد أن فكروا في فتح باب الاجتهاد ، أم إنهم لا يرضون بالتقليد بديلاً ! لا . لن يبقى الأمر كذلك ، فقد بزغ فجر العلم في عصرنا نتيجة سعي المصلحين ؛ وسيأتي زمان يضحك أهله من متاعبنا كما ضحكنا من تعصب أهل الري الذميمة (٦).

و مضافاً إلى ما ذكرت من عقبات أننا قد تعودنا أن نقرأ لأحد مدحا فلا نرضى أن نسمع له نقداً ، أو نقداً فلا نرضى أن نسمع له ثناءً ، و في هذا الكتاب رسمت أم المؤمنين كما وجدتها سواء أكان ذلك لها ثناء ، أو كان لها نقداً ، فمن لا يرضى بهذا ، ولا يستطيع اجتمياز ما ذكرت من عقبات ، فهي مشتركة بين الكاتب والقارئ ، فليدع الكتاب لمن يستطيع .

أمّا من يريد أن يقرأ أم المؤمنين كما هي في الحديث والتاريخ ، و يحلل شخصيتها ليستطيع من دراسة أحاديثها فدونه أدوار من حياتها في ما يأتي . والحق أحق أن يتبع ، والسلام على من اتبع الهدى .

(٦) و قد خصص أحد أعداد هذه السلسلة لدراسة تأثير هذه العقبات على الحديث و التاريخ .

أمر المؤمنین بالشکر فی سطور

عائشة : ابنة أول الخلفاء ، أبي بكر عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن كعب ابن سعد بن تيم القرشي ، وأمها أمّ رومان ابنة عامر بن عويمر ؛ ولدت في السنة الرابعة بعد البعثة ؛ وتزوجها الرسول بعد وفاة زوجته الأولى خديجة ، وقبل الهجرة بستين ؛ وعمرها ست سنوات ؛ وبنى بها في شهر شوال ، بعد مضي ثمانية عشر شهراً من هجرته إلى المدينة ، وبعد غزوة بدر الكبرى ؛ وقبض النبي وهي في الثامنة عشر من عمرها ، وقد أقامت مع النبي ثمانية أعوام و خمسة أشهر ؛ ومكث بعده في خلافة أبي بكر وعمر و صدر من خلافة عثمان من المؤيدين للحكم القائم ؛ ثم انحرفت عن عثمان ؛ وترأست المعارضين ، حتى إذا قتل قائد مناوئي ابن أبي طالب و خصومه إلى حربته - حرب الجمل (١) - في البصرة و بعد أن غلبت في الحرب أعادها ابن أبي طالب مكرّمة إلى المدينة حيث بقيت هناك حتى إذا قتل ابن أبي طالب و ترّبع معاوية على دست الحكم و أخذ يروج نشر فضائل آل أمية خاصة و حزب عائشة و معارضي ابن أبي طالب عامّة أصبح لها في هذا الدور شأن خطير مما سنستعرضه في ما يأتي من هذا البحث إن شاء الله تعالى .

و توفيت (رض) ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلون من شهر رمضان ، من السنة السابعة أو الثامنة أو التاسعة و الخمسين ؛ فصلّى عليها أبوهريرة و هو يومذاك خليفة مروان على المدينة (٢) و دفنت بوصية منها مع سائر أمهات المؤمنين في البقيع . (٣)

(١) سميت تلك الحرب بحرب الجمل لان ام المؤمنين عائشة قادت جيشها في تلك

الحرب وهي راقبة على الجمل .

(٢) وكان مروان قد اعتمر في تلك السنة واستخلف اباهريرة .

(٣) الاصابة ٣٨-٤٠ .

راجع ترجمتها في المستدرک ١٤ والاستيعاب ، واسد الغابة .

احاديث ام المؤمنين عائشة

ق - ١

أَرْوَاهُ مِنْ حَيَاتِهَا

فِي بَيْتِ الرَّسُولِ

في بيت الرسول

سماتها ، حزنها المفرط كلما بنى الرسول بزوجة جديدة؛ تعقبها الرسول الى المسجد ، و الى البقيع ؛ كسرأواني الطعام ؛ مع صفيية ؛ مع سودة ؛ مع الواهبات أنفسهن ؛ هي و مليكة ؛ هي و أسماء ؛ مع مارية ؛ قصة مارية ؛ مع ذكرى خديجة ، مع ابنة خديجة و صهرها .
خلاصة البحث :

كانت أم المؤمنين عائشة (رض) من أولئك القلائل من البشر ، ذوي الطموح الخارق الذين لا يقرّ لهم قرار دون بلوغ القمة من المجد ؛ و ممن لا يرضون لأنفسهم أن يساموهم في العلياء بشر ؛ وكانت إلى ذلك ذات مزاج عصبيّ حادّ عنيف ، فيها حدّة طبع ، و حدّة زكاء ؛ و غيرة شديدة ؛ تغار على قلب زوجها ، فالترديدان تشار كها فيه أنثى غيرها ؛ و تغار على ذوي قرباها ، و تذهب نفسها حسرة على ضياع مصالحهم ، هذه هي الصفات الغالبة على حياتها العامة و على حياتها الزوجية الخاصة ، و هي بعد ذلك من النساء الخالدات في التاريخ أبد الدهر .

في حياتها الزوجية *

من مظاهر غيرتها الشديدة في حياتها الزوجية حزنها المفرط كلّ ما بنى الرسول بزوجة جديدة ، كما حدثت هي بنفسها عن أثر الغيرة عليها عند ما بنى بأُمّ سلمة (١) و زينب و مارية و غيرهنّ ممّن يأتي ذكرهنّ في هذا الفصل

✦ بداننا في دراسة حياة ام المؤمنين بحياتها الزوجية ؛ لانا لم نجد في حياتها بدار ايها - دور طفولتها الاولى - ما يساعدنا على تفهم احاديثها فانها كانت قد خرجت من دار ايها بعد اكمال التاسعة من عمرها .

(١) راجع طبقات ابن سعد ٩٤٨ ، سيأتي ترجمة زينب و مارية ، اما ام سلمة فان اسمها هند بنت ابي امية سهيل زاد الركب بن المغيرة المخزومية ، و امها عاتكة بنت عامر ، تزوجها ابو سلمة عبدالله بن عبد الاسد المخزومي ، و هاجر بها الى الحبشة الهجرتين فولدت له هناك زينب ثم سلمة و عمرو و درة ، و حضرا ابو سلمة احد افرمى بسهم ثم بقي بعد ذلك حتى انتفض الجرح ومات منه ، فتزوجها الرسول بعده و توفيت في عهد يزيد بن معاوية بعد قتل الحسين . راجع ترجمتها في الاستيعاب و اسد الغابة و الاصابة و ابن سعد ٨٦٨ - ٩٦ .

تعقيبها للنبي

و تعقبها للنبي كَلِّمًا فقدته في ليالي نوبتها ، فقد حدثت وقالت : فقدت رسول الله ﷺ فظننت أنه أتى بعض جواريه ، فطلبته فاذا هو ساجد يقول : رب اغفر لي . (١) وقالت : فقدت النبي ذات ليلة ، فظننت أنه ذهب إلى بعض نسائه ، فتحسست ثم رجعت فاذا هو راكع . (٢) وقالت فقدت رسول الله ﷺ ذات ليلة من الفراش ، فالتمسته فوَقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد وهو يقول . . . الحديث (٣) .

وقالت : لما كانت ليلتي التي النبي ﷺ فيها عندي انقلب فوضع رداءه وخلع نعليه فوضعها عند رجله و بسط طرف إزاره على فراشه ، ثم اضطجع فلم يلبث إلا ريثما ظن أنني رقدت ، فأخذ رداءه رويداً وانتعل رويداً وفتح الباب فخرج ثم أجافه (٤) رويداً فجعلت درعي في رأسي و اختمرت و تقنعت إزاري ، ثم انطلقت على إثره حتى جاء البقيع ، فقام فأطال القيام ، ثم رفع يديه ثلاث مرات ؛ ثم انحرف فانحرفت ، فأسرع فأسرعت ، فهرولت ، فأحضر فأحضرت ، (٥) فسبقته ، فدخلت ، فليس إلا أن اضطجعت فدخل فقال : مالك يا عائش حشياء رائبة (٦) : قالت : قلت : لاشيء يا رسول الله قال : لتخبرنني أولي خبرني اللطيف الخبير ؛ قالت : قلت : يا رسول الله بأبي أنت وأمي فأخبرته ؛ قال : فأنت السوداء الذي رأيت أمامي ، قلت : نعم ، فلهزني في ظهري (٧) لهزة فأوجعتني و قال : أظننت أن يحيف عليك الله ورسوله . . . الحديث (٨) .

وقالت : إن رسول الله خرج من عندها ليلاً ، قالت : فغرت عليه ، قالت : فجاء فرآى ما أصنع

(١) حدث به لَهلال بن يساف راجع مسند احمد ١٤٧٦ .

(٢) حدث به لَبابي مليكة راجع مسند احمد ١٥١٦ .

(٣) حديث به لَبابي هريرة راجع مسند احمد ٢٠١٦ و قريب منه حديثها لعبدالرحمن

ابن الاعرج ٥٨٦ .

(٤) اجاف الباف : رده

(٥) الحضرة عدو الفرس و احضر اى عدا مسرعا كعدو الفرس .

(٦) حشياء اى مصابة بالربو و ربا الفرس انتفخ من عدو او فزع .

(٧) اللهمز الضرب بجمع الكف .

(٨) فى حديثها لقيس بن مخزومة بن المطلب مسند احمد ٢٢١٦ .

فقال مالك يا عائشة : أغرت ! فقلت : ومالي أن لا يغار مثلي على مثلك !

فقال رسول الله ﷺ : أفأخذك شيطانك ؟ ... الحديث (١) .

وقالت : قام النبي ﷺ من الليل ، فظننت أنه يأتي بعض نسائه فأتبعته فأتي

المقابر ، ثم قال : سلامٌ عليكم دار قوم مؤمنين ثم التفت فرآني ؛

فقال : ويحبها لو استطاعت ما فعلت (٢) .

كسر أو انى أزواج الرسول .

ومن آثار حدة طبعها كسرها أو انى أزواج النبي ﷺ اللآئي كنّ يبعثن بطعام إلى

النبي ﷺ عند ما كان في دارها ؛ كما صنعت ذلك بائنا أم سلمة ، على ما أخرجه مسلم في

صحيحه (٣) عن أم سلمة : أنها أتت بطعام في صحفة لها إلى رسول الله ، فجاءت عائشة

متزرة بكساء ومعها فبر (٤) ، ففلقت به الصحفة ، فأرسل النبي ﷺ صحفة عائشة إلى أم سلمة .

وكسر إناء حفصة (٥) على ما أخرجه أحمد في مسنده (٦) ،

عن أم المؤمنين عائشة في حديث لها : قالت صنعت له طعاماً ، وصنعت حفصة له

طعاماً . فقلت لجاريتي : اذهبي فإن جاءت هي بالطعام فوضعه قبل فاطمحي الطعام ،

قالت : فألقته الجارية ، فوقع القصعة (٧) ، فانكسرت وكان نطعاً (٨) قالت : فجمعه

رسول الله ﷺ ، وقال : اقتصصي ظرفاً مكان ظرفك .

(١) حم ٦ ر ١١٥ في حديثها لعروة بن الزبير .

(٢) حم ٧٦ ر ٦ في حديثها للقاسم وراجع ١١١ منه .

(٣) صحيح مسلم باب الغيرة من كتاب العشرة بسنده إلى ام سلمة .

(٤) الفهر الحجر ملاء الكف ؛ او الحجر مطلقاً . الصحفة : اناء الطعام .

(٥) حفصة ابنة الخليفة عمر بن الخطاب وامها زينب بنت مظعون ، ولدت قبل مبعث

النبي بخمس سنوات ، وتزوجها خنيس بن حذافة وهاجرت معه الى المدينة فمات عنها بعد رجوع

النبي من غزوة بدر ، ثم تزوجها النبي ، وتوفيت في شعبان سنة خمس واربعين في خلافة معاوية

وصلى عليها مروان ودفنت في البقيع ، طبقات ٨٠ ر ٨٦-٨٧ وراجع ترجمتها في الاستيعاب ،

واسد الغابة والاصابة .

(٦) حم ١١١ ر ٦ ، والكنز ٤٤٣ ر ٤ بتفصيل اوسع وفي ج ٤٤٤ الحديث ٩٨٣ كتاب

الشمائل من قسم الافعال .

(٧) القصعة : اناء الطعام .

(٨) النطع : بساط من الجلد .

كسر اناء صفيّة

في مسند أحمد^(١) عن عائشة قالت : بعثت صفيّة^(٢) إلى رسول الله بطعام قدصنعت له ، وهو عندي ، فلمّا رأيت الجارية أخذتني رعدة حتّى استقلّني^(٣) أفكّلتُ فضربت القصعة فرميت بها ؛ قالت : فنظر إليّ رسول الله ﷺ فعرفت الغضب في وجهه ؛ فقلت أعوذ برسول الله ﷺ أن يلعنني اليوم ، قالت : قال أوّلي ، قالت : قلت : وما كفّارته يارسول الله ؟ قال طعام كطعامها وإناء كإناؤها .

مع صفيّة

وفي طبقات^(٤) ابن سعد : استبّت عائشة وصفيّة ، فقال رسول الله لصفية : ألا قلت :

(١) مسند أحمد ٢٧٧٦ و١٤٤٤ والنسائي ١٤٨٢ و١٥٩٠ وهامش الحلبيّة ٢٨٣-٢٨٤ .

(٢) صفيّة بنت يحيى بن أخطب من سبط هارون بن عمران من بني اسرائيل وامها برة بنت السمائل من بني قريظة ، وقد تزوجها سلام بن مشكم القرظي ، ثم فارقها فتزوجها كنانة بن الربيع من يهود بني النضير فقتل عنها يوم خيبر ؛ واصطفاها النبي (ص) من سبي خيبر ، ورأى النبي بوجهها خضرة ؛ فقال : ما هذا ؟ قالت : يارسول الله رأيت في المنام قمرا اقبل من يشرب حتى وقع في حجرى فذكرت ذلك لزوجي ، فقال لها : تحبين ان تكوني تحت هذا الملك الذي يأتي من المدينة فضرِب وجهي ، فقال لها : ان اخترت الاسلام امسكتك لنفسى وان اخترت اليهودية فمسي ان اعتقك فتلحقى بقومك ، فقالت : يارسول الله لقد هويت الاسلام وصدقت بك قبل ان تدعوني حيث صرت الي رحلك ومالي في اليهودية ارب ؛ ومالي فيها والد ولا اخ ، وخيرتني الكفر والاسلام : فالله ورسوله احب الي من العتق وان ارجع الي قومي . فاعتدت ثم تزوجها الرسول ، ولما نزل المدينة انزلها في العالية في بيت من بيوت حارثة ، فجاءت عائشة متنقبة حتى دخلت عليها ، فقال لها النبي : كيف رأيته ، قالت : رأيت يهودية ؛ قال : لا تقولى هذا فانها قد اسلمت وحسن اسلامها ، واجتمع نساء النبي عليه في المرض الذي توفي فيه فقالت صفيّة اما والله يانبي الله لوددت ان الذي بك بي فغمزنها ازواج النبي (ص) وابصرهن رسول الله (ص) فقال : مضمن فيقلن من اى شيء يا نبي الله ؟ قال . من تغامزكن بصاحبتهن ، والله انها لصادقة ، و توفيت سنة ٥٢ في خلافة معاوية ودفنت في البقيع ، لخصت ترجمتها من طبقات ابن سعد ج ٨ ١٢٠-١٢٩ .

(٣) استقلّني أخذتني رعدة .

(٤) طبقات ١٢٧٨ عن ابن ابي عون .

أبي هارون وعمي موسى ؛ وذلك أن عائشة فخرت عليها .
 وروى الترمذي عنها أنها قالت : « قلت للنبي : حسبك من صفة كذا و كذا ،
 فقال لها النبي ﷺ : لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته - تغير بها طعمه ،
 أدركه لشدة ننتها . (١) .
 وفي المستدرك (٢) عن صفة قالت : دخل علي رسول الله ﷺ و أنا أبكي ؛ فقال :
 يا ابنة حبي ما يبكيك ؟ قلت : بلغني أن عائشة و حفصة ينالان مني . . . الحديث .

مع سودة

في الإجابة (٣) : سمعت أم المؤمنين عائشة سودة (٤) تنشد :

« عدي و تيم تبغني من تحالف »

فقال عائشة لحفصة : ما تعرض الأبوي و بك يا حفصة فاذا رأيتني أخذت برأسها
 فأعينيني ، فقامت فأخذت برأسها ، و خافت حفصة فأعاتها ؛ و جاءت أم سلمة فأعات سودة
 فأثنى النبي ﷺ فأخبر وقيل له : أدرك نساءك يقتتلن ؛
 فقال : « ويحك مالكن ؟ » ؛

فقال عائشة : « يا رسول الله ألا تسمعها تقول : « عدي و تيم تبغني من

تحالف » .

فقال : « ويحك ليس عديسكن ولا تيمسكن ، إنما هو عدي تميم و تيم تميم . . . »

الحديث

(١) الترمذي على مارواه الزركشي في الإجابة ص ٧٣ وكذلك فسر ه .

(٢) المستدرك ٢٩٤ وفي تلخيصه أيضا .

(٣) الإجابة ١٨ .

(٤) سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس من بنى لؤي ، و أمها الشموس بنت قيس
 النجاري من الانصار ، تزوجها ابن عمها السكران بن عمرو بن عبد شمس ، اسلمها بمكة
 قديما وهاجرا الى الحبشة في الهجرة الثانية ، ثم رجعا الى مكة و توفي زوجها ، ثم تزوجها
 النبي (ص) بعد وفاة خديجة ، و دخل بها بمكة ؛ توفيت في عهد معاوية شوال سنة ٥٤ طبقات
 ابن سعد ٨ ر ٥٢ - ٥٧ .

مع الواهبات أنفسهن

أخرج البخاري^(١) و مسلم^(٢) عن أم المؤمنين عائشة قالت : « كنت أغار على اللائي وهبن أنفسهن لرسول الله ﷺ و أقول : تهب الحرّة نفسها ! فلما أنزل الله تعالى « ترجي من تشاء ممنهن » و تؤي إليك من تشاء و من ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك » قلت : ما أرى ربك إلا يسارع في هواك . و أخرجه ابن سعد مفصلاً في ترجمة أم شريك من طبقاته^(٣) ، و ذكر أن اسمها « غزية »؛ و أخرجه ابن حجر أيضاً في الإصابة مفصلاً و قد اختلفوا في اسمها و كنيتهما و نسبها ؛ و لعل منشأ الاختلاف أن الواهبة نفسها للنبي^(٤) ممن كانت تغار عليهن أم المؤمنين كانت أكثر من واحدة ، بينما الآية نزلت في واحدة ممنهن ، فلم يعرف في من نزلت الآية . و يدل على أن الواهبة نفسها كانت أكثر من واحدة قولها : « كنت أغار على اللائي وهبن أنفسهن » : فقد ذكرتهن بلفظ الجمع ، و كذلك في حديثها بمسند أحمد ج ١٩٨٦ : أنها كانت تعير النساء اللائي وهبن أنفسهن لرسول الله ،^(٥) فقد ورد بلفظ الجمع و في صحيح مسلم ج ٣/١٦٤ عن هشام عن أبيه قال : كانت خولة بنت حكيم من اللائي وهبن أنفسهن للنبي ، فقالت عائشة : أما تستحي المرأة أن تهب نفسها للرجل . . . الحديث .

مع مليكة

أخرج ابن سعد في طبقاته^(٦) و قال : تزوج النبي^(٧) مليكة بنت كعب ، و كانت تذكّر بجمال بارع ، فدخلت عليها عائشة ، فقالت لها : أما تستحين أن تنكحي قاتل أبيك ، فاستعازت

(١) البخاري في تفسير سورة الاحزاب من صحيحه ج ٣/١١٨ ، و مسلم في باب جوازهبة نوبتها لضرتها ج ٤/٣٧٤ .

(٢) طبقات ابن سعد ١٥٤٨ - ١٥٦ ، و الإصابة ج ٤ الترجمة المرقمة ٣٦٢ و ٧٨٤

و ١٣٤٧ ، و في مسند احمد ١٣٤٦ و ٢٦١ مختصراً و المجبر ٤١١ .

(٣) و راجع ابن هشام ٣٢٥٤ ، و البخاري ١٦٤٣ ، و الاستيعاب ٧٨٢٢ ، و المجبر ٤١١ ؛ و الجمع بين رجال الصحيحين ص ٦١٠ ، و جوامع السيرة ص ٣١٢ و ٣٢٢ ، و ابن ماجه في سننه ، باب التي وهبت نفسها للنبي من كتاب النكاح ؛ و النسائي ٦٨٢ و فيها « اوتهب الحرّة نفسها » .

(٤) طبقات ١٤٨٨ ، و النهبى في تاريخه ٣٣٥١ ، و ابن كثير في تاريخه ٢٩٩٥ و في الإصابة ٣٩٢٤ في الترجمة المرقمة ١٠١٦ ، و قد تخيرنا اللفظ من طبقات ابن سعد .

من رسول الله فطلمها ، فجاء قومها إلى النبي ﷺ فقالوا : يا رسول الله إنَّها صغيرة وإنَّها لا رأى لها وإنَّها خدعت فارتجعها ؛ فأبى رسول الله ، وكان أبوها قتل في يوم فتح مكة ، قتله خالد بن الوليد بالخدمة (١) .

مع أسماء

وأخرج ابن سعد في طبقاته (٢) عن ابن عباس : قال : تزوج رسول الله ﷺ أسماء بنت النعمان ؛ وكانت من أجهل أهل زمانها وأتمه ، قال : فلما جعل رسول الله ﷺ يتزوج الغرائب ، قالت عائشة : قد وضع يده في الغرائب ، ويوشكن أن يصرفن وجهه عنها ، وكان خطبها حين وفدت كندة عليه إلى أبيها ، فلما رأتها نساء النبي ﷺ حسدنها ، فقلن لها : إن أردت أن تحظى عنده فتعوزي بالله منه إذا دخل عليك ؛ فلما دخل ، وألقى الستر ، ومد يده إليها ، فقالت : أعوز بالله منك ؛ فقال : « أمن عائد الله ؛ الحقي بأهلك » .

وروى (٣) حمزة بن أبي أسيد الساعدي عن أبيه ، وكان بدرياً قال : تزوج الرسول ﷺ أسماء بنت النعمان الجونية فأرسلني فجئت بها ؛ فقالت حفصة لعائشة أوعائشة لحفصة : اخضبيها أنت ، وأنا أمشطها ففعلن ، ثم قالت إحداهما : « إن النبي يعجبه من المرأة إذا دخلت عليه أن تقول أعوز بالله منك ؛ فلما دخلت وأرخت الستر مد يده إليها ؛ فقالت : أعوز بالله منك ؛ فقتل (٤) بكمه على وجهه ، واستتر به وقال : « عدت معازاً » ثلاث مرات قال أبو أسيد : ثم خرج عليّ فقال : يا أبا أسيد ألحقها بأهلها ومتعها براز قيتين - يعني كراستين - فكانت تقول : أدعوني الشقيسة (٥) .

(١) الخدمة جبل بمكة معجم البلدان .

(٢) طبقات ابن سعد ج ١٤٥٨ ، وأخرجه يعقوبى عند ذكره أزواج النبي من تاريخه مختصراً ؛ وفي المحبر ٩٤-٩٥ وبعده وخرج والغضب يرى في وجهه ، فقال له الأشعث بن قيس لا يسوءك يا رسول الله ... الحديث فزوجه ابنته .

(٣) الطبري في ذيل المذيل ٧٩١٣ . والحاكم في المستدرک ٣٧٤ وفي تلخيصه وفي المحبر أيضاً .

(٤) تل عليه : أرخاه .

(٥) أخرجه ابن عبد البر في الاستيعاب ج ٧٠٣٢ الترجمة ٢ ، وفي الإصابة ←

يظهر من هذه النصوص ، أن المتعوضة بالله من الرسول بتعليم من أم المؤمنين أيضاً كانت أكثر من واحدة .

مع مارية

أخرج ابن سعد في طبقاته ^(١) عن عائشة ، قالت : ما غرت على امرأة إلا دون ما غرت على مارية ، وذلك أنها كانت جميلة جمدة ^(٢) ، وأعجب بها رسول الله ﷺ وكان أنزلها أول ما قدم بها في بيت حارثة بن النعمان ^(٣) - إلى قولها - وفزعنا لها فجزعت ، فحولها رسول الله ﷺ إلى العالية ^(٤) ؛ فكان يختلف إليها هناك ، فكان ذلك أشد علينا ، ثم رزقه الله الولد وحرمناه . . . الحديث .

قصة مارية

أخرج ابن سعد في طبقاته ^(٥) وقال : بعث المقوقس ^(٦) صاحب الإسكندرية إلى رسول الله ﷺ في سنة سبع من الهجرة بمارية وبأختها سيرين وألف مثقال ذهباً وعشرين

← ج ٥٣٠٣ بترجمة نعمان بن ابى الجون الترجمة ٨٧٣٦ مفصلاً ، و في الترجمة ٥٧ ج ٢٧٤٤ ج ٢٩٨-٢ ، و الحاكم في المستدرك ج ٣٦٤ ، و في تلخيصه وقال اليعقوبي عند ذكره ازواج النبي من تاريخه « والجونية امرأة من كندة » ، و ليست باسماء ثم ذكر باختصار تمام القصة المذكورة آنفاً و ختمها بقوله : فزعموا انها ماتت كمداً و كذلك ذكره في المحبر ٩٥ .

(١) طبقات ٢١٢٨ ، والاصابة بترجمة مارية .

(٢) جمدة شعرها غير مسترسل .

(٣) حارثة بن النعمان الانصارى الخزرجى من بنى النجار ، شهد بدرأوما بعدها من المشاهد مع الرسول ، توفي عصر معاوية ، اسد الغابة ٣٥٨١-٣٥٩ ؛ والاصابة ج ١٥٣٢١ .

(٤) العالية من المدينة و قراها و عمالها ما كان من جهة نجد الى تهامة . و ما كان دون ذلك من جهة تهامة فهى السافلة ؛ ويقصد هنا من العالية مال كان لبنى النظير ثم صار للبنى .

(٥) طبقات ٢١٢٨ .

(٦) يقال : الفراعنة لملوك مصر ، والقياصرة لملوك الروم ، والنجاشى لامپراطور الحبشة والمقوقس لصاحب الاسكندرية .

ثوباً ليسنا وبغلته الدلدل وحماره عفير ، ويقال : يعفور ، ومعهم خصي^١ يقال له : مابور ، شيخ كبير ، كان أخامارية ؛ وبعث ذلك كله مع الحاطب بن^(١) أبي بلتعة ، فعرض حاطب بن أبي بلتعة على مارية الإسلام ، ورغبها فيه ، فأسلمت وأسلمت أختها ، وأقام الخصي^٢ على دينه ، حتى أسلم بالمدينة بعد على عهد رسول الله ، وكان رسول الله معجباً بأُمِّ إبراهيم ، وكانت بيضاء جميلة ، فأنزله رسول الله في العالية في المال الذي يقال لها اليوم مشربة أُمِّ إبراهيم ؛ وكان رسول الله يختلف إليها هناك ، وضرب عليها الحجاب ؛ وكان يطأها بملك اليمين ، فلما حملت وضعت هناك ، وقبلتها سلمى مولاة رسول الله ؛ فجاء أبو رافع^(٢) زوج سلمى فبشّر رسول الله بإبراهيم ، فوهب له عبداً ؛ وكان ذلك في ذي الحجة سنة ثمان من الهجرة ؛ وتنافست الأنصار في إبراهيم وأحبّوا أن يفرغوا مارية للنبي^ﷺ لما يعلمون من هواه فيها ، (وغار نساء رسول الله^ﷺ واشتدّ عليهنّ حين رزق منها الولد^(٣)) .

وفي الطبقات أيضاً « وكانت ثقلت على نساء النبي^ﷺ وغرن عليها ولا مثل عائشة .

وحدثت أُمُّ المؤمنين وقالت : « لما ولد إبراهيم جاء به رسول الله^ﷺ اليّ فقال : أُنظري

(١) حاطب ابن ابي بلتعة عمر وبن عمير من بنى خالفة بطن من لخم ، كنيته ابو عبد الله حليف بنى اسد ، مولى عبد الله بن حميد الاسدي ، او كان حليف الزبير بن العوام الاسدي ، وارسله النبي سنة ست الى المقوقس فبعث المقوقس معه هدية للنبي ومارية وسيرين اختها وجارية اخرى وخصيا اسمه مابور توفي سنة ثلاثين وصلى عليه الخليفة عثمان اسد الغابة ٣٦١-٣٦٢ والاصابة الترجمة ١٥٣٨ ، والاستيعاب الترجمة ٥٣٤ .

(٢) ابورافع مولى رسول الله . اختلفوا في اسمه ، والاشهر ان اسمه أسلم ، وزوجه رسول الله مولاة سلمى . شهد الخندق وما بعدها ، وتوفي قبل قتل عثمان ، اوفى خلافة علي . وسلمى كانت مولاة صفية شهدت خيبر وكانت قابلة بنى فاطمة ، و اشتركت في غسل فاطمة بنت رسول الله . راجع ترجمتهما من الاستيعاب ١٥٢ ، واسد الغاية ج ١٧١ ، والاستيعاب الترجمة المرقمة ١٢٠ من الكنى و٧٣ من الاسماء .

(٣) طبقات ابن سعد ترجمة ابراهيم ابن النبي ج ١٣٤١ .

إلى شبهة بي . فقلت : ما أرى شبها ؛ فقال رسول الله ﷺ : الأترين إلى بياضه ولحمه ؛ قالت : من سقي البان الضأن إبيضّ وسمن « (١) .

وكان من أثر ما صدر من أمّ المؤمنين عائشة وحفصة في حقّ مارية نزول سورة التحريم ، ممّا سنعرّض لذكرها في باب أحاديثها إن شاء الله تعالى .

مع ذكرى خديجة .

أخرج البخاري (٢) في باب غيرة النساء من كتاب النكاح عن عائشة ، قالت : «ما غرت على امرأة لرسول الله كما غرت على خديجة ، لكثرة ذكر رسول الله ﷺ إياها وثنائه عليها ، وقد أوحى الله إلى رسول الله ، أن يبشّر بها بيت في الجنة من قصب» (٣) . وأخرج (٤) في باب مناقب خديجة منه ، أنّها قالت : ما غرت على أحد من نساء النبي ما غرت على خديجة ، وما رأيتها !! ولكنّ النبي كان يكثر ذكرها ، وربما ذبح الشاة ، ثمّ يقطعها أعضاءً ثمّ يبعثها في صدائق خديجة .

وفيه أيضاً عن أمّ المؤمنين قالت : استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة (٥) على رسول الله ﷺ ، فعرف استيذان خديجة ، فارتاع لذلك ؛ فقال «اللهم هالة» قالت : فغرت ، فقلت ما تذكر من عجوز من عجائز قريش ، حمراء الشدين ، هلكت في الدهر قد أبدلك الله خيراً منها . وفي مسند أحمد (٦) بعد هذا ؛ : «فتغيّر وجه رسول الله تغيّراً ما كنت أراه إلاّ عند

(١) طبقات ابن سعد بترجمة ابراهيم ابن النبي ج ٣٧١ .

(٢) البخاري ٢٧٧٢ .

(٣) القصب ما كان مستطيلاً من الجواهر ، الدر الرطب . الزبرجد الرطب المرصع بالياقوت .

(٤) البخاري ٢١٠٢ .

(٥) خديجة بنت خويلد القرشية الاسدية ، وامها فاطمة بنت زائدة من آل لؤى ، تزوجها ابو هالة هند التيمي ، فولدت له هند ، ثم خلف عليها عتيق بن عائذ المخزومي وتزوجها الرسول وعمرها اربعون سنة ، وهو ابن خمس وعشرين ، فولدت له اولادها كلهم ما عدا ابراهيم ، وتوفيت في السنة العاشرة من البعثة ، راجع ترجمتها في الطبقات ، والاستيعاب الترجمة ٨٤ واسد الغابة والاصابة .

(٦) مسند احمد ١٥٠٦ و ١٥٤٦ عن موسى بن طلحة .

نزول الوحي أو عند المخيلة حتى ينزل أرحمة هو أم عذاب؟ .

وفي رواية (١) قال لها: «ما أبدلني الله خيراً منها؛ قد آمنت بي إذ كفر بي الناس؛ وصدقتني إذ كذبني الناس؛ واستنني بما لها إذ حرمني الناس؛ ورزقني الله عز وجل ولدها إذ حرمني أولاد النساء».

ما فتىء الرسول يذكر زوجه الأولى خديجة، ويعيش مع ذكراها مؤثراً ذوي قرباتها وأصدقائها ببره وإحسانه. حتى أوفى بذلك صدر أم المؤمنين عائشة؛ فاعتزرت عليه غير مرة؛ وزاد في الطين بلة ما تلقته من الرسول أخيراً من تفرغ ولوم في ذلك؛ وما سمعته من المدح والتدح المتقابلين مما حزر في نفسها وآملها كثيراً، فأثر ذلك تأثيراً سيئاً في علاقاتها مع فاطمة ابنة خديجة من رسول الله، وفي علاقاتها مع زوج فاطمة وبنيتها الذين خصهم الرسول بمزيد من عطفه، وحببه عليهم؛ ومن آثار ذلك ما رواه أحمد في مسنده (٢) عن النعمان بن بشير، حيث قال: استأذن أبو بكر على رسول الله ﷺ فسمع صوت عائشة عالياً وهي تقول: «والله لقد عرفت أن علياً أحب إليك من أبي ومني مرتين أو ثلاثاً... الحديث».

وقد وصف بعض ذلك ابن أبي طالب في خطبته التي قال فيها: «أما فلانة فقد أدركها ضعف رأي النساء، وضغن غلا في صدرها، كمرجل القين. (٣) * ولودعيت لتتال من غيري ما أتت إلي لم تفعل (٤) * !!

(١) مسند أحمد ١١٧٦، وراجع اسناد الحديث والفاظه في كل من سنن الترمذي ص ٢٤٧ باب ما جاء في حسن العهد، و سنن ابن ماجه باب الغيرة من ابواب النكاح ٣١٥١، والبخارى أيضاً ج ١٧٧٢ ج ٣٦٤ و ١٩٥، والاستيعاب بترجمة خديجة؛ مسند أحمد ٥٨٦ و ١٠٢ و ٢٠٢ و ٢٧٩ وابن كثير في تاريخه ١٢٨٣ والكنز ٢٢٤٦٢٤ الحديث ٣٩٧٣ و ٣٩٧٤.

(٢) مسند أحمد ج ٢٧٥٤.

(٣) المرجل قدر كبيرة والقين الحداد اي كغليان قدر من حديد.

(٤) شرح ابن ابى الحديد في (و من كلام له (ع) خاطب به اهل البصرة على جهة اقتصاص الملاحم فمن استطاع منكم عند ذلك . . . الى قوله واما فلانة) ج ٤٥٦٢-٤٦٠.

و في الكنز: (١) « وأما عائشة فقد أدركها رأي النساء وشيء كان في نفسها عليّ يغلي كالمرجل و لودُعيت لتتال من غيري ما أتت إليّ لم تفعل و لها بعد ذلك حرمتها الأولى ، و الحساب على الله ، يعفو عمن يشاء و يعذب من يشاء » .
و يناسب في المقام أن نورد ما ذكره ابن أبي الحديد في شرحه لهذه الخطبة (٢) :

قال ابن أبي الحديد : وقد كنت قرأته على الشيخ أبي يعقوب يوسف بن إسماعيل اللمعاني (ره) أيام اشتغالي عليه بعلم الكلام ؛ و سألته عما عنده فيه ، فأجابني بجواب طويل أنا أذكر محصله .

بعضه بلفظه و بعضه بلفظي ؛ فقد شدّ عني الآن لفظه كلّه بعينه ، قال : أوّل بدء الضغن كان بينها و بين فاطمة ، و ذلك لأنّ رسول الله تزوّجها عقيب موت خديجة ، فأقامها مقامها ، و فاطمة هي ابنة خديجة ، و من المعلوم أنّ ابنة الرجل إذا ماتت أمّها و تزوّج أبوها أخرى كان بين الابنة و بين المرأة كدر و شتآن ؛ و هذا لأبد منه ، لأنّ الزوجة تنفّس عليها ميل الأب ، و البنت تكره ميل أبيها إلى امرأة غريبة ، كالضرة .
لأمّها ؛ بل هي ضرة على الحقيقة و إن كانت الأمّ ميتة ؛ و لأننا لو قدرنا الأمّ حيّة لكانت العداوة مضطربة ، متسعرة ، فإذا كانت قدمات ، ورثت ابنتها تلك العداوة ...

ثمّ اتّفق أنّ رسول الله مال إليها و أحبّها ، فازدادما عند فاطمة بحسب زيادة ميله ؛ و أكرم رسول الله فاطمة إكراماً عظيماً أكثر ممّا كان للناس يظنّونه ، و أكثر من إكرام الرجال لبناتهم ، حتّى خرج به عن حدّ حبّ الآباء للأولاد ؛ فقال بمحضر الخاصّ و العامّ مراراً لامرأة واحدة ، في مقامات مختلفة لافي مقام واحد : إنّها سيّدة نساء العالمين (٣) و إنّها عديلة مريم

(١) ٢١٥٨ - ٢١٧ ، ومنتخبه ٣١٥٦ - ٣٣١ .

(٢) وقد لخصنا كلام ابن أبي الحديد وربما اشرنا في الهامش الى مصادر الاحاديث

التي يستشهد بها .

(٣) كنز العمال ج ٢١٩٦٦ الحديث ٣٨٥٣ (ك عن عائشة) و الحديث ٣٨٥٤

(ش ع عبدالرحمن بن ابي ليلى) .

بنت عمران^(١) وإنّها إذا مرّت في الموقف، نادى مناد من جهة العرش، يا أهل الموقف غضوا أبصاركم لتعبر فاطمة بنت محمد. (٢) وهذا من الأحاديث الصحيحة، وليس من الأحاديث المستضعفة؛ وإنّ إنكاحه عليّاً إبّانها ما كان إلاّ بعد ما أنكحه الله تعالى إياه في السماء، بشهادة الملائكة^(٣)؛ وكم قال - لامرّة - : يؤذيني ما يؤذيها، ويغضبني ما يغضبها^(٤)، وإنّها بضعة منّي. يريني ما يريها،^(٥) فكان هذا وأمثاله يوجب زيادة الضغن عند الزّوجة، حسب زيادة هذا التعظيم والتبجيل؛ والنفوس البشريّة تغيب على ما دون هذا فكيف هذا؛ ثمّ حصل عند بعلمها ما هو حاصل عندها أعني عليّاً فإنّ النّساء كثيراً ما يحصلن الأحقاد في قلوب الرجال، لاسيّما وهنّ محدّثات اللّيل كما قيل في المثل؛ وكانت تكثر الشكوى من عائشة، ويغشاها نساء المدينة وجيران بيتها، فينقلن إليها كلمات عن عائشة، ثمّ يذهبن إلى بيت عائشة: فينقلن إليها كلمات عن فاطمة؛ و كما كانت فاطمة تشكو إلى بعلمها، كانت عائشة تشكو إلى أيّها، لعلمها أنّ بعلمها لا يشكيها على بنته؛ فحصل في نفس أبي بكر من ذلك أثرٌ ما؛ ثمّ تزايد تقرّ بظرسول الله لعليّ، وتقرّ به واختصاصه؛ فأحدث ذلك حسداً له، وغبطةً في نفس أبي بكر عنه، وهو أبوها، وفي نفس طلحة وهو ابن عمّها، وهي تجلس إليهما، وتسمع كلامهما، وهما يجلسان إليها ويحدثانها فأعدى إليها منهما كما أعدتهما قال: ولست أبرئ عليّاً من مثل ذلك؟ ثمّ كان بينها وبين عليّ في حياة الرسول أحوال وأقوال، كلّها تقتضي تهيب ما في النفوس، نحو ما روي أنّه سائر يوماً وأطال مناجاته، فجاءت، وهي سائرة خلفهما، حتّى دخلت بينهما، وقالت: فيم أنتما فقد أطلتما، فيقال إنّ

(١) الكنز ج ٢١٩، الحديث ٣٨٤٥، و ٣٨٥٥.

(٢) المستدرک ١٥٣، ١٥٦ و الكنز ج ٢١٨، الحديث ٣٨٣٠، و ٣٨٣١،

و ٣٨٣٢.

(٣) و (٤) المستدرک ١٥٨، ١٥٩، و الكنز ج ٢١٨، الحديث ٣٨٣٤ عن

المسور بن المخزّمة؛ و ٣٨٣٦ عن ابن الزبير، و ص ٢١٩ الحديث ٣٨٦٤.

(٥) الكنز ج ٢٢٠، الحديث ٣٨٦٦، و راجع في ترجمة خديجة و فاطمة في

طبقات ٨، والاستيعاب و اسد الغابة، و الاصابة، و خلاصة تذهيب الكمال، و حلية أبي نعيم.

رسول الله غضب ذلك اليوم ، وما روي من حديث الجفنة من الثريد التي أمرت الخادم ، فوقفت لها فأكفأتها ، و نحو ذلك مما يكون بين الأهل و بين المرأة و أمهاتها ؛ ثم اتفق أن فاطمة ولدت أولاداً كثيرةً ، بنين و بنات ولم تلدهي ولداً ، و أن رسول الله كان يقيم بني فاطمة مقام بنيه ؛ و يسمي الواحد منهما ابني ؛ و يقول : أدعو إليّ ابني ، ولا تزموا عليّ ابني ؛ و ما فعل ابني ؛ فما ظنك بالزوجة إذا حرمت الولد من البعل ، ثم رأت البعل يتبنى بني ابنته من غيرها ، و يحنو عليهم حنو الوالد المشفق ؟ هل تكون محبة لأولئك البنين و لأُمَّهم و لأبيهم أم مبغضة ؟ و هل تودّ دوام ذلك و استمراره أم زواله و انقضاءه ؟ !

ثم اتفق أن رسول الله سدّ باب أبيها إلى المسجد ، وفتح باب صهره ؛ (١) ثم بعث أباها بيرة إلى مكة ، ثم عزله عنها بصهره ، (٢) ففدح ذلك أيضاً في نفسها ؛ و ولد لرسول الله إبراهيم من مارية ، فأظهر عليّ بذلك سروراً كثيراً ؛ و كان يتعصب لمارية ، و يقوم بأمرها عند رسول الله ميلاً على غيرها ، و جرت لمارية نكبة ، فبرأها عليّ منها ، و كشف بطلانها ، او كشف الله على يده ؛ و كان ذلك كشفاً محسباً بالبصر ، لا تهيباً للمنافقين أن يقولوا فيه ، و كل ذلك مما يوغر صدر عائشة عليه ، و يؤكّد ما في نفسها منه ؛ ثم مات إبراهيم ، فأبطنت شماعة ، و إن أظهرت كآبة ، و وجم عليّ من ذلك ، و كذلك فاطمة ، و كانا يؤثران مارية ، و يريدان أن تتميز مارية عليها بالولد ، فلم يقدر لهما و لا لمارية ذلك و بقيت الأمور على ماهي عليه . . .

و كان عليّ لا يشك أن الأمر له ، و أنّه لا ينازعه فيه أحد من الناس ؛ و لهذا قال له عمّه : أمدد يدك أبايعك ، فيقال : عمّ رسول الله بايع ابن عمّ رسول الله ، فلا يختلف عليك إثنان .

(١) مسند احمد و منتخب الكنز ج ٢٩٥ و الكنز ١٥٢٦ الحديث ٢٤٩٥ و المستدرک ١٢٥٣ .

(٢) مسند احمد ج ١٣١١ المستدرک ج ٥٢٣ عن ابن عباس ، و ص ٦ من خصائص النسائي ، و مسند احمد ج ٢١١ عن طريق ابى بكر و مسند احمد ج ٣٥١١ عن طريق علي ، و ص ٢٠ من خصائص النسائي و عبد الله بن عمر راجع المستدرک ٥١٣ .

قال : يا عمُّ وهل يطمع فيها طامع غيري؟! قال : ستعلم!

قال : فإني لأحبُّ هذا الأمر من وراء رتاج^(١) وأحبُّ أن أصحر به ؛ فسكت عنه^(٢) . فلما ثقل رسول الله في مرضه ، أنفذ جيش أسامة ؛ وجعل فيها أبابكر^(٣) وغيره من أعلام المهاجرين والأنصار . فكان عليٌّ حينئذٍ بوصوله إلى الأمر إن حدث برسول الله حدث أوثق ، و يغلب على ظنِّه أن المدينة لو مات لخلت من منازع ينازعه الأمر بالكليَّة ؛ فيأخذُه صفواً و عفواً ، ويتمُّ له البيعة ، فلا يتهيأُ فسخها لورام ضدِّ منازعته عليها ؛ فكان من عود أبي بكر من جيش أسامة بإرسالها - يعني عائشة - إليه وإعلامه بأن رسول الله يموت ما كان .

و من حديث الصلاة بالناس ما أعرف ، فنسب عليٌّ إلى عائشة أنها أمرت بلالاً مولى أميها أن يأمره فليصل بالناس ، لأن رسول الله كما روي قال ليصل بهم أحدهم ؛ ولم يعين ؛ وكانت صلاة الصبح ، فخرج رسول الله و هو في آخر رمق يتهادي بين عليٍّ و الفضل بن العباس ، حتَّى قام في المحراب كما ورد في الخبر ، ثم دخل ، فمات ارتفاع الضحى ، فجعل يوم صلاته حجةً في صرف الأمر إليه .

وقال : أيُّكم يطيب نفساً أن يتقدّم قديمين قدمها رسول الله في الصلاة ، ولم يحملوا

(١) الرتاج : الباب المقفل .

(٢) راجع المرشحون للبيعة من عبد الله بن سبا ، المدخل ص ٣١ تجد تفصيل المحاوره

هناك مع بيان رأينا فيه .

(٣) روى ابن سعد في الطبقات عن جيش اسامة ، و قال : فلم يبق أحدمن وجوه

المهاجرين الاولين والانصار الا انتدب في تلك الغزوة . فيهم ابوبكر و عمر بن الخطاب و ابو عبيدة بن الجراح وسعد بن ابى وقاص . . . فتكلم قوم و قالوا :

يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الاولين ، فغضب رسول الله ، فصعد المنبر ، فحمد الله و اثنى عليه ثم قال : ما مقالة بلغني عن بعضكم في تأميري اسامة ؟ . . . ثم نزل فدخل بيته ، وذلك يوم السبت . . . و توفي يوم الاثنين ، راجع الطبقات . ط . ليدن ج ٢ ق ١٣٦ ، و في ج ٤ ق ٤٦١ منه عن ابن عمر ، و راجع تهذيب تاريخ ابن عساكر ج ٢ ق ٣٩١ ، و كنز العمال ٣١٢٥ ، ومنتخبه ٤١٨٠ .

خروج رسول الله إلى الصلاة لصفه عنه ، بل لمحافظة على الصلاة مهما أمكن ؛ فبويع على هذه النكتة التي اتهمها علي أنها ابتدأت منها ، وكان علي يذكر هذا لأصحابه في خلواته كثيراً ، ويقول :

إنه لم يقل «إنكن» لصويحبات يوسف إلا إنكاراً لهذه الحال ، وغضباً منها ، لأنها و حفصة تبادرتا إلى تعيين أويهما ؛ واستدر كهما بخروجه ، و صرفه عن المحراب ، فلم يجد ذلك ولا أثر مع قوة الداعي الذي كان يدعو إلى أبي بكر ؛ ويمهد له قاعدة الأمر ، و تقرّر حاله في نفوس الناس ، و من أتبعه على ذلك من أعيان المهاجرين والأنصار ؛ (١) ولما ساعد على ذلك من الحظ الفلكي ، والأمر السمائي الذي جمع عليه القلوب والأهواء . فكانت هذه الحال عند علي أعظم من كل عظيم ؛ وهي الطامة الكبرى ، والمصيبة العظمى ؛ و لم ينسبها إلا إلى عائشة وحدها ؛ ولعلق الأمر الواقع إلا بها ، فدعا عليها في خلواته وبين خواصه ، وتظلم إلى الله منها ؛ وجرى له في تخلفه عن البيعة ما هو مشهور حتى بايع (٢) .

و كان يبلغه و فاطمة عنها كل ما يكرهانه منذ مات رسول الله ، إلى أن توفيت فاطمة وهما صابران على مريض ورمض ؛ واستظهرت بولاية أبيها واستطالت وعظم شأنها ، وانخذل علي و فاطمة ؛ وخذلا وقهرا .
و أخذت فدك ؛ و خرجت فاطمة تجادل في ذلك مراراً ، فلم تظفر بشيء ، (٣) وفي ذلك تبلغها النساء والدخالات والخارجات عن عائشة كل كلام يسوؤها ، و يبلغن عائشة عنها و عن بعلها مثل ذلك إلا أنه شتان ما بين الحالين ، و بعد ما بين الفريقين . هذه غالبية

(١) راجع عبد الله بن سبا السقيفة ، تجد تفصيلاً وإفياً هناك .

(٢) راجع عبد الله بن سبا ص ٤٣ - ٥٦ .

(٣) راجع طبقات ابن سعد ج ٢ ق ٨٦٢ ط . اوروبا ، (باب ذكر ميراث رسول

الله) ، و صحيح البخاري كتاب المغازي باب غزوة خيبر ج ٣٨٣ ، و صحيح مسلم باب قول رسول الله (نحن لانورث ماتر كناه صدقة) ج ١٧٢ و ج ١٥٣٣ ، و الطبري بعد ايراد السقيفة ، و ابن كثير ٢٨٥٦ - ٢٨٦ ، و ابن عبد ربه ٦٤٣ ، و مسند احمد ج ٤١ ٦ و ٩ و ١٠ و ١٤ ، و ج ٣٥٣٢ .

وهذه مغلوقة . وهذه آمرة . وهذه مأمورة ؛ وظهر التشفيّ و الشّماتة و لاشيء أعظم مرارةً ومشقةً من شماتة العدو!

فقلت له - ره - : أف تقول أنت : أن عائشة عيّنت أباها للصلاة و رسول الله ﷺ لم يعينه ؟

فقال : أمّا أنا فلا أقول ذلك ، ولكنّ عليّاً كان يقوله ؛ و تكليفي غير تكليفه ، كان حاضراً ولم أكن حاضراً ، فأنا محجوج بالأخبار التي اتّصلت بي ^(١) ؛ وهي تتضمن تعيين النبيّ لأبي بكر و الصلاة و هو محجوج بما كان قد علمه ، أو يغلب على ظنّه من الحال التي كان حاضراً .

قال : ثمّ ماتت فاطمة ، فجاء نساء رسول الله كلّهنّ إلى بني هاشم في العزاء إلا عائشة ، فإنّها لم تأت ، و أظهرت مرضاً ، و نقل إلى عليّ عنها كلام يدلّ على السرور . ثم بايع عليّ أباها ، فسرت بذلك ، و أظهرت من الاستبشار بتمام البيعة و استقرار الخلافة و بطلان منازعة الخصم ما قد نقله الناقلون فأكثروا ؛ و استمرت الأمور على هذه مدّة خلافة أبيها و خلافة عمر و عثمان ؛ و القلوب تغلي و الأحقاد تذيب الحجارة ؛ و كلّما طال الزمن على عليّ تضاعف همومه و غمومه ، و باح بما في نفسه إلى أن قتل عثمان ، و قد كانت عائشة أشدّ الناس عليه تأليماً و تحريضاً ؛ فقالت : أبعده الله .

وأمّلت أن تكون الخلافة في طلحة ، فتعود إلى مرة تيمّية كما كانت أوّلاً ، فعدل الناس عنه إلى عليّ بن أبي طالب ؛ فلمّا سمعت ذلك صرخت :

و اعثماناه قتل عثمان مظلوماً ، و ثار ما في الأنفس حتّى تولّد من ذلك يوم الجمل و ما بعده . قال ابن أبي الحديد : هذه خلاصة كلام الشيخ أبي يعقوب - ره - و لم يكن يتشيع . إنتهى .

قد أوردنا قسماً كبيراً من محاوره ابن أبي الحديد و شيخه ^(٢) في شرح كلام

(١) راجع باب احاديثها في صلاة ابي بكر من هذا الكتاب .

(٢) سيأتى بحث بعض ما اشار اليه اللعاني في الابواب الاتية من هذا الكتاب

عليّ بن أبي طالب ، لما كان فيها من إيضاح لغوامض لنا عن حياة أمّ المؤمنين الزوجيّة ، وعلاقتها مع أسرة النبيّ الأقرين في عصره ؛ والأحداث التي نشأت عنها بعده ، ونقتصر عليه في درس بعض نواحي حياتها الزوجيّة ، لما في عرضها مفصلاً خروج بنا عن الدراسة المهمّدة لفهم أحاديثها إلى دراسة مفصّلة لحياتها وأثرها على المجتمع الإسلاميّ ، ممّا ينبغي بحثها في دراسات أخرى .

والذي نستلخصه من كلّ مامرّ أنّ أمّ المؤمنين كانت امرأةً غيري ، تغار على زوجها الرسول ، وأنّ غيرتها هذه كانت تؤثّر على حياتها الزوجيّة ، وعلاقتها مع زوجات الرسول وسراياه و سائر أفراد أسرته :

وسنرى مضافاً إلى ما رأينا في مامرّ - أنّها كانت تغار على مصلحة ذوي قرباها ، وحزبهم^(١) أيضاً بمثل تلك القوّة والشدّة ، وأنّ هذه الصّفة الغيرة الشّديدة المصحوبة بحدّة الطبع كانت تدفعها إلى أعمال عنيفة ، وأقوال حادّة ممّا عقدنا الفصول الآتية لدراسة أكثرها .

(١) كان لامّ المؤمنين حزب داخل بيت الرسول على ما حدثت هي وقالت : « ان

نساء النبيّ كن حزبين ، فحزب عائشة وحفصة وسودة ، والحزب الاخرام سلمة وسائر نساء رسول الله (ص) . . . الحديث وفي بقية الحديث ما يدل على ان فاطمة كانت في الحزب

المنأوى لها ؛ راجع البخاري باب من اهدى الى صاحبه من كتاب الهبة ج ٢ ر ٦٠ .

اما خارج بيت الرسول فسنرى فيما ياتي انها صرفت عمرها في حفظ مصالح ذوي قرباها

وحزبهم مدى الحياة .

عَلَى عَهْدِ الشَّيْخِينَ

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على
سيدنا محمد وآله الطيبين
الطاهرين

الشيخان هما -

ا - أبو بكر الملقَّب بالصدِّيق والعتيق ؛ عبدالله بن أبي قحافة ، عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة القرشي التيمي ؛ و أمه أم الخير سلمى ، أو ليلى بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة .

ولد بعد الفيل بسنتين أو ثلاث ؛ وكان من السابقين الأولين إلى الإسلام ، صاحب الرسول في هجرته إلى المدينة ، وشهد بدرًا وما بعدها ، و بويع بالخلافة في السقيفة^(١) بعد وفاة رسول الله و قبل دفنه ، و توفي لثمان ليال بقين من جمادي الآخرة سنة ثلاث عشرة ، و دفن في حجرة رسول الله ، و عمره ثلاث وستون سنة ،^(٢) وكانت خلافته سنتين و ثلاثة أشهر و عشر ليالٍ أوستاً و عشرين .

ب - أبو حفص الفاروق عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبدالعزيز بن رباح بن عبدالله ابن قرط بن رزاح بن عدي القرشي العدوي ، و أمه حنمة بنت هشام أو هاشم بن المغيرة ابن عبدالله بن عمر بن مخزوم ؛ أسلم بعد نيسف و خمسين رجلاً و امرأةً ، و هاجر إلى المدينة و شهد بدرًا وما بعدها ؛ استخلفه أبو بكر من بعده . و انتشرت الفتوح الإسلامية في عهده .

و طعنه أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة لأربع ليال بقين من ذي الحجة سنة ثلاث و عشرين ، و عمره خمس و خمسون أو ثلاث وستون^(٢) ؛ و دفن هلال المحرم سنة أربع و عشرين إلى جنب أبي بكر في حجرة رسول الله ؛ و كانت خلافته عشر سنين و ستة أشهر و خمس ليال .

(١) راجع الاخبار السقيفة في عبدالله بن سبأ ص ٢١ - ٧٦ تجد تفصيلاً وافياً لحوادثها و مواقف الصحابة و آراءهم فيها هناك .

(٢) نشك في صحة ما قدره العلماء في عمر الراشدين و نظن انهم كانوا يرغبون في توفيق سنو عمر بعضهم و سنى عمر رسول الله صلى الله عليه وآله .

ارجاع السلطة اليها في الفتيا - تفضيلها في العطاء -
منع ازواج النبي من الحج - حجبهن في آخر عهد عمر -
خفرهن في طريق الحج - قلة الحديث في عهد الشيخين -
احاديثها في هذا العهد - عصور الحديث - رثاء عمر على
لسان الجن - تبادل الحب و الاحترام - جعل بيتها داراً
للسورى - نتيجة البحث .

لقد قضت أم المؤمنين عائشة حياتها في نزاع حاد عنيف ، و تنافس حزبي صاحب
إلا ما كان من أيامها في عهد الشيخين ، فإنها قضتها قريرة العين ، منعمة الحال ، هائلة
بما كانت تراها من غلبة حزبها و استيلائه على الحكم ، و بما أحيطت بها من رعاية خاصة
بلبغتها إلى ما كانت خليفة بها من مكانة مرموقة في المجتمع الإسلامي حتى اليوم ؛ فقد
توفني الرسول عن تسع زوجات ولم نجد في تلكم التسع من يرجع الشيخان إليها في الفتيا
كما كانا يفعلان مع أم المؤمنين عائشة . و مما يؤيد ما ذكرناه ما أخرجه ابن سعد في
طبقاته ^(١) عن القاسم قال :

« كانت عائشة : استقلت بالفتوى في عهد أبي بكر ، و عمر و عثمان وهلم جرا إلى
أن ماتت » ؛

و ما أخرجه عن محمود بن لبيد قال : « و كانت عائشة تفتي في عهد عمر و عثمان

(١) طبقات ابن سعد ج ٨ ص ٣٧٥ .

إلى أن ماتت يرحمها الله ، و كان الأكبر من أصحاب رسول الله ﷺ عمر و عثمان بعده يرسلان إليها فيسأ لأنها عن السنن .

و كما أننا لم نجد في تلمك التسع من فضلت في العطاء ماعداها ، فقد أخرج ابن سعد (٢) بترجمتها عن مصعب بن سعد ، قال :

« فرض عمر لأمهات المؤمنين عشرة آلاف وزاد عائشة ألفين ، و قال : إنهابجيبية رسول الله ﷺ . »

والسلطة التي فضلتها في العطاء في هذا العهد ، وأرجعت إليها في الفتيا ؛ حجرت عليها داخل المدينة فيمن حجرت عليه (٣) ، و لم تتركها تخرج من المدينة حتى إلى الحجّ و العمرة ، روى ابن سعد في طبقاته : « أن عمر بن الخطاب منع أزواج النبي من الحجّ و العمرة (٤) . »

ولما كانت الحجّة التي حجّ فيها عمر بن الخطاب سنة ثلاث وعشرين و هي آخر حجّة حجّها عمر في السنة التي توفي فيها أرسل إليه أزواج النبي يستأذن في الخروج ما عدا زينب وسودة فإنهما لم تحجّا بعد النبي ، و قالتا : لا يحركنا ظهر بعير ؛ وقالت سودة : قد حججت و اعتمرت ، فأنا أقعد في بيتي كما أمرني الله (٥) ، فأذن لهنّ ، و أمر بجهازهنّ ، فحملن في الهودج عليهنّ الأكسية الخضراء ، الطيالة الخضراء - و هنّ

(٢) طبقات ابن سعد ج ٦٧٨ ، و الزركشي في الإجابة ص ٧١ و ٧٥ ، و الكنز ١١٦٧ ، و منتخبه ج ١١٨٥ ، و بترجمتها في الإصابة ٣٤٩٤ ، و الطبري ١٦١٤ ، و ابن الاثير ٢٤٧٢ ، و المستدرک ٨٤ ، و شرح النهج ١٥٤٣ ، و البلاذري في فتوح البلدان ٤٥٤ و ٤٥٥ و ٤٤٩ .

(٣) كان من سياسة الخليفة عمران يحجر على مشاهير المسلمين يومذاك و يمنعهم من الخروج عن المدينة ؛ و لما استأذنه الزبير بن العوام في الغزو قال له : « اني ممسك بباب هذا الشعب ان تفرق اصحاب محمد في الناس فيضلوهم » راجع ابن ابى الحديد ج ٤٥٧٤ .

(٤) طبقات ابن سعد ج ٢٠٨ - ٢٠٩ .

(٥) و ذلك لقول رسول الله ﷺ لازواجه في حجة الوداع : « هذه الحجّة ، ثم ظهور الحصر » و قوله لهنّ : « ايكن اتقت الله ، و لم تات بفاحشة مبينة ، و لزمت ظهر حصرها فهي زوجتي في الآخرة . » طبقات ابن سعد ج ٢٠٨ .

رسول الله غضب ذلك اليوم ، وما روي من حديث الجفنة من الثريد التي أمرت الخادم ، فوقفت لها فأكفأتها ، و نحو ذلك مما يكون بين الأهل و بين المرأة و أمهاتها ؛ ثم اتفق أن فاطمة ولدت أولاداً كثيرةً ، بنين و بنات ولم تلدهي ولداً ، و أن رسول الله كان يقيم بني فاطمة مقام بنيه ؛ و يسمي الواحد منهما ابني ؛ و يقول : أدعو إليّ ابني ، ولا ترزموا عليّ ابني ؛ و ما فعل ابني ؛ فما ظنك بالزوجة إذا حرمت الولد من البعل ، ثم رأت البعل يتبنى بني ابنته من غيرها ، و يحنو عليهم حنو الوالد المشفق ؟ هل تكون محبة لأولئك البنين و لأُمهم و لأبيهم أم مبغضة ؟ و هل تودّ دوام ذلك و استمراره أم زواله و انقضاه ؟ !

ثم اتفق أن رسول الله سدّ باب أبيها إلى المسجد ، وفتح باب صهره ؛ (١) ثم بعث أباها ببراءة إلى مكة ، ثم عزله عنها بصهره ، (٢) فقدح ذلك أيضاً في نفسها ؛ و ولد لرسول الله إبراهيم من مارية ، فأظهر عليّ بذلك سروراً كثيراً ؛ و كان يتعصب لمارية ، و يقوم بأمرها عند رسول الله ميلاً على غيرها ، و جرت لمارية نكبة ، فبرأها عليّ منها ، و كشف بطلانها ، او كشف الله عليّ يده ؛ و كان ذلك كشفاً محسباً بالبصر ، لا تهيئاً للمنافقين أن يقولوا فيه ، و كل ذلك مما يوغر صدر عائشة عليه ، و يؤكّد ما في نفسها منه ؛ ثم مات إبراهيم ، فأبطنت شماتة ، و إن أظهرت كآبة ، و وجم عليّ من ذلك ، و كذلك فاطمة ، و كانا يؤثران مارية ، و يريدان أن تتميز مارية عليها بالولد ، فلم يقدر لهما و للمارية ذلك و بقيت الأمور على ما هي عليه . . .

و كان عليّ لا يشك أن الأمر له ، وأنه لا ينازعه فيه أحد من الناس ؛ و لهذا قال له عمّه : أمدد يدك أبايعك ، فيقال : عمّ رسول الله بايع ابن عمّ رسول الله ، فلا يختلف عليك إثنان .

(١) مسند احمد و منتخب الكنز ج ٢٩٥ و الكنز ١٥٢٦ الحديث ٢٤٩٥ و

المستدرک ١٢٥٣ .

(٢) مسند احمد ج ١٣١١ المستدرک ج ٥٢٣ عن ابن عباس ، و ص ٦ من خصائص

النسائي ، و مسند احمد ج ٢١٢ عن طريق ابى بكر و مسند احمد ج ٣٥١١ عن طريق علي ، و ص ٢٠ من خصائص النسائي و عبدالله بن عمر راجع المستدرک ٥١٣ .

قال : يا عمُّ وهل يطمع فيها طامعٌ غيري؟! قال : ستعلم!

قال : فإني لأحبُّ هذا الأمر من وراء رتاج؛^(١) وأحبُّ أن أصحر به؛ فسكت عنه^(٢). فلمَّا ثقل رسول الله في مرضه، أنفذ جيش أسامة؛ وجعل فيها أبابكر^(٣) وغيره من أعلام المهاجرين والأنصار. فكان عليٌّ حينئذٍ بوصوله إلى الأمر إن حدث برسول الله حدث أوثق، ويغلب على ظنِّه أن المدينة لو مات لخلت من منازع ينازعه الأمر بالكليسة؛ فإخذه صفوًّا وعفوًّا، ويتمُّ له البيعة، فلايتهايمًا فسخها لورام ضد منازعته عليها؛ فكان من عود أبي بكر من جيش أسامة بإرسالها - يعني عائشة - إليه وإعلامه بأن رسول الله يموت ما كان.

و من حديث الصلاة بالناس ما أعرف، فنسب عليٌّ إلى عائشة أنها أمرت بلائاً مولى أيها أن يأمره فليصل بالناس، لأن رسول الله كما روي قال ليصل بهم أحدهم؛ ولم يعين؛ وكانت صلاة الصبح، فخرج رسول الله وهو في آخر رمق يتهادي بين عليٍّ والفضل بن العباس، حتَّى قام في المحراب كما ورد في الخبر، ثم دخل، فمات ارتفاع الضحى، فجعل يوم صلاته حجةً في صرف الأمر إليه.

وقال: أيُّكم يطيب نفساً أن يتقدّم قدمين قدمها رسول الله في الصلاة، ولم يحملوا

(١) الرتاج: الباب المقفل.

(٢) راجع المرشحون للبيعة من عبد الله بن سبا، المدخل ص ٣١ تجد تفصيل المحاوره

هناك مع بيان رايئافيه.

(٣) روى ابن سعد في الطبقات عن جيش اسامة، و قال: فلم يبق أحدمن وجوه

المهاجرين الاولين والانصار الا انتدب في تلك الغزوة. فيهم ابوبكر وعمر بن الخطاب و ابو عبيدة بن الجراح وسعد بن ابى وقاص... فتكلم قوم وقالوا:

يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الاولين، فغضب رسول الله، فصعد المنبر،

فحمد الله و اثنى عليه ثم قال: ما مقالة بلغني عن بعضكم في تاميري اسامة؟... ثم نزل

فدخل بيته، وذلك يوم السبت ٠٠ و توفي يوم الاثنين، راجع الطبقات. ط ٠ ليدن ج ٢

ق ١٣٦٦، و في ج ٤ ر ٤٦١ منه عن ابن عمر، و راجع تهذيب تاريخ ابن عساكر

ج ٢ ر ٣٩١، و كنز العمال ٣١٢٥، ومنتخبه ٤ ر ١٨٠.

خروج رسول الله إلى الصلاة لصرفه عنه ، بل لمحافظته على الصلاة مهما أمكن ؛ فبويع على هذه النكته التي اتهمها عليُّ أنها ابتدأت منها ، و كان عليُّ يذكر هذا لأصحابه في خلواته كثيراً ، و يقول :

إنه لم يقل «إنكن» لصويجبات يوسف» إلا إنكاراً لهذه الحال ، و غضباً منها ، لأنّها و حفصة تبادرتا إلى تعيين أويهما ؛ و استدر كهما بخروجه ، و صرفه عن المحراب ، فلم يجد ذلك ولا أثر مع قوّة الداعي الذي كان يدعو إلى أبي بكر ؛ و يمهد له قاعدة الأمر ، و تقرّر حاله في نفوس الناس ، و من أتبعه على ذلك من أعيان المهاجرين والأَنْصار ؛ (١) ولما ساعد على ذلك من الحظّ الفلكي ، والأمر السّمائي الذي جمع عليه القلوب والأهواء . فكانت هذه الحال عند عليٍّ أعظم من كلِّ عظيم ؛ وهي الطامة الكبرى ، و المصيبة العظمى ؛ و لم ينسبها إلا إلى عائشة وحدها ؛ و لعلّق الأمر الواقع إلا بها ، فدعا عليها في خلواته و بين خواصّه ، و تظلم إلى الله منها ؛ و جرى له في تخلفه عن البيعة ما هو مشهور حتّى بايع (٢) .

و كان يبلغه و فاطمة عنها كلُّ ما يكرهانه منذ مات رسول الله ، إلى أن توفيت فاطمة و هما صابران على مريض و رمض ؛ و استظهرت بولاية أبيها و استطلت و عظم شأنها ، و اتخذ عليٌّ و فاطمة ؛ و خذلاً و قهراً .

و أخذت فدك ؛ و خرجت فاطمة تجادل في ذلك مراراً ، فلم تظفر بشيء ، (٣) و في ذلك تبلغها النساء و الدّاخلات و الخارجات عن عائشة كلِّ كلام يسوؤها ، و يبلغن عائشة عنها و عن بعلمها مثل ذلك إلا أنّه شتان ما بين الحالين ، و بعد ما بين الفريقين . هذه غالبية

(١) راجع عبد الله بن سبا السقيفة ، تجد تفصيلاً وافيًا هناك .

(٢) راجع عبد الله بن سبا ص ٤٣ - ٥٦ .

(٣) راجع طبقات ابن سعد ج ٢ ق ٨٦٢ ط . اوروبا ، (باب ذكر ميراث رسول

الله) ، و صحيح البخارى كتاب المغازى باب غزوة خيبر ج ٣٨٣ ، و صحيح مسلم باب قول رسول الله (نحن لانورث ماتر كناه صدقة) ج ١٢٢٠ ج ١٥٣٣ ، و الطبرى بعد ايراد السقيفة ، و ابن كثير ٢٨٥٦ - ٢٨٦ ، و ابن عبد ربه ٦٤٣ ، و مسند احمد ج ٤٦ و ٩ و ١٠ و ١٤ ، و ج ٣٥٣٢ .

وهذه مغلوبة . وهذه آمرة . وهذه مأمورة ؛ وظهر التشفيّ والشّماتة و لاشيء أعظم
مرارةً ومشقّةً من شّماتة العدو!

فقلت له - ره - : أف تقول أنت : أن عائشة عيّنت أباها للصلاة و رسول الله ﷺ

لم يعيّنهُ ؟

فقال : أمّا أنا فلا أقول ذلك ، ولكنّ عليّاً كان يقوله ؛ و تكليفي غير تكليفه ، كان
حاضراً ولم أكن حاضراً ، فأنا محجوج بالأخبار التي اتّصلت بي (١) ؛ وهي تتضمّن
تعيين النبي لأبي بكر و الصلاة و هو محجوج بما كان قد علمه ، أو يغلب على ظنّه من
الحال التي كان حضرها .

قال : ثمّ ماتت فاطمة ، فجاء نساء رسول الله كلّهنّ إلى بني هاشم في الغزاء إلا
عائشة ، فإنّها لم تأت ، و أظهرت مرضاً ، ونقل إلى عليّ عنها كلام يدلّ على السرور .
ثم بايع عليّ أباها ، فسرتّ بذلك ، وأظهرت من الاستبشار بتمام البيعة واستقرار
الخلافة و بطلان منازعة الخصم ما قد نقله الناقلون فأكثرُوا ؛ و استمرتّ الأمور على
هذه مدّة خلافة أبيها و خلافة عمر و عثمان ؛ و القلوب تغلي و الأحقاد تذيب الحجارة ؛
و كلّما طال الزمن على عليّ تضاعف همومه و نغمومه ، و باح بما في نفسه إلى أن قتل عثمان ،
و قد كانت عائشة أشدّ الناس عليه تأليماً و تحريضاً ؛ فقالت : أبعده الله .

وأملت أن تكون الخلافة في طلحة ، فتعود الإمرّة تيمميّة كما كانت أوّلاً ، فعدل
الناس عنه إلى عليّ بن أبي طالب ؛ فلمّا سمعت ذلك صرخت :

و اعثماناه قتل عثمان مظلوماً ، و ثار ما في الأنفس حتّى تولّد من ذلك يوم الجمل
و ما بعده . قال ابن أبي الحديد : هذه خلاصة كلام الشيخ أبي يعقوب - ره - و لم يكن
يتشيع . انتهى .

قد أوردنا قسماً كبيراً من محاورّة ابن أبي الحديد و شيخه (٢) في شرح كلام

(١) راجع باب احاديثها في صلاة ابي بكر من هذا الكتاب .

(٢) سيأتي بحث بعض ما اشار اليه اللمعاني في الابواب الاتية من هذا الكتاب

انشاء الله تعالى .

عليّ بن أبي طالب ، لما كان فيها من إيضاح لغوامض لنا عن حياة أمّ المؤمنين الزوجيّة ، وعلاقتها مع أسرة النبيّ الأقرين في عصره ؛ والأحداث التي نشأت عنها بعده ، ونقتصر عليه في درس بعض نواحي حياتها الزوجيّة ، لما في عرضها مفصلاً خروج بنا عن الدراسة المهمّة لفهم أحاديثها إلى دراسة مفصّلة لحياتها وأثرها على المجتمع الإسلاميّ ، ممّا ينبغي بحثها في دراسات أخرى .

والذي نستلخصه من كلّ مامرّ أنّ أمّ المؤمنين كانت امرأةً غيري ، تغار على زوجها الرسول ، وأنّ غيرتها هذه كانت تؤثّر على حياتها الزوجيّة ، وعلاقتها مع زوجات الرسول وسراياه و سائر أفراد أسرته :

و سنرى مضافاً إلى ما رأينا في مامرّ - أنّها كانت تغار على مصلحة ذوي قرباها ، و حزبهم^(١) أيضاً بمثل تلك القوّة و الشدّة ، و أنّ هذه الصّفة الغيرة الشّديدة المصحوبة بحدّة الطبع كانت تدفعها إلى أعمال عنيفة ، و أقوال حادّة ممّا عقدنا الفصول الآتية لدراسة أكثرها .

(١) كان لام المؤمنين حزب داخل بيت الرسول على ما حدثت هي و قالت : «ان نساء النبيّ كن حزبين ، فحزب عائشة و حفصة و سودة ، والحزب الاخرام سلمة و سائر نساء رسول الله (ص) . . . الحديث و في بقية الحديث ما يدل على ان فاطمة كانت في الحزب المناوئ لها ؛ راجع البخارى باب من اهدى الى صاحبه من كتاب الهبة ج ٢٠٢ .
اما خارج بيت الرسول فسنرى فيما ياتي انها صرفت عمرها في حفظ مصالح ذوي قرباها و حزبهم مدى الحياة .

عَلَى عَهْدِ الشَّيْخَيْنِ

تجدید و اصلاح

الشيخان هما -

ا - أبو بكر الملقب بالصدق والعتيق ؛ عبدالله بن أبي قحافة ، عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة القرشي التيمي ؛ وأمه أم الخير سلمى ، أو ليلى بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة .

ولد بعد الفيل بسنتين أو ثلاث ؛ وكان من السابقين الأولين إلى الإسلام ، صاحب الرسول في هجرته إلى المدينة ، وشهد بدرأ وما بعدها ، و بويع بالخلافة في السقيفة^(١) بعد وفاة رسول الله و قبل دفنه ، و توفي لثمان ليال بقين من جمادي الآخرة سنة ثلاث عشرة ، و دفن في حجرة رسول الله ، و عمره ثلاث وستون سنة ،^(٢) وكانت خلافته سنتين و ثلاثة أشهر و عشر ليال أوستاً و عشرين .

ب - أبو حفص الفاروق عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبدالعزيز بن رباح بن عبدالله ابن قرط بن رزاح بن عدي القرشي العدوي ، و أمه حنتمة بنت هشام أو هاشم بن المغيرة ابن عبدالله بن عمر بن مخزوم ؛ أسلم بعد نيف و خمسين رجلاً و امرأة ، و هاجر إلى المدينة و شهد بدرأ و ما بعدها ؛ استخلفه أبو بكر من بعده . و انتشرت الفتوح الإسلامية في عهده .

و طعنه أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة لأربع ليال بقين من ذي الحجة سنة ثلاث و عشرين ، و عمره خمس و خمسون أو ثلاث وستون^(٢) ؛ و دفن هلال المحرم سنة أربع و عشرين إلى جنب أبي بكر في حجرة رسول الله ؛ و كانت خلافته عشر سنين و ستة أشهر و خمس ليال .

(١) راجع الاخبار السقيفة في عبدالله بن سبأ ص ٢١ - ٢٦ تجد تفصيلاً وافيًا لحوادثها

و مواقف الصحابة و آراءهم فيها هناك .

(٢) نشك في صحة ما قدره العلماء في عمر الراشدين و نظن انهم كانوا يرغبون في

توفيق سنوي عمر بعضهم و سني عمر رسول الله صلى الله عليه و آله .

ارجاع السلطة اليها في الفتيا - تفضيلها في العطاء -
منع ازواج النبي من الحج - حجبهن في آخر عهد عمر -
خفرهن في طريق الحج - قللة الحديث في عهد الشيخين -
احاديثها في هذا العهد - عصور الحديث - رثاء عمر علي
لسان الجن - تبادل الحب و الاحترام - جعل بيتها داراً
للسورى - نتيجة البحث .

لقد قضت أم المؤمنين عائشة حياتها في نزاعٍ حادٍ عنيفٍ، و تنافسٍ حزبيٍ صاحب
إلا ما كان من أيامها في عهد الشيخين، فإنّها قضتْها قريرة العين، بمنعمة الحال، هانئة
بما كانت تراها من غلبة حزبها و استيلائه على الحكم، و بما أُحيطت بها من رعايةٍ خاصّةٍ
بلّغتها إلى ما كانت خليفةً بها من مكانةٍ مرموقةٍ في المجتمع الإسلاميّ حتّى اليوم؛ فقد
توفّي الرسول عن تسع زوجات ولم نجد في تلكم التسع من يرجع الشيخان إليها في الفتيا
كما كانا يفعلان مع أم المؤمنين عائشة. و مما يؤيد ما ذكرناه ما أخرجه ابن سعد في
طبقاته^(١) عن القاسم قال :

« كانت عائشة : استقلّت بالفتوى في عهد أبي بكر، و عمر و عثمان وهلمّ جرّاً إلى
أن ماتت » ؛

و ما أخرجه عن محمود بن لبيد قال : « و كانت عائشة تفتي في عهد عمر و عثمان

(١) طبقات ابن سعد ج ٨ ص ٣٧٥ .

إلى أن ماتت يرحمها الله، و كان الأكبر من أصحاب رسول الله ﷺ عمر و عثمان بعده يرسلان إليها فيسأ لأنها عن السنن .

و كما أننا لم نجد في تكم التمسع من فضلت في العطاء ما عداها ، فقد أخرج ابن سعد (٢) بترجمتها عن مصعب بن سعد ، قال :

« فرض عمر لأمهات المؤمنين عشرة آلاف وزاد عائشة ألفين ، و قال : إنها حبيبة رسول الله ﷺ » .

والسلطة التي فضلتها في العطاء في هذا العهد ، وأرجعت إليها في الفتيا ؛ حجرت عليها داخل المدينة فيمن حجرت عليه (٣) ، و لم تتركها تخرج من المدينة حتى إلى الحج و العمرة ، روى ابن سعد في طبقاته : « أن عمر بن الخطاب منع أزواج النبي من الحج و العمرة (٤) » .

ولما كانت الحجة التي حج فيها عمر بن الخطاب سنة ثلاث وعشرين و هي آخر حجة حجها عمر في السنة التي توفي فيها أرسل إليه أزواج النبي يستأذن في الخروج ما عدا زينب وسودة فإنهما لم تحجا بعد النبي ، و قالتا : لا يحر كنا ظهر بعير ؛ وقالت سودة : قد حججت و اعتمرت ، فأنا أقعد في بيتي كما أمرني الله (٥) ، فأذن لهن ، و أمر بجهازهن ، فحملن في الهودج عليهن الأكسية الخضراء ، - الطيالسة الخضراء - و هن

(٢) طبقات ابن سعد ج ٨ ص ٦٧٨ ، و الزركشي في الإجابة ص ٧١ و ٧٥ ، و الكنز ١١٦٧ ، و منتخبه ج ٥ ص ١١٨ ، و بترجمتها في الإصابة ٣٤٩٤ ر ٤ ، و الطبرى ١٦١٤ ر ٤ ، و ابن الأثير ٢٤٧٢ ، و المستدرک ٨٤ ، و شرح النهج ٣ ص ١٥٤ ، و البلاذرى في فتوح البلدان ٤٥٤ و ٤٥٥ و ٤٤٩ .

(٣) كان من سياسة الخليفة عمران يحجر على مشاهير المسلمين يومذاك و يمنعهم من الخروج عن المدينة ؛ و لما استأذنه الزبير بن العوام فى الغزو قال له : « انى ممسك بباب هذا الشعب ان تتفرق اصحاب محمد فى الناس فيضلوهم » راجع ابن ابى الحديد ج ٤ ص ٤٥٧ .

(٤) طبقات ابن سعد ٨ ص ٢٠٨ - ٢٠٩ .

(٥) و ذلك لقول رسول الله ﷺ لازواجه فى حجة الوداع : « هذه الحجة ، ثم ظهور الحصر » و قوله لهن : « ايكن اتقت الله ، و لم تات بفاحشة مبينة ، و لزمت ظهر حصيرها فهى زوجتى فى الاخرة . طبقات ابن سعد ٨ ص ٢٠٨ .

حجرة من الناس ، وبعث معهم عبدالرحمن بن عوف^(٦) و عثمان بن عفان ، فكان عثمان يسير على راحلته أمامهم و ينادي :

ألا يَدنو إِلَيْهِنَّ أَحَدٌ ، و لا يَنْظُرُ إِلَيْهِنَّ أَحَدٌ ، فلا يدع أحداً يدنو منهنَّ و لا يراهنَّ إلا من مدَّ البصر ، فاذا دنا منهنَّ أحد يصيح : إِلَيْكَ ، إِلَيْكَ ، و كان عبدالرحمن يسير على راحلته من ورائهنَّ يفعل مثل ذلك^(٧) . وروي عن المسور بن المخزومة^(٨) أنه قال : ربما رأيت الرجل ينيخ على الطريق لإصلاح رحل أو بعض ما يصلح من جهازه ، فيلحقه عثمان و هو أمام أزواج النبي ﷺ فإن كان الطريق سعة أخذ يمين الطريق أو يساره ؛ فيبعد عنه ، و إن لم يجد سعة وقف ناحية حتَّى يرحل الرجل أو يقضي حاجته . و قد رأيتَه يلقى الناس مقبلين في وجهه من مكَّة على الطريق ، فيقول لهم يمناة أو يسرة ، فينيخهم حتَّى يكونوا مدَّ البصر حتَّى يمضين ؛ و كنَّ ينزلن مع عمر كلَّ منزل ، و كانا ينزلان بهنَّ في الشَّعاب و ينزلان في فيء الشعب و لا يتركان أحداً يمرَّ عليهنَّ . و في رواية أخرى : ينزلانهم بصدر الشعب و ينزلان بذنب الشعب ، و لا يصعد إليهنَّ

(٦) ابو محمد عبدالرحمن بن عوف بن عبد بن الحرث بن زهرة القرشي الزهري ، و امه الشفاء بنت عوف بن عبد بن الحرث بن زهرة .

ولد بعد الفيل بعشر سنين ؛ و كان اسمه في الجاهلية عبد عمر او عبد كعبة ، فسماه الرسول عبد الرحمن هاجر الى الحبشة ، ثم الى المدينة ، و شهد بدرأ و ما بعدها ؛ و عينه عمر في الستة أهل الشورى . توفي بالمدينة سنة ٣١ ، او ٣٢ ؛ و دفن بالبقيع .

الاصابة ٤٠٨٢ - ٤١٠ ، و الاستيعاب بهامشه ٣٨٥٢ - ٣٩٠ ، و اسد الغابة ٣١٣٣ - ٣١٧ .

(٧) اخرج هذه الروايات في حج أزواج النبي ابن سعد في طبقاته ٢٠٨٨ ، عن كل من عبدالرحمن بن سعيد بن يربوع ، و عطاء بن يسار ، و ابى هريرة و ابن سيرين و محمد بن عمر .

(٨) ابو عبدالرحمن المسور بن مخزومة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة القرشي الزهري ، امه عاتكة بنت عوف اخت عبدالرحمن بن عوف ، ولد بمكة بعد الهجرة بسنتين ، و مات في حرب اهل الشام مع ابن الزبير مستهل ربيع الاول سنة اربع وستين من هجر منجنيق اصابه وهو يصلى في الحجر ، ترجمته في اسد الغابة ٣٦٥٤ ، و راجع ترجمته في طبقات ابن سعد و الاستيعاب و الاصابة .

أحد وفي أخرى، « ينزلهن في الشعب الذي ليس له منفذ » وفي أخرى « وقد استروا عليهن الشجر من كل ناحية » (٩).

لم تخرج أم المؤمنين عائشة في هذا العهد غير هذه السفارة من المدينة، وإنما قضت أيامها في بيتها في حياة رتيبة هادئة لا يختلف أولها عن آخرها؛ ترجع إليها السلطة في ما تحتاج إليه من إفتاء، فتحدث هي عن رسول الله في ذلك، وكان ذلك لها من السلطة غاية الإجلال والتكريم، مضافاً إلى تفضيلها في العطاء ومن المظنون ظناً راجحاً أن التحديث كان في هذا العهد نزراً يسيراً وذلك لانصراف المسلمين بعضهم وقضيتهم إلى الفتوح، واتفاق الرأي وخضوع الجميع للخلافة الراشدة، مضافاً إلى أنهم في المدينة كانوا يعيشون جميعاً مع من عاش النبي، فلم يكن هناك مبرر للإكثار من الحديث عن عصر الرسول، ومن المظنون أيضاً أن من ذلك النزر اليسير ما روي عن أم المؤمنين في تأييد الخلافة القائمة يومذاك؛ فإنها كانت من أشد المؤيدين لها، ولم يكن ثمة تأييد أقوى من نشر الحديث عن رسول الله في شأن الخلافة والخلفاء، ومن الجائر أن يكون من أحاديثها في هذا العصر وفي هذا الباب ما أخرجه مسلم في صحيحه عنها: (١٠) قالت:

قال لي رسول الله ﷺ في مرضه: « ادعي أبا بكر أباك وأخاك حتى أكتب كتاباً فاني أخاف أن يتمني متمن ويقول قائل: أنا أولى، وبأبي الله والمؤمنون إلا أبا بكر ». وعن أبي هليكة (١١) قال: قالت عائشة: لما نقل رسول الله ﷺ قال رسول الله

(٩) اخرج جميع هذه الروايات في حج أزواج النبي ابن سعد في طبقاته ج ٢٠٨٨ عن كل من أبي جعفر وإبراهيم بن سعد، وأبو نجيح، وأم ذرة، وأم معبد بنت خالد بن خليف، والمسور بن المخزومة.

(١٠) صحيح مسلم ١١٠٧، باب فضائل أبي بكر، ومسند أحمد ٦٧٦ و٤٧٤، وطبقات ابن سعد ٢ ق ١٧ - ١٢٧ طليدن، والكنز ٦٣٩ و٣١٧ الحديث ٥٢٨٣، وفي منتخبه ٣٣٤٢، واللفظ للمسلم.

(١١) البخاري ٤٤٥ باب قول المريض اني وجع او وار أساه، وفي ص ١٤٦ منه

باب الاستخلاف عن القاسم بن محمد قرياً منه وسيأتي النقاش حوله في باب أحاديثها انشاء الله تعالى.

لعبد الرحمن بن أبي بكر : ائتمنى بكتف ولوح حتى أكتب لأبي بكر لا يختلف عليه فلما ذهب عبد الرحمن ليقوم ، قال أبي الله و المؤمنون أن يختلف عليك أبا بكر !
ومنها أيضاً ما أخرجه مسلم (١٢) عن أبي مليكة : قال سألت عائشة : من كان رسول الله مستخلفاً لو استخلفه :

قالت : أبو بكر .

ف قيل لها : ثم من بعد أبي بكر ؟

قالت : عمر .

ثم قيل لها : من بعد عمر ؟

قالت : أبو عبيدة بن الجراح (١٣) ثم انتهت إلى هذا !

إلى غير هذا من حديث كثير روي عنها في فضائلها مما سنستعرضها في باب أحاديثها إن شاء الله تعالى .

عصور الحديث

وإنما جوّزنا أن يكون عصر الشيخين عصر نشر هذه الأحاديث ، لأننا نجد الأحاديث التي فيها ذكر الخلفاء الراشدين الأربعة ، وأن رسول الله كان يستخلفهم لو استخلف أحداً ، إلى نظائر هذه الأحاديث في هذا الباب إنما تنقسم إلى أقسام أربعة : القسم الأول منها ما فيه ذكر الراشدين الأربعة حسب تسنّمهم الخلافة واحداً بعد الآخر حتى علي بن أبي طالب ، فذلك ما نرى فيه أنه قد حدث من بعد علي بن أبي طالب وبعد تدرج

(١٢) مسلم في صحيحه ٧/١١٠ ، وفي الطبقات ٢ ق ٢ ر ١٢٨ ط . ليدن ، وفي مسند

احمد ٦ ر ٦٣ ، والمستدرک ٣ ر ٧٨ ، والكنز ٦ ر ٤٢٨ الحديث ٦٣٨٥ وليس في المستدرک اسم أبي عبيدة .

(١٣) ابو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال القرشي الفهري ؛ وامه اميمة

ابن غنم بن جابر بن عبد العزى بن عامر بن عميرة .

كان من السابقين الى الاسلام ، وممن هاجر الهجرتين ، وتوفى في طاعون عمواس بالشام سنة ١٨ وهو امير عليها من قبل عمر ، ودفن بفحل الاردن .

الاستيعاب ٣ ر ٢-٤ بهامش الاصابة واسد الغابة ٣ ر ٨٤-٨٦ ، والاصابة ٢ ر ٢٤٥

الراشدين الأربعة عليها .

و من هذا النوع من الحديث ما أخرجه المحب الطبري في الرياض النضرة (١٤)

عن النبي حيث قال :

« كنت أنا وأبو بكر وعمر وعثمان وعليُّ أنواراً على يمين العرش قبل أن يخلق آدم بألف عام ، فلما خلق أسكننا ظهره ، و لم تزل ننتقل في الأصلاب الطاهرة إلى أن نقلني الله إلى صلب عبدالله ، ونقل أبو بكر إلى صلب أبي قحافة ، ونقل عمر إلى صلب الخطاب ، ونقل عثمان إلى صلب عفان ، ونقل علياً إلى صلب أبي طالب ، ثم اختارهم لي ، فجعل أبو بكر صديقاً ، وعمر فاروقاً ، وعثمان ذا النورين ، وعلياً وصياً ، فمن سب أصحابي فقد سبني ومن سبني فقد سب الله ، ومن سب الله أكبه في النار على منخره . وإنما نرى تأخر وضع هذا النوع من الحديث عن عصر عليٍّ إلى ما بعده لأن هذا الحديث مثلاً مضافاً إلى ما فيه من ذكر السب ، والسب كان قد انتشر في عصر معاوية وبتحريض منه ولم يكن سب الصحابة والراشدين في عصر الرسول متداولاً بين الناس ليمنع الحديث عنه .

إن ذكر الراشدين مسلسلاً ، ينبغي أن يكون بعد مجيئهم كذلك إلى الحكم وليس قبله .

وفي عصر عليٍّ و إن كان الراشدون قد تدرجوا على الخلافة كذلك غير أن المسلمين كانوا قد انشقوا إلى حزبين : حزب ينقم على عثمان ، وآخر لا يذكر علياً بخير ؛ فمن كان يضع هذا الحديث؟! ؛

وفي زمن معاوية وإن كان السب قد انتشر وتنافس الناس على وضع الحديث (١٥) غير أن ذلك كله كان لمحاربة عليٍّ وبنيه ورهطه من بني هاشم وشيعتهم ؛ وأن السياسة الأموية كانت قد استندت في حكمها على التفريق بين عليٍّ وسائر الراشدين ، وجعله قبالهم ، واستمرت الحال على ذلك إلى آخر العصر الأموي ، إذن فلا بد من القول بتأخر وضع هذا الحديث عن هذه العصور إلى عصر ضعف

(١٤) الرياض النضرة ج ١ ر ٣٠ عن محمد بن ادريس الشافعي .

(١٥) راجع بعده فصل « مع معاوية » .

الأمويين ، ومن قبل قيام الدولة العباسية ، لأن العباسيين أيضاً أخذوا بعد استيلائهم على الخلافة في مضايقة بني عمومتهم العلويين ، وحوار بوههم في كل مجال كالأُمويين فلم يبق عصر يناسب وضع هذا الحديث إلا أخريات العصر الأموي ، وعند ضعف دولتهم ؛ وانتشار الدعوة لآل البيت حيث إن الهاشميين يومذاك علويين وعباسيين كانت كلمتهم مجتمعة ؛ وكان في نشر اسم ابن أبي طالب في قائمة الرّاشدين ونشر فضائله إلى جنب فضائل الخلفاء الثلاثة تأييد لسياسة العباسيين قبال سياسة خصومهم الأمويين القائمة على إخراج اسمه من قائمة الخلافة الرّاشدة ، ونشر مدح الثلاثة مع نشر ذمّه . ونرى أن العباسيين قد ذهبوا إلى أبعد من هذا في مقابلة سياسة خصومهم الأمويين بسياسة خاصة بهم يومذاك ، وذلك بإخراج اسم عثمان من قائمة الرّاشدين ولعلّ الحديث الآتي الذي يؤيد ما ذهبنا إليه قد وضع أيضاً في ذلك العصر .

في أسد الغابة ^(١٦) عن جابر بن عبد الله الأنصاري ^(١٧) قال : كنا مع رسول الله في صور بالمدينة ؛ فقال :

« يطلع عليكم رجلٌ من أهل الجنة » : فجاء أبو بكر ، فهنّيناه ثم قال :

« يطلع عليكم رجلٌ من أهل الجنة » فجاء عمر ، فهنّيناه ؛ ثم قال :

« يطلع عليكم رجلٌ من أهل الجنة » ، قال : ورأيت رسول الله ﷺ يصغى رأسه

من تحت السّعف ويقول :

« اللهم إن شئت جعلته عليّاً » ، فجاء ، عليٌّ فهنّيناه .

وليس إنكارنا لهذا النوع من الأحاديث ينشأ من إنكارنا فضائل الرسول والأطائب

(١٦) اسد الغابة ٤٩ ٢٩ بترجمة علي .

(١٧) جابر بن عبد الله الأنصاري اثنان : احدهما ابن رباب بن النعمان ، و الآخر

ابن عمرو بن حرام ، وامه نسيبة بنت عقيبة بن عدى السلمى ، و كلاهما انصاريان سلمييان .

اسلم الاول قبل العقبة الاولى وشهد بدرًا والمشاهد كلها مع الرسول . والثاني شهد

العقبة مع ابيه وكان صغيرا ، و اختلف في شهوده بدر ، و شهد الصفيين مع علي ، وكان

كثير الحديث ، وربما يكون هو المقصود في سند الحديث ، توفي سنة ٧٤ أو ٧٧ ، وعمره

تسعون سنة ودفن بالمدينة .

من أرومته ، و الأبرار من صحابته جملة واحدة .

معاز الله أن نكون كذلك ؛ فلسنا بمنكري فضائلهم الجمّة وإنما ننكر - مثلاً - أن يكون الله قد ميّز بعض صحابة الرسول الذين أصابتهم الخلافة على من أخطأتهم ؛ فخلق الأولين من نور ، و جبل الآخرين من طين ، ثم نشكّ في كلّ حديث يرد فيه اسم الرّاشدين مسلسلاً حسب مجيئهم إلى الحكم مضافاً إلى قرائن أخرى تشير إلى بعضها في محلّها إن شاء الله تعالى .

و القسم الثاني من تلكم الأحاديث ما فيها ذكر الخلفاء الثلاثة واحداً بعد الآخر حتّى عثمان .

وهذا ما نرى فيه أنّه قد حدث به من بعد استيلاء عثمان على الخلافة لاقبله ، وإذا كان في الحديث مضافاً إلى ذلك ذكر قتل عثمان ، فلا بدّ من القول بأنّه قد حدث به من بعد قتله و ليس قبله .

و الثالث من تلك الأحاديث ما فيه ذكر الشيخين واحداً بعد الآخر و هذا ما نرى فيه أنّه قد حدث به بعد استيلاء عمر على الخلافة .

و الرابع منها ما اختصّ بذكر استخلاف أبي بكر وحده ، فمن المحتمل أن يكون التحديث به من قبل استخلاف عمر .

و على هذا فإنّا نجوّز أن يكون حديث الكتابة لأبي بكر إنّما حدث به في عصره لخلوّه عن ذكر عمر .

أمّا حديث «لو كان رسول الله مستخلفاً لاستخلف أبا بكر ، و من بعد أبي بكر عمر ، و من بعد عمر أبا عبيدة » فنظنّ قوياً أنّه قد حدث به في عصر عمر ، و من قبل استخلاف عثمان لما فيه تأييد في رأيه لأبي عبيدة حيث كان يقول : لو كان أبو عبيدة حياً لاستخلفته . (١٨) .

ذكرنا بعض أحاديث أمّ المؤمنين ممّا رأينا نشره يناسب عصر الشيخين ، و كثير

(١٨) راجع ص ١٢١ من عبدالله بن سبأ ؛ هذا مضافاً الى موقفه القوى الحازم من

بيعة ابي بكر ، راجع المصدر السابق ص ٣٣ - ٣٩ .

من أحاديثها ما لا بد من القول بأنّها قد نشرت بعد عصرهما .
و منها الحديث الآتي فقد حدث به بعد وفاة عمر ، ومن الجائز أن يكون التحديث
به بعد عمر بزمن بعيد .

رثاء الجن

في ترجمة عمر من الاستيعاب و أسد الغابة و ترجمة الشماخ من الأغاني بسندهم
إلى عروة بن الزبير عن أم المؤمنين عائشة قالت (١٩) :

ناحت الجن على عمر قبل أن يقتل بثلاث ، فقالت :

- | | |
|----------------------------------|----------------------------------|
| أ- أبعدُ قتيل بالمدينة أظلمت | له الأرض تهترّ العضاء بأسوق |
| ب- جزى الله خيراً من إمام وباركت | يدالله في ذاك الأديم الممزق |
| ج- فمن يسع أويركب جناحي نعامة | ليدرك ما قدّمت بالأمس يسبق |
| د- قضيت أموراً ثم غادرت بعدها | بوائق في أكمامها لم تفتق |
| هـ- فما كنت أخشى أن يكون وفاته | بكفّي سننتي أزرق العين مطرق (٢٠) |

(١٩) الاستيعاب ٢٤١ر٢ ، والأغاني . ط . بيروت ١٩٢٨ .

(٢٠) « العضاء » جمع (العض) بالكسر صغار أشجار الشوك . « أسوق » جمع (الساق) جذع الشجرة . « الأديم » الجلد . « يركب جناحي نعامة » يضرب به المثل للسير السريع . « أكمامها » جمع (الكم) بالكسر غلاف الزهر و الثمر و الطلع و (أكمام الزرع) غلفها التي تخرج عنها . « البوائق » جمع بائقة الشر و الخصومة و ما شاكلها . « السننتي » النمر الجريء . « أزرق العين » كانت العرب تلقب به أعداءها من الروم والديلم و المقصود به هنا أبو لؤلؤة قاتل عمر . (المطرق) الحنق . و تفسير الايات كمايلي .

- ا - اتنبت صغار الشوك بعد قتيل المدينة الذي اظلمت له الارض .
ب - جزى الله خيراً من امام و باركت يدالله في ذلك الجلد الممزق بخنجر أبي لؤلؤة .
ج - يخاطب الخليفة القاتل بقوله : لا يدركك أحد فيما سبقت اليه من افعال حميدة و ان يركب السائر خلفك جناحي نعامة و يسرع السير .
د - قضيت امورا من سياسة الرعية و فتح بلاد الاعادى ثم غادرت بعد ذلك الصنيع الخطوب و الحوادث الجسام و تركتها جميعا في مكانها .

من الجائز أن يكون في البيتين تعريض بالحوادث الخطيرة في عهد الصهرين .
هـ - ما كنت احسب ان يكون قتل الخليفة بكف نمر جريء حنق من ذوى العيون الزرق .

وإنما جوّزنا أن يكون عصر نشر هذا الحديث بعد الخليفة عمر بزمان بعيد ،
لما وجدنا فيه من تعريض بالعصر الذي تفتتت الأكمام فيه عن الشرور والخصومات
وهذا يناسب النصف الثاني من عهد الخليفة عثمان إلى ما بعده .

وإذا كان التعريض بهذا كناية غير صريحة ، فإنه من الواضح الجلي أن ذكر
قتل الخليفة عمر بيد جريه أزرع العين إنما يكون بعد وقوع الحادثة ، ومن بعد وفاة عمر
لا في حياته .

وأما أن يكون الجن قد اطلعت على الغيب وأخبرت به قبل وقوعه بثلاثة أيام
أو بأكثر من ذلك ، فإنه يخالف ما أخبر الله به في قصة موت سليمان من أن الجن لا تعلم
الغيب في قوله تعالى .

« فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما
خرّ تبسّنت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين (٢١) » .

فإن الجن التي تلبث في العذاب المهين سنة كاملة ولا تدرك في كل هذه المدّة
أن سليمان قدمات ، حتى تأكل دابة الأرض منسأته ، ويخرّ على الأرض ، كيف
تطلع على الغيب ، وتخبر بقتل الخليفة عمر بيد أزرع العين من قبل وقوعه بثلاثة أيام
أو أكثر .

إذن فالتحديث بهذا الحديث قد كان من بعد وفاة عمر ، وليس قبله . هذا كله
فيما إذا لم نجد هذه الأبيات إلا في حديث أم المؤمنين غير أننا وجدنا أبو الفرج يقول في
ترجمة الشماخ من الأغاني (٢٢) :

وللشماخ أخوان (٢٣) من أبيه وأمه شاعران أحدهما مزرد واسمه يزيد وإسماسمي

(٢١) سورة سبأ الآية ١٤ .

(٢٢) الأغاني ١٩٤ر٨ ، ط . بيروت .

(٢٣) هؤلاء أخوة ثلاثة اشقاء من اولاد ضرار بن ثعلبة النطفاني الديباني الثعلبي

ادركوا الجاهلية والاسلام .

أشهرهم الشماخ الذي دون شعره ؛ واستشهد في بعض الغزوات على عهد عثمان .

راجع ترجمة الشماخ في الأغاني ١٩٣ر٨ ؛ والاصابة ج ١٥٢ر٢ ، و ترجمة مزرد

في اسد الغابة ٣٥١ر٤ ، والاصابة .

مزرداً أقوله :

فقلت تزردها عبيد فإني * بزردالمو الي في السنين مزرد (٢٤)
والآخر جزء بن ضرار وهو الذي يقول يرثي عمر بن الخطاب :
عليك سلامٌ من أمير وباركت * يدالله في ذاك الأديم الممزق

• • • • •

قال ابن الأثير في أسد الغابة (٢٥) : قيل إن هذه الأبيات للشماخ بن ضرار او
بجماع بن ضرار (٢٦) .

ويظهر أن انتساب هذه الأبيات إلى الشماخ أو أخيه كان مذكوراً في ذلك العصر
فإن أم المؤمنين قد حدثت لأختها أم كلثوم بنت أبي بكر وقالت :
إن عمر أذن لأزواج النبي ﷺ أن يحججن في آخر حجة حجها عمر ؛ قالت :
فلما ارتحل من الحبة أقبل رجل مثلثم على راحلته ، فقال وأنا أسمع :
هذا كان منزله ؟ فقال قائل وأنا أسمع :

هذا كان منزله ! . فأناخ في منزل عمر ، ثم رفع عقيرته يتغنى :
عليك سلام من أمير وباركت . . . الأبيات ؛ قالت عائشة : فقلت لبعض أهلي :
أعلموني من هذا الرجل ؟ فذهبوا فلم يجدوا في مناخه أحداً !! قالت عائشة : فوالله إنني
لأحسبه من الجن !!

- وجاء في الحديث بعد هذا - فلما قتل عمر نحل الناس هذه الأبيات للشماخ
ابن ضرار أو لأخيه مزرد ، انتهى .

قد أخرج هذه الرواية كلٌّ من أبي الفرج بترجمة الشماخ من الأغاني ، (٢٧)

(٢٤) تزرد اللقمة : بلعها .

(٢٥) اسد الغابة بترجمة عمر .

(٢٦) الصحيح في اسمه جزء ، وليس بجماع ، و نظنه من غلط النساخ في كتابة

الخط الكوفي و قراءته .

(٢٧) الاغاني ١٩٢٨ ، والاستيعاب ج ٢ ر ٤٦٥ ، و الطبقات بترجمة عمر

ج ٣٣٣ - ٣٣٤ والاصابة ج ٢ ر ١٥٢ .

و ابن عبد البر بترجمة عمر من الاستيعاب ، ولفظ كل منهما مماثل للآخر ، وأخرجه ابن سعد أيضاً في ترجمة عمر من الطبقات ، بسنده إلى أم كلثوم .

وفيه بعض الاختلاف مع لفظهما ، والمعنى في الجميع واحد ، وأخرجه ابن حجر بترجمة الشماخ من الإصابة وقال : روى الفاكهي بأسناد صحيحة عن أم كلثوم . . . الحديث . نجد حديث أم كلثوم هذا الذي صحح أسناده ابن حجر ، يريد أن يعالج شهرة انتساب الأبيات إلى أبناء ضرار الشعراء ؛ وذلك بالتصريح بأن أم المؤمنين بنفسها قد شاهدت في المحصب بالشعر في حجتها مع عمر في آخر حجة حجتها عمر ، حيث رجع إلى المدينة في نفس الشهر فطعن فتوفي .

شاهدت أم المؤمنين الركب الملتئم ينشد عن منزل عمر - حيث كان قد ارتحل عنه - فيدله القائل المجهول على منزل عمر ، فينيخ الملتئم راحلته ؛ ويرفع عقيرته يتغنى بالأبيات ، فترسل أم المؤمنين أحدها ليعلموها عن الرجل المنيخ أمامها ، ولكنه قد غاب عن النظر فلم يجدوا في مناخه الذي كان بمرآى من أم المؤمنين «أحداً» . إذن فالرجل قد كان من الجن والإفاين ذهب عن النظر . فلذلك حلفت أم المؤمنين وقالت :

« فوالله إنني لأحسبه من الجن » .

وبعد هذه المشاهدة المحسوسة بالبصر واليمين عليها ، هل يشك أحد في أن الجن هي التي أنشئت هذه الأبيات للإخبار بموت عمر . وبعد هذا فليدع من شاء أن يدعي أن هذه الأبيات من النظم الشاعر ابن ضرار ، وأنه كان قد نظمها من بعد موت عمر ، فليس ذلك بمقبول منه بعد أن لهجت الجن بها من قبل موت عمر بنيف وعشرة أيام في المحصب وقبل ثلاث في المدينة .

والذي يستوقفنا من هذا الحديث موقف الشك مضافاً إلى ما سبق ذكره : هو أن رؤية الجن وسماعها إن كان منحصراً بأزواج الرسول ؛ فلذلك لم تشاهدها ؛ ولم تسمعها الآلاف من الحججاج في الموقف بالمحصب ، فإن أم المؤمنين عائشة أيضاً لم تكن وحدها ممن حجبت

في تلك الحجة من أزواج الرسول بل كانت ترتحل وتنزل في كل منزل سوية مع غيرها من أمهات المؤمنين ممن حججن معها ؛ فلم انحصر الحديث عنها في قصة رثاء الجن !! ؛

وهناك حديث آخر عن أم المؤمنين لعلاج الشك . صحة نسبة الأبيات إلى الجن مقابل اشتهار نسبتها إلى الشاعر من بني آدم :
والحديث أخرجه ابن سعد في طبقاته (٢٨) عن موسى بن عقبة ، قال : قالت عائشة :
من صاحب هذه الأبيات :

« جزى الله خيراً من إمام وباركت ؟ »

فقالوا : مزرد بن ضرار .

قالت : فلقيت مزرداً بعد ذلك ؛ فحلف الله ما شهد تلك الموسم !!!
وسواء صحّ سند الحديث إلى أم المؤمنين كالحديثين السابقين أو كان في سنده ضعف كما وصفه ابن حجر بترجمة مزرد من الإصابة (٢٩) ؛ فإنه يعلمنا بوجود القالة حول نسبة الحديث إلى الشاعر الجنّي أو الأدمي ، وأنه لعلاج هذه القالة حدث بهذا الحديث لتقوية الحديثين ذوي السند الصحيح إلى أم المؤمنين .

تبادل الحب والاحترام

كانت أم المؤمنين عائشة مدى هذا العهد موضع رعاية الخلافة القائمة ، وتكريمها ، وكانت هي بدورها تحترم مقام الخلافة ؛ وتعترّ به وتهابه ، ولم يفتر هذا الحب والاحترام المتبادلين حتى آخر لحظة من هذا العهد ، وقد انجلى في آخر لحظاته في قول كل من الطرفين ، وعمله ما يمكنه للآخر من صادق الحب وعظيم الاحترام .
وذلك فيما أخرجه البخاري في قصة البيعة والاتفاق على عثمان من كتاب فضائل أصحاب النبي (٣٠) .

(٢٨) طبقات ابن سعد ج ٣٣٤ر٣ ، ط بيروت بترجمة عمر .

(٢٩) الإصابة ج ٣٨٥ر٣ - ٣٨٦ .

(٣٠) البخاري ح ٦٩ر٤ - ٧٠ ط بمبئي سنة ١٢٧٠ ، والطبقات ٣٣٧ر٣ .

و ابن سعد بترجمة عمر من طبقاته عن عمرو بن ميمون في حديث طويل له قال : قال عمر . . . يا عبد الله بن عمر . . . انطلق إلى عائشة أم المؤمنين ، فقل : اقرأ عليك عمر السلام . . . و قل : يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه ؛ فسلم فاستأذن ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تبكي عليه فقال :

اقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام و يستأذن أن يدفن مع صاحبيه ،
فقلت : كنت أريده لنفسى و لأوثرن به على نفسى .

فلما أقبل . . . قال مالديك ؟

قال : الذي تحب يا أمير المؤمنين ، أذنت ،

قال : الحمد لله ما كان شيء أحب إلي منه .

وفيما رواه ابن عبد البر في العقد الفريد^(٣١) أن عمر قال في حديثه لأهل الشورى :

« فاجتمعوا إلى حجرة عائشة باذنها فتشاوروا ، و اختاروا منكم رجلا . »

فلما دفن عمر جمع المقداد بن الأسود^(٣٢) أهل الشورى في بيت عائشة باذنها

وجاء عمرو بن العاص^(٣٣) ، و المغيرة بن شعبة^(٣٤) فجلسا بالباب ، فحصبهما

(٣١) العقد الفريد ٢٧٥٤ - ٢٧٧٧ .

(٣٢) المقداد بن الاسود الكندى ، هو ابن عمرو بن ثعلبة بن مالك البهرانى .

اصاب في الجاهلية دما في قومه فلحق بحضرموت ، فحالف كندة ؛ ثم وقع بينه و بين

ابى شمر بن الحجر الكندى شر فضرب رجله بالسيف و هرب الى مكة ؛ فحالف الاسود

بن عبد يغوث الزهرى فتنه الاسود ، فصار يقال له : المقداد بن الاسود الكندى ، فلما

نزلت : « ادعوهم لآبائهم » قيل له : المقداد بن عمرو . توفي سنة ٣٣ هـ . الاستيعاب

٤٥٣٣٣ و الاصابة ج ٤٣٣٣ - ٤٣٤٤ .

(٣٣) ابو عبدالله او ابو محمد عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم القرشى السهمى

و أمه النابغة بنت حرملة ، سبيت من بنى جيلان بن عتيك ، و بيعت بعكاظ و اشتراها الفاكه

بن المغيرة ثم انتقلت الى عبدالله بن جدعان و منه الى العاص بن وائل . فولدت له عمرا . ←

(٣٤) المغيرة بن شعبة بن أبى عامر بن مسعود الثقفى . و أمه امرأة من بنى نصر بن

معاوية .

أسلم عام الخندق ، و هاجر الى المدينة ، و شهد الحديبية ، و أرسله الرسول مع ←

سعد (٣٥) و أقامهما ، وقال :

« أتريدان ان تقولوا : حضرنا و كنا في أهل الشورى ؟! »

إنَّ محطَّم كسرى و قيصر ، و فاتح ممالكهما ، و ضارب ظهر الصحابة بالدرة (٣٦) ،

و من كانت الجبابة ترتعد من ذكر اسمه ، يتصاغراً أمام أمِّ المؤمنين هذا التصاغر ، و ينبط أمر مشواه الأبدى إلى كلمتها الأخيرة :

و يجعل من بيتها دار للشورى؛ فيه ينقض ويبرم أمر تعيين الخليفة من بعده؛ و ناهيك بذلك شرفاً يتناول إليها الأعناق .

→ أرسلته قريش الى النجاشى ليغير رأيه على جعفر بن أبى طالب و من معه من المهاجرين الى الحبشة و يسترجمهم الى مكة فردده النجاشى .

أسلم سنة ثمان و قبل الفتح بستة اشهر . و افتتح مصر لعمر ، و وليها الى السنة الرابعة من خلافة عثمان ؛ فعزله عنها ؛ فأخذ يؤلب عليه حتى قتل ، ثم اشترك مع معاوية بصفين مطالباً بشار عثمان و أشار برفع المصاحف للصالح فانخدع جيش على و قبلوا الصلح و عينوا ابا موسى من قبلهم و عين معاوية عمرا فغدر بابى موسى و خلعا عليا و نصب عمرو معاوية و اخذ مصر طعمة من معاوية و وليها بعد قتل محمد بن ابى بكر حتى توفى سنة ثلاث و اربعين او بعدها و دفن هناك راجع ترجمته فى الاستيعاب . و الطبقات . و اسد الغابة . و الاصابة .

→ أبى سفيان لهدم صنم تقيف بالطائف ؛ و أصيبت عينه يوم اليرموك . و لاه عمر البصرة و عزله عنها لما شهدوا عليه بالزنا ، ثم و لاه الكوفة ؛ و توفى أميراً عليها من قبل معاوية سنة ٥٠ هـ بعد ان أحصن ٣٠٠ امرأة فى الاسلام و قيل بل ألف امرأة .

ترجمته فى الاصابة ٤٣٢٣ ، و الاستيعاب بهامشه ٣٦٨٣ و اسد الغابة ٤٠٦٤ ، (٣٥) أبو اسحاق سعد بن أبى وقاص و اسم ابى وقاص مالك ابن أهيب القرشى

الزهرى .

كان سابع سبعة سبقوا الى الاسلام ؛ شهد بدر او ما بعدها . و هو اول من رمى بسهم فى الاسلام ؛ و كان رأس من فتح العراق ؛ و كوف الكوفة ، و وليها لعمر ؛ و عينه فى الستة أصحاب الشورى ، اعتزل الناس بعد مقتل عثمان ؛ و مات بمسكنه فى العقيق فى خلافة معاوية ؛ و دفن بالبقيع .

الاستيعاب بهامش الاصابة ١٨٢ - ٢٥ ؛ و الاصابة ٣٠٢ - ٣٢ .

(٣٦) الدرة بالكسر السوط .

بهذا وبغيره مما ميّزها به طوال عهده على من عداها من جميع المسلمين قد بلغها من الحرمة إلى مكانة أصبح الجميع دونها وكون منها قوة عظيمة بها استطاعت أن تعارض من جاء بعده؛ فزعزت من كيان الخليقتين الصهرين؛ وبعثت المسلمين إلى إراقة دمهما إلى غير هذا مما سندرسه في عهد الصهرين وما بعدها إن شاء الله تعالى.

نتيجة البحث:

إن أم المؤمنين عائشة، في هذا العهد بدأ اسمها يبرز على أخواتها من أمهات المؤمنين (٣٧)؛ وذلك بارجاع السلطة إليها في الفتيا، و تفضيلها في العطاء.

و إن السلطة وإن مهدت لها السبيل في بلوغها ما كانت خليفة بها من مكانة موقفة في المجتمع الاسلامي حتى اليوم، غير أنها حجرت عليها و سائر أزواج النبي في دورهن بالمدينة، فلم تك تتصل إلا بمن كان حولها ممن صحب النبي وعاشره. فلم يكن هناك مبرر للاكثار من الحديث عن عصر الرسول لمن شاركها في مشاهدة ذلك العصر.

إذن فنحن نرى أن حديثها في عصر الشيخين كان كحديث غيرها نزيه سيرا. ومن المظنون أن أحاديثها في ذلك العهد لم تبلغ العشرات. و من الجائز أن يكون من ذلك النزر اليسير أحاديثها اللاتي فيها تأييد للخلافة القائمة يومذاك، و الخالية عن ذكر عثمان فإنها كانت من أشد المؤيدين لها مدى عمرها. على ان تحديثها في فضائل الشيخين لم يتمص

(٣٧) و يؤيد ما ذهبنا اليه من أن اسمها في هذا العهد قد برز على سائر أزواج النبي مضافا الى أن صغر سننها في عهد الرسول ما كان يناسب و بروزها عليهن في عهده - ما جاء في حديثها لام سلمة عند ما أرادت الخروج من مكة إلى البصرة، على ما رواه المؤرخون حيث قالوا:

جاءت عائشة إلى أم سلمة تخادعها على الخروج للطلب بدم عثمان فقالت لها: يا بنت أبي أمية أنت أول مهاجرة من أزواج رسول الله (ص)، و أنت كبيرة أمهات المؤمنين، و كان رسول الله يقسم لنا من بيتك (وفى تاريخ أعمش: وكان رسول الله يشير إلى بيتك عند ما يؤتى بالهدايا ومن بيتك يبعث إلينا بسهامنا).

وكان جبريل أكثر ما يكون في منزلك؛

فقالت أم سلمة لأمير ما قلت هزم المقالة! الحديث راجع تاريخ أعمش ص ١٦٨ و ابن أبي الحديد ج ٧٧٢ و ٥٠٦، بسنده عن أبي مخنف.

على هذا العصر و انما كان اكثره فيما بعده .

و كان في خاتمة هذا العهد من تكريمها من قبل الخليفة الذي هابته الصحابة ،
و خضعت له الملوك ، و انقادت له البلاد . باستئذانه منها في اتخاذه بيت الرسول مشواه
الاخير و جعل بيتها دار اللشورى ، بهذا وما سبق في عهده من تفضيلها على غيرها في العطاء
و الارجاع اليها في الإستفتاء . جعلها الشخصية المطاعة الأولى بعده فاستطاعت ان تعارض
من جاء بعده و تحرض على قتله مما سندرسه في عصر الصهرين وما بعده ان شاء الله تعالى .



فِي عَضْرِ الصَّهْبِ

الصهران هما :-

١ - أبو عبدالله، وأبو عمرو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية القرشي .
و أمه أروى بنت كريز بن ربيعة بن عبد شمس، و أم أروى البيضاء بنت عبد المطلب
عمة النبي .

كان من السابقين إلى الاسلام؛ و تزوج بعد اسلامه من رقية بنت رسول الله، وهاجرا
إلى الحبشة الهجرتين، ثم عادا إلى مكة، وهاجرا إلى المدينة . و تخلف عن بدر في تمرير
زوجته، فلما توفيت تزوج من أختها أم كلثوم . فتوفيت أيضا في حياة الرسول و لم
يعقب منهما .

ولما طعن عمر جعله في الستة أهل الشورى؛ و جعل الترشيح إلى عبد الرحمن
إبن عوف، فقال عبد الرحمن: أنا أبرأ منها على أن تبايعوا من أبايع، و لما جعلوا الأمر
إليه اشترط فيها: العمل على كتاب الله، و سنة رسوله، و سيرة الشيخين، فأبى علي من
شروط سيرة الشيخين، فبايع عثمان على ذلك يوم السبت غرة محرّم سنة ٢٤ و من بعد دفن
عمر بثلاث .

و قتل في المدينة يوم الجمعة لثمان، أو لثمان عشرة، أو سبع عشرة خلت من
ذي الحجة، أو الميلتين بقيتا منه، في سنة ٣٦ هـ و عمره ٨٢ أو ٨٦ أو ٩٢ سنة؛ و دفن
في حش كوكب بالقرب من البقيع . كانت خلافته اثنتي عشرة سنة إلا اثني عشر يوما،
أو خمسة عشر يوما؛

ب - أبو الحسن؛ و أبو الحسنين علي بن أبي طالب بن المطلب بن هاشم القرشي .
رباه النبي في حجره: أسلم بعد خديجة، و عمره خمس عشرة سنة، فكان أول
من أسلم من الرجال . بات ليلة الهجرة على فراش النبي، مفديا إياه بنفسه ثم هاجر
إلى المدينة من بعد ثلاث، و بعد أن أدى إلى قریش أماناتهم عند الرسول .

آخى الرسول بينه و بين نفسه . حضر بدر و ما بعدها و أبلى فيها بلاء حسنا .
و بويع له في ذي الحجة سنة خمس و ثلاثين من بعد قتل عثمان، و سكن الكوفة

بعد حرب الجمل . وقتله ابن ملجم المرادي في شهر رمضان سنة ٤٠ وعمره سبع وخمسون أو ثمان و خمسون أو ثلاث و ستون و كان مدة خلافته أربع سنوات وتسعة أشهر و ستة أيام أو ثلاثة ؛ ودفن بالغري من النجف * .



(*) راجع ترجمتهما في الطبقات ، والاستيعاب ، و أسد الغابة ، و الاصابة ، و كنز العمال باب الخلافة و الامارة و باب فضائلهما و الطبرى و ابن الايثروا بن كثير في ذكرهم حوادث سنة ٢٤ و ٣٥ و ٤٠ هـ .

في عصر الصهرين

تأييدها لعثمان في أول عهده و حديثها فيه - اختلافها معه بعد ذلك و تأليبها عليه - اخراجها نعل الرسول و ثوبه و شعره و قولها اقتلوا نعشلا - خروجها للحج رغم التماس عثمان علي بقائها - تحريضها ابن عباس وأملها في استخلاف طلحة - استيلاء طلحة علي بيوت المال و استنجد الخليفة من علي - حصاره و طلب الماء من علي - قتله و تجمهر الصحابة علي علي و مبادرة طلحة والزبير الي البيعة - سرور أم المؤمنين من قتل عثمان وحزنها من بيعة علي - طلبها نار عثمان و تأليبها علي علي - تضايق الناس من عدل علي - اجتماع الامويين و ولاة عثمان والناقمين من علي علي أم المؤمنين - نصيحة أم سلمة - التوجه الي البصرة و الحوآب - المنافسة علي الصلاة و الامارة - احتجاجات و خطب و رسائل - مقابلة عامل علي و معاهدته ثم نقضها والمباغنة بالقتال - توجه علي الي البصرة و حرب الجمل - انتصار علي و أمره ان لا يقتلوا جريحا ولا مدبرا ولا يغنموا من خارج المعسكر - ارجاع أم المؤمنين الي المدينة - الغاية من استعراض هذه الحوادث اعتماد المؤرخين علي أسطورة السبأية و بيان واضعها .

ترآى لأُم المؤمنين عائشة عهد الخليفة عثمان امتداداً لعهد الشيخين ، فاستقبلته كغيرها من سادة قريش بالتأييد ، و استمرت الحال علي ذلك زهاء ست سنوات .
ومن المرجح أن الأحاديث المروية عنها في مدح عثمان والخالية عن ذكر قتله كان التحديث بها في هذه الفترة ، ومن الجائز ان يكون من تلك الأحاديث ما في مسند أحمد^(١) عن عائشة قالت :

(١) مسند احمد ج ١٦٧٦ و منتخب الكنز ٢٥٥ عن يحيى بن سعيد بن العاص .

استأذن ابوبكر على رسول الله ﷺ وأنا معه في مرط^(٢) واحد قالت : فأذن له ففضى إليه حاجته وهو معي في المرط ثم خرج ؛ ثم استأذن عليه عمر ؛ فأذن له ، ففضى إليه حاجته على تلك الحال ؛ ثم خرج ، فاستأذن عليه عثمان فأصلح عليه ثيابه وجلس ، ففضى إليه حاجته ثم خرج فقالت عائشة : فقلت له : يا رسول الله استأذن عليك ابوبكر ففضى إليك حاجته على حالك تلك ؛ ثم استأذن عليك عمر ففضى إليك حاجته على حالك ؛ ثم استأذن عليك عثمان فكأنك احتفظت ؟ !

فقال : « إن عثمان رجل حيي ، ولو أذنت له على تلك الحال خشيت أن لا يقضي إليّ حاجته ! » .

وفي رواية مسلم^(٣) « وهو مضطجع على فراش لاس مرط عائشة . . . إلى . . . وقال لعائشة : إجمعي عليك ثيابك . . . فقالت عائشة : يا رسول الله مالي لم أركفزعت لأبي بكر وعمر كما فرعت لعثمان ؟ . . . » الحديث .

وفي حديثها لعبيد الله بن سيار : فلما قاموا قلت : يا رسول الله استأذن عليك ابوبكر وعمر فأذنت لهما وأنت على حالك فلما استأذن عثمان أرخيت عليك ثيابك ؟ !

فقال : يا عائشة : ألا أستحي من رجل والله إن الملائكة تستحي منه^(٤) ؟ !
وانما رجحنا أن يكون التحديث بهذا في عصر عثمان لما فيه من ذكرهم مسلسلًا حسب مجيئهم إلى الحكم مما ينبغي أن يكون بعد تدرج الخليفين وتسلم عثمان وقبل انحرافها عنه وقبل قتله وقيامها بطلب ثأره ، والألورد ذكر قتله في الحديث أيضا مثل ماورد ذلك في أحاديث أخرى لها فيه .

ومما يؤخذ على هذا الحديث - مضافا الى ما ذكرنا - ان الحديث يصرح باذن المرط ثوب مخط . كساء من صوف او خز .

(٢) مسلم ١١٧٧٧ باب فضائل عثمان ومسنده أحمد ١٥٥٠٦ .

(٣) صحيح مسلم ١١٦٧٧ ، ومسنده أحمد ٦٢٦٦ ، والكنز ٢٧٦٦٦ الحديث ٥٨٤٥ ،

وراجع الكنز ١٤٨٦٦ الحديث ٢٤١٣ و ٢٤١٧ و ص ٣٨٢ الحديث ٥٩٠٤ و منتخب

الكنز ٢٥ و ١٧ و تاريخ ابن عساكر ترجمة عثمان ، و أنساب الاشراف للبلاذري .

الرسول لابي بكر وعمر وهو مع عائشة في مرطها وانه لم يستح منهما و لا فزع من مجيئهما ؛ ولكنه فزع لعثمان « وأرخصي عليه ثيابه » ، وقال لها : « اجمعي عليك ثيابك !؟ » فما هذا التبدل من النبي العظيم أمامهما !؟ ولم « تستحي الملائكة والله من عثمان !؟ »
 في هذه الفترة - النصف الأول من عهد الخليفة عثمان - كانت أم المؤمنين

عائشة : تؤيده و تطيعه ، ولا تفكر في خلافه ، حتى اذا رغبت في الحج هي وسائر ازواج النبي إستأذنته في ذلك كما حدثت هي وقالت : « فلما توفي عمر وولي عثمان اجتمعت انا وأم سلمة : وميمونة وأم حبيبة فأرسلنا إليه نستأذنه في الحج : فقال : قد كان عمر بن الخطاب فعل ما رأيتن وأنا أحج بكن كما فعل عمر ، فمن اراد منكن أن تحج فأنا أحج بها ، فحج بنا عثمان جميعا إلا امرأتين منّا زينب توفيت في خلافة عمر ولم يحج بها عمر وسودة بنت زمعة : لم تخرج من بيتها بعد النبي وكنا نستتر (٥) .

حج بهن عثمان و ارسل معهن عبد الرحمن بن عوف و سعيد بن زيد .

اختلافها مع عثمان .

ثم اختلفت مع الخليفة عثمان ، وأدى اختلافها معه الى قطع الالفين الزائدة في عطاها عنها على ما ذكره اليعقوبي وابن أعثم في تاريخيهما ، (٦) قال اليعقوبي : « وكان بين عثمان وعائشة منافرة ، وذلك أنه نقصها مما كان يعطيها عمر بن الخطاب و صيرها اسوة غيرها من نساء رسول الله » .

ولا نعلم على وجه التحقيق متى نشب الخلاف بين أم المؤمنين والخليفة غير اننا نعلم ان ذلك لم يكن في السنوات الست الاولى من خلافته ، ولم يقع مرة واحدة ، بل تدرج الخلاف بينهما حتى تفاقم الخطب ، وكانت أول من امال حرفه (٧) وأصبحت ملجأ الساخطين عليه ، وتزعمت الفئة المعارضة له حتى قتل ، ولم يكن في الأسر الاسلامية يومذاك اشد

(٥) طبقات ابن سعد ٢٠٩٨

(٦) تاريخ اليعقوبي ج ١٣٢٢ ، وتاريخ أعثم ١٥٥ .

(٧) اشارة الى كلام ابن ام كلاب لها في طريق مكة ، راجع الطبري ج ١٧٢٥

في ذكره حوادث سنة ٣٦ .

على عثمان من بني تميم اسرة ابي بكر (٨) .

وهذه بعض الحوادث التي اشتدّ الخصام فيها بينهما ،

فمنها ما كان في أمر الوليد بن عقبة وعبدالله بن مسعود . أمّا الوليد فهو ابن عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو ، وإسمه ذكوان . كان أبو عمرو عبداً لأمية بن عبد شمس ثم تبنّاه أمية ؛ وأمّ الوليد أروى بنت كرز بن ربيعة وكانت أمّ عثمان بن عفان فالوليد أخو عثمان لأمه ؛ وكان أبوه عقبة بن أبي معيط جاراً لرسول الله بمكة ، وكان يكثر مجالسة رسول الله واتخذ ضيافة فدعا إليها رسول الله ﷺ فأبى أن يأكل من طعامه حتى ينطق الشهادتين ففعل ، فقالت قريش : صبا عقبة ، وكان له خليل (٩) غائب عنه بالشام فقدم ليلاً فقال لامرأته :

ما فعل محمدٌ مما كان عليه ؟

فقالت : أشدّ ما كان أمراً !

فقال : ما فعل خليلي عقبة ؟

فقالت : صبا ، فبات بليلةٍ سوء فلما أصبح أتاه عقبة فحيّاه فلم يردّ عليه التحية فقال :

مالك لا تردّ عليّ تحيتي ؟ !

فقال : كيف اردّ عليك تحيتك وقد صبوت ؟

قال : او قد فعلتها قريش ؟

قال : نعم .

قال : فما يبريء صدورهم إن أنا فعلته ؟

قال : تأتبه في مجلسه فتبزيق في وجهه وتشتمه بأخبث ما تعلم من الشتم ، ففعل فلم

يردّ رسول الله ﷺ على أن مسح وجهه من البزاق ثم التفت إليه فقال :

« إن وجدتكَ خارجاً من جبال مكة أضرب عنقك صبوا » .

(٨) راجع أنساب الاشراف ٦٨٥ .

(٩) في بعض الروايات ان ابن أبي بن خلف كان خليل عقبة وفي غيرها كان أمية بن خلف خليله .

وفي رواية عاتبه صديقه على ذلك وقال له :

صبات يا عقبه ؟

قال : لاولكن آلى أن لا يأكل من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه فشهدت له
والشهادة ليست في نفسي .

فقال : وجهي من وجهك حرام إن لقيت محمد أفلم تطأ أفواه وتبزق وجهه وتلطم عينه .
فوجده ساجدا في دار الندوة ففعل ذلك ، فقال النبي ﷺ : لألثاك خارجا من مكة
الإعلوت رأسك بالسيف ، .

ثم أصبح عقبه بعد ذلك من الأعداء النبي حتى أنه كان يأتي بالفروث فيطرحها
على باب دار رسول الله . (١٠) .

ولما كان يوم بدر وخرج أصحابه أبي أن يخرج ، فقال له أصحابه :
أخرج معنا ؟

قال : وعدني هذا الرجل إن وجدني خارجا من جبال مكة أن يضرب عنقي صبورا .
فقالوا : لك جمل احمر لا يدركك فلو كانت هزيمة طرت عليه فخرج معهم فلما
هزم الله المشركين حمل به جملة في جدور من الارض فأخذته رسول الله ﷺ أسيرا
في سبعين من قريش وقدم إليه عقبه فقال :
أقتلني من بين هؤلاء .

قال : نعم بكفرك و فجورك و عتوك على الله و رسوله ، فأمر علياً ف ضرب عنقه
فأنزل الله فيه :

« ويوم بعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا * ياويلتي
ليتني لم اتخذ فلانا خليلا * لقد أضلني عن الذكر بعد ان جاءني وكان الشيطان للإنسان
خدولا . » الآيات ٣٠ - ٣٢ من سورة الفرقان (١١) .

(١٠) طبقات ابن سعد ١٨٦١ ط ٠ مصر عن ام المؤمنين عائشة عن رسول الله .

(١١) راجع ابن هشام ٣٨٥١ و ٢٥٢٢ ، و امتاع الاسماع ص ٦١ و ٩٠

و تفسير الآيات من تفسير الطبري و القرطبي و الزمخشري و ابن كثير و الدر المنثور
و النيسابوري و الرازي . وغيرها .

وابنه الوليد أسلم يوم فتح مكة وبعثه النبي مصداً إلى بني المصطلق ، فعاد وأخبر عنهم أنهم ارتدوا ومنعوا الصدقة ، وذلك أنهم خرجوا يتلقونه فها بهم فأصرف عنهم فبعث إليهم رسول الله ﷺ خالد بن الوليد ، وأمره تثبتت ولا يعجل فأخبروه أنهم متمسكون بالاسلام ونزلت فيه :

« يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين » الآية ٦ من سورة الحجرات . وفي عهد عثمان ولاه الكوفة وعزل عنها سعد بن أبي وقاص وكان سعد هو الذي كوف الكوفة بأمر عمر وأسكنها جيوش المسلمين وكان سعد قائدهم في فتح إيران فكانوا يحبونه ويحترمونه . فلما قدم الوليد على سعد ، قال له : والله ما أدري أكست بعدنا أم حمقنا بعدك ! ؟

فقال : لا تجز عن أبا إسحاق فانما هو الملك يتغده قوم ويتعشاه آخرون .

فقال سعد : أراكم ستجعلونها ملكاً . (١٢)

فساء الناس ذلك وقالوا : بئسما ابتدئنا عثمان عزل أبا إسحاق الهيثم الليثي الحبر (١٣) صاحب رسول الله ﷺ وولي أخاه الفاسق الفاجر الأحمق الماجن (١٤) وكان سبب تأمير الوليد على الكوفة ما أخرجه أبو الفرج في الأغاني (١٥) بسنده إلى خالد بن سعيد بن عمرو بن سعيد عن أبيه قال :

لم يكن يجلس مع عثمان (رض) على سريرته إلا العباس بن عبد المطلب وأبوسفیان ابن حرب والحكم بن أبي العاص والوليد بن عقبة ، فأقبل الوليد يوماً فجلس ، ثم أقبل الحكم ، فلما رآه زحل (١٦) له عن مجلسه ؛ فلما قام الحكم قال له الوليد : والله يا أمير المؤمنين ، لقد تلجلج في صدري بيتان قلتها حين رأيتك آثرت عمك على بن أمك فقال :

(١٢) راجع ترجمة الوليد من الطبقات والاستيعاب و أسد الغابة و الاصابة والكنز

وتفسير الاية السادسة من الحجرات في جميع التفاسير .

(١٤) أنساب الاشراف ٢٩٥ و ٣١ .

(١٣) الحبر بفتح الحاء وكسرهما : العالم الصالح .

(١٥) الاغاني ١٧٧٤ .

(١٦) زحل تنحي و تباعد .

له عثمان (رض) : إنه شيخ قرش ، فماهها البيتان اللذان قلتها ؟ قال قلت :

رأيت لعم المرء زلفى قرابة دوين أخيه حادثا لم يكن قدما
فأمّات عمرا أن يشبّ وخالدا لكي يدعواني يوم مزحة عمّا

يعنى عمرا وخالدا ابني عثمان . قال : فرق له عثمان ، وقال له : قد وليتكَ العراق
(يعنى الكوفة) .

أما ابن مسعود فهو أبو عبدالرحمن عبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي
وأمّه أمّ عبدود الهذلي . وكان أبوه حليف بني زهرة أسلم قديما و أجهر بالقرآن في
مكة و لم يكن قد أجهر به أحد من المسلمين قبله فضرّبتة قرش حتى أدوه و لما أسلم
أخذه رسول الله ﷺ إليه و كان يخدمه ، و قال له « إذاك عليّ أن تسمع سوادي ^(١٧)
و يرفع الحجاب حتى أنهارك ، فكان يلج عليه و يلبسه نعليه و يمشي معه و أمامه و يستره
إذا اغتسل و يوقظه إذا نام و كان يعرف في الصحابة بصاحب السواد و السواك .

هاجر الهجرتين جميعا إلى الحبشة و إلى المدينة و شهد بدرا و ما بعدها .
و قالوا فيه كان أشبه الناس هديا و دلا و سمتا برسول الله ^(١٨) .

سيّره عمر في عهده إلى الكوفة ، و كتب إلى أهل الكوفة :

إنّي قد بعثت عمار بن ياسر أميرا و عبدالله بن مسعود معلّمًا و وزيرًا و هما من النجباء
من أصحاب رسول الله ﷺ من أهل بدر فاقتدوا بهما و أطيعوا و اسمعوا قولهما و قد
آثر تكلم بعبدالله على نفسي ، ^(١٩)

فكان ابن مسعود يعلمهم القرآن و يفقههم في الدين : و كان على بيت المال لما قدم
الوليد الكوفة فاستقرضه مالا . و قد كانت الولاية تفعل ذلك ثم ترد ما تأخذ فأقرضه عبدالله
ما سأله ، ثم إنّه اقتضاه إياه فكتب الوليد في ذلك إلى عثمان ، فكتب عثمان إلى عبدالله
ابن مسعود .

(١٧) ساوده سواد أي ساوره مساورة و لذلك كان يقال له : صاحب سر رسول الله .

(١٨) راجع مسند أحمد ٣٨٩٥ و مناقبه في البخاري و المستدرک ٣ ٣١٥ و ٣٢٠

و حلية أبي نعيم ١٢٦١ و ١٢٧ و كنز العمال ٧ ٥٥٥ .

(١٩) راجع ترجمته في اسد الغابة ٣ ٢٥٨٣ .

« إنما أنت خازن لنا فلا تعرّض للوليد فيما أخذ من المال » فطرح ابن مسعود المفاتيح وقال :

« كنت أظن أنني خازن للمسلمين فأما إذا كنت خازنالكُم فإلحاجة لي في ذلك »
و أقام بعد إلقائه المفاتيح في الكوفة . (٢٠)

وفي العقد الفريد (٢١) أن ابن مسعود خرج إلى المسجد وقال :

« يا أهل الكوفة ! فقدت من بيت مالكم الليلة مائة ألف لم يأتيها كتاب أمير المؤمنين ولم يكتب لي بها براءة » فكتب الوليد بن عقبة إلى عثمان في ذلك فنزعه من بيت المال .

و روى البلاذري (٢٢) أن عبد الله بن مسعود حين ألقى مفاتيح بيت المال إلى الوليد بن عقبة قال : « من غير غير الله ما به . و من بدل أسخط الله عليه ، و ما أرى صاحبكم إلا وقد غير و بدل ، أبغزل مثل سعد بن أبي وقاص و يولي الوليد ، و كان يتكلم بكلام لا يدعه وهو :

« إن أصدق القول كتاب الله و أحسن الهدى هدى محمد ﷺ ، و شر الأمور محدثاتها ، و كل بدعة ضلالة ، و كل ضلالة في النار » .

فكتب الوليد إلى عثمان بذلك و قال : إنه يعيبك و يطعن عليك ، فكتب إليه عثمان يأمره باشخاصه فاجتمع الناس فقالوا : أقم ونحن نمنعك أن يصل إليك شيء تكرهه ، فقال : « إن له علي حق الطاعة ولا أحب أن أكون أول من فتح باب القتن » و في الاستيعاب (إنها ستكون أمور وفتن لأحب أن أكون أول من فتحها .) فرد الناس و خرج إليه (٢٣) .

و شيعه أهل الكوفة فأوصاهم بتقوى الله و لزوم القرآن (٢٤) .

(٢٠) أنساب الإشراف للبلاذري ج ٣٦٥ .

(٢١) العقد الفريد ٢٧٢٢ .

(٢٢) البلاذري في الانساب ٣٦٥ .

(٢٣) الاستيعاب ترجمة ابن مسعود .

(٢٤) رجعنا الى رواية البلاذري .

فقالوا له : جزيت خيرا فلقد علمت جاهلنا ، و ثبتت عاملنا ، و أقرأتنا القرآن ، و فقّهتنا في الدين ، فنعم أخوالا سلام أنت و نعم الخليل ، ثم ودّعوه و انصرفوا و قدم ابن مسعود المدينة و عثمان يخطب على منبر رسول الله ﷺ فلما رآه قال :
 ألا إنّه قد قدمت عليكم دويبة سوء من يمشي على طعامه يقيء و يسلمح .
 فقال ابن مسعود : لست كذلك ولكنني صاحب رسول الله ﷺ يوم بدر و يوم بيعة الرضوان (٢٥) .

و نادت عائشة : « أي عثمان أتقول هذا لصاحب رسول الله » .

- و في رواية بعده : « فقال عثمان أسكتني » . - ثم أمر عثمان به فأخرج من المسجد إخراجا عنيقا ، و ضرب به عبدالله بن زمعة الأرض ، و يقال : بل إحتمله « يحموم » غلام عثمان و رجلاه تختلفان على عنقه حتى ضرب به الأرض فدق ضلعه ،

فقال عليّ : يا عثمان ! أتفعل هذا بصاحب رسول الله ﷺ يقول الوليد بن عقبة ؟
 فقال : ما يقول الوليد فعلت هذا ولكن وجهت زيد بن الصلت الكندي إلى الكوفة .
 فقال له ابن مسعود : إن دم عثمان حلال ،

فقال عليّ : أحلت علي زيد على غير ثقة . و قام عليّ بأمر ابن مسعود حتى أتى به منزله ، فأقام ابن مسعود بالمدينة لا يأذن له عثمان في الخروج منها إلى ناحية من النواحي ، و أراد حين برىء الغزو فمنعه من ذلك .

و قال له مروان : إن ابن مسعود أفسد عليك العراق أفتريد ان يفسد عليك الشام ؟

فلم يبرح المدينة حتى توفي قبل مقتل عثمان بسنتين : و كان مقيما بالمدينة ثلاث سنين .
 و لما مرض ابن مسعود مرضه الذي مات فيه أتاه عثمان عائدا ، فقال :

ما تشتكى ؟

قال : ذنوبي .

قال : فما تشتهي ؟

قال : رحمة ربي .

قال : ألا أدعوك طيبيا .

قال : الطبيب أمرني .

قال : فلا أمر لك بعطائك . - وكان قد تركه سنتين - (٢٦)

قال : منعته و أنا محتاج إليه و تعطينه و أنا مستغن عنه .

قال : يكون لولدك .

قال : رزقهم على الله .

قال : استغفر لي يا أبا عبد الرحمن .

قال : أسأل الله أن يأخذني منك بحقي .

و أوصى أن يصلي عليه عمار بن ياسر ، و أن لا يصلي عليه عثمان فدفن بالقيع
و عثمان لا يعلم (٢٧) فلما علم غضب ، و قال سبقتوني به فقال عمار بن ياسر : إنه
أوصى أن لا تصلي عليه .

فقال ابن الزبير :

لأعرفنك بعد الموت تندبني و في حياتي ما زودتني زادي (٢٨)

هذا بعض ما كان من أمر ابن مسعود . اما الوليد بن عقبة فلم ينحصر أحداثه في
الكوفة بما جرى بينه و بين ابن مسعود حسب و إنما توالى منه صدور أحداث مثيرة أخرى
في مدة إمارته على الكوفة . و منها قصته مع الشاعر النصراني أبي زبيد على ما أخرجه
أبو الفرج في الاغانى (٢٩) بسنده إلى ابن الأعرابي قال :

(٢٦) تاريخ ابن كثير ١٦٣٧٧ وراجع اليعقوبى ١٩٧٢٢ والمستدرک ١٣٣٣ .

(٢٧) توفى سنة ٣٢ و دفنه الزبير ليلا و لم يؤذن به عثمان و كان عمره بضعا

و ستين سنة .

(٢٨) لقد رجعنا فيما أوردنا من قصة ابن مسعود الى البلاذرى فى أنساب الاشراف

٣٦٥٥ - و فى بعضه الى ترجمته فى الطبقات والاستيعاب و اسد الغابة و فضائله فى المستدرک

١٣٣٣ و الكنز ٥٤٧٧٧ و الى تاريخ اليعقوبى ١٤٧٢٢ و راجع تاريخ الخميس ٢٦٨٢٢ ،

و ابن ابى الحديد ٢٣٦١ - ٢٣٧٧ .

(٢٩) الاغانى ١٨٢٤٤ .

إنَّ ابا زبيد وفد على الوليد حين استعمله عثمان على الكوفة ، فأنزله الوليد داراً لعقيل بن أبي طالب على باب المسجد ، فاستوهبها منه فوهبها له ، فكان ذلك أوَّل الطعن عليه من أهل الكوفة ؛ لأنَّ ابا زبيد كان يخرج من منزله حتَّى يشقَّ الجامع إلى الوليد ، فيسمرُ عنده ويشرب معه ويخرج فيشقُّ المسجد وهو سكران ، فذلك نبههم عليه .

و أعطاه ما بين القصور الحمر من الشام إلى القصور الحمر من الحيرة وجعله له حمى فقال ابو زبيد فيه شعرا يمدحه فيه (٣٠) .

وقال البلاذري : (٣١) . وأجرى عليه وظيفة من خمر و خنازير تقام له في كلِّ شهر ، فقيل له قد عظم إنكار الناس لما تجري على أبي زبيد ، فقوم ما كان وظف له دراهم و ضمها إلى رزق كان يجري عليه وكان يدخله المسجد وهو نصراني .

و منها قصته مع الساحر على ما حكاه المسعودي في مروج الذهب (٣٢) قال :

و من ذلك فعل الوليد بن عقبة في مسجد الكوفة و ذلك أنه بلغه عن رجل من اليهود من ساكني قرية من قرى الكوفة مما يلي جسر بابل ، يقال له : زارة يعمل أنواعا من الشعبة والسحر ، يعرف بنطروي ، فأحضره ، فأراه في المسجد ضربا من التخاييل ؛ وهو أن أظهر له في الليل فيلا عظيما على فرس في صحن المسجد ، ثم صار اليهودي ناقة يمشي على جبل ، ثم أراه صورة حمار دخل من فيه ثم خرج من دبره ، ثم ضرب عنق رجل ففرق بين جسده ورأسه ، ثم أمرَّ السيف عليه فقام الرجل ؛ و كان جماعة من أهل الكوفة حضوراً منهم جندب بن كعب الأزدي ، فجعل يستعين بالله من فعل الشيطان ، و من عمل يبعد من الرحمن ، و علم أن ذلك هو ضرب من التخيل و السحر ، فاخترط سيفه ، و ضرب به اليهودي ضربة أدار رأسه ناحية من بدنه ؛ و قال : « جاء الحق و زهق الباطل إنَّ الباطل كان زهوقا » .

(٣٠) الاغانى ٤١٨٣٤ ،

(٣١) فى الانساب ٢٩٥ و ٣١ .

(٣٢) المسعودى فى موجه ٤٣٧١ .

و قد قيل : إن ذلك كان نهارا ، و ان جندبا خرج إلى السوق ، و دنا من بعض الصياقلة ^(٣٣) ، و أخذ سيفا ، و دخل ف ضرب به عنق اليهودي ؛ و قال : إن كنت صادقا فاحي نفسك ، فأنكر عليه الوليد ذلك : و أراد ان يقيده به ^(٣٤) فمنعه الأزد ، فحبسه و أراد قتله غيلة ؛ و نظر السجنان إلى قيام ليله إلى الصبح ، فقال له : أنج بنفسك ، فقال له جندب : تقتل بي ، قال : ليس ذلك بكثير في مرضات الله و الدفع عن ولي من أولياء الله فلما أصبح الوليد دعا به و قد استعد لقتله ، فلم يجده ، فسأل السجنان ، فأخبره بهر به ، ف ضرب عنق السجنان و صلبه بالكناس .

و في الاغانى : ^(٣٥) إن الوليد بن عقبة كان عنده ساحريه كيتبتين يقتتلان ، فتحمل إحدهما على الأخرى فتهمزها ؛ فقال له الساحر : أيسرك أن أريك هذه المنهزمة تغلب الغالبة فتهمزها ؟ قال : نعم و أخبر جندب بذلك ، فاشتمل على السيف ثم جاء فقال : أفرجوا ، ف ضرب به حتى قتله ، ففرغ الناس و خرجوا ؛ فقال : يا أيها الناس لا عليكم ، إنما قتلت هذا الساحر لئلا يقتنكم في دينكم ؛ ... الحديث .

و في رواية أخرى بعده : أن رجلاً من الأنصار نظر إلى رجل يستعلن بالسحر ، فقال : أو إن السحر ليعلن به في دين تـم ! فقتله ؛ فأتى به الوليد بن عقبة فحبسه ؛ فقال : دينار بن دينار فيم حبست ؟ فأخبره فخلى سبيله ؛ فأرسل إلى دينار فقتله .

و في رواية أخرى ^(٣٦) أن ساحرا كان عند الوليد بن عقبة ، فجعل يدخل في جوف بقرة و يخرج منه ؛ فرآه جندب ، فذهب إلى بيته فاشتمل على سيف ، فلما دخل الساحر في جوف البقرة ، قال : أتأتون السحر و أنتم تبصرون ، ثم ضرب وسط البقرة فقطعها و قطع الساحر في البقرة فاندعر الناس فسجنه الوليد ... الحديث .

و في أنساب الأشراف : ^(٣٧) و أتي بساحر يقال له : « نظروى » ، فرآه جندب

(٣٣) الصياقلة : مفردة الصيقل شحاذ السيوف .

(٣٤) أن يقيده به أى يقتله به .

(٣٥) الاغانى ١٨٥٤ .

(٣٦) الاغانى ١٨٦٤ .

(٣٧) أنساب الاشراف ٢٩٥ و ٣١ .

الخير^(٣٨) و جندب بن عبدالله الأزدي ، فاستعارسيفاً قاطعاً ، فاشتمل عليه ، وخرج يريد الوليد بن عقبة ، فلقى معضد بن يزيد أحد بني تيم الله بن ثعلبة بن عكابة ؛ و كان ناسكاً فأخبره بما يريد ، فقال له : لا تقتل الوليد فإنه يورث فرقة و فتنة و لكن شأنك بالعلاج ؛ فشدّ على الساحر فقتله ، ثم قال له : أحي نفسك إن كنت صادقاً .

فقال الوليد : هذا رجل يلعب فيأخذ بالعين سرعة و خفة ، فقدّم جندب ليضرب عنقه ، فأنكرت الأزدي ذلك وقالوا : أتقتل صاحبنا بعلاج ساحر ؛ فحبسه ، فلما رأى السجن طول صلاته و كثرة صيامه تحوّب عن حبسه فخلّى سبيله ؛ فمضى جندب فلاحق بالمدينة ، و كان يكنى أبا عبدالله ، فاخذ الوليد السجن وكان يقال له : دينار و يكنى أبا سنان ، فضرب عنقه و صلبه بالسبخة^(٣٩) ، و لم يزل جندب بالمدينة حتى كلف فيه عليّ بن أبي طالب عثمان ، فكتب إلى الوليد يأمره بالإمساك عنه فقدم الكوفة (*) .

أمارات الثورة في ولاية الوليد

قال البلاذري :^(٤٠) لما شاع فعل عثمان و سارت به الركب كان أول من دعا

(٣٨) كان في الأزدي جنادبة أربعة : جندب الخير ابن عبدالله : و جندب بن زهير ، و جندب بن كعب ؛ ترجموا لهم في الصحابة و نسبوا إلى أحدهم قتل الساحر ؛ والرابع جندب بن عفيف والمشهور عندهم أن قاتل الساحر هو جندب بن كعب بن عبدالله بن غنم الأزدي ثم الغامدي . قال ابن الاثير بترجمته في أسد الغابة فضربه ضربة فقتله ، ثم قال له : أحي نفسك ، ثم قرأ : « أتأتون السحر و أنتم تبصرون » فرفع إلى الوليد ، فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول : « حد الساحر ضربة بالسيف » . . . فحبسه الوليد . . . و قال ابن أخيه في حبسه :

أفي مضرب السحار يجبس جندب و يقتل أصحاب النبي الاوائل
 . . . و انطلق إلى أرض الروم فلم يزل يقاتل بها المشركين حتى مات لعشر
 سنوات مضين من خلافة معاوية .

راجع أسد الغابة ج ٣٠٣١ - ٣٠٦ .

(٣٩) قد ورد في رواية المسعودي : « بالكناس » ، و في المعجم الكناسة محلة

بالكوفة و نسب السبخة إلى البصرة .

(٤٠) انساب الاشراف ٢٩٥ و ٣١ .

(٤٠) أنساب الاشراف ٥ .

إلى خلعه والبيعة لعلي عمرو بن زرارة^(٤١) بن قيس بن الحارث بن عمرو بن عداء النخعي، وكميل بن زياد بن نهيك بن هيثم النخعي ثم أحد بني صهبان، فقام عمرو بن زرارة فقال: أيها الناس إن عثمان ترك الحق وهو يعرفه، وقد أغرى بصلحاءكم يولي عليهم شراركم؛ فمضى خالد بن عرفطة بن أبرهة بن سنان العذري حليف بني زهرة إلى الوليد فأخبره بقول عمرو بن زرارة وإجتماع الناس إليه، فركب الوليد نحوهم، فقيل له: الأمر أشد من ذلك والقوم مجتمعون فاتق الله ولا تسعّر القنتنة وقال له مالك بن الحارث الأشتر النخعي: أنا أ كفيك أمرهم؛ فأتاهم فكفهم وسكنهم وخذّرهم القنتنة والفرقة؛ فانصرفوا.

وكتب الوليد إلى عثمان بما كان من ابن زرارة، فكتب إليه عثمان: إن ابن زرارة أعرابي جلف فسيّره إلى الشام، فسيّره؛ وشيعه الأشتر والأسود بن يزيد بن قيس، وعلقمة بن قيس، وهو عم الأسود، والأسود أكبر منه؛ فقال قيس بن فهدان بن سلمة من بني البداء من كندة يومئذ:

أقسم بالله رب البيت مجتهدا أرجو الثواب له سرّاً وإعلانا

لأخلعن أباً وهباً وصاحبه كهف الضلالة عثمان بن عفانا

وكان عثمان وجه حمران إلى الكوفة حين شك الناس الوليد بن عقبة ليأتيه بحقيقة خبره فرشاه الوليد، فلما قدم على عثمان كذب عن الوليد وقرّظه، ثم إنّه لقي مروان فسأله عن الوليد، فقال له: إن الأمر جليل، فأخبر مروان عثمان بذلك، فغضب على حمران وغرّبه إلى البصرة لكذبه إيّاه وأقطعه داراً. (*)

استمرت إمارة الوليد على الكوفة خمس سنين وغزا في أيامه آذربيجان وأصاب حدّاً في غزاة فأرادوا أن يقيموه عليه، فقال حذيفة: أتقيمون عليه الحدّ وهو بأزاء

(٤١) عمرو بن زرارة. ترجموه في الصحابة، وفد أبوه على النبي وحدثه برؤيا

رآها فعبره له.

راجع ترجمتهما في أسد الغابة ج ٢٠١٢ - ٢٠٢ - ج ١٠٤٤٤.

(*) انساب الاشراف ٥.

العدو فكفوا عن ذلك. (٤٢)

ولا ندري هل كان ذلك منه في شربه الخمر أم غيره، فإنه كان مشهوراً بمعاقرة الخمرة وحدث على ذلك في قصة مشهورة ذكرها المؤرخون وقالوا:

في حده على السكر

فيما أخرجه أبو الفرج في الاغانى (٤٣) عن أبي عبيد و الكلبى والأصمعي

و عمر بن شبه .

أن وليد بن عقبة كان زانيا شرب خمر، فشرب الخمر بالكوفة وقام ليصلي بهم الصبح في المسجد الجامع، فصلّى بهم أربع ركعات، ثم التفت إليهم وقال لهم أزيدكم وتقياً في المحراب وقرأهم في الصلاة:

علق القلب الربابا بعد ماشابت وشابا

وقال المسعودي: (٤٤) إن الوليد بن عقبة كان يشرب مع ندمائته ومعنيه من

أول الليل إلى الصباح، فلما آذنه المؤذنون بالصلاة خرج منفصلاً في غلائله (٤٥) فتقدم إلى المحراب في صلاة الصبح فصلّى بهم أربعاً، وقال: أتريدون أن أزيدكم؟ وقيل إنه قال في سجوده وقد أطال: «إشرب واسقني»، فقال له عتّاب الثقفي وكان في الصف الأول: ما تريد لآزادك الله مزيد الخير. والله لا أعجب إلا ممن بعثك إلينا واليا وعلينا أميراً: فحصبه الناس بحصباء المسجد، فدخل قصره يترنح ويتمثل أبيات تأبّط شراً.

ولست بعيداً عن مدام وقينة
ولكنني أروي من الخمر هامتي
ولا بصفا صلد عن الخير بمعزل
وأمشي الملا بالساحب المتسلسل

(٤٢) أنساب الاشراف ٣١٥ .

(٤٣) الاغانى ١٧٨٤ - ١٧٩ .

(٤٤) المسعودى فى مروه ٤٣٥١ .

(٤٥) غلائله مفردة الغلالة شعار يلبس تحت الثوب والدرع . بطائن تلبس

ماجري للشهود

رغب أهل الكوفة أن يذهبوا إلى المدينة ومعهم بيّنة جليّة تؤيّد هم في شهادتهم على أخي الخليفة كي لا يجبهوا بالردّ والإنكار روى أبو الفرج ، والمسعودي ، والبلاذري ، واللفظ للأخير قال : (٤٦)

لما صلّى الوليد بالناس و هو سكران اتى أبو زينب زهير بن عوف الأزدي صديقا له من بني أسد يقال له : المورّع ، فسأله أن يعاونه على الوليد في التماسه غرّته ففقدها ذات يوم فلم يرياه خرج لصلاة العصر ، فانطلقا إلى بابه ليدخلا عليه ، فمنعهما البواب ، فأعطاه أبو زينب دينارا ، فسكت ، فدخلا فإذا هما به سكران ما يعقل فحملاه حتى وضعاه على سريره فقاء خمرا و انتزع أبو زينب خاتمه من يده .

و في لفظ الاغاني بعد هذا : و لقي أبو زينب و صاحبه عبدالله بن حبّيش الأسدي و علقمة بن يزيد البكري وغيرهما فأخبرا هم ، فقالوا : اشخصوا إلى أمير المؤمنين فأعلموه ، فقال بعضهم : لا يقبل قولنا في أخيه .

و في لفظ البلاذري : و مضى و صاحبه على طريق البصرة حتىّ قدما على عثمان .

عند الخليفة

روي ابو الفرج وقال : (٤٧) قدم رجل المدينة فقال لعثمان (رض) إنّي صلّيت الغداة خلف الوليد ابن عقبة ، فالتفت إلينا فقال : أأزيد كم ؟ إنّي أجد اليوم نشاطاً ، وأنا أشمّ منه رائحة الخمر ؛ فضرب عثمان الرجل ؛ فقال الناس : عطّلت الحدود و ضربت الشهود . و في رواية البلاذري عن أبي إسحاق قال : فخرج في أمره إلى عثمان أربعة نفر أبو زينب ، و جندب بن زهير ، و أبو حبيبة الغفاري ، والصعب بن جثامة ، فأخبروا عثمان خبره ، فقال عبدالرحمن بن عوف : ماله أجنّ ؟ ! قالوا : لا ولكنّه سكر ، قال فأوعدهم عثمان و تهدّدهم ، وقال لجندب : أنت رأيت أخي يشرب الخمر ؟ ! قال : معاذ الله ولكنّي

(٤٦) في الاغاني ١٨٠٤ . و مروج الذهب ٤٣٥١ و أنساب الاشراف ٣٣٥

(٤٧) في الاغاني ١٨١٤ بسنده الى مطر الوراق .

اشهد أنبي رأيته سكران يقلسها (٤٨) من جوفه و إنبي اخذت خاتمه من يده وهو سكران لا يعقل .

وفي رواية الأغاني فشحصوا إليه و قالوا : إننا جنناك في أمر و نحن مخرجوه إليك من أعناقنا و قد قلنا أنك لا تقبله ،

قال : و ما هو ؟

قالوا : رأينا الوليد و هو سكران من خمر قد شربها و هذا خاتمه أخذناه و هو

لا يعقل ! . . .

و في رواية المسعودي : ثم تقايا عليهم ما شرب من الخمر ، فانتزعوا خاتمه من يده فأتوا عثمان بن عفان فشهدوا عنده على الوليد أنه شرب الخمر ، فقال عثمان : و ما يدريكما أنه شرب خمرأ ، فقالا : هي الخمر التي كنا نشربها في الجاهلية ، و أخرجنا خاتمه فدفعاها إليه فرزأهما و دفع في صدورهما ، و قال : تنحيا عني فخرجا و أتيا علي بن أبي طالب (رض) و أخبراه بالقصة ، فأتى عثمان و هو يقول : دفعت الشهود و أبطلت الحدود . . .

و في رواية البلاذري عن الواقدي : و قد يقال : إن عثمان ضرب بعض الشهود أسواطاً فأتوا علياً فشكوا ذلك إليه فأتى عثمان ، فقال : عطلت الحدود و ضربت قوما شهدوا على أخيك فقلبت الحكم ؛

و أخرج البلاذري عن أبي إسحاق قال : فأتى الشهود عائشة فأخبروها بما جرى بينهم و بين عثمان و أن عثمان زبرهم ؛ فنادت عائشة : إن عثمان أبطل الحدود و توعد الشهود ؛ (٤٩)

و أخرج أبو الفرج (٥٠) عن الزهري أنه قال : خرج رهط من أهل الكوفة إلى عثمان في أمر الوليد فقال : أكلما غضب رجل منكم على أميره رماه بالباطل ؟ لئن أصبحت لأننكن بكم ، فاستجاروا بعائشة ، و أصبح عثمان فسمع من حجرتها صوتاً و كلاماً فيه

(٤٨) يقلسها : يقيئها .

(٤٩) البلاذري ٣٣٥

(٥٠) الاغاني ١٨٠٤ .

بعض الغلظة فقال : أما يجد مرآق أهل العراق وفساقهم ملجأ إلا بيت عائشة ؛ فسمعت فرفعت نعل رسول الله ﷺ وقالت : تركت سنة رسول الله صاحب هذا النعل . فتسامع الناس فجاء واحتي ملأوا المسجد فمن قائل : أحسنت ، و من قائل : ما للنساء و لهذا ؟ حتى تحاصبوا و تضاربوا بالنعال . . .

و أخرج البلاذري (*) : ان عائشة أغلظت لعثمان ، و أغلظ لها و قال : و ما أنت و هذا ؟ إنما أمرت أن تقرّي في بيتك ، فقال قوم مثل قوله ، و قال آخرون : و من أولى بذلك منها ، فاضطربوا بالنعال ، و كان ذلك أوّل قتال بين المسلمين بعد النبي ﷺ و أخرج اليعقوبي في تاريخه (٥١) و ابن عبد البر بترجمته من الاستيعاب قريبا مما أوردناه من موقف أم المؤمنين في هذه القصة .

و أخرج البلاذري (٥٢) عن الواقدي و أبي مخنف و غيرهما أنهم قالوا : أتى طلحة و الزبير عثمان ، فقالا له : قد نهيناك عن تولية الوليد شيئا من أمور المسلمين فأبيت ، و قد شهد عليه بشرب الخمر و السكر فاعزله ؛

و قال له علي : اعزله و حدّه إذا شهد الشهود عليه في وجهه ؛ فولّى عثمان سعيد ابن العاص الكوفة و أمره باشخاص الوليد فلما قدم سعيد الكوفة غسل المنبر و دار الإمارة . و روى الطبري (٥٣) في بيان هذا و قال : فقدم سعيد بن العاص الكوفة فأرسل إلى الوليد ان أمير المؤمنين يأمرك أن تلتحق به ، قال : فتضجّع أيّما فقال له : انطلق إلى أخيك فانه قد أمرني أن أبعثك إليه ، قال : و ما صعد منبر الكوفة حتى أمر به أن يغسل فناشده من قريش ممن كانوا خرجوا معه من بني أمية ، و قالوا : إن هذا قبيح و الله لو أراد هذا غيرك لكان حقّا أن تذب عنه ، يلزمه عار هذا أبدا ، قال فأبى إلا أن يفعل فغسله و أرسل إلى الوليد أن يتحوّل من دار الإمارة فتحوّل عنها و نزل دار عمارة ابن عقبة .

(*) البلاذري ٣٣٥

(٥١) اليعقوبي ٢٠٣٢ .

(٥٢) البلاذري ٣٥٥ .

(٥٣) الطبري ٨٨٥ في ذكره حوادث سنة ٣٣ هـ .

و في الأغاني^(٥٤) : لما شهد على الوليد عند عثمان بشرب الخمر كتب إليه يأمره بالشخص ، فخرج و خرج معه قوم يعذرونه ، فيهم عدي بن حاتم ، فنزل الوليد يوماً يسوق بهم ، فقال يرتجز :

لا تحسبنا قد نسينا الايجاف و النشوات من عتيق أوصاف
و عزف قينات علينا عزاف^(٥٥)

فقال عدي : اين تذهب بنا ! أقم ! وفي رواية البلاذري^(٥٦) : و أشخص الوليد فلما شهد عليه في وجهه و أراد عثمان أن يحدّه ألْبسه جبة حبر^(٥٧) و أدخله بيتا فجعل إذا بعث إليه رجلا من قريش ليضربه ، قال له الوليد : أنشدك الله أن تقطع رحمي ، و تغضب أمير المؤمنين عليك فيكفّ فلما رأى ذلك علي بن أبي طالب أخذ السوط و دخل عليه و معه ابنه الحسن ، فقال له الوليد : مثل تلك المقالة ، فقال له الحسن : صدق يا أبت ، فقال علي : ما أنا إذا بمؤمن ؛ و جلده بسوط له شعبتان أربعين جلدة ، و لم ينزع جبته ؛ و كان عليه كساء فجازبه علي إياه حتى طرحه على ظهره و ضربه و ما يبد و إبطه .

و في رواية الأغاني^(٥٨) : فقال له الوليد نشدتك بالله و القرابة ، فقال علي : أسكت أبا و هب فانما هلكت بنو إسرائيل بتعطيهم الحدود ، فضربه و قال : لتدعوني قريش جلاّدها . و قال المسعودي^(٥٩) : فلما نظر إلى امتناع الجماعة عن إقامة الحد عليه توقيا لغضب عثمان لقرابته منه أخذ علي السوط و دنا منه ، فلما أقبل نحوه سبه الوليد ، و قال : يا صاحب مكس ،^(٦٠) .

٥٤) الاغاني ١٨١٤ .

٥٥) الايجاف : سير فسيح واسع للابل و النشوات من عتيق أوصاف ، اي و لم ننس النشوات من خبر عتيق موصوف بالجودة ، و عزف قينات . . . أي و لم ننس عزف المغنيات .

٥٦) البلاذري ٣٥٥ .

٥٧) حبر ضرب من برود اليمن .

٥٨) الاغاني ٤٤٩١ .

٥٩) المسعودي ٤٤٩١ .

٦٠) المكس : النقص و الظلم ، و دراهم كانت تؤخذ من بائعي السلع في الاسواق

في الجاهلية ، أو درهم كان يأخذه المصدق بعد فراغه من الصدقة .

فقال عقيل بن أبي طالب و كان ممن حضر : إنك لتتكلّم يا ابن أبي معيط كأنك لا تدري من أنت و انت عالج من أهل صفورية - وهي قرية بين عكا و اللجون من أعمال الأردن من بلاد طبرية كان ذكوان أباه يهوديا منها - فأقبل الوليد يروغ^(٦١) من عليّ فاجتذبه فضرب به الأرض و علاه بالسوط ،

فقال عثمان : ليس لك ان تفعل به هذا ، قال : بلى و شرّ أمن هذا إذا فسق و منع من حق الله تعالى أن يؤخذ منه .

وروى البلاذري^(٦٢) و قال لما ضرب عليّ الوليد بن عقبة جعل الوليد يقول : يامكيثة يامكيثة^(٦٣) ! و قال حين حدّ :

باعد الله ما بيني و بينكم بني امية من قربي و من نسب

ان يكثر المال لا يذمم فعالكم و إن يعش عائلامولاكم يخب

و روى أنه سئل عثمان ان يخلق ، و قيل له إن عمر خلق مثله ، فقال : قد كان

فعل ثمّ تركه ،

و روى اليعقوبي^(٦٤) أن عثمان بعث أخاه الوليد بعد أن أجري الحد عليه على

صدقات كلب و بلقين ،

في هذه القصة نجد الوليد بن عقبة امرءاً موصوفاً في القرآن بالفسق ، ومشهوراً

لدى الناس بالسكر و الزنا ، و نجده عارفاً بضعف نفس أخيه الخليفة خبيراً بكيفية

التصرف فيه ،

و نجده يبسط يده في أموال المسلمين . كما نجده يتخذ من السلطة سلماً إلى التمتع

بشهواته و يتجاهر في سبيل ذلك غير هيّاب و لا متحرج اعتماداً على مركز أخيه الخليفة

و تدليله إيّاه ، فنجده يقطع نديمه الشاعر النصراني أرضاً واسعة و يجرى عليه لحم الخنزير

(٦١) يروغ الرجل و الثعلب يميل و يجيد عن الشيء .

(٦٢) مكيشة المكث اللبث و المكيث الرزين ، و لعله كان يوصى نفسه بالصبر و الوقار

(٦٣) الانساب ، ٣٥٥ .

(٦٤) اليعقوبي في تاريخه ١٤٢٢ .

والخمر ، ويدخله المسجد الجامع و هو سكران ؛ و يدخل الساحر اليهودي المسجد أيضا ليقوم له فيه بأعماله السحرية ؛ و يخرج سكران في غلائله ليصلي بالمسلمين في محرابهم ، و يتقايأ الخمرة لا كثاره منها حتى إذا أشخص إلى المدينة أخرج معه الأشراف ليعذروه ولكنه لا يستطيع ان يكف عن ذكر الخمر و العزف فيتغنى بهما و هو في طريقه إلى مجلس الحكم .

و نجد فيها المسلمين كافة متذمرين من السلطة معلنين استنكارهم عليها غير أن هناك شخصيتان متميزتان على من عداهما .

أولاهما ابن أبي طالب فانه الشخص الوحيد الذي تقدم من بين المسلمين والصحابة باجراء الحد على أخي الخليفة غير مبال بسخط الخليفة ، و نقمة أسرته من بنى أمية ، و من المصادفات الفريدة أن يكون هذا الشخص ضارب رأس الأب الكافر و مجلد ظهر الابن الفاسق ، و حق له ان يقول لتدعوني قريش جلادها ؛ و لقد ادّخر بأفعاله هذه كرها شديدا في صدور قريش ، و حقداً دفيناجنى ثمارها في مستقبل أيامه .

والشخصية المتميزة الأخرى شخصية أم المؤمنين عائشة فانها كانت في الناقلين على عثمان تملك قيادة جماهير الناس و قد استطاعت أن تحشد الجماهير ضده بعمل فذ لم يقم به أحد قبلها و لا من بعدها ، فانها أخرجت نعل رسول الله في وقت كان الناس متعطين إلى رؤية آثار رسول الله و بذلك أثارت عواطفهم ! و هيّجتهم ! و دفعتهم إلى حيث ما تريد ؛ فوقع الخصام ! و انقسم المسلمون حزبين يترامون بالحصباء و يتضاربون بالنعال ! و كان ذلك أول قتال وقع بين المسلمين ، و أخيراً تغلبت على الخليفة و اضطر إلى النزول عند رغبة الجماهير فعزل أخاه وأحضره للحكم ، و لولا براعتها في تحشيد الجماهير و قيادتها لما وقع شيء من ذلك ؛ و إنهما لم تكن الوحيدة ممن بقيت من أزواج الرسول بعده فقد كانت هناك حفصة و أم سلمة و أم جبيبة و قد اشترك بعضهن في بعض المواقف السياسية غير أن واحدة منهن لم تفعل ذلك .

و نجد في هذه القصة الخليفة عثمان قد اتخذ لنفسه سريرا يجلس عليه بمالم نجد

الخليفتان قبله قد فعلا ذلك؛ ثم نجده يشرك معه على السرير أباسفيان كبير قریش في حروبها لرسول الله، وأخاه الموصوف في القرآن بالفسق شرّيب الخمر الزاني، و نجده يحترم عمّه الحكم طريد رسول الله و لعينه أكثر من أي إنسان كان فيزحل له عن مجلسه، و نجده يطعم النصف الشرقي من بلاد المسلمين إلى أخيه الماجن هذا ليجبر بذلك نفسه الكسيرة؛ و نجده يبسط يدها المتهتك على بيت مال المسلمين. و يعاقب الصحابي الجليل ابن مسعود على إنكاره على أخيه، و يخاطبه ذاك الخطاب المقذع و يأمر به فيضرب حتى تنكسر ضلعاه و يجرّمه عطاءه و يمنعه من الخروج إلى الجهاد في سبيل الله و يجسسه في المدينة حتى يموت، كل ذلك يفعله غضباً لأخيه الفاسق هذا؛ و نجده يردّ شهادة الشهود على أخيه، و يضربهم على شهادتهم، و بعد أن يجبر على إجراء الحدّ عليه يلبسه جبّة حبر تمنع من جسده ألم السياط، ثم لا يخلق رأسه بعد الحدّ: و بعد ذلك كلّه يوظّفه على الصدقات.

هذه واحدة من حوادث سياسية اشتركت فيها أمّ المؤمنين ضدّ الخليفة عثمان، و الحادثة الأخرى التي اشتركت فيها أمّ المؤمنين، وقادت الجماهير فيها ضدّه كانت في قصة الخليفة مع عمار بن ياسر؛

و عمار بن ياسر هو أبو اليقظان ابن ياسر بن عامر، وكان ياسر والدعمار عربياً قحطانياً من حبيّمان عنس قدم من اليمن إلى مكة وحالف أباحذيفة بن المغيرة المخزومي و تزوج أمته سمية بنت خباط فولدت عماراً فاعتقه أبو حذيفة فمن هنا صار عمار مولى لبني مخزوم كان هو و أبواه و أخوه عبد الله من السابقين إلى الإسلام. و أجهروا باسلامهم فعذبوا عليه أشدّ العذاب. ألبسوا أذراع الحديد، ثم صهروا في الشمس على أن يتر كوا الإسلام وهم يأبون من ذلك، وكان رسول الله يمرّ عليهم بالأبطح وهم يعدّون في رمضاء مكة فيقول: «صبراً آل ياسر موعدكم الجنة» وكانت سمية أول شهيد في الإسلام طعنها أبو جهل بحربة في قلبها فماتت من ذلك. و قتل بعدها ياسر،

أمّا عمار فأنه أعطاهم ما أرادوا و بلسانه مكرها فأخبر النبي بأنّ عماراً كفر فقال: كلاً. إنّ عماراً ملئ إيماناً من قرنه إلى قدمه، و أخطأ الإيمان بلحمه و دمه،

فأتى عمار رسول الله ﷺ وهو يبكي فجعل رسول الله يمسه عينيه ، وقال : إن عادوا لك فعدلهم بما قلت ، فأنزل الله تعالى فيه :

من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان . . . (الآية . ٦٥)

هاجر عمار إلى المدينة وشهد بدرًا وما بعدها ولما قدم النبي ﷺ إلى المدينة جمع أحجارًا وبنى له مسجد قبا فهو أول من بنى مسجدًا في الإسلام (٦٦) .

و اشترك في بناء مسجد النبي ﷺ قال ابن هشام (٦٧) عند ذكره بناء رسول الله مسجده في المدينة : فدخل عمار و قد أثقلوه باللبن ، فقال : يا رسول الله قتلوني يحملون علي ما لا يحملون .

قالت أم سلمة زوج النبي ﷺ فرأيت رسول الله ﷺ ينفذ وفرته بيده وكان رجالاً جعدًا وهو يقول : « ويح ابن سمية ليسوا بالذي يقتلونك إنما تقتلك الفئة الباغية » و ارتجز علي بن أبي طالب (رض)

لا يستوى من يعمر المساجدا يدأب فيها قائماً وقاعدا

و من يرى عن الغبار حائدا

فأخذها عمار بن ياسر فجعل يرتجز بها .

قال ابن هشام : فلما أكثر ظن رجل من أصحاب رسول الله أنه إنما يعرض به ، فقال قد سمعت ما تقول منذ اليوم يا ابن سمية والله إنني لأراني سأعرض هذه العصا لأنفك ، قال : و في يده عصا ، قال : فغضب رسول الله ثم قال « مالهم و لعمار يدعوهم إلى الجنة و يدعوهم إلى النار ، إن عمارًا جلدة ما بين عيني وأنفي فاذا بلغ ذلك من الرجل

(٦٥) ذكر نزول هذه الآية في عمار ابن عيد البر بترجمته من الاستيعاب قال : هذا

ما اجتمع أهل التفسير عليه ، و راجع تفسير الآية في تفسير الطبري و القرطبي و ابن كثير و السيوطي و طبقات ابن سعد ١٧٨٣ و المستدرک ١٧٨٣ و غيرها و راجع لسائر ما ذكرناه في نسب عمار و أبيه و امه و تعديبهم الى ترجمتهم في الاستيعاب و اسد الغابة و الاصابة و باب فضائلهم في المستدرک و الكنز .

(٦٦) ترجمته في أسد الغابة .

(٦٧) سيرة ابن هشام ١١٤٢ .

فلم يستبق فأجتنبوه» قال أبوذر في شرح سيرة ابن هشام: إن هذا الرجل هو عثمان ابن عفان (٦٨).

وقد اثنى عليه رسول الله في مواطن كثيرة منها قوله فيه لما رأى خالدًا يغلظ له القول: «من عادى عمارًا عاداه الله ومن أبغض عمارًا أبغضه الله» شهد مع عليّ الجمل و صفين، وكان في صفين لا يأخذ في ناحية ولاواد إلا وتبعه أصحاب النبي كأنه علم لهم، وكان يرتجز ويقول:

اليوم ألقى الأجابة محمدًا و حزبه

ولما قتل اختصم في قتله اثنان فقال عمرو بن العاص والله إن يختصمان إلا في النار، والله لو ددت أنبي مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة (٦٩). هذا هو عمار بن ياسر، وأما قصته مع الخليفة عثمان فإنه غضب عليه في عدة موارد.

منها في قصة ترحمه من كل قلبه على أبي ذر في ما روى البلاذري (٧٠) وقال: إنه لما بلغ عثمان موت أبي ذر بالربذة قال: رحمه الله. فقال عمار بن ياسر: نعم فرحمه الله من كل أنفوسنا، فقال عثمان: يا عاص أير أويه أتراني ندمت على تسييره؟ وأمر فدفن في قفاه وقال: إالحق بمكانه فلما تهيأ للخروج جاءت بنو مخزوم إلى عليّ فسألوه أن يكلم عثمان فيه فقال له عليّ: يا عثمان! إتق الله فانك سيرت رجلا صالحا من المسلمين فهلك في تسييرك، ثم أنت الآن تريد أن تنفي نظيره، وجرى بينهما كلام حتى قال عثمان: أنت أحق بالنفي منه فقال عليّ رُم ذلك إن شئت، واجتمع المهاجرون فقالوا: إن كنت

(٦٨) شرح سيرة ابن هشام لابي ذر النخشي المتوفى (٦٠٤) هـ وقد روى ذلك

عن ابن اسحاق صاحب السيرة الذي من سيرته أخذ ابن هشام ما اورده في سيرته.

(٦٩) استشهاد مساء الخميس ٩ صفر سنة ٣٧ هـ وعمره ٩٣ سنة راجع ترجمته في الاستيعاب و اسد الغابة و الاصابة و البخارى كتاب الجهاد الباب السابع عشر والطبقات ج ٣ ر ق ١٦٦٦-١٨٩.

(٧٠) الانساب ٥٤٢٥ واليعقوبي ١٥٠٢ و كان عثمان قد نفى أبا ذر الى الربذة

لما شكاه معاوية فتوفى هناك فى قصة طويلة ذكرها البلاذري فى الانساب ٥٢٥ - ٥٤ و ابن سعد فى الطبقات ١٦٨٤ و اليعقوبي ١٤٨٢ والمسعودى ٤٣٨١.

كلما كلمك رجل سيرته و نفيته فان هذا شيء لا يسوغ . فكف عن عمّار .
 ومنها في قصة أخذه كتاب إستنكار الصحابة من عثمان إليه في ما أخرجه البلاذري
 وغيره^(٧١) قال البلاذري : إن المقداد بن عمرو ، و عمّار بن ياسر ، و طلحة ، و الزبير في
 عدّة من أصحاب رسول الله ﷺ كتبوا كتابا عدّ و افيه أحداث عثمان و خوفوه ربّه
 و أعلموه أنّهم موثبوه إن لم يقلع فأخذ عمّار الكتاب و أتاه به فقرا صدراً منه فقال له
 عثمان : أعليّ تقدم من بينهم ؟ فقال عمّار : لأنّي أنصحهم لك . فقال : كذبت يا ابن سمية !
 فقال : أنا والله ابن سمية و ابن ياسر ، فأمر غلمانهم فمدّوا يديه و رجله ثمّ ضربه عثمان
 برجله و هي في الخفيّين على مذا كيره فأصابه انفتق ، و كان ضعيفا كبيرا فغشي عليه .

و منها قصة استنكاره من أخذ عثمان جواهر من بيت المال في ما رواه البلاذري^(٧٢)
 و قال : كان في بيت المال بالمدينة سفظ فيه حلبيّ و جوهر ، فأخذ منه عثمان ما حلّي به
 بعض أهله فأظهر الناس الطعن عليه في ذلك و كلموه فيه بكلام شديد حتى أغضبه فخطب
 فقال . لناخذنّ حاجتنا من هذا الفيء و إن رغمت أنوف أقوام . فقال له عليّ : إذا تمنع
 من ذلك و يحال بينك و بينه . و قال عمّار بن ياسر أشهد الله أنّ أنفي أوّل راعم من
 ذلك فقال عثمان : أعليّ يا ابن المتكأ^(٧٣) تجتري ، ؟ خذوه ، فأخذ و دخل عثمان ودعا به
 فضربه حتى غشي عليه ثمّ أخرج فحمل حتى أتني به منزل أمّ سلمة زوج رسول الله ﷺ
 فلم يصلّ الظهر والعصر والمغرب فلمّا أفاق توضّأ وصلّى وقال : الحمد لله ليس هذا
 أوّل يوم أوزينا فيه في الله و قام هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي وكان عمار حليفا لبني
 مخزوم فقال : يا عثمان أمّا عليّ فاتّقيته و بني أبيه ، وأمّا نحن فاجترأت علينا و ضربت
 أخانا حتىّ أشفيت به على التلف ، أما والله لئن مات لأقتلنّ به رجلا من بني أمية عظيم
 السرة ، فقال عثمان : وإنك لها هنا يا ابن القسريّة ، قال : فانهما قسريّتان وكانت أمّه وجدته
 قسريّتين من بجيلة ، فشتمه عثمان وأمر به فأخرج ، فأتي أمّ سلمة فاذا هي قد غضبت لعمّار ،

(٧١) الانساب ٤٩٥ ، و العقد الفريد ٢ ر ٢٧٢ ، و راجع تفصيل الكتاب في

الإمامة والسياسة .

(٧٢) أنساب الاشراف ٤٨٥

(٧٣) المتكأ : العظيمة البطن . البظراء المفضاة . التي لا تمسك البول .

وبلغ عائشة ماصنع بعمار فغضبت واخرجت شعراً من شعر رسول الله ﷺ و ثوبا من ثيابه ونعلا من نعاله ثم قالت : ما أسرع ما نثر كتم سنة نبيكم وهذا شعره و ثوبه ونعله لم يبل بعد ، . فغضب عثمان غضبا شديداً حتى مادري ما يقول فالتج المسجد وقال الناس : سبحان الله ، سبحان الله ، وكان عمرو بن العاص واجداً على عثمان لعزله إياه عن مصر وتوليته إياها - عبد الله بن سعد بن أبي سرح فجعل يكثر التعجب والتسبيح ،
منها في قصة دفن ابن مسعود فإنه كان قد أوصى أن يصلي عليه عمار ولا يؤذن به عثمان ففعل فلما أخبر بذلك غضب عليه ولم يلبث يسيراً حتى توفي المقدار فصلى عليه عمار وكان أوصى إليه ولم يؤذن عثمان به فاشتد غضب عثمان على عمار وقال : ويلى على ابن السواد ، أما لقد كنت به عليماً (٧٤) :

و مما يلفت نظرنا في هذه القصة مجابهة الخليفة عماراً بقوله : يا ابن المتكاه ؛ و يا عاص أير أبيه إلى أمثالهما ؛ هذا مع ما ورد في الصحاح والمسانيد عن أم المؤمنين من أن عثمان رجل حيي ؛ و أن الملائكة والله لتستحي من عثمان ؛ و أن رسول الله قد استحي منه لشدة حيائه ؛ إلى غيرها مما فيه الإشادة بذكر حياته !

و نجد فيها أيضاً لأم المؤمنين دور القيادة الحكيمة في تحشيد الناقلين من الخليفة ضده ، والبصيرة النافذة بما يؤثر في نفوس الجماهير من الناس ؛ فانها إن كانت قد باغت الخليفة في تلك المرة باخراج نعل رسول الله لتهيب الجماهير عليه وأثرت الأثر الذي كانت تتوخاه ، ولم يكن لتكراره مرة ثانية ذلك الأثر على النفوس ، فانها في هذه المرة أيضاً لم تعدم الوسيلة لاثارة العواطف ضده فقد أضافت إلى ما أخرجت : ثوب رسول الله وشعره ، فكان لها الأثر الفعّال في إثارة الناس على عثمان وتحطيم مركزه كخليفة للمسلمين كما كان ذلك للتي قبلها .

و في القصتين جميعاً تمكنت أم المؤمنين من أن ترفع عن عثمان الحصانة التي كان يتمتع بها في المجتمع الإسلامي لكانه من خلافة رسول الله ؛ فانها قد استطاعت بوسائلها المحسوسة أن تجعله في جانب . و سنة رسول الله وآثاره و ازواجه في جانب آخر ،

و بذلك قد أزيلت عنه كل حُرمة في النفوس و كرامة في المجتمع ؛ فأصبح المسلمون يستسيغون النيل منه ، ثم تعدى أثر ذلك من شخص الخليفة إلى مقام الخلافة فإنه لم يبق بعد هذا لمقام الخلافة أيضاً حرمتها الأولى في المجتمع الإسلامي و بذلك أثرت حتى على من جاء بعده من الخلفاء .

و مما نرى في هذه الحوادث تردّي العلاقات بين أمّ المؤمنين و عثمان من سيء إلى أسوأ فقد أصبحت من أشدّ المعارضين له بعد أن كانت من أقوى مؤيديه ، و من الجائز أن يكون بدء تنقيص عطائها في خلال هذه المعارك الكلاميّة .

و أخيراً قد أدّت هذه الحوادث المتتالية بأمّ المؤمنين من منبتمة لغيرها إلى نائرة لكرامتها فأصبحت المعركة معركتها أكثر من أن تكون معركة غيرها و اشتركت في المعركة أفراد أسرته حتى قالوا « و أجلب عليه محمد بن أبي بكر ببني تيم و اعانه على ذلك طلحة بن عبيدالله » (٧٥) .

و قصة جلب محمد بن أبي بكر عليه يبدأ من مصر حيث اشترك مع محمد بن أبي حذيفة بالثورة ضدّ عبدالله بن سعد بن أبي سرح عامل عثمان عليها مما سنوردها بعد إيراد تراجمهم .

أ - عبدالله بن سعد بن أبي سرح بن الحارث القرشي العامري . و هو أخو عثمان من الرضاعة أرضعت أمّه عثمان .

أسلم قبل القتح و هاجر إلى المدينة و كتب الوحي لرسول الله ثم ارتدّ مشركاً و صار إلى قريش بمكة ، فقال لهم : إنّي كنت أصرف محمداً حيث أريد . كان يملي عليّ : « عزيز حكيم » . فأقول : أو « عليهم حكيم » ؟ فيقول : نعم ، كلّ صواب ؛ فأنزل الله تعالى فيه :

« ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو قال أوحى إليّ ولم يوح إليه شيءٌ ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت و الملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسهم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق »

وكنتم عن آياته تستكبرون ، الآية ٩٣ من سورة الأنعام .

فلما كان يوم الفتح أهدر رسول الله دمه وأمر بقتله ولو وجد متعلقاً بأستار الكعبة ، ففرَّ عبدالله إلى عثمان فغيبه حتى أتى به إلى رسول الله ﷺ ، فاستأمنه له ، فصمت رسول الله ﷺ طويلاً ، ثم قال : نعم ، فلما انصرف عثمان قال لمن حوله : ما صمتُ إلا ليقوم إليه بعضكم فيضرب عنقه ، فقالوا : هلاً أو مات إلينا ، فقال : إن النبي لا ينبغي أن يكون له خائنة الأعين .

ولاه عثمان مصر سنة ٢٥ هـ وعزل عنها عمرو بن العاص ففتح افر بقية فأعطاه عثمان خمس غنائم الغزوة الأولى و بقي أميراً على مصر حتى سنة ٣٤ حيث ثار ابن أبي حذيفة في مصر فمضى إلى عسقلان فاقام بها حتى قتل عثمان و تو في سنة ٥٧ أو ٥٩ هـ (٧٦)

ب - محمد بن أبي بكر عبدالله ابن أبي قحافة عثمان ، وأمه أسماء بنت عميس الخثعمية كانت تحت جعفر و تزوجها أبو بكر بعد وفاة جعفر بن أبي طالب فولدت له محمداً في طريقهم إلى مكة في حجة الوداع ، ولما تو في أبو بكر تزوجها علي فنشأ محمد في حجر علي و كان ربيبه شهد مع علي الجمل و صفين ، ثم ولاه مصر فدخلها في الخامس عشر من رمضان سنة ٣٧ ، فجهز معاوية عمرو بن العاص إلى مصر سنة ٣٨ فتغلب عليه وقتله معاوية بن خديج صبراً و أدخلوا جسثه في بطن جمار ميت و أحرقوه (٧٧) .

ج - أبو القاسم محمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة القرشي العبشمي ، و أمه سهيلة بنت سهيل بن عمرو العامرية ، ولد بأرض الحبشة على عهد رسول الله ﷺ و استشهد أبوه أبو حذيفة بالامامة فضم عثمان ابنه هذا إليه ورباه . استأذن من عثمان ان يذهب إلى مصر للغزو فأذن له فأخذ هناك يؤلب الناس على عثمان ثم وثب على خليفة عبد الله بن سعد

(٧٦) الاستيعاب ٣٦٧٢ - ٣٧٠ والاصابة ج ٢ ٣٩٠ - ٣١٠ - وج ١١١ - ١٢

و أسد الغابة ٣ ر ١٧٣ - ١٧٤ ، و أنساب الاشراف ٤٩٥ والمستدرک ٣ ر ١٠٠ والمفسرون كالقرطبي وغيره في تفسيرهم الآية ٩٣ من سورة الانعام و ابن أبي الحديد . ٦٨١

(٧٧) المؤرخون في ذكرهم حوادث سنة ٣٧ و ٣٨ هـ والاستيعاب ج ٣٢٨٣ - ٣٢٩

والاصابة ج ٤٥١٣ بحرف الميم ق ٢ .

بمصر و أخرجه منها و بايعه أهل مصر بالإمارة و لما استخلف عليّ أقره عليها فبقي عليها حتى سار إليه معاوية عند مسيره إلى صفين ، فخرج إليهم محمد و منعه من دخول الفسطاط ثمّ تصالحوا على ان يخرج محمد بن أبي حذيفة و من معه آمنين فخرج محمد و ثلاثون رجلا فغدر بهم معاوية و حبسه في سجن دمشق ثمّ قتله رشدين مولى معاوية و كان محمد ممن أدركوا صحبة الرسول (٧٨)

و قصتهم بمصر في ما رواه الطبري (٧٩) : ان عمرو بن العاص كان على مصر عاملا لعثمان فعزله عن الخراج واستعمله على الصلاة ، و استعمل عبدالله بن سعد على الخراج ثمّ جمعهما لعبدالله بن سعد ،

وفيما روى البلاذري (٨٠) أن محمد بن أبي حذيفة و محمد بن أبي بكر حين اكثر الناس في أمر عثمان قدما مصر و عليها عبدالله بن سعد بن أبي سرح ، و وافقا بمصر محمد بن طلحة (**) ابن عبيدالله هو مع عبدالله بن سعد ؛ وإن ابن أبي حذيفة شهده صلاة الصبح في صبيحة الليلة التي قدم فيها ، ففاته الصلاة فجهر بالقراءة فسمع ابن أبي سرح قراءته فأمر إذ صلى أن يؤتى به . فلمّا رآه قال : ما جاء بك إلى بلدي ، قال : جئت غازيا ، قال : ومن معك ، قال : محمد بن أبي بكر ، فقال : والله ما جئنا إلا لتفسدنا الناس ، فأمر بهما فسجنا ، فأرسلا إلى محمد بن طلحة يسألانه ان يكلمه فيهما لئلا يمنعها من الغزو ، فأطلقهما ابن أبي سرح وغزا ابن أبي سرح إفريقيا فأعدّ لهما سفينة مفردة لئلا يفسدا عليه الناس فمرض ابن أبي بكر فتخلف ، و تخلف معه ابن أبي حذيفة ، ثمّ انهما خرجا في جماعة الناس فما رجعا من غزاهما إلا وقد أوجرا صدور الناس على عثمان .

(٧٨) راجع الطبري وابن الاثير في حوادث سنة ٣٠-٣٦ والاستيعاب ٣٢١٣-٣٢٢

٣٢٢ و اسد الغابة ٣١٥ ر٤ و الاصابة ٥٤٣ .

(٧٩) الطبري ١٠٨٥ .

(٨٠) البلاذري ٥٠٥ .

(*) محمد بن طلحة بن عبيدالله و امه حمنة بنت جحش كنيته ابو سليمان ولد في

عصر الرسول و قتل يوم الجمل فمر عليه علي و قال : ابوه صرعه هذا المصراع و لولا

ابوه و بره به ما خرج ذلك المخرج ترجمته من الطبقات ج ٥ ٣٧ - ٣٩

وقال في حديث آخر وكانت غزوة ذات الصواري في المحرم سنة ٣٤ وعليها عبد الله ابن سعد ، فصلّى بالناس فكبّر ابن أبي حذيفة تكبيرة أفرعه بها فقال لولا أنك حدث أحقّ لقربت بين خطوك ولم يزل يبلغه عنه وعن ابن أبي بكر ما يكره وجعل ابن أبي حذيفة يقول : يا أهل مصر إننا خلفنا الغزو وراءنا يعني غزو عثمان ... الحديث وقال الطبري (٨١) خرج محمد بن أبي حذيفة ومحمد بن أبي بكر عام خرج عبد الله بن سعد ، فأظهر اعيب عثمان وما غير وما خالف به أبا بكر وعمر وأن دم عثمان حلال ، ويقولان : استعمل عبد الله بن سعد رجلا كان رسول الله ﷺ أباح دمه ، ونزل القرآن بكفره [حين قال : سأنزل مثل ما أنزل الله (٨٢) وأخرج رسول الله ﷺ قوما وأدخلهم (٨٣) - إلى قوله - فأفسد أهل تلك الغزاة وعابا عثمان أشد العيب .

وقال : (ومحمد بن أبي حذيفة يقول للرجل : أما والله لقد تركنا خلفنا الجهاد حقاً فيقول الرجل : وأي جهاد ؟! فيقول : عثمان بن عفان فعل كذا وكذا حتى أفسد الناس ، فقدموا بلدهم وقد أفسدهم ، وأظهروا من القول ما لم يكونوا ينطقوا به)

ومما ساعد المحمدين في أمرهم تنمر المصريين من سيرة ابن أبي سرح فيهم ، وظلمه إياهم ، وقد بلغ الأمر به معهم أن يضرب بعض من شكاه إلى عثمان حتى يتوقى ، وقد أورد قصة قدوم المصريين على عثمان في شكواهم من ابن أبي سرح كل من الطبري في حديثه عن شكوى المصريين عن ابن أبي سرح فقد جاء فيه :

« وقد قد موافى كلامهم ابن عديس فذكر ما صنع ابن سعد بمصر وذكر تحاملا منه على المسلمين وأهل الذمة واستتاراً منه في غنائم المسلمين ، فأذا قيل له في ذلك قال هذا كتاب أمير المؤمنين إلي » الطبري ١١٨ ر ٥ وابن الأثير ٣ ر ٧٠ . وابن أعثم في تاريخه (٨٤) حيث قال :

(٨١) الطبري في ذكره غزوة ذات الصواري في سنة ٣١ ج ٧٠ ر ٧١ .

(٨٢) هذه الجملة في أنساب الاشراف ٥٠ ر ٥ .

(٨٣) يقصد بهم الحكم بن أبي العاص و ولده .

(٨٤) تاريخ أعثم ٤٦ - ٤٧ .

جاء إلى المدينة وفد من أشرف مصر يشكون عاملهم عبد الله بن أبي سرح ، فدخلوا مسجد الرسول فرأوا فيها جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين و الأنصار ، فسلموا عليهم ، فسألتهم الصحابة . عما أقدمهم من مصرهم ، فقالوا : ظلم والينا ، وفساده ؛ فقال لهم عليّ : لاتعجلوا في أمركم ، وأعرضوا على الإمام شكواكم ، فلعل عاملكم عمل برأيه فيكم ؛ إذهبوا إلى الخليفة و اشرحوا له ماساءكم من عاملكم ، فان انكر عليه و عذله أصبتم بغيتكم ، وإن لم يفعل و أقره على ما هو عليه رأيتم أمركم ؛ فدعاه المصريون وقالوا : أصبت القول فارجو أن تحضر مجلسنا عنده ، فقال : لا حاجة في ذلك فالأمر يتم بحضوركم عنده ، فقالوا : وان كان الأمر كذلك غير أننا نرغب أن تحضر و تشهد ، فقال عليّ : يشهدكم من هو أقوى مني وأعظم من جميع المخلوقين وأرحم على عباده ، فذهب أشرف مصر إلى دار عثمان و استأذنوا للدخول عليه ، فلما أذن لهم و دخلوا عليه أكرمهم و أجلسهم إلى جنبه ، ثم سألهم . و قال : ما الذي أقدمكم ؟ و ماذا دهاكم فقدمتم دونما رخصة مني أو من عاملي ؟

فقالوا : جئنا نستنكر منك ما يصدر منك ، و نؤاخذك بما يصدر من عاملك .
ثم ذكر ابن أعثم ماجرى بينهم من حجاج و أقوال .

محنة المسلمين و موقف علي منها

وكان نتيجة شكوى أهل مصر ما ذكره البلاذري ^(٨٥) حيث قال :

لما ولي عثمان كره و لايته نفر من أصحاب رسول الله ﷺ لأن عثمان كان يحب قومه ، فولى الناس اثنتي عشر حجة ، وكان كثيراً ما يولي من بني أمية من لم يكن مع النبي ﷺ صحبة فكان يجيء من أمرائه ما ينكره أصحاب محمد ، ﷺ و كان يستعجب فيهم فلا يعزلهم ، فلما كان في الست الأواخر استأثر ببني عمه ، فولاهم و ولي عبد الله بن سعد بن أبي سرح مصر . فمكث عليها سنين ، فجاء أهل مصر يشكونه و يتظلمون منه . . . فكتب إليه كتابا يتهدده فيه فأبى أن ينزع عثمانها عنه و ضرب بعض من شكاه إلى عثمان حتى قتله .
ولما ضاق الأمر بالمسلمين كتب من كان من أصحاب النبي بالمدينة إلى إخوانهم

في الأمصار يدعونهم إلى غزو عثمان فيما رواه الطبري وغيره^(٨٦) واللفظ للطبري قال :
 لما رأى الناس ما صنع عثمان كتب من بالمدينة من أصحاب النبي ﷺ إلى
 من بالافاق منهم وكانوا قد تفرقوا في الثغور :

إنكم إنما خرجتم أن تجاهدوا في سبيل الله عز وجل تطلبون دين محمد فان دين
 محمد قد أفسده من خلفكم وترك فہلموا ، فاقيموا دين محمد ﷺ وفي رواية ابن الأثير :
 فان دين محمد قد أفسده خليفتمكم ؛ وفي شرح ابن أبي الحديد : فاخلعوه ؛ فأقبلوا من كل
 افاق حتى قتلوه . وروى البلاذري^(٨٧) وقال :

لما كانت سنة ٣٤ كتب بعض أصحاب رسول الله إلى بعض يتشاكون سيرة عثمان
 وتغييره وتبديله وما الناس فيه من عمالة ، ويكثر عليه ويسأل بعضهم بعضاً أن يقدموا
 المدينة إن كانوا يريدون الجهاد ، ولم يكن أحد من أصحاب رسول الله ﷺ يدفع عن
 عثمان ولا ينكر ما يقال فيه إلا ، زيد بن ثابت ، وأبو أسيد الساعدي ، وكعب بن مالك بن
 أبي كعب من بني سلمة من الأنصار ، وحسان بن ثابت (*) ؛ فاجتمع المهاجرون وغيرهم إلى

(٨٦) الطبري ١١٥٥ ، وابن الأثير ٧٠٥ و ابن أبي الحديد ١٦٥١ .

و انما ذكرنا كتب أصحاب النبي الى أهل الامصار و موافاتهم بالموسم خلال بحثنا
 عن تأثيرالمحمدين في مصر وتحريضهما اياهم على عثمان لصلة الحوادث بعدها بعضهابيعض .
 (٨٧) أنساب الاشراف ٦٠٥ وراجع الطبري ٩٦٥ - ٩٧٠ وابن الاثير ٦٣٣ وابن

أبي الحديد ٣٠٣ وابن كثير ١٦٨٧ و ابي الفداء ١٦٨١ .

(*) أ - زيد بن ثابت بن الضحاك الانصارى الخزرجى ثم النجارى ، أمه النوار بنت
 مالك . وكان يكتب لرسول الله ، ثم كتب لابي بكر وعمر واستخلفه عمر و عثمان على المدينة
 فى سفرهما الى الحج ، وكان على بيت المال لعثمان ودخل عثمان يوما على زيد فسمع
 مولاه وهيب يغنى ففرض له عثمان ألفا وكان زيد عثمانيا اختلفوا فى وفاته من سنة ٤٢ الى
 سنة ٥٥ وصلى عليه مروان بن الحكم .

ب - أبو أسيد الساعدي مالك بن ربيعة بن البدن الانصارى الخزرجى شهد بدرًا
 وما بعدها عمى قبل ان يقتل عثمان اختلفوا فى وفاته .

ج - كعب بن مالك الخزرجى وأمّه ليلى بنت زيد من بنى سلمة شهد المشاهد مع
 رسول الله ﷺ خلا به روتبوك .

راجع تراجمهم فى الاستيعاب واسد الغابة والاجابة أما حسان فسياتى ترجمته ان شاء الله تعالى

عليّ فسألوه أن يكلم عثمان ويعظه فأتاه فقال له :
 إنَّ الناس ورائي قد كلّموني في أمرِك ، ووالله ما أدري ما أقول لك ، ما أعرّفك شيئاً
 تجهله ؛ ولا أدلّك على أمر لا تعرفه ؛ وإنّك لتعلم ما نعلم ؛ وما سبقناك إلى شيء فنخبرك
 عنه ؛ ولقد صحبت رسول الله ﷺ وسمعت ورأيت مثل ما سمعنا ورأينا ؛ وما ابن أبي
 قحافة وابن الخطّاب بأولى بالحقّ منك ؛ ولأنت أقرب إلي رسول الله ﷺ رحماً ؛ ولقد
 نلت من صهره ما لم ينال ؛ فالله الله في نفسك ؛ فإنّك لا تبصّر من عمي ؛ ولا تتعلّم من جهل ؛
 فقال له عثمان : والله لو كنت مكاني ما عنقتك ، ولا أسلمتک ، ولا عتبت عليك إن
 وصلت رحماً وسدّدت خلّة وآويت ضائعاً ، ووليت من كان عمر يوليه ؛ نشدتك الله : ألم
 يولّ عمر المخيرة بن شعبة وليس هناك ،
 قال : نعم .

قال : فلم تلومني إن وليت ابن عامر في رحمة وقرابته ؟
 قال عليّ : سأخبرك إن عمر بن الخطّاب كان كلّما وليّ فأنما يطأ على صماخه ،
 إن بلغه حرف جلبه ، ثمّ بلغ به أقصى الغاية ، وأنت لا تفعل ضعفت ورفقت على أقربائك ،
 قال عثمان : هم أقرباؤك أيضاً .
 فقال عليّ : لعمرى إن رحمتهم منّي لقريبة ولكنّ الفضل في غيرهم .
 قال : أولم يولّ عمر معاوية ؟

فقال عليّ : إن معاوية كان أشدّ خوفاً وطاعة لعمر من يرفاً^(٨٨) وهو الآن يبتزّ
 الأمور دونك ويقطعها بغير علمك ويقول للناس : هذا أمر عثمان ويبلغك فلا تغير ثمّ خرج .
 وخرج عثمان بعده ، فصعد المنبر فقال :

أمّا بعد ، فإنّ لكلّ شيء آفة ، ولكلّ أمر عاهة ، وإنّ آفة هذه الأمة ،
 وعاهة هذه النعمة عيباً بون طعمان يرونكم ماتحبّون ، ويسرّون لكم ماتكروهون ، مثل
 النعام يتسبعون أوّل ناعق ، أحبّ مواردهم إليهم البعيد ، والله لقد نقمت عليّ ما أفررتم
 لابن الخطّاب بمثله ، ولكنّه وطئكم برجله وخبطكم بيده ، وقمعكم بلسانه ، فدنتم له

على ما أحببتهم وكرهتم؛ وألنت لكم كنفني، وكففت عنكم لساني ويدي فأجتزأتم عليّ
فأراد مروان الكلام فقال له عثمان: أسكت.

مسير أهل الأمصار إلى عثمان.

روى البلاذري^(٨٩) وقال: التقي أهل الأمصار الثلاثة الكوفة والبصرة ومصر في
المسجد الحرام قبل مقتل عثمان بعام، وكان رئيس أهل الكوفة كعب بن عبدة النهدي،
ورئيس أهل البصرة المثنى بن المخزومة العبدي، ورئيس أهل مصر كنانة بن بشر بن عتّاب
بن عوف السكوني ثمّ التّجيبّي، فتذاكروا سيرة عثمان وتبدّله وتركه الوفاء بما أعطى
من نفسه، وعاهد الله عليه، وقالوا لا يسعنا الرضى بهذا فاجتمع رأيهم على أن يرجع كل
واحد من هؤلاء الثلاثة إلى مصره فيكون رسول من شهد مكة من أهل الخلاف على عثمان
إلى من كان على رأيهم من أهل بلده، وأن يوافقوا عثمان في العام المقبل في داره ويستعتبوه،
فان أعتب وإلا رأوا رأيهم فيه، ففعلوا ذلك.

ولمّا كانت مصر^(٩٠) اشدّ على عثمان من غيره وأراد عثمان أن يخفف من غلوائهم
أرسل إلى رئيسهم ابن أبي حذيفة بمال في ما رواه البلاذري^(٩١) أيضاً وقال: وبعث عثمان
إلى ابن أبي حذيفة بثلاثين ألف درهم وبحمل عليه كسوة فأمر به فوضع في المسجد
وقال: يا معشر المسلمين الاترون إلى عثمان يخادعني عن ديني ويرشوني عليه فازداد أهل
مصر عيباً لعثمان وطعناً عليه واجتمعوا إلى ابن أبي حذيفة فرأسوه عليهم.

إنّ دراهم عثمان لم يمنع المصريين من موافاة المدينة في مواعدهم مع أهل الأمصار
بل خرجوا من مصر مع محمد بن أبي بكر في ما رواه الطبري وقال: ^(٩٢)
فقدم محمد بن أبي بكر وأقام محمد بن أبي حذيفة بمصر فلمّا خرج المصريون خرج
عبد الرحمن عديس البلوي في خمسمائة وأظهروا أنّهم يريدون العمرة وخرجوا في رجب

(٨٩) في ص ٥٩ من ج ٥ من الانساب .

(٩٠) الطبري ١١٤ر٥ و ١١٥ .

(٩١) في ص ٥١ منه .

(٩٢) الطبري ١٠٩ر٥ .

وبعث عبدالله بن سعد رسولا سار احدى عشرة ليلة يخبر عثمان أن ابن عديس البلوي وأصحابه قد وجهوا نحوه وأن محمد بن أبي حذيفة شيعتهم إلى عجرود ثم رجع وأظهر محمد أن قال خرج القوم عمّارا وقال في السرّ خرج القوم إلى إمامهم فان نزع والاقتلوه وسار القوم المنازل لم يعدوها حتى نزلوا ذاخشب .

وقال في حديث آخر له : ثم إن عبدالله بن سعد خرج إلى عثمان في آثار المصريين وقد كان كتب إليه يستأذنه في القدوم عليه فاذن له فقدم ابن سعد حتى إذا كان بايلة بلغه ان المصريين قد رجعوا إلى عثمان وأنهم قد حصروه ومحمد بن أبي حذيفة بمصر فلما بلغ محمدا حصر عثمان وخرج عبدالله بن سعد عنه غلب على مصر فاستجابوا له فاقبل عبدالله بن سعد يريد مصر فمنعه ابن أبي حذيفة فوجه إلى فلسطين فأقام بها حتى قتل عثمان (رض) .

وروى الطبري (٩٣) بسنده إلى الزبير بن العوام قال : كتب أهل مصر بالسقيا أو بندي خشب (٩٤) إلى عثمان بكتاب ، فجاء به رجل منهم حتى دخل به عليه ، فلم يرد عليه شيئا ، فأمر به فأخرج من الدار ، وكان أهل مصر الذي ساروا إلى عثمان ستمائة رجل على أربعة الوية لها رؤس أربعة مع كل رجل منهم لواء ، وكان جماع أمرهم جميعا إلى عمرو ابن بديل بن ورقاء الخزاعي ، وكان من أصحاب النبي ﷺ و إلى عبدالرحمن بن عديس التجيبي ؛ فكان في ما كتبوا :

بسم الله الرحمن الرحيم .

أما بعد ، فاعلم أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، فالله الله ، ثم الله الله فانك على دنيا فاستتم معها آخرة ولا تنس نصيبك من الآخرة فلا تسوغ لك الدنيا ، وأعلم أننا والله لله نغضب ، وفي الله نرضى ، وإننا لن نضع سيوفنا عن عواتقنا حتى تأتينا

(٩٣) الطبري ١١١٥ - ١١٢ والبلاذري ٦٤٥ - ٦٥ وابن الاثير ٦٨٣ و شرح النهج ١٦٣١ - ١٦٤ وابن كثير ٧٢٢٧ وابن اعثم في ذكره ما نقم على عثمان و ابن خلدون ٣٩٦٢ - ٣٩٧ .

(٩٤) السقيا من أسافل أودية تهامة و ذى خشب على مسيرة ليلة من المدينة معجم

البلدان .

منك توبة مصرحة أو ضلالة مجلحة مبلجة (٩٥) ، فهذه مقالتنا لك وقضيتنا إليك ، والله عذيرنا منك والسلام .

و روى البلاذري (٩٦) وقال : و أتى المغيرة بن شعبة عثمان فقال له دعني آت القوم فانظر ماذا يريدون ، فمضى نحوهم ، فلما دنا منهم صاحوا به .

يا أعور وراءك ! يا فاجر وراءك ! يا فاسق وراءك !

فرجع ودعا عثمان عمرو بن العاص ، فقال له ائت القوم فادعهم الى كتاب الله والعتبي مما ساءهم ، فلما دنا منهم سلم ، فقالوا : لا سلم الله عليك ! إرجع يا عدو الله ! إرجع يا ابن النابغة ! فلست عندنا بأمين ولا مأمون .

فقال له ابن عمر ، وغيره : ليس لهم إلا علي بن أبي طالب فلما أتماه ،

قال : يا أبا الحسن إئت هؤلاء القوم فادعهم الى كتاب الله وسنة نبيه ،

قال : نعم إن اعطينني عهد الله وميثاقه على أنك نفي لهم بكل ما أضمنه عنك .

قال : نعم ، فأخذ علي عليه عهد الله وميثاقه على أو كد ما يكون وأغلظ . وخرج

إلى القوم .

فقالوا : وراءك !

قال : لا . بل أمامي ، تعطون كتاب الله وتعتبون من كل ما سخطتم فعرض عليهم

ما بذل .

فقالوا : أضمن ذلك عنه .

قال : نعم .

قالوا : رضينا وأقبل وجوههم وأشرافهم مع علي حتى دخلوا على عثمان وعائبه ،

فأعتبهم من كل شيء .

فقالوا : أكتب بهذا كتابا ، فكتب :

(٩٥) جلح على الشيء أقدم اقداما شديدا . وجلح في الامر صمم وركب رأسه مبلجة

واضحة بينة .

(٩٦) البلاذري ١١١٥ - ١١٢ .

بسم الله الرحمن الرحيم .

هذا كتاب من عبدالله عثمان أمير المؤمنين لمن نعم عليه من المؤمنين والمسلمين . أن لكم أن تعمل فيكم بكتاب الله و سنة نبيه . يعطى المحروم . و يؤمن الخائف . و يرد المنفي . و لا تجمر في البعوث . و يوف الفياء و علي بن أبي طالب ضمن للمؤمنين والمسلمين على عثمان بالوفاء بما في هذا الكتاب .

شهد الزبير بن العوام . و طلحة بن عبيدالله .

و سعد بن مالك أبي وقاص . و عبدالله بن عمر .

و زيد بن ثابت . و سهل بن حنيف .

و أبو أيوب خالد بن زيد . و كتب في ذي القعدة سنة ٣٥ .

و أخذ كل قوم كتاباً فانصرفوا .

و يظهر من رواية البلاذري^(٩٧) و غيره أن الخليفة كان قد كتب للمصريين خاصة

كتاباً آخر غير هذا عزل فيه ابن أبي سرح عنهم و ولي عليهم بدله محمد بن أبي بكر فقد جاء في رواية للبلاذري :

فقام طلحة إلى عثمان فكلّمه بكلام شديد ، وأرسلت إليه عائشة (رض) تسأله أن

ينصفهم من عامله ، و دخل عليه علي بن أبي طالب وكان متكلم القوم فقال له : إنما يسألك ،

القوم رجلاً مكان رجل ، و قد ادعوا قبله دماً فأعزله عنهم و اقض بينهم ، فان وجب عليه

حق فانصفهم منه . فقال لهم : إختاروا رجلاً أوّليه عليكم مكانه . فأشار الناس عليهم

بمحمد بن أبي بكر الصديق^(٩٨) فقالوا : استعمل علينا محمد بن أبي بكر . فكتب عهده

و ولاء و وجه معهم عدّة من المهاجرين و الأنصار ينظرون فيما بينهم و بين ابن أبي سرح

و شخصوا جميعاً .

و قال علي بن أبي طالب^(٩٩) لعثمان أخرج فتكلم كلاماً يسمعه الناس منك

(٩٧) أنساب الاشراف ٥ .

(٩٨) يغلب على الظن أن أم المؤمنين عائشة أخت محمد و طلحة ابن عمها وغيرهما

من بنى تيم لم يكونوا بعيدين عن هذه الاشارة .

(٩٩) عدنا الى الرواية السابقة التي ذكرنا مصادرها في الهامش ٨٩ .

ويشهدون عليه ، ويشهد الله على ما في قلبك من النزوع والإناية فإن البلاد قد تمخضت عليك ، فلا آمن ركبا آخرين يقدمون من الكوفة فتقول : يا علي إركب إليهم ! ولا أقدرك أن أركب إليهم ، ولا أسمع عذرا ؛ ويقدم ركب آخرون من البصرة فتقول : يا علي إركب إليهم ؛ فإن لم أفعل رأيتني قطعت رحلك ، واستخففت بحقك ؛

قال : فخرج عثمان فخطب الخطبة التي نزع فيها ، وأعطى من نفسه التوبة ، فقام فحمد الله ، وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال :

أما بعد أيها الناس ! فوالله ما عاب من عاب منكم شيئا أجله . وما جئت شيئا إلا وأنا أعرفه ؛ ولكنني مننتني نفسي وكذبتني وضل عني رشدي ، وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : من زل فليتب . ومن أخطأ فليتب ، ولا يتمادي في الهلكة . إن تمادي في الجور كان أبعد من الطريق وأنا أول من إتعض ؛ استغفر الله مما فعلت وأتوب إليه فمثلي نزع وتاب ، فاذا نزلت فليأتني أشرافكم فليروني رأيهم ، فوالله لئن ردني الحق عبداً لأستن بسنة العبد ، ولأذلن ذل العبد ، ولأكونن كالمرفوق . إن ملك صبر ، وأن عتق شكر وما عن الله مذهب إلا إليه ، فلا يعجزن عني خياركم أن يدنوا إلي ، فإن أبت يميني لتتابعن شمالي ،

قال : فرق الناس له يومئذ و بكى من بكى منهم ، وقام إليه سعيد بن زيد ،

فقال : يا أمير المؤمنين ليس بواصل لك من ليس معك الله الله في نفسك ، فأتمم علي ما قلت ، فلما نزل عثمان وجد في منزله مروان وسعيداً ونفراً من بني أمية ، ولم يكونوا شهدوا الخطبة ، فلما جلس قال مروان : يا أمير المؤمنين ! أتكلّم أم أصمت ؟

فقال نائلة بنت الفرافصة امرأة عثمان الكلبيّة : لابل اصمت فانهم والله قاتلوه ومؤتموه إنّه قد قال مقالة لا ينبغي له أن ينزع عنها فاقبل عليها مروان وقال :

ما أنت وذاك فوالله لقد مات أبوك وما يحسن يتوصّأ ، فقالت له : مهلا يا مروان عن ذكر الآباء تخبر عن أبي وهو غائب تكذب عليه وإن أباك لا يستطيع أن يدفع عنه ، أما والله لولا أنه عمّه وأنه يناله غمّه لأخبرتكم عنه ما لن أكذب عليه ، قال : فأعرض عنها مروان ثم قال : يا أمير المؤمنين ! أتكلّم أم أصمت ، قال : بل تكلم ، فقال مروان :

بأبي أنت وأمي والله لوددت أن مقاتلتك هذه كانت و أنت ممتنع منيع فكنت أول من رضي بها وأعان عليها ولكنك قلت ما قلت حين بلغ الحزام الطيبين ، و خلف السيل الزبي و حين أعطى الخطة الذليلة الذليل والله لإقامة على خطيئة تستغفر الله منها أجهل من توبة تخوف عليها وإنك إن شئت تقربت بالتوبة ولم تقرر بالخطيئة و قد اجتمع عليك بالباب مثل الجبال من الناس ، فقال عثمان : فأخرج اليهم فكلمهم فاني استحيى أن أكلمهم قال : فخرج مروان إلى الباب والناس ير كب بعضهم بعضا ، فقال : ماشأنكم قد جئتم لنهب شامت الوجوه كل إنسان آخذ باذن صاحبه إلا مرأيد ، جئتم تريدون أن تنزعوا ملكنا من أيدينا أخرجوا عنا أما والله لئن رمتونا ليمرن عليكم منا أمر لايسر كم ولا تحمدوا غب رأيكم إرجعوا إلى منازلكم فانا والله مانحن مغلوبين على ما في أيدينا قال : فرجع الناس وخرج بعضهم حتى أتى عليا فأخبره الخبر فجاء على عليه السلام مغضبا حتى دخل على عثمان ، فقال :

أما رضيت من مروان ولارضي منك إلا بتصرفك عن دينك وعن عقلك مثل جعل الظعينة يقاد حيث يسار به والله ما مروان بذني رأي في دينه ولا نفسه و أيم الله إني لأراه سيوردك ثم لا يصدرك و ما أنا بعائد بعد مقامي هذا طمعاتبتك أذهبت شرفك وغلبت على أمرك . فلما خرج علي دخلت عليه نائلة بنت الفرافصة إمرأته ، فقالت أتكلّم أم أسكت فقال : تكلمني . فقالت قد سمعت قول علي لك ، وإنه ليس يعاودك وقد أطعت مروان يقودك حيث شاء قال : فما أصنع ، قالت تتقى الله وحده لاشريك له و تتبع سنة صاحبك من قبلك فانك متى أطعت مروان قتلك و مروان ليس له عند الناس قدر ولا هيبة ولا محبة وإنما تركك الناس لمكان مروان ، فأرسل إلى علي فاستصلحه فان له قرابة منك وهو لا يعصى قال فأرسل عثمان إلى علي فأبى أن يأتيه ، و قال : قد أعلمته : أني لست بعائد فبلغ مروان مقالة نائلة فيه فجاء إلى عثمان فيجلس بين يديه فقال : أتكلّم أو أسكت ؟ فقال : تكلم . فقال : إن بنت الفرافصة . فقال عثمان لا تمدك منها بحرف فأسوء لك وجهك فهي والله أنصح لي منك . فكف مروان .

و أخرج الطبري^(١٠٠) بسنده إلى عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث يذكروا مروان بن الحكم قال :

قبح الله مروان خرج عثمان إلى الناس فأعطاهم الرضا و بكى على المنبر و بكى الناس حتى نظرت إلى لحية عثمان مخضلة من الدموع وهو يقول :

اللهم أني أتوب إليك ، اللهم أني أتوب إليك ، اللهم أني أتوب إليك . والله لئن ردني الحق إلى أن أكون عبداً لنا لأرضين به ، إذا دخلت منزلي . فادخلوا عليّ ، فوالله لا احتجب منكم ، ولأعطينكم ، ولأزيدنكم على الرضا ، ولأنحس مروان وزويه .

قال : فلما دخل أمر الباب ففتح و دخل بيته و دخل عليه مروان ، فلم يزل يقتله في الذروة و الغارب حتى قتله عن رأيه ، و أزاله عمّا كان يريد . فلقد مكث عثمان ثلاثة أيام ما خرج استحياءً من الناس ، و خرج مروان إلى الناس فقال : شأهت الوجوه إلا من أريد إرجعوا إلى منازلكم ، فان يكن لأمير المؤمنين إليكم حاجة بأحد منكم يرسل إليه و إلا قرّ في بيته ، قال عبد الرحمن فجئت إلى عليّ فأجده بين القبر و المنبر فأجد عنده عمار بن ياسر و محمد بن أبي بكر^(١٠١) و هما يقولان : صنع مروان بالناس و صنع قال : فأقبل عليّ عليّ .

فقال : أحضرت خطبة عثمان ؟

قلت : نعم .

قال : أفحضرت مقالة مروان للناس ؟

قلت : نعم .

قال عليّ عياذ الله يا للمسلمين ، إنني إن قعدت في بيتي قال لي : تركتني و قرأبتي و حقّي ، و إنني إن تكلمت فجاء ما يريد يلعب به مروان فصار سيقه له يسوقه حيث شاء بعد كبر السنّ و صحبة رسول الله ﷺ .

(١٠٠) الطبري ١١٢٥ و راجع ابن الاثير ٩٦٣ و قد أخرج البلاذري قسماً منه في

الانساب ٦٥٥ .

(١٠١) يظهر من هذه الرواية ان هذه الجحارة في المسجد وقعت بعد رجوع المصريين .

قال عبد الرحمن بن الأسود : فلم يَزُرْ حتى جاء رسول عثمان إئتني ، فقال علي بصوت مرتفع عال مغضب :

قل له : ما أنا بداخل عليك ولا عائد .

قال : فانصرف الرسول ، فلقيت عثمان بعد ذلك بليتين جائيا فسألت «ناتلا» غلامه : من أين جاء أمير المؤمنين ؟ فقال : كان عند علي ، فقال عبد الرحمن ابن الأسود : فغدوت فجلست مع علي عليه السلام فقال لي جاءني عثمان بارحة فجعل يقول : إنني غير عائد وإنني فاعل ، قال : فقلت له . بعد ما تكلمت به على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعطيت من نفسك ، ثم دخلت بيتك ، وخرج مروان إلى الناس فشتمهم على بابك ويؤذهم ؟ قال : فرجع وهو يقول : قطعت رحمي وخذلتني وجرأت الناس علي ، فقلت : والله إنني لأذب الناس عنك ، ولكنني كلما جئتك بهنة أظنّها لك رضى جاء بأخرى فسمعت قول مروان . قال : ثم انصرف إلى بيته فلم أزل أرى علياً منكباً عنه لا يفعل ما كان يفعل . . . الحديث :

أخرج الطبرى ^(١٠٢) بسنده إلى عكرمة مولى ابن عباس عن ابن عباس قال : لما حصر عثمان الحصر الآخر قال عكرمة : فقلت لابن عباس أو كانا حصرين فقال ابن عباس نعم الحصر الأول حصر اثنتا عشر وقدم المصريون فلقبهم عليّ بذي خشب فردهم عنه ، وقد كان والله عليّ له صاحب صدق حتى أو غر نفس عليّ عليه جعل مروان وسعيد وزووهما يحملونه عليّ عليّ فيتحمّل ويقولون : لو شاء ما كلّمك أحد ؛ وذلك أن علياً كان يكلمه وبنصحه ، ويغلظ عليه في المنطق في مروان وزويه ، فيقولون لعثمان هكذا يستقبلك وأنت إمامه وسلفه و ابن عمّه و ابن عمّته ، فما ظنك بما غاب عنك منه ، فلم يزالوا بعليّ حتى أجمع ألا يقوم دونه ، فدخلت عليه اليوم الذي خرجت فيه إلى مكة فذكرت له أن عثمان دعاني إلى الخروج ، فقال لي ما يريد عثمان أن ينصحه أحد اتخذ بطانة أهل غش ليس منهم أحد إلا قد تسيب بطانة من الأرض يأكل خراجها ويستذلّ أهلها ، فقلت له إن له رحما وحقاً فإن رأيت أن تقوم دونه فعلت ، فإنك لا تعذر إلا بذلك ، قال قال ابن عباس : فإله يعلم أنني رأيت فيه الانكسار والرقة لعثمان ، ثم إنني لأراه يؤتي إليه عظيماً . . . الحديث .

و أخرج (١٠٣) في حديث آخر له : أن عثمان صعد يوم الجمعة المنبر ، فحمد الله و أثنى عليه ، فقام رجل فقال : أقم كتاب الله ، فقال عثمان : إجلس فجلس حتى قام ثلاثا ، فأمر به عثمان فجلس ، فتحاثوا بالحصباء حتى ما ترى السماء و سقط عن المنبر و حمل فأدخل داره مغشياً عليه فخرج رجل من حجاب عثمان و معه مصحف في يده وهو ينادي : « إن الذين فارقوا دينهم و كانوا شيعالست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله » .
و دخل علي بن أبي طالب على عثمان (رض) و هو مغشي عليه و بنو أمية حوله ، فقال : مالك يا أمير المؤمنين ؟ فأقبلت بنو أمية بمنطق واحد فقالوا : يا علي أهلكتنا و صنعت هذا الصنيع بأمير المؤمنين أما والله لئن بلغت الذي تريد لنمرن عليك الدنيا فقام علي مغضبا .

و أخرج في حديث آخر (١٠٤) و قال : كتب أهل المدينة إلى عثمان يدعونه إلى التوبة ، و يحتجون و يقسمون له بالله لا يمسون له بالله لا يمسون عنه أبدا حتى يقتلوه أو يعطيهم ما يلزمه من حق الله ، فلما خاف القتل شاور نصحاء و أهل بيته ، فقال لهم : قد صنع القوم ما قد رأيتم فما المخرج ؟ فأشاروا عليه أن يرسل إلى علي بن أبي طالب فيطلب إليه أن يرددهم عنه و يعطيهم ما يرضيهم ليظاولهم حتى يأتيه امداده .
فقال : إن القوم لن يقبلوا التعليل و هم تحملي عهدا و قد كان مني في قدمتهم الأولى ما كان ، فمتى أعطهم ذلك يسألوني الوفاء به .

فقال مروان بن الحكم : يا أمير المؤمنين ! مقاربتهم حتى تقوى أمثل من مكائرتهم على القرب ، فأعطهم ماسألوك ، و طاولهم ما طاولوك فانما هم بغوا عليك فلا عهد لهم ، فأرسل إلى علي فدعاه فلما جاءه قال :

يا أبا حسن ! إنّه قد كان من الناس ما قد رأيت و كان مني ما قد علمت : و لست آمنهم على قتلي ، فارددهم عني ، فان لهم الله عزّ و جلّ أن أعتبهم من كل ما يكرهون ، و أن أعطهم من نفسي و من غيري و إن كان في ذلك سفك دمي ، فقال له علي : الناس إلى

(١٠٣) الطبرى ١١٣٥ .

(١٠٤) الطبرى ١١٦٥ - ١١٧ و ابن الاثير ٧١٣٣ - ٧٢٠ و ابن أبي الحديد ١٦٦١

عدلك أخرج منهم إلى قتلك ، وإنسى لارى قوما لا يرضون الا بالرضا و قد كنت أعطيتهم في قدمتهم الأولى عهداً من الله لترجعن عن جميع ما نقموا ، فرددتهم عنك ، ثم لم تف لهم بشيء من ذلك ، فلا تغرني هذه المرة من شيء ، فاني معطيهم عليك الحق .

قال : نعم ، فأعظمهم فوالله لا ففين لهم .

فخرج عليّ إلى الناس فقال : أيها الناس إنكم إنما طلبتم الحق فقد أعطيتموه إن عثمان زعم أنه منصفكم من نفسه و من غيره ، و راجع عن جميع ما تكرهون ، فاقبلوا منه و وكدوا عليه .

قال الناس : قد قبلنا فاستوثق منه لنا فإنا والله لا نرضى بقول دون فعل .

فقال لهم علي : ذلك لكم ، ثم دخل عليه فأخبره الخبر .

فقال عثمان : أضرب بيني و بينهم أجلا يكون لي فيه مهلة فاني لا أقدر على ردّ

ما كرهوا في يوم واحد .

قال عليّ : ما حضر بالمدينة فلا أجل فيه ، و ما غاب فأجله وصول أمرك .

قال : نعم ، ولكن أجّلني في ما بالمدينة ثلاثة أيام .

قال عليّ : نعم . فخرج إلى الناس فأخبرهم بذلك ، و كتب بينهم و بين عثمان كتابا أجّله فيه ثلاثا على أن برد كل مظلمة ، و يعزل كل عامل كرهوه . ثم أخذ عليه في الكتاب أعظم ما أخذ الله على أحد من خلقه من عهد و ميثاق ، و أشهد عليه ناسا من وجوه المهاجرين و الأ نصار ، فكف المسلمون عنه و رجعوا إلى أن يفي لهم بما أعطاهم من نفسه ، فجعل يتأهب للقتال و يستعدّ بالسلاح ، و قد كان اتّخذ جندا عظيما من رقيق الخمس ، فلما مضت الأيام الثلاثة و هو على حاله لم يغيّر شيئا مما كرهوه ، ولم يعزل عاملا ، ثاربه الناس ، و خرج عمرو بن حزم الأ نصاري حتى أتى المصريين و هم بندي خشب فأخبرهم الخبر و سار معهم حتى قدموا المدينة فأرسلوا إلى عثمان :

ألم نفارقك على أنك تائب من أحداثك ، و راجع عما كرهنا منك و أعطيتنا على

ذلك عهد الله و ميثاقه ؟

قال : بلى أنا على ذلك .

قالوا: فما هذا الكتاب الذي وجد ناعم رسولك و كتبت به إلى عاملك؟!

قال: ما فعلت و لالي علم بما تقولون!

قالوا: يريدك على جهلك، و كتاب كاتبك عليه خاتمك!

قال: أما الجمل فمسروق، و قد يشبه الخطّ الخطّ و أما الخاتم فقد انتقش عليه.

قالوا: فأننا لا نهجل عليك و إن كنا قد اتهمناك اعزل عنا عمالك الفساق،

و استعمل علينا من لايتهم على دماننا و أموالنا و اردد علينا مظالمنا.

قال عثمان: ما أراني إذناً في شيء إن كنت استعمل من هو يتم و أعزل من كرهتم.

الأمر إذناً أمركم.

قالوا: والله لتفعلن، أو لتعزلن، أو لتقتلن، فانظر لنفسك أودع، فأبي عليهم وقال:

لم أكن لأخلع سر بالاً سر بلني الله.

و قصة عثور المصريين على الكتاب في ما أخرجه البلاذري و غيره (١٠٥) و اللفظ

للبلاذري عن أبي مخنف قال: لما شخص المصريون بعد الكتاب الذي كتبه عثمان فصاروا

بأيلة (١٠٦) أو بمنزل قبلها رأوا راكباً خلفهم يريد مصر فقالوا له: من أنت؟ فقال:

رسول أمير المؤمنين إلى عبد الله بن سعد، و أنا غلام أمير المؤمنين و كان أسود. فقال بعضهم

لبعض لو أنزلناه و فتشناه ألا يكون صاحبه قد كتب فينا بشيء، ففعلوا فلم يجدوا معه

شيئاً، فقال بعضهم لبعض: خلّوا سبيله، فقال كنانة بن بشر: أما والله دون أن أنظر في

إداوته فلا. فقالوا: سبحان الله أيكون كتاب في ماء؟ فقال: إن للناس حيلاً. ثم حلّ

الإداوة فإذا فيها قارورة محتومة - أو قال مضمومة - في جوف القارورة كتاب في أنبوب من

رصاص فأخرجه فقريء فإذا فيه:

أما بعد: نازا قدم عليك عمرو بن بديل فاضرب عنقه، واقطع يدي ابن عديس، و كنانة،

(١٠٥) أنساب الاشراف ٢٦-٢٦ و ٦٩ و ٩٥ و الطبرى ١٩٩٥-١٢٠ و الرياض

التضرة ٢٣٢-١٢٥ و راجع المعارف لابن قتيبة ٨٤ و العقد الفريد ٢٦٣٢ و ابن

الاثير ٧٠٣-٧١ و ابن ابى الحديد ١٦٥١-١٦٦ و ابن كثير ١٧٣٧-١٨٩ و تاريخ

الخميس ٢٥٩٢.

(١٠٦) آخر الحجاز و أول الشام.

وعروة ، ثم دعهم يتشحطون في دمائهم حتى يموتوا . ثم أوتقهم على جذوع النخل .
 فيقال : إن مروان كتب الكتاب بغير علم عثمان ، فلما عرفوا ما في الكتاب ،
 قالوا : عثمان محل ، ثم رجعوا عودهم على بدئهم حتى دخلوا المدينة فلقوا علياً بالكتاب ،
 وكان خاتمه من رصاص ، فدخل به عليٌ علي عثمان فحلف بالله ما هو كتابه ولا يعرفه ،
 وقال : أما الخط فخط كاتبني وأما الخاتم فعلى خاتمي ، قال علي : فمن تتهم ؟ قال : أتتهمك
 واتتهم كاتبني . فخرج عليٌ مغضباً وهو يقول : بل هو أمرك .

قال أبو مخنف : وكان خاتم عثمان بدءاً عند سمران بن أبان ، ثم أخذه مروان حين
 شخص سمران إلى البصرة فكان معه .

و في رواية أخرى : ثم وجدوا كتاباً إلى عامله على مصر أن يضرب أعناق
 رؤساء المصريين ، فرجعوا ودفعوا الكتاب إلى عليٍّ فأتاه به فحلف له أنه لم يكتبه
 ولم يعلم به .

فقال له علي : فمن تتهم فيه ؟

فقال : أتتهم كاتبني و أتتهمك يا علي ! لأنك مطاع عند القوم و لم ترد هم عني .
 و جاء المصريون إلى دار عثمان فأحد قوايها ، و قالوا لعثمان و قد أشرف عليهم :
 يا عثمان ! أهذا كتابك ؟ فبجد و حلف .

فقالوا : هذا شرٌّ ، يكتب عنك بما لا تعلمه ، مامثلك يلي أمور المسلمين ، فاختلع
 من الخلافة .

فقال : ما كنت لأززع قميصاً قمصنيه الله .

و قالت بنو أمية : يا عليُّ أفسدت علينا أمرنا و دست و ألبت .

فقال : يا سفهاء ! إنكم لتعلمون أنه لاناقة لي في هذا و لا جهل ، و إنني رددت
 أهل مصر عن عثمان ثم أصلحت أمره مرة بعد أخرى ، فما حيلتي ؟ و انصرف وهو يقول :
 اللهم إنني بريء مما يقولون و من دمه إن حدث به حدث .

قال : و كتب عثمان حين حصروه كتاباً قرأه ابن الزبير على الناس - وقيل بل قرأه

الزبير و الأول أصح - يقول فيه :

والله ما كتبت الكتاب، ولا أمرت به، ولا علمت بقصته، وأنتم معتبون من كل ما ساءكم، فأمرنا على مصركم من أحببتهم، وهذه مفاتيح بيت مالكم فادفعوها إلى من شئتم،

فقالوا قد اتهمناك بالكتاب فاعتزلنا.

وفي رواية أخرى: (١٠٧) حتى إذا كانوا بالبويب وجدوا غلاما لعثمان معه كتاب إلى عبد الله بن سعد فكروا وانتهوا إلى المدينة وقد تخلّف بها من الناس الأشر وحكيم ابن جبلة فأتوا بالكتاب فأنكر عثمان أن يكون كتبه وقال: هذا مقتعل.

قالوا: فالكتاب كتاب كاتبك؟

قال: أجل، ولكنّه كتبه بغير أمرى،

قالوا: فإن الرسول الذي وجدنا معه الكتاب غلامك؟

قال: أجل ولكنّه خرج بغير إذنى،

قالوا: فالجمل بملك.

قال: أجل ولكنّه أخذ بغير علمى.

قالوا: ما أنت إلا صادق أو كاذب. فان كنت كاذبا فقد استحقت الخلع لما أمرت به من سفك دماننا بغير حقّها وإن كنت صادقا فقد استحقت أن تخلع لضعفك و غفلتك وخبث بطانتك، لأنّه لا ينبغي لنا أن نترك على رقابنا من يقطع مثل هذا الأمر دونه لضعفه و غفلته، وقالوا له: إنك ضربت رجلا من أصحاب النبي ﷺ و غيرهم حين يعظونك و يأمرونك بمراجعة الحقّ عند ما يستنكرون من أعمالك فأفد من نفسك من ضربته وأنت له ظالم،

فقال: الإمام يخطيء و يصيب فلا أقيد من نفسي لأننى لو أقدت كل من أصبته بخطأ أتى على نفسي.

قالوا: إنك قد أحدثت أحداثا عظاما فاستحقت بها الخلع، فإذا كلمت فيها أعطيت التوبة، ثمّ عدت إليها وإلى مثلها، ثمّ قدمنا عليك فأعطيتنا التوبة و الرجوع إلى

الحق ولا منا فيك محمد بن مسلمة و ضمن لنا ما حدث من أمر فاحضرته فتبرأ منك و قال :
لا أدخل في أمره ، فرجعنا أول مرة لنقطع حجّتك ونبليغ أقصى الأعداء إليك نستظهر
بالله عزّ وجلّ عليك فلحقنا كتاب منك إلى عاملك علينا تأمره فينا بالقتل و القطع
و الصلب و زعمت أنّه كتب بغير علمك و هو مع غلامك و على جملتك و بخطّ كاتبك و عليه
خاتمك فقد وقعت عليك بذلك التهمة القبيحة مع ما بلونا منك قبل ذلك من الجور في
الحكم و الأثرة في القسم ، و العقوبة للأمر بالتبسّط من الناس ، و الإظهار للتوبة ثمّ
الرجوع إلى الخطيئة ، و لقد رجعنا عنك و ما كان لنا أن نرجع حتى نخلعك و نستبدل بك
من أصحاب رسول الله ﷺ من لم يحدث مثل ما جرّبنا منك ، ولم يقع عليه من التهمة
ما وقع عليك فاردد خلافتنا و اعتزل أمرنا ، فإنّ ذلك أسلم لنا منك ، و أسلم لك منا .
فقال عثمان : فرغتم من جميع ما تريدون ؟

قالوا : نعم .

قال : - بعد الحمد و الثناء - أمّا بعد : فإنكم لم تعدلوا في المنطق و لم تنصفوا
في القضاء ، أمّا قولكم : تخلع نفسك . فلا أنزع قميصا قمصنيه الله عزّ وجلّ و أكرمني
به و خصني به على غيري ولكنني أتوب و أنزع و لأعود لشيء عابه المسلمون ، فاني والله
الفقير إلى الله الخائف منه .

قالوا : إنّ هذا لو كان أوّل حدث أحدثته ثمّ تبت منه ولم تقم عليه لكان علينا أن
نقبل منك ، و أن ننصرف عنك و لكنّه قد كان منك من الأحداث قبل هذا ما قد علمت
و لقد انصرفنا عنك في المرّة الأولى و ما نخشى أن تكتب فينا و لا من اعتلت به بما وجدنا
في كتابك مع غلامك ، و كيف نقبل توبتك ؟ و قد بلونا منك أنّك لا تعطي من نفسك
التوبة من ذنب إلا عدت إليه ، فلسنا منذر فين حتى نغزلك و نستبدل بك ، فإن حال من
معك من قومك و ذوي رحمتك و أهل الانقطاع دونك بقتال قاتلناهم حتى نخلص إليك فنقتلك
أو تلحق أرواحنا بالله .

فقال عثمان : أمّا أن أتبرأ من الإمارة فإنّ تصلبوني أحبّ إليّ من أن أتبرأ
من أمر الله عزّ وجلّ و خلافته ، و أمّا قولكم : تقاتلون من قاتل دوني . فاني لا أمر

أحدًا بقتالكم فمن قاتل دوني فإِنَّمَا قاتل بغير أمري ، ولعمري لو كنت أريد قتالكم لقد كتبت إلى الأجناد ، فقادوا الجنود ، وبعثوا الرجال أولحت ببعض أطرافي بمصر أو عراق فالله الله في أنفسكم . أبقوا عليها إن لم تبقوا عليّ : فانكم مجتلبون بهذا الأمر إن قتلتموني دما . قال : ثم انصرفوا عنه واذنوه بالحرب وأرسل إلى محمد بن مسلمة فكلّمه أن يردّهم فقال : والله لا أكذب الله في سنة مرتين وفي رواية أخرى : (١٠٨)

فقالوا : استعمل علينا محمد بن أبي بكر . فكتب عهده وولاه ووجه معهم عدّة من المهاجرين و الانصار ينظرون في ما بينهم وبين ابن أبي سرح ، فشخص محمد بن أبي بكر وشخصوا جميعا فلمّا كانوا على مسيرة ثلاث من المدينة إذا هم بغلام أسود على بعير وهو يخبط البعير خبطا كأنه رجل يطلب أو يطلب .

فقال له أصحاب محمد بن أبي بكر : ما قصّتك ؟ وما شأنك كأنك هارب أو طالب . فقال لهم مرّة : أنا غلام أمير المؤمنين وقال أخرى : أنا غلام مروان ، وجهني إلى عامل مصر برسالة .

قالوا : فمعك كتاب ؟

قال : لا . ففتشوه ، فلم يجدوا معه شيئا ، وكانت معه إداوة قد يبست فيها شيء يتقلقل فحرّ كوه ليخرج فلم يخرج فشقوا الإداوة فاذا فيها كتاب من عثمان إلى ابن أبي سرح .

فجمع محمد من كان معه من المهاجرين و الانصار وغيرهم ثم فكّ الكتاب بمحض منهم فاذا فيه :

إذا أتاك محمد بن أبي بكر و فلان و فلان ، فاحتل لقتلهم و أبطل كتاب محمد و قرّ على عمّك حتّى يأتيك رأيي ، و احبس من يجيء إليّ متظّلما منك إن شاء الله .

فلمّا قرأوا الكتاب فزعوا و غضبوا و رجعوا إلى المدينة و ختم محمد بن أبي بكر الكتاب بخواتيم نفر ممن كان معه ، و دفعه إلى رجل منهم و قدموا المدينة ، فجمعوا عليا و طلحة و الزبير و سعدا و من كان من أصحاب النبي ﷺ ثم فكوا الكتاب بمحض

منهم ، و أخبروهم بقصة الغلام و أقرأ و هم الكتاب ، فلم يبق أحد من أهل المدينة إلا حنق على عثمان ، و زاد ذلك من كان غضب لابن مسعود و عمار بن ياسر و أبي ذر حنقا و غيظا ، و قام أصحاب النبيؐ بمنزلهم ما منهم أحد إلا و هو مغتمٌ لما في الكتاب .
و حاصر الناس عثمان و أجلب عليه محمد بن أبي بكر ببني تيم و غيرهم ، و أعانه على ذلك طلحة بن عبيدالله و كانت عائشة تفرسه كثيراً . . . الحديث .

و في البدء و التاريخ^(١٠٩) : كان أشد الناس على عثمان طلحة و الزبير و محمد بن أبي بكر و عائشة و خذله المهاجرون و الأنصار و تكلمت عائشة في أمره ، و أطلعت شعرة من شعرات رسول الله ﷺ و نعله و ثيابه و قالت : ما أسرع ما نسيتم سنة نبيكم ، فقال عثمان في آل أبي قحافة ما قال و غضب حتى ما كان يدرى ما يقول ، انتهى

كان أشد الناس على عثمان رؤس آل تيم الثلاثة : أم المؤمنين عائشة و أخوها محمد ابن أبي بكر و ابن عمهما طلحة بن عبيدالله و ذكره الواقف أم المؤمنين مع عثمان شيئاً كثيراً منها ما ذكره اليعقوبي في تاريخه^(١١٠) حيث قال : كان عثمان يخطب إذ دلت عائشة قميص رسول الله و نادت : « يا معشر المسلمين هذا جلاباب رسول الله لم يبل و قد أبلى عثمان سنته » فقال عثمان : « رب اصرف عني كيدهن إن كيدهن عظيم » .

و قال ابن أعمش^(١١١) و لما رأت أم المؤمنين إتفاق الناس على قتل عثمان ، قالت له : أي عثمان خصصت بيت مال المسلمين لنفسك ، و أطلقت أيدي بني أمية على أموال المسلمين ، و وليتهم البلاد ، و تركت أمة محمد في ضيق و عسر ، قطع الله عنك بركات السماء و حرمك خيرات الأرض ، و لولا أنك تصلي الخمس لنحروك كما تنحر الإبل^(١١٢) .

فقرأ عليها عثمان : « ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح و امرأة لوط كانتا تحت عبيد من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً و قيل ادخلا النار

(١٠٩) البدء و التاريخ ٢٠٥ر٥ .

(١١٠) تاريخ اليعقوبي ١٧٥ر٢ .

(١١١) تاريخ ابن أعمش ١٥٥ .

(١١٢) ينبغي ان تكون هذه المحاوراة قبل عشور أخيها محمد بكتاب عثمان في طريق

البصرة يأمر فيها بقتلهم فانها بعد ذلك كانت تفتى بقتله غير بالية بصلاته .

مع الداخلين ، (١١٣) . إنتهى

إن هذه الكلمات الفارصة من الخليفة في أم المؤمنين عائشة ذات الطبع الحادّ والتي لم تكن لتملك نفسها عند سورة الغضب عليها ، و الكتاب الذي عثر عليه اخوها محمد في طريقه إلى البصرة و الذي فيه أمر صريح بقتله و آخرين من رفقته ممن أدركوا صحبة النبي و غيرهم من المسلمين قد رفعت بأم المؤمنين التي كانت تذهب نفسها في سبيل الدفاع عن زوي قرباها أن تصدر الفتوى الصريح بقتل الخليفة عثمان و كفره . فتقول فيه : «أقتلوا نعتلا فقد كفر» (١١٤) .

انطلقت هذه الكلمة من فم أم المؤمنين ، فانتشرت بين الناس انتشار النار في الهشيم فتلقفها منها غيرها ممن لم يكن يجزه على التفوه بمثلها و جبايرة قريش في المدينة حضر ممن سندا كرههم بعد تدبر معنى الكلمة و مغزاها .

و كلمة نعتل في ما ذكره بمعاجم اللغة :

أ - الذكر من الضباع .

ب - الشيخ الأحمق .

ج - و قالوا : كان رجل من أهل مصر طويل اللحية يسمى نعتلا .

د - و قالوا : إن نعتلا كان يهوديا بالمدينة شبه به عثمان (١١٥) إن هذه المعاني لكلمة نعتل لم تغرب عن بال أم المؤمنين ذات العارضة القويّة و إنما رمته بها بعد أن استمدت من فصاحتها و بلاغتها فرمته من قوارصها بمقدعة أصابته في الصميم ، و بقيت وصمة عليه ، و زهبت في الدهر مثلا ، و جرت بعد قولها على لسان أعدائه حتى بعد

(١١٣) الاية العاشرة من سورة التحريم و كان عثمان يعرض بها الى ما أطبق المفسرون

من ان منشأ قصة التحريم ما قامت به ام المؤمنين عائشة و أخرى معها من أمهات المؤمنين فنزلت فيهما سورة التحريم :

(١١٤) الطبرى ٤٧٧٤ ط القاهره سنه ١٣٥٧ و ابن اعثم ص ١٥٥ و ابن الاثير

٨٧٣ و ابن ابى الحديد ٧٧٢ و نهاية ابن الاثير ١٥٦٤ .

(١١٥) راجع لغة نعتل فى النهاية لابن الاثير و القاموس و تاج العروس و لسان

حياته ، فقد جاء في أبيات للأعور الشنسي : (١١٦) .

برئت إلى الرحمن من دين نعثل و دين ابن صخر أيها الرجلان
وقال محمد بن أبي سبرة بن أبي زهير القرشي * (١١٧) .

نحن قتلنا نعثلا بالسيرة إذ صد عن أعلامنا المنيرة
ولما نادى ابن العاص يوم صفين بأبيات قال فيها :
(ردوا علينا شيخنا كما كان)

أجابه أهل العراق :

أبت سيوف مذحج وهمدان بأن ترد نعثلا كما كان
ثم نادى عمرو بن العاص ثانياً : (ردوا علينا شيخنا ثم بجل)
فرد عليه أهل العراق : (كيف ترد نعثلا وقد قتل) (١١٨)

أصدرت أم المؤمنين الفتيا بقتل الخليفة وقبل هذه الفتيا إن كان هناك أمل ضئيل
في الإصلاح بين المسلمين والخليفة يقوم به علي أو غيره فإنه بعد انطلاق هذه الكلمة
من فم أم المؤمنين وإصدارها هذه الفتوى الصريحة قد وقعت الواقعة وقضى الأمر ،
وذلك لما بلغت إليه أم المؤمنين منذ عهد الشيخين من مكانة مرموقة بين المسلمين
بما كانا يعظما نها في كل شيء ويرجعان إليها في الفتيا وزاد في تأثير فتياها صدورها
في أوانها حيث بلغ السيل الزبي والحزام الطيبين (١١٩) و بعد حصول الإنشقاق بين
الأسرة الحاكمة من آل أمية في البلاد وأفراد المسلمين بكافة طبقاتهم مما أوردنا بعضا
منها وأعرضنا عن ذكر أكثرها روما للإختصار . وبعد هذه الفتيا والتي كانت الجماهير

(١١٦) الانساب ١٠٥٥ ،

(١١٧) صفين لنصرين مزاحم ص ٤٣٦ ،

(١١٨) صفين لنصرين مزاحم ٢٥٦ و ٢٥٧ و ٤٥٤ وابن ابى الحديد ٤٨٢١ و ثم بجل

أى ثم حسب . وقد قتل أى قديس .

(١١٩) قال ابن الاثير فى النهاية وفى حديث عثمان (رض) أما بعد فقد بلغ السيل

الزبي وهى جمع زبية وهى الراية التى لا يعلوها الماء . . . والحزام الطيبين كناية عن
المبالغة فى تجاوز حد الشر .

الإسلامية من الصحابة وغيرهم قد صممت على تنفيذها لم يبق أمام أحد مجال إلا في طريقين: الاعتزال أو القتال. والقتال إما في صف الخليفة المحاصر من قبل الجماهير أو في صف الجماهير الهادرة الثائرة. فاختار عليّ وسعد من أهل الشورى الاعتزال. وطلحة والزبير القتال في صف الجماهير.

انتشرت على الأفواه كلمة أمّ المؤمنين: « اقتلوا نعثلاً » فقالها غيرها لما كانوا ينقمون على عثمان وإن كانت هي (أول من سمى عثمان نعثلاً) (١٢٠) وممن قالها في حياة الخليفة جبلة بن عمرو الساعدي في ما أخرجه الطبري حيث قال: مرّ عثمان على جبلة بن عمرو الساعدي وهو بفناء داره ومعها جامعة، فقال: يا نعثل! والله لأقتلنك، ولأحملنك على قلوب جرباء ولأخرجنك إلى حرّة النار... الحديث.

وفي حديث البلاذري بعد هذا:

وأتاه يوماً بجامعة فقال: والله لأطرحنّها في عنقك، أو لتتركنّ بطانتك هذه، أطعمت الحارث بن الحكم السوق و فعلت و فعلت، و كان عثمان وليّ الحارث السوق فكان يشتري الجلب بحكمه و يبيعه بسومه، و يجبي مقاعد المتسوّقين، و يصنع صنيعاً منكرًا، فكلم في إخراج السواق من يده فلم يفعل، و قيل لجبلة في أمر عثمان و سئل الكفّ عنه فقال: والله لألقى الله غدافاً قول: إنّنا أطعنا سادتنا و كبراءنا، فأضلّونا السيل. و في حديث آخر للطبري: فلمّا مرّ عثمان سلّم فردّ القوم فقال جبلة: لم تردّون على رجل فعل كذا و كذا فقال: ثمّ أقبل على عثمان فقال: والله لأطرحنّ هذه الجامعة في عنقك أو لتتركنّ بطانتك هذه قال عثمان: أي بطانة؟ فو الله إنّني لأتخيّر الناس. فقال: مروان تخيّرته، و معاوية تخيّرته، و عبد الله بن عامر بن كريز تخيّرته، و عبد الله بن سعد تخيّرته، منهم من نزل القرآن بذمّه و أباح رسول الله دمه... الحديث (١٢١)

(١٢٠) ابن أبي الحديد ج ٧٧٢.

(١٢١) الطبري ١١٤ر٥ والبلاذري ٤٧ر٥ وراجع ابن الاثير ٧٠ر٣ وابن أبي الحديد

١٦٥ر١ و ابن كثير ١٥٧ر٧.

و هذه تراجم بعض المذكورين في الحديث ممن لم يسبق ذكرنا ترجمتهم.

١- جبلة بن عمرو الانصاري اختلفوا في نسبه وقالوا فيه: و كان فاضلاً من فقهاء ←

و ممن جبه الخليفة بهذه الكلمة الجهجهاه فيما اخرجه الطبري و البلاذري (١٢٢)

الصحابة شهد صفين مع على وسكن مصر . ترجمته في اسد الغابة ج ١ ص ٢٦٩
 ب - الحكم بن أبي العاص عم الخليفة عثمان قال البلاذري في أنساب الاشراف
 ٢٧٥ : ان الحكم ابن أبي العاص كان جارا لرسول الله (ص) في الجاهلية و كان أشد
 جيرانه أذى له في الاسلام ، و كان قدومه المدينة بعد فتح مكة و كان مغموصا عليه في دينه
 فكان يمر خلف رسول الله (ص) فيغمز به و يحكيه و يتخلىج بأنفه و فمه ، و اذا صلى قام
 خلفه فأشار بأصابعه فبقى على تخليجه و أصابته خيلة و أطلع رسول الله (ص) ذات يوم و هو
 في بعض حجر نسائه فعرفه و خرج اليه بعنزة و قال : من عذيري من هذا الوزغة للعين ،
 ثم قال : لا يساكنني ولا ولده ففر بهم جميعا الى الطائف فلما قبض رسول الله (ص) كلم
 عثمان أبابكر فيهم وسأه ردهم فأبى ذلك و قال : ما كنت لاوى طرداء رسول الله (ص)
 ثم لما استخلف عمر كلمه فيهم فقال مثل قول أبي بكر ، فلما استخلف عثمان أدخلهم المدينة
 و قال : قد كنت كلمت رسول الله فيهم وسألته ردهم فوعدني أن يأذن لهم فقبض قبل ذلك
 فأنكر المسلمون عليه ادخاله اياهم المدينة .

و قال في ص ٢٢٥ من الانساب و كان يفشى أحاديث الرسول فلعنوه و سيره الى
 الطائف و معه عثمان الازرق و الحارث و غيرهما من بنيه و قال : لا يساكنني فلم يزالوا
 طرداء حتى ردهم عثمان .

و قال في ص ٢٨ منه : و كان مما انكروا على عثمان أنه ولي الحكم صدقات قضاءه -
 حى باليمن - فبلغت ثلاث مائة ألف درهم فوهبها له حين أتاه .

و قال في ص ٢٧ و مات بالمدينة في خلافة عثمان فصلى عليه و ضرب على قبره فسقطا
 و راجع ترجمته في الاستيعاب و اسد الغابة و الاصابة .

ج - و الحارث المذكور في الحديث ابنه و المطرود معه الى الطائف .

د - عبدالله عامر بن كرز فهو ابن خال عثمان فقد كانت ام عثمان اروى بنت كرز و
 قصة توليته البصرة أن شبل بن خالد دخل على عثمان و حوله بنى أمية جلوس فقال اما فيكم
 فقير تريدون غناه ؟ اما فيكم ... اما فيكم ...

علام اقطعتم الاشعري العراق - يعنى ابا موسى الاشعري فولى عثمان عبدالله بن عامر
 و عمره ١٦ سنة .

اللفظ لعبد البر في ترجمته لشبل بن خالد في الاستيعاب .

(١٢٢) الطبرى ١١٤٥ و البلاذري ٤٧٥ - ٤٨ و الرياض النضرة ١٢٣٢ ، و ابن

الاثير ٧٠٣ و ابن أبي الحديد ١٦٥١ و ابن كثير ١٧٥٧ و الاصابة ٢٥٣١ و
 الخميس ٢٦٠٢ .

بسندهما إلى حاطب قال :

أنا أنظر إلى عثمان يخطب على عصا رسول الله ﷺ التي كان يخطب عليها أبو بكر و عمر (رض) فقال له جهجاه : قم يا نعثل ! فأنزل عن هذا المنبر . . . الحديث .
و في حديث آخر عن أبي حبيبة فقام إليه جهجاه الغفاري (١٢٣) فصاح يا عثمان ألا إن هذه شارف قد جئنا بها عليها عباءة و جامعة فانزل فلندرك العباءة و لنطرحك في الجامعة و لنحملك على الشارف ثم نظر حك في جبل الدخان .
فقال عثمان : قبّحك الله و قبّح ما جئت به قال أبو حبيبة و لم يكن ذلك منه إلا عن ملأ من الناس و قام إلى عثمان خيرته و شيعته من بني أمية فحملوه و أدخلوه الدار قال أبو حبيبة فكان آخر ما رأته فيه إنتهى . و آخر الحديث السابق : فما خرج بعد ذلك إلا خرجه أو خرجتين حتى حصر فقتل . إنتهى

حاصر الناس عثمان بعد أن لم يتنازل إلى تلبية مطالبهم و بعد أن أفتت فيه أم المؤمنين ما أفتت و تحلبوا عليه من البلاد بعد أن ضاقوا ذرعا من ولاته . و بعد أن وصلت من أم المؤمنين (كتب إلي البلاد تحرض المسلمين على الخروج عليه (١٢٤) .
« وكان طلحة قد استولى على أمر الناس في الحصار (١٢٥) و لما اشتد الأمر على عثمان أمر مروان بن الحكم و عبد الرحمن بن عتاب بن اسيد (١٢٦) فأتيا عائشة وهي تريد الحج فقالا لها .

(١٢٣) جهجاه الغفاري اختلفوا في نسبه شهد بيعة الرضوان الى بنى المصطلق تناول العصا الذي كان يخطب عليه عثمان فكسرها على ركبته فدخلت منها شظية منها فيها وبقى الجرح فيها حتى مات بعد قتل عثمان بسنة .

ترجمته في أسد الغابة ج ١ ص ٣٠٩ .

(١٢٤) الانساب ١٠٣٥ .

(١٢٥) البلاذري ٨١٥ .

(١٢٦) عبد الرحمن بن عتاب بن اسيد بن ابي العيص بن امية بن عبد شمس قتل يوم

الجمل تحت راية عائشة و قطعت يده فاختطفها نسرو فيها خاتمه فطرحها ذلك اليوم باليمامة، فعرفت يده بخاتمه .

١٨٧ - ١٩٣ نسب قریش .

لواقمت ، فلعلّ الله يدفع بك عن هذا الرجل ، «وقال مروان : ويدفع لك بكل درهم انفقته درهمين (١٢٧) .

فقلت : قد قرنت ركائبي واوجبت الحج على نفسي و والله لا افعل ! فنهض مروان وصاحبه ، ومروان يقول :

وحرّق قيس عليّ البلاد فلما اضطرت احجما

فقلت عائشة : يامروان : «الملك ترى اني في شك من صاحبك (١٢٨) ، والله لو ددت انه في غرارة من غراري هذه وانني طوّقت حملة حتى ألقيه في البحر (١٢٩) .

خرجت أم المؤمنين إلى من المدينة متوجهة إلى مكة وخرج ابن عباس (١٣٠) اميراً على الحاج من قبل عثمان فمرّ بعائشه في الصلصل (١٣١) وهي في طريقها الى مكة - فقلت : يا ابن عباس انشدك الله فانك اعطيت لسانا : ازعيلا (١٣٢) ان تخذل عن هذا الرجل (١٣٣)

(١٢٧ و ١٢٨) هذه الزيادة في تاريخ يعقوبى ١٢٤٢ .

(١٢٩) أخرج هذه الرواية كل من البلاذري في الانساب ٧٥٥ وابن أعثم ص ١٥٥ و ابن سعد في الطبقات ط . ليدن ٢٥٥٥ بترجمة مروان و ذكر في من أتى عائشة زيد ابن ثابت .

و الغرارة الجولق .

(١٣٠) عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب بن هاشم القرشي ، كنى بأبيه العباس وهو اكبر ولده ، و أمه لبابة الكبرى بنت الحارث بن حزن الهلالية ولد و النبي بالشعب من قبل الهجرة ثلاث . شهد مع علي الجمل و صفين و النهر و ان ثم و لاه البصرة . و ترك البصرة في آخر خلافة علي و ذهب الى مكة و لما وقعت الفتنة بين عبدالله بن الزبير و عبد الملك ألح ابن الزبير عليه و علي محمد بن الحنفية ان يبايعا ، فأبيا فجمع الحطب على دورهم حتى بلغ رؤس الجدر ليحرقهم فجاءتهم أربعة الاف فارس من الكوفة . و انقذتهم و خاف ابن الزبير فتعلق بأستار الكعبة و قال : أنا عائد بالبيت فمنعهم عنه ابن عباس . و توفي بالطائف سنة ثمان و ستين أو سبعين و هو ابن سبعين أو احدى و سبعين سنة .

الاستيعاب ٣٤٢٢ - ٣٤٥ و أسد الغابة ١٩٢٣ - ١٩٥ و الاصابة ٢٢٢ - ٢٦ .

(١٣١) الصلصل ؟ من نواحي المدينة على سبعة اميال منها : الحموى .

(١٣٢) ازعيلا : نشيطا القاموس ،

(١٣٣) و في الانساب ٧٥٥ .

وفي الأَنساب إِيَّاكَ أَنْ تَرُدَّ عَنْ هَذَا الطَّائِفَةِ وَأَنْ تَشْكُكَ فِيهِ النَّاسُ فَقَدْ بَأَتْ لَهُمْ بِصَائِرِهِمْ
وَأَنهَجَتْ وَرَفَعَتْ لَهُمُ الْمَنَارَ وَتَحَلَّبُوا مِنَ الْبُلْدَانِ لِأَمْرِ قَدَجَمٍّ وَقَدْرَأَيْتِ طَلْحَةَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ
قَدْ اتَّخَذَ عَلَى بِيوتِ الْأَمْوَالِ وَالخَزَائِنِ مَفَاتِيحَ فَن يَلِيسُ بِسِيرَةِ ابْنِ عَمِّهِ أَبِي بَكْرٍ .
قَالَ : قُلْتُ : يَا أُمَّهُ لَوْ حَدَّثَ بِالرَّجُلِ حَدِيثَ مَا فَرَعَ النَّاسُ إِلَّا إِلَى صَاحِبِنَا .
فَقَالَتْ : أَيُّهَا عَمُّكَ إِنِّي لَسْتُ أَرِيدُ مَكَابِرَتَكَ وَلَا مَجَادِلَتَكَ (١٣٤) .

وَمَا رَأَى عَثْمَانَ اسْتِيْلَاءَ طَلْحَةَ عَلَى بِيوتِ الْأَمْوَالِ وَاسْتِدَادَ الْحِصَارَ عَلَيْهِ بَعَثَ
عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ نَوْفَلِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بِهَذَا الْبَيْتِ إِلَى عَلِيٍّ :
فَإِنْ كُنْتَ مَا كُولا فَكُنْ أَنْتَ آكِلِي وَالْأَفْأَدْرُ كُنِي وَمَا أَمَزِقُ (١٣٥)

وَكَانَ عَلِيًّا عِنْدَ حَصْرِ عَثْمَانَ بِخَيْبَرَ فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ وَالنَّاسُ مُجْتَمِعُونَ عِنْدَ طَلْحَةَ وَكَانَ
مَنْ لَهُ فِيهِ أَثَرٌ فَلَمَّا قَدِمَ عَلِيٌّ أَتَاهُ عَثْمَانُ وَقَالَ لَهُ :

أَمَا بَعْدَ فَنَلِيَّ حَقَّ الْإِسْلَامِ ، وَحَقَّ الْإِخَاءِ ، وَالقَرَابَةِ ، وَالصَّهْرِ ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ ذَلِكَ
شَيْءٌ وَكُنَّا فِي الْجَاهِلِيَّةِ لَكَانَ عَارَاً عَلَى بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ أَنْ يَنْتَرِعَ أَخُو بَنِي تَيْمٍ - يَعْنِي
طَلْحَةَ - أَمْرَهُمْ ،

فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ : سَيَأْتِيكَ الْخَبْرُ ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ فَرَأَى أَسَامَةَ (١٣٦) فَتَوَكَّأَ عَلَى
يَدِهِ حَتَّى دَخَلَ دَارَ طَلْحَةَ وَهِيَ رَجَسٌ (١٣٧) مِنَ النَّاسِ فَقَالَ لَهُ : يَا طَلْحَةَ مَا هَذَا الْأَمْرُ الَّذِي

(١٣٤) الطَّبْرِيُّ ج ١٤٠ ر ١٤٠٥ و ابن أَعْتَمُ ص ١٥٦ وَاللَّفْظُ لِلطَّبْرِيِّ وَالْبَلَاذُرِيِّ .
(١٣٥) أَنَسَابُ الْإِشْرَافِ ٧٨٥ ر ٧٨٥ وَ قَدَاوَرِدُ مَحَاوِرَةِ عَثْمَانَ وَعَلَى كُلِّ مِنَ الطَّبْرِيِّ ١٥٤ ر ١٥٤
وَ ابْنُ الْأَثِيرِ ٦٤٣ ر ٦٤٣ وَ الْكَنْزُ ٣٨٩ ر ٣٨٩ الْحَدِيثُ ٥٩٦٥ وَ قَدْ تَخَيَّرْنَا لَفْظَ ابْنِ الْأَثِيرِ لِأَنَّهُ
أَتَمُّ وَأَخْصَرُ ، وَ رَاجِعُ الْكَامِلِ لِلْمَبْرُودِ ص ١١ ط . لَيْدِنُ وَ زَهْرُ الْإِدَابِ ٧٥١ ر ٧٥١ ط الرَّحْمَانِيَّةُ وَ ابْنُ
أَعْتَمُ ١٥٦ - ١٥٧ .

(١٣٦) أَسَامَةُ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ وَ ابْنُ مَوْلَاهُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ وَ ابْنُ مَوْلَاتِهِ وَ حَاضَتُهُ أُمُّ
إِيْمَانَ وَ كَانَ يُسَمَّى حَبِيبَ رَسُولِ اللَّهِ (ص) أَمْرُهُ رَسُولُ اللَّهِ فِي مَرَضِهِ مَوْتَهُ عَلَى جَيْشٍ كَانَ قَدِ انْتَدَبَهُمْ
لِغَزْوِ الشَّامِ وَ اسْتَوْعَبَ فِي الْجَيْشِ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ تَوَفَى سَنَةَ ٥٤ هـ ، أَوْ ٥٨ هـ ، أَوْ ٥٩ هـ .
تُرْجِمَتُهُ فِي الْاسْتِعْيَابِ رَقْمُ ١٢ وَ اسْدَالِ الْغَابَةِ ٦٥١ - ٦٦ وَ الْإِصَابَةِ .

(١٣٧) رَجَسٌ ، الرَّجَسُ : الصَّوْتُ الشَّدِيدُ . سَحَابٌ وَرَعْدٌ رَجَسٌ ؛ شَدِيدُ الصَّوْتِ .

وقعت فيه !؟ (١٣٨)

فقال : يا ابا الحسن بعدما مس الحزام الطيبين (١٣٩) ، فانصرف علي ولم يجر اليه شيئاً حتى اتى بيت المال ، فقال افتحوا هذا الباب ، فلم يقدر علي ان يفتح فقال : اكسروه فكسر باب بيت المال ، فقال : اخرجوا امال فجملي يعطي الناس فبلغ الذين في دار طلحة الذي صنع علي ، فجمعوا يتسللون اليه حتى ترك طلحة وحده ، وبلغ عثمان الخبر فسر بذلك ثم اقبل طلحة يمشي عائدا الى دار عثمان . . . فلما دخل عليه قال : يا امير المؤمنين استغفر الله واتوب اليه اردت أمراً فحال الله بيني وبينه ، فقال : عثمان انك والله ماجئت تائبا ولكنك جئت مغلوبا بالله حسيبك يا طلحة . . .)

وروي الطبري وقال : فحصره أربعين ليلة وطلحة يصلي بالناس (١٤٠) .

وروي البلاذري وقال : لم يكن أحد من أصحاب النبي ﷺ أشدّ علي عثمان من طلحة (١٤١)

منع طلحة الماء من عثمان .

روي البلاذري (١٤٢) وقال : وكان الزبير وطلحة قد استوليا علي الأمر ومنع طلحة عثمان أن يدخل عليه الماء العذب فأرسل عليّ إلى طلحة وهو في أرض له علي ميل من المدينة أن دعه هذا الرجل فليشرب من مائه ومن بره يعني من رومة ولا تقتلوه من العطش فأبى . . . لحديث .

وقال الطبري : (١٤٣) ولما اشتد الحصار بعثمان ومنع عنه الماء أرسل عثمان إلى

(١٣٨) وفي رواية الطبري ص ١٣٩ منه ان عليا قال لطلحة : انشدك الله الازددت

الناس عن عثمان ، قال : لا والله حتى تعطى بنو امية الحق من أنفسها .

(١٣٩) أصل المثل (جاوز الحزام الطيبين) و الطبي : حلمة الضرع ، وهو كناية عن

المبالغة في تجاوز حد الشر والاذى .

(١٤٠) الطبري ١١٧٥

(١٤١) الانساب ٨١٥

(١٤٢) الانساب ٩٠٥

(١٤٣) الطبري ١١٣٥

عليّ: يستسقيه فجاء فكلم طلحة في أن يدخل عليه الروايا وغضب غضباً شديداً حتى دخلت الروايا على عثمان) وقال البلاذري (١٤٤) فحاصر الناس عثمان ومنعوه الماء فأشرف على الناس فقال: أفيكم عليّ؟ فقالوا: لا، فقال: أفيكم سعد؟ فقالوا: لا، فسكت، ثم قال: ألا أحد يبلغ عليّاً فيسقيننا، فبلغ ذلك عليّاً فبعث إليه بثلاث قرب مملوءة فما كادت تصل إليه وجرح بسببها عدّة من موالي بني هاشم وبني أميّة، حتى وصلت إليه) ومرّ بمجمّع بن جارية الانصاري (١٤٥) بطلحة عبيدالله فقال: يا مجمّع ما فعل صاحبك؟ قال أظنكم والله قاتليه!

فقال طلحة: فان قتل فلا ملك مقرب ولا نبيّ مرسل (١٤٦).
وروى الطبري (١٤٧) عن عبدالله بن عباس ابن أبي ربيعة أنه قال: دخلت على عثمان فتحدثت عنده ساعة ثم أخذ بيدي فاسمعني كلام من عليّ بابه فإذا منهم من يقول: ما تنتظرون به؟ ومنهم من يقول: أنظروا عسى أن يراجع. فبينما أنا وهو واقفان إذ مرّ طلحة بن عبيدالله فوقف فقال: اين ابن عديس (١٤٨).
فقيل: هاهوذا؛

قال: فجاءه ابن عديس فناجاه بشيء، ثم رجع ابن عديس فقال لأصحابه: لا تتركوا أحداً يدخل على هذا الرجل ولا يخرج من عنده فقال عثمان: اللهم اكفني طلحة بن

(١٤٤) الانساب ٦٨٥ - ٦٩٠.

(١٤٥) مجمع بين جارية بن عامر الانصاري الاوسى و كان أبوه ممن اتخذ مسجد الضرار و كان هو غلاما حدثا قد جمع القرآن على عهد رسول الله (ص) الا سورة او سورتين .

ترجمته في اسد الغابة ج ٣٠٣ - ٣٠٤ .

(١٤٦) الانساب ٧٤٥ .

(١٤٧) الطبري ١٢٢٥ و ابن الاثير ٧٣٣ .

(١٤٨) هو عبد الرحمن بن عديس البلوى .

و كان ممن بايع النبي تحت الشجرة و شهد فتح مصر واختط بها . وكان ممن سار الى عثمان من مصر . وسجنه معاوية بعد بفلسطين وقتل سنة ٣٦ هـ بعد أن هرب من السجن .
الاصابة حرف العين القسم الاول ص ١٧١ ج ٤ .

عبيد الله فإنه حمل عليَّ هؤلاء وألبهم . والله أنبي لأرجوان يكون منها صفرأ وان يسفك دمه ،
انه انتهبك مني مالا يحل له . . . قال ابن عباس : فأردت ان اخرج فمنعوني حتى مر بي
محمد بن ابي بكر ، فقال : خلوا سبيله فخلوني . . .
وبلغ علياً ان القوم يريدون قتل عثمان . . . فقال للحسن والحسين اذهبا بسيفيكما
حتى تقوما على باب عثمان فلا تدعا أحداً يصل اليه . . .

فغضب الحسن بالدماء على بابه وشجَّ قنبر مولى عليٍّ فلمَّا رأى ذلك محمد بن
ابي بكر خشي أن يغضب بنو هاشم لحال الحسن والحسين فيثيروها فتنه ، فأخذ بيد رجلين
فقال لهما ؛ إن جاءت بنو هاشم فرأت الدماء على وجه الحسن كشفوا الناس عن عثمان وبطل
ماتريدون ولكن مروا بنا حتى تتسور عليه الدار فنقتله من غير أن يعلم فتسور محمد
وصاحبه من دار رجل من الأنصار حتى دخلوا على عثمان وما يعلم أحد ممن كان معه
لأنهم كانوا فوق البيوت ولم يكن معه إلا امرأته ، فقال محمد بن ابي بكر : أنا ابدأ كما
بالدخول فاذا أنا ضبطته فادخلا فتوجأه حتى تقتلاه ، فدخل محمد فأخذ بلحيته ، فقال عثمان :
لورأك أبوك لساءه مكانك منسي ، فمراخت يده ودخل الرجلان فتوجأه حتى قتلاه (١٤٩) .
وفي رواية لابن أبي الحديد : أن طلحة كان يوم قتل عثمان مقنعاً بثوب استتر به
عن أعين الناس يرمي الدار بالسهم .

وروى أيضا . أنه لما امتنع على الذين حصروه الدخول من باب الدار حملهم
طلحة إلى دار لبعض الأنصار فأصعدهم إلى سطحها وتسوروا منها على عثمان داره
فقتلوه (١٥٠) .

وروى الطبري (١٥١) : أنهم دخلوا دار عمرو بن حزم - وكانت إلى جنب دار عثمان -
فنا وشوهم شيئاً من مناوشة ؛ وقال : فوالله مانسينا أن خرج سودان بن حمران فأسمعه
يقول : أين طلحة بن عبيد الله قد قتلنا ابن عفان .

(١٤٩) أنساب الاشراف ٦٩٥ وذكر فعل محمد بن أبي بكر هذا كل من الطبري

في ج ١١٨٥ .

(١٥٠) ابن ابي الحديد ٤٠٤٢٢ .

(١٥١) الطبري ج ١٢٢٥ .

وقال البلاذري (١٥٢): انّ عليّاً لما بلغه الخبر جاء وقال لابنيه: كيف قتل وأنتما على الباب فلطم هذا وضرب صدر ذاك وخرج وهو غضبان يرى أن طلحة أعان على ما كان فلقية طلحة، فقال: مالك يا أبا الحسن؟ فقال عليك لعنة الله أيقتل رجل من أصحاب رسول الله... فقال طلحة: لودفع مروان لم يقتل... وخرج علي فأتى منزله...

دفن الخليفة .

إتفقت الروايات على أن عثمان ترك ثلاثاً لم يدفن حتى توسّط علي في ذلك (١٥٣) روى الطبري: أنّهم كلّموا عليّاً في دفنه وطلبوا إليه أن يأذن لأهله ذلك، ففعل وأذن لهم علي، فلمّا سمع بذلك قعدواله في الطريق بالحجارة وخرج به ناس يسير من أهله وهم يريدون به حائطاً بالمدينة يقال له حشّ كو كب كانت اليهود تدفن فيه موتاهم؛ فلمّا خرج به على الناس رجموا سريره وهمّوا بطرحه؛ فبلغ ذلك عليّاً، فأرسل اليهم يعزم عليهم ليكفّن عنه ففعلوا، فانطلق به حتى دفن في حشّ كو كب؛ فلمّا ظهر معاوية بن ابي سفيان على الناس أمر بهدم ذلك الحائط حتى افضى به إلى البقيع؛ فأمر الناس ان يدفنوا موتاهم حول قبره حتى اتصل ذلك بمقابر المسلمين .

وفي حديث آخر له قال: دفن عثمان (رض) بين المغرب والعتمة ولم يشهد جنازته إلا مروان بن الحكم وثلاثة من مواليه وابنته الخامسة فناحت ابنته ورفعت صوتها تندبه، وأخذ الناس الحجارة وقالوا: نعثل، نعثل، وكادت ترجم... الحديث (١٥٣).

بيعة علي .

قتل عثمان ورجع إلى المسلمين أمرهم وانحلّوا من كل بيعة سابقة يوثقهم فتهافتوا عليّ ابن أبي طالب يطلبون يده للبيعة قال الطبري (١٥٤) فأتاه أصحاب رسول الله

(١٥٢) الانساب ٦٩٥ - ٧٠ .

(١٥٣) الطبري ١٤٣٥ - ١٤٤٤ وابن الاثير ٧٦٣ وابن اعثم ١٥٩ وراجع الرياض

النضرة ١٣١٢ - ١٣٢ .

(١٥٤) الطبري ١٥٢٥ - ١٥٣ و راجع الكنز ١٦١٣ الحديث ٢٤٧١ فانه

يروى تفصيل بيعة علي و مجى طلحة والزبير اليه و امتناعه عن البيعة... وكذلك حكاه

ابن اعثم بالتفصيل في ص ١٦٠ - ١٦١ من تاريخه .

الرسول ﷺ ، فقالوا : إن هذا الرجل قد قتل ولا بد للناس من إمام ولا نجد اليوم أحقّ بهذا الأمر منك ، لا أقدم سابقة ، ولا أقرب من رسول الله ﷺ فقال : لا تفعلوا فأنسي أكون وزيراً خير من أن أكون أميراً ، فقالوا : لا والله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك . قال : ففي المسجد فإن بيعتي لا تكون خفياً ولا تكون إلا عن رضى المسلمين . . .

و روى بسند آخر وقال : اجتمع المهاجرون والانصار فيهم طلحة والزبير فاتوا علياً .

فقالوا : يا ابا الحسن ، هلّم نبايعك ، فقال : لا حاجة لي في أمركم أنا معكم فمن اخترتم فقد رضيت به ، فاختروا والله ، فقالوا : والله ما نختار غيرك ، قال : فأختلفوا اليه بعد ما قتل عثمان (رض) مراراً ثم أتوه في آخر ذلك ، فقالوا له : إنه لا يصلح الناس إلا بامر وقطال الأمر فقال لهم : انكم قد اختلفتم إلي وأتيتهم وإنسي قائل لكم قولاً إن قبلتموه قبلت أمركم وإلا فلا حاجة لي فيه .

قالوا : ما قلت قبلناه إن شاء الله ، فجاء فصعد المنبر فاجتمع الناس إليه فقال إنسي قد كنت كارهاً لأمركم فأبتمت إلا أن أكون عليكم . ألا وإنه ليس لي أمر دونكم ، ألا إن مفاتيح مالكم معي . ألا وإنه ليس لي أن آخذ منه درهما دونكم ، رضيتم ؟ قالوا : نعم .

قال : اللهم اشهد عليهم . ثم بايعهم على ذلك .

و روى البلاذري^(١٥٥) وقال : وخرج علي فأتى منزله ، وجاء الناس كلهم يهرعون إلى علي ، أصحاب النبي وغيرهم ، وهم يقولون : « إن أمير المؤمنين علي » حتى دخلوا داره ، فقالوا له : نبايعك ، فمد يده فأنه لا بد من أمير ، فقال علي : ليس ذلك إليكم إنما ذلك إلى أهل بدر فمن رضي به أهل بدر فهو خليفة ، فلم يبق أحد من أهل بدر إلا أتى علياً ، فقالوا : ما نرى أحداً أحقّ بهذا الأمر منك . . . فلما رأى علي ذلك صعد المنبر و كان أول من صعد إليه فبايعه طلحة بيده ، وكانت إصبع طلحة شلاء فتطير منها

(١٥٥) الانساب ٧٠٥ و قد روى الحاكم في المستدرک ١١٤٣ تشاوم على من

عليّ و قال : ما أخلقه أن ينكث .
 و روى الطبري (١٥٦) : أن حبیب بن ذؤیب نظر إلى طلحة حين بايع فقال : أول
 من بدأ بالبيعة يد شلاء لا يتم هذا الأمر . . . إنتهى
 و بينا الناس في المدينة يتشائمون من مباداة البيعة بيد طلحة الشلاء كانت عائشة
 في طريقها إلى مكة و بمكة تتفاعل بتسابق الناس إلى بيعة تلك اليد الشلاء و قد كانت
 تننسم أخبار المدينة بتلهف شديد و قد روى الطبري (١٥٧) أنه قدم على أم المؤمنين مكة
 رجل يقال له : الأخضر ، فقالت : ما صنع الناس ؟

فقال : قتل عثمان المصريين !
 فقالت : إننا لله و إننا إليه راجعون ، أيقتل قوماً جاؤا يطلبون الحق و ينكرون
 الظلم والله لا نرضى بهذا ، ثم قدم آخر .
 فقالت : ما صنع الناس ؟
 قال : قتل المصريون عثمان !
 قالت : العجب لأخضر زعم أن المقتول هو القاتل ، فكان يضرب به المثل ، «ا كذب
 من أخضر» .

و قال البلاذري (١٥٨) : فلما بلغها أمره وهي بمكة أمرت بقبعتها فضربت في المسجد
 الحرام و قالت : إنني أرى عثمان سيسأم قومه كما سأم أبو سفيان قومه يوم بدر .
 و قد روي عن طرق مختلفة (١٥٩) أن عائشة لما بلغها قتل عثمان وهي بمكة قالت :
 أبعد الله ذلك بما قدمت يداه و ما الله بظالم للعبيد ، وكانت تقول : أبعد الله ، قتله زنبه ،
 و أقاده الله بعمله ، يا معشر قريش لا يسومنكم قتل عثمان كما سام أهر ثمود قومه ،

١٥٦) الطبري ١٥٣ر٥

١٥٧) الطبري ١٦٦ر٥

١٥٨) الانساب ٩١ر٥ و كنز العمال ١٦١ر٣ الخلافة والامارة .

١٥٩) كالمداثني في كتابه الجمل ، و ابومخنف لوط بن يحيى على رواية ابن ابي

الحديد عنهما في شرحه (و من كلام له بعد فراغه من حرب الجمل في ذم النساء معاشر الناس
 النساء نواقص الايمان) ج ٦ من تجزئة المؤلف ج ٧٦ر٢ ط . مصر .

إنَّ أحقَّ الناس بهذا الأمر ذو الإصبع . ثمَّ أقبلت مسرعة إلى المدينة وهي لا تشك في أنَّ طلحة هو صاحب الأمر ، وكانت تقول : بعداً لنعثل و سحقا ، إيه ذا الإصبع ، إيه أباشيل ، إيه ابن عمِّ ، لله أبوك أما إنهم وجدوا طلحة لها كفواً ، لكأنِّي أنظر إلى إصبعه وهو يبائع ، حشوا الابل و دعدعوها (١٦٠) .

و لما انتهت إلى سرف (١٦١) في طريقها إلى المدينة لقيها عبيد بن أمِّ كلاب (١٦٢)

فقال له :

مهيم ؟

قال : قتلوا عثمان (رض) ثمَّ مكثوا ثمانية .

قالت : ثمَّ صنعوا ماذا ؟

قال : أخذها أهل المدينة بالإجماع فجازت بهم الأمور إلى خير مجاز اجتمعوا

إلى عليِّ بن أبي طالب ، فقالت :

و الله ليت أن هذه انطبقت على هذه إن تمَّ الأمر لصاحبك ، ويحك انظر ما تقول !!

قال : هو ما قلت لك يا أمَّ المؤمنين ، فولولت ، فقال لها : ما شأنك يا أمَّ المؤمنين

و الله لا أعرف بين لا بتيها (١٦٣) أحداً أولى بها منه ولا أحقَّ ولا أرى له نظيراً في جميع حالاته فلما ذا تكرهين ولايته . انتهى

صاحت أمَّ المؤمنين : ردوني . ردوني . فانصرفت إلى مكة وهي تقول : قتل والله عثمان

مظلوماً ، و الله لأطلبنَّ بدمه ! فقال لها ابن أمِّ كلاب : و لم ؟ فوالله إنَّ أوَّل من أمار

حرفه لأنت فلقد كنت تقولين ، اُقتلوا نعثلا فقد كفر ، قالت :

(١٦٠) دعدعوها : حر كوها .

(١٦١) سرف على بعد ٦ ، أ ، ٧ ، أ ، ١٠ ، أ ، ١٢ من مكة .

(١٦٢) هو عبيد بن ابى سلمة اللثبي ينسب الى أمه ، و قد روى مادار بينهما وبين

عبيد كل من الطبرى ج ١٧٢ ر ٥ وابن الاثير ٣ ر ٨٠ و كنز العمال ٣ ر ١٦١ و ابن سعد

بترجمة عبيد بن ام كلاب مختصرا .

(١٦٣) لا بتيها مفرد هالابة واللابة الحرة وفي الحديث ان النبي حرم ما بين لا بتي

المدينة وهما حرتان يكتنفانها لسان العرب . و مهيم كلمة استفهام و من معانيها ماوراءك ؟

إنهم استتابوه ثم قتلوه ، و قد قلت و قالوا ، و قولي الأخير خير من قولي الأول ، فقال لها ابن أم كلاب :

و منك الرياح و منك المطر	فمنك البداء و منك الغير
و قلت لنا أنه قد كفر	و أنت أمرت بقتل الامام
و قاتله عندنا من أمر	فهبنا أطعناك في قتله
و لم تنكسف شمسنا و القمر	و لم يسقط السقف من فوقنا
يزيل الشبا و يقيم الصعر (١٦٤)	و قد بايع الناس ذاتدراً
و ما من وفي مثل من قد غدر	و يلبس للحرب أثوابها

فانصرفت إلى مكة فنزلت على باب المسجد فقصدت الحجر فتسترت و اجتمع إليها الناس ، فقالت :

يا أيها الناس إن عثمان قتل مظلوماً و الله لأطلبن بدمه .) و كانت تقول : يا معشر قريش إن عثمان قد قتل ، قتله علي بن أبي طالب ، و الله لأنملة - أو قالت - للميلة من عثمان خير من علي الدهر كله (١٦٥)

علي و المتخلفون عن بيعته

و تخلف عن البيعة عبد الله بن عمر ، و محمد بن مسلمة ، و أسامة بن زيد ، و حسان بن ثابت ، و سعد بن أبي وقاص ، فجاء عمار و الأشر إلى علي فقال عمار : يا أمير المؤمنين قد بايعك الناس كافة إلا هؤلاء النفر فلو دعوتهم إلى البيعة كي لا يتخلفوا في ذلك عن المهاجرين و الأنصار .

(١٦٤) « ذوتدراً » : ذوعز و منعة و الرجل المدافع عن حماه . « الشبا » : العلو .

« الصعر » امالة الخد عن النظر الى الناس تهاونا و كبراً .

(١٦٥) في رواية البلاذري من الانساب ٩١٥ .

و روى ابو مخنف عن قيس بن ابي حازم انه حج في العام الذي قتل فيه عثمان و كان مع عائشة ثم ذكر قريبا ممامرانفا راجع ابن ابي الحديد في شرحه و من كلام له بعد فراغه من الجمل و روى ايضا انها لما بلغت البيعة على قالت : تعسوا ، تعسوا ، لا يردون الامر في تيم ابداء .

فقال : يا عمار ! لا حاجة لنا في من لا يرغب فينا ؛

فقال الأشر : إن هؤلاء وإن كانوا سبقوا بعضنا إلى رسول الله غير أن هذا الأمر يجب أن يجمعوا عليه و يرغبوا فيه . . .

فقال علي : يا مالك ! إنني أعرف بالناس منك ، دع هؤلاء يعملوا برأيهم .
فجاء سعد إلى علي وقال : و الله يا أمير المؤمنين لا ريب لي في أنك أحق الناس بالخلافة و أنك أمين على الدين و الدنيا غير أنه سينازعك على هذا الأمر . أناس ، فلورغبت في بيعتي لك إعطني سيفاً له لسان ، يقول لي : خذ هذا ، ودع هذا .

فقال علي : أترى أحداً خالف القرآن في القول أو العمل لقد بايعني المهاجرون و الأنصار على أن أعمل فيهم بكتاب الله و سنة نبيه فإن رغبت بايعت و إلا جلست في دارك فأنني لست مكرهك عليه . انتهى (١٦٦) .

أمّا من تخلّف من بني أمية فقد ذكروا عن بيعتهم ما قاله اليعقوبي (١٦٧) في تاريخه حيث قال :

إن مروان بن الحكم و سعيد بن العاص و الوليد بن عقبة حضروا عند علي - فقال الوليد و كان لسان القوم : يا هذا ! إنك قد وترتنا جميعاً أمّا أنا ، فقد قتلت أبي صبراً يوم بدر ، و أمّا سعيد ، فقد قتلت أباه يوم بدر ، و كان أبوه ثور قريش ، و أمّا مروان فقد شتمت أباه و عبت على عثمان حين ضمّه إليه ، و إنّنا نبايعك على أن تضع عنّا ما أصبنا و تعفي لنا عمّا في أيدينا و تقتل قتلة صاحبنا ، فغضب علي و قال :

« أمّا ما ذكرت من وتري إيّاكم فالحق و تروكم ، و أمّا وضعي عنكم عمّا في أيديكم ممّا كان لله و للمسلمين فالعدل يسعكم ، و أمّا قتلي قتلة عثمان فلو لزمني قتلهم اليوم لزمني قتالهم غداً ، ولكن لكم أن أمهلكم على كتاب الله ، و سنة نبيه . فمن ضاق الحق عليه ، فالباطل عليه أضيق . و إن شئتم فالحقوا بملاحقكم » ،
فقال مروان : « بل نبايعك ، و نقيم معك . فترى و ترى .

(١٦٦) تاريخ أعمش ص ١٦٣ .

(١٦٧) اليعقوبي ح ١٢٥ ر ٢٢ و المسعودي عند ذكره بيعة علي و ابن أعمش ص ١٦٣ -

١٦٤ و اللفظ لليعقوبي .

غايتنا من عرض هذه الحوادث

لا يهمننا من عرض هذه الحوادث ما يهيم الكتاب العقائديون - المتكلمون - من هجوم و دفاع ، أو مدح و ذم ، ولا نبحت بحث الفقيه عن حكم قتل الخليفة و قاتله في الشريعة الإسلامية . و صواب اجتهاد أم المؤمنين أو خطأه ، و لسنا بصد سرد الوقائع التاريخية لنلّم بها من جميع نواحيها . ليس كل ذلك ما يهمننا ، وإنما يهمننا من هذا العرض ما يكون سبباً مهاداً لفهم أحداث أم المؤمنين من حيث دراسة شخصيتها كما ذكرنا ذلك غير مرة ، و لذلك فقد ذكرنا حواشي لا تتصل بموضوع بحثنا كالاتي نقيم فيها على عثمان مما لم يكن لأم المؤمنين فيها دور مذكور ؛ و أوجزنا ذكر غيرها مما لا يتصل ببحثنا إتصلاً مباشراً كواقعة الدار ، و بيعة علي إلى نظائرها السابقة الذكر أو الآتية ، مما ذكرناها لا تتصلها ببعض الأبحاث التي نروم بحثها ، و لما فيها من مواقف لأفراد من أسرة أم المؤمنين كأخيها محمد و ابن عمها طلحة ، مما نريد أن نعرف منها مدى مقدرة أم المؤمنين السياسية ، و عظم نفوذها في الناس ، و خبرتها بما يؤثر في النفوس ، و كيف أنها استطاعت أن تزعزع من كيان خليفتي من الراشدين ، فأفتت بقتل خليفة قتل ، و أنه لولاها لما تعدى الأمر من حصره إلى قتله ، و لم يجرأ أحد على إراقة دم الخليفة ، و هتك حرمة الخلافة ، و كيف انقلبت من مقتية بقتله إلى طالبة بثأره بعد فشلها في خطتها المدبرة بتأمير ابن عمها طلحة ؛ و كيف استطاعت أن تبرئ القاتل و تجعله مطالباً بثأر القاتل من أذب الناس عنه ؛ و كيف استطاعت أن تجمع بين القاتلين و الموتورين في جيش واحد ؛ و كيف استطاعت أن تنتهم علياً بقتل عثمان و كان أنصح الناس له و أجدهم نفعاً في الدفاع عنه ؛ و كيف استطاعت أن تثور المسلمين على علي مع سوابقه الشهيرة ؛ هذه المقدره السياسيّة الفذّة في التاريخ إمتازت بها أم المؤمنين على غيرها . و لم يعن إلى اليوم بدراستها دراسة موضوعيّة صحيحة (١٦٨)

(١٦٨) قد اصدر بعض العلماء الباحثين دراسات عن أم المؤمنين غير أنهم استندوا في جل أبحاثهم التاريخية ، و محكماتهم الحديثية الى موضوعات سيف المتهم بالزندقة فجاءت دراساتهم التي أجهد و افياها أنفسهم زهاء عشر سنوات و باللاسف مغلوطة من أساسها ، و ليتهم يراجعون كتاب عبدالله بن سبأ ليطلعوا على زيف أحداث سيف ، ثم يعودوا الى هذه الدراسات من جديد ، فيتحفونا بدراسة صحيحة حقة غير مجحفة .

فنسأل الله أن يوفّقنا إلى السّير في هذا الطريق وإكماله .

بواعث حرب الجمل

اضطرّ طلحة و الزبير تحت ضغط الرأي العام أن يقطعاً أمّلهما في الخلافة ، و يبادرا إلى بيعة عليّ قبل غيرهما ليمنّا بذلك عليه ، و يكون لهما السّهم الأوفر في عهده ، غير أنّه لم يميّز بينهما و بين الآخرين من أفراد المسلمين ، فخاب فألّهما ، وضاع أمّلهما في عليّ ، و كانا يراجعا نيه في ما كانا يبتغيان من الحظوة بالأمر على ما ذكره اليعقوبي (١٦٩) في تاريخه و قال : أتاه طلحة و الزبير ، فقالا : إنّنا قد فالتنا بعد رسول الله جفوة فأشر كنا في أمرك ، فقال :

« أنتما شريكاي في القوة و الاستقامة و عوناي على العجز والأود ؛

و روى بعضهم : أنّه وليّ طلحة اليمن و الزبير اليمامة و البحرين ، فلمّا دفع

إليهما عهديهما ، قال له : وصلتك رحم ، قال :

« و أنتما وصلتكما بولاية أمور المسلمين » و أستردّ العهد منهما ، فعتبا من ذلك و قالوا : « آثرت علينا » فقال : « لولا ما ظهر من حرصكما فقد كان لي فيكما رأي » (١٧٠)

و في الطبري (١٧١) : و سأل طلحة و الزبير ان يؤمّرهما على الكوفة و البصرة

فقال : « تكونان عندي فاتجمّل بكما فأنّي وحش لفراقكما » و قد اورد ابن أبي الحديد في شرح النهج (١٧٢) تفصيل ما دار بينهما و بين ابن ابي طالب و أنّه كيف تلقّيا مساواة

عليّ بين المسلمين في العطاء عند ما وزّع بيت المال على المسلمين فأعطى لكلّ واحد منهم ثلاثة دنانير سواء الطولى و العربيّ خلافا لما كان عليه الأمر في عهد الخليفة عمر وما دار من كلام و احتجاج حول ذلك (١٧٣) .

(١٦٩) اليعقوبي عند ذكره كيفية بيعة علي من تاريخه ص ١٢٦ .

(١٧٠) كان النبي لا يولى الحريص على الامارة البخارى ج ١٥٦ ر٤ و مسلم ج ٦ ر٥ .

(١٧١) الطبري ١٥٣ ر٥ و ابن كثير ج ٢٢٧ ر٧ - ٢٢٨ .

(١٧٢) شرح النهج ج ١١ من تقسيم المؤلف .

(١٧٣) راجع تاريخ اعثم ص

و روي الطبري ^(١٧٤) ان طلحة قال : « مالنا من هذا الأمر إلا كالحسنة الكلب أنفه) .
 بقي طلحة و الزبير في المدينة أربعة أشهر يراقبان علياً من قريب ، حتى إذا أيسا
 منه و بلغهما موقف أم المؤمنين بمكة عزموا على الخروج من المدينة ، فأتيا علياً ، فقالا :
 إنا نريد العمرة ، فأذن لنا في الخروج ، فقال علي لبعض أصحابه : « والله ما أرادا
 العمرة ، و لكنهما أرادا الغدرة » ^(١٧٥) فأذن لهما في الخروج بعد أن جددا له البيعة
 فخرجا من المدينة ، و التحقوا بر كبا أم المؤمنين عائشة .

كما التحق بر كبا بنو أمية ، فانهم كانوا يتر بصون في المدينة ، فلما بلغهم مجاهرة
 أم المؤمنين بالخلاف على علي ، غادروا المدينة الى مكة و التحق بها أيضا ولاة عثمان
 الذين عزلهم علي عن الأوصار ، و هم يحملون معهم من اموال المسلمين ما يحملون .
 أخرج الطبري ^(١٧٦) عن الزهري انه قال : ثم ظهرا يعني طلحة و الزبير إلى
 مكة بعد قتل عثمان بأربعة اشهر ، و ابن عامر بها يجر الدنيا ، و قدم يعلى بن أمية معه
 بمال كثير ، و زيادة على اربعمائة بعير ، فاجتمعوا في بيت عائشة (رض) ، فاداروا الرأي ،
 فقالوا : نسير إلى علي فنقاتله ، فقال بعضهم : ليس لكم طاقة باهل المدينة و لكننا نسير
 حتى ندخل البصرة و الكوفة ؛ و لطلحة بالكوفة شيعة و هوى و للزبير بالبصرة هوى
 و معونة ، فاجتمع رأيهم على أن يسيرا الى البصرة و الى الكوفة ، فاعطاهم عبدالله بن عامر
 مالا كثيراً و إبلا ، فخرجوا في سبعمائة رجل من أهل المدينة و الكوفة ، و لحقهم الناس
 حتى كانوا ثلاثة آلاف رجل .

و في رواية أخرى للطبري قال : ^(١٧٧) أعان يعلى بن أمية الزبير بأربعمائة ألف ،
 و حمل سبعين رجلاً من قريش ، و حمل عائشة (رض) على جمل يقال له : عسكر أخذه
 بشمانين ديناراً .

(١٧٤) الطبري ج ١٥٣٥ .

(١٧٥) اليعقوبي ج ١٢٧٢ و ابن اعثم ص ١٦٦ - ١٦٧ .

(١٧٦) الطبري ج ١٦٨٥ ابن عامر هو عبدالله بن عامر ابن خال عثمان و واليه على

البصرة .

(١٧٧) الطبري ج ١٦٧٥ عن عوف بن يعلى كان على اليمن فعزله على .

وقالت أم سلمة لعائشة لما همّت بالخروج: (١٧٨).

يا عائشة إنك سدة بين رسول الله ﷺ وبين أمته، حجابك مضروب على حرمة، وقد جمع القرآن ذلك فلا تمدحيه، وسكن الله عقيرك، فلا تصحريها، الله من وراء هذه الأمة، قد علم رسول الله مكانك لو أراد أن يعهد فيك عهداً، بل قد نهاك عن الفرطة في البلاد، ما كنت قائلة لو أن رسول الله ﷺ قد عارضك بأطراف الغلوات ناصتة قلوبك قعوداً من منهل إلى منهل؟! إن بعين الله مثواك! وعلى رسول الله ﷺ تعرضين، ولو أمرت بدخول الفردوس لاستحييت أن ألقى محمداً هاتكة حجاباً جعله الله عليّ، فاجعليه سترك، وقاعة البيت قبرك حتى تلقيه وهو عنك راض. وفي رواية بعده (١٧٩) - ولو أني حدثتك بحديث سمعته من رسول الله ﷺ لنهشت نهش الرقشاء المطرق والسلام. فقالت عائشه: يا أم سلمة! ما أقبلني لوعظك، وأعرفني بنصحك ليس الأمر كما تقولين ولنعم! المطلع مطلعاً أصلحت فيه بين فئتين متناجزتين (١٨٠).

و روي الطبري (١٨١) و قال :

خرج أصحاب الجمل... من مكة و أذن مروان حين فصل من مكة، ثم جاء حتى وقف عليهما فقال: على أيكما أسلمت بالأمرة و أؤذن بالصلاة.
فقال عبدالله بن الزبير: على أبي عبدالله.

(١٧٨) ابن طيفور بلاغات النساء ص ٨ و في نسخة كتبت اليها ام سلمة، و راجع

الفائق للزمحشرى ٢٩٠١ و المقدم الفريد ٦٩٣ و شرح النهج ٧٩٢ و في رواية اليعقوبي بعض الاختلاف مع ما اورده.

(١٧٩) هذه الزيادة في رواية العقد القرئيد و في الفاظه بعض الاختلاف مع رواية

ابن طيفور.

(١٨٠) «السدة»: الباب «ولاتندحيه» لاتفتحيه و توسعيه «والعقيرى» مصغر:

عقر الدار، و اصحر: خرج الى الصحراء. أى جعل الله عقر دارك لك سكننا فلا تبرحها

« و النهش » العض و « الرقشاء » الافرعى المنقطة و « المطرقة » من صفات الافرعى.

(١٨١) راجع الطبرى ١٦٨٥ - ١٦٩ حول النزاع على الصلاة و مكاملة سعيد

مع بنى أمية الاتية.

وقال محمد بن طلحة : على أبي محمد ، فارسلت عائشة (رض) الى مروان فقالت : مالك ؟ أتريد ان تفرق أمرنا ؟ ليصل ابن أختي ، فكان يصلي بهم عبدالله بن الزبير حتى قدم البصرة ، فكان معاذ بن عبيدالله يقول : والله لو ظفرنا لا فتمت ما خلى الزبير بين طلحة والأمر ولا خلى طلحة بين الزبير والأمر (١٨٢) .

ولقي سعيد بن العاص مروان بن الحكم وأصحابه بذات عرق فقال : أين تذهبون و تاركهم على أعجاز الأبل ؟! أقتلوهم ، ثم ارجعوا إلى منازلكم لا تقتلوا أنفسكم ، قالوا : بل نسير ، فلعلنا نقتل قتلة عثمان جميعاً ، فخلا سعيد بطلحة و الزبير ، فقال : إن ظفرتما لمن تجعلان الأمر أصدقاني ، قالوا : لأحدنا أينما اختاره الناس ، قال : بل اجعلوه لولد عثمان فإنكم خرجتم تطلبون بدمه ، قالوا : ندع شيوخ المهاجرين ، ونجعلها لأبنائهم ، قال : فلا أراني أسعى لأخرجها من بني عبد مناف ، فرجع ورجع عبدالله بن خالد بن أسيد (١٨٣) فقال المغيرة بن شعبة : من كان ههنا من ثقيف فليرجع . فرجع ومضى القوم معهم أبان بن عثمان ، و الوليد بن عثمان ، فاختلفوا في الطريق فقالوا : من ندعوا لهذا الأمر؟ فخلا الزبير بابنه عبدالله ، و خلا طلحة بعلمة بن وقاص الليثي ، و كان يؤثره على ولده ، فقال أحد هما : نأت الشام ، و قال الآخر : نأت العراق ، و حاور كل منهما صاحبه ، ثم اتفقوا على البصرة .

(١٨٢) و في طبقات ابن سعد ج ٢٣ ر ٥ بترجمة سعيد ولم يذكر قول سعيد ان ظفرتما لمن تجعلان الامر .

و سعيد بن العاص هذا هو ابن سعيد بن العاص بن أمية و جده المعروف بأبي أحيحة كان من أشرف قريش و أمه أم كلثوم بنت عمرو العامرية ، قتل أباه على يوم بدر ، و كان سعيد من أشرف قريش و فصحاءهم وهو أحد الذين كتبوا المصحف لعثمان و استعمله عثمان على الكوفة بعد الوليد و لما قتل عثمان اعتزل و لم يشهد الجمل و صفين ، و كان معاوية يوليه المدينة اذا عزل عنها مروان و يولي مروان اذا عزله ، توفي سنة تسع و خمسين .
أسد الغابة ج ٣٠٩ ر ٢ - ٣١٠ .

(١٨٣) عبدالله خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية ابن أخي عتاب بن أسيد ، استعمله زياد على بلاد فارس ، و استخلفه على الكوفة زياد حين مات فصلي علي زياد و اقره معاوية على الولاية أسد الغابة ١٤٩ ر ٣ .

و أخرج في رواية الزهري قبل هذا و قال :

فبلغ علياً مسيره فأمّر على المدينة سهل بن حنيف الانصاري ، فخرج فسارحتى نزل ذاقار ، وكان مسيره إليها ثمانى ليال ، ومعه جماعة من أهل المدينة .
وروي ابن عبد البر بترجمة طلحة : في الاستيعاب (*) أن علياً قال في خطبته حين نهوضه إلى الجمل :

إنّ الله عزّ وجلّ فرض الجهاد و جعل نصرته و ناصره ، و ما صلحت دنيا ولادين إلّاه ، و إنّي بليت بأربعة أدهى الناس وأسخاهم طلحة ، وأشجع الناس الزبير ، و أطوع الناس في الناس عائشة ، و أسرع الناس إلى فتنة يعلى بن أمية (١٨٤) والله ما أنكروا عليّ شيئاً منكرأ ، و لا استأثرت بمال و لا ملت بهوى ، و انهم ليطلبون حقاً تركوه ، و دماً سفكوه ، و لقد ولوه دوني ، و ان كنت شريكهم في الإنكار لما أنكروه ، و ما تبعه عثمان إلّا عندهم ، و انهم لهم الفئة الباغية ، بايعوني ، و نكثوا بيعتي . و ما استأنوا بي حتّى يعرفوا جورى من عدلى ، و انى لراض بحجة الله عليهم ، و علمه فيهم ، و انى مع هذا لداعيتهم و معذر إليهم فإن قبلوا فالتوبة مقبولة ، و الحقّ

(*) ورواه ابن عبد ربه في ذكره الجمل من العقد الفريد مع اختلاف فى بعض ألفاظه

والاغانى ج ١١٩١١٠

(١٨٤) يعلى بن أمية بن أبى عبدة بن همام التميمى الحنظلى كنيته أبو صفوان أو أبو خالد و هو المعروف بيعلى بن منية وهى أمه منية بنت غزوان أخت عتبة بن غزوان و قيل ان منية هى بنت الحارث بن جابر عمه عتبة ، و جدة يعلى أم أبيه ، و جدة الزبير بن العوام أم أبيه .

أسلم يوم الفتح و شهد حنيناً و الطائف و تبوك و استعمله عمر على بعض اليمن فحمى لنفسه حمى فجلبه عمر فمات قبل أن يصل إليه فاستعمله عثمان على صنعاء و كان ذا منزلة عظيمة عند عثمان و لما بلغه قتل عثمان أقبل لينصره فسقط عن بعيره فى الطريق فانكسرت فخذه فقدم بعد انقضاء الحج و استشرف إليه الناس فقال : من يخرج يطلب بدم عثمان فعلى جهازه فأعان الزبير باربعمائة ألف و حمل سبعين من قريش و حمل عائشة على الجمل الذى شهدت القتال عليه ثم شهد الجمل مع عائشة ثم صار من اصحاب على و قتل معه بصفين أسد الغابة ج ١٢٨٥ - ١٢٩٠ و ترجمته فى الاستيعاب و الاصابة .

أولى ما انصرف إليه وإن أبوا أعطيتهم حدّ السيف وكفى به شافياً من باطل و ناصراً ،
 والله إن طلحة و الزبير و عائشة ليعلمون أنّي على الحقّ وهم مبطلون .
 و روي الطبري (١٨٥) أنّه لما بلغ طلحة و الزبير منزل عليّ بندي قار انصرفوا
 إلى البصرة فأخذوا على المنكر ، فسمعت عائشه (رض) نباح الكلاب فقالت :

أي ماء هذا ؟

فقالوا : الحوآب .

فقالت : إنّ الله و إنّنا إليه راجعون إنّني لهيبه ، قد سمعت رسول الله ﷺ يقول
 و عنده نساؤه : ليت شعري أيتكن تنبجها كلاب الحوآب ، فأرادت الرجوع ، فأتاها
 عبدالله بن الزبير فزعم أنّه قال : كذب من قال : إنّ هذا الحوآب ، و لم يزل بها حتى
 مضت ، فقدموا البصرة ، و لمّا انتهت عائشة و طلحة إلى حفر أبي موسى (١٨٦) قريباً
 من البصرة أرسل عثمان بن حنيف (١٨٧) و هو يومئذ عامل عليّ على البصرة الى القوم
 ابا الأسود الدئلي ، فجاء حتّى دخل على عائشة ، فسألها عن مسيرها .

فقالت : أطلب بدم عثمان .

قال : إنّهُ ليس بالبصرة من قتلة عثمان أحد !

قالت : صدقت و لكنهم مع عليّ بن أبي طالب بالمدينة و جئت استنفض أهل البصرة
 لقتاله ، أنغضب لكم من سوط عثمان و لانغضب لعثمان من سيوفكم ؟ فقال لها : ما أنت
 من السوط و السيف ؟ إنّما أنت حبيسة رسول الله ﷺ أمرك أن تقرّ في بيتك ، و تتلي
 كتاب ربك ، و ليس على النساء قتال ، و لالهنّ الطلب بالدماء ، و إنّ عليّاً لأولى
 منك و أمسّ رجماً ، فإنّهما إبنا عبدمناف . فقالت : لست بمنصرفة حتّى أهضي لما قدمت

(١٨٥) الطبري ١٧٨٥ و راجع تفصيل الحوآب في عبدالله بن سبأ ص ١٠٠-١٠٣

(١٨٦) الامامة و السياسة ٥٧١ و ابن ابى الحديد ٨١٢ .

(١٨٧) عثمان بن حنيف بن واهب بن الحكيم الانصارى الاويسى أبو عمرو و أبو

عبدالله شهد أحداً و ما بعدها استعمله عمر على مساحة العراق و استعمله على البصرة
 فبقى عليها الى أن قدمها طلحة و الزبير و عائشة و سكن عثمان بعدها الكوفة و كان حيا
 الى زمان معاوية أسد الغابة ج ٣ ص ٣٧١ .

إليه ، أفتظنُّ أبا الأسود ! أنَّ أحداً يقدم على قتالي : قال : أما والله لتقاتلنَّ قتالاً أهونه الشديد . ثمَّ قام فأتى الزبير ، فقال : يا أبا عبدالله عهد الناس بك و انت يوم بويح أبو بكر آخذ بقائم سيفك ، تقول : لا أحد أولى بهذا الأمر من ابن أبي طالب و أين هذا المقام من ذاك ؟ فذكر له دم عثمان ، قال : أنت وصاحبك وليتماه فيما بلغنا . قال : فانطلق إلى طلحة فاسمع ما يقول فذهب إلى طلحة ، فوجده سادراً في غيِّه مصرّاً على الحرب و الفتنة الحديث .

و روي عن أبي الأسود^(١٨٨) قال : بعثني وعمران بن حصين^(١٨٩) وعثمان بن حنيف إلى عائشة ، فقلنا : يا أمَّ المؤمنين اخبرينا عن مسيرك هذا ، أعهدُ عهد رسول الله ﷺ أم رأي رأيته ، قالت : بل رأي رأيته حين قتل عثمان إننا نقمنا عليه ضربة السوط ، وموقع المسحاة المحمّاة ، وامرأة سعيد والوليد ، فعدوتم عليه ، فاستحللتم منه الحرم الثلاث حرمة البلد و حرمة الخلافة و حرمة الشهر الحرام ، بعد ان مصناه كما يماص الاناء فاستبقيناه فر كبتم منه هذه ظالمين ، و غضبنا لكم من سوط عثمان ، ولا نغضب لعثمان من سيفكم ؟ . قلت : « ما أنت و سيفنا و سوط عثمان و أنت حبيس رسول الله ﷺ ، أمرك أن

تقرِّي في بيتك ، فجئت تضرين الناس بعضهم ببعض ! »

قالت : « وهل أحد يقاتلني ، أو يقول غير هذا ؟ »

قلت : « نعم » .

قالت : من يفعل ذلك أزييم بني عامر . . . الحديث

(١٨٨) بلاغات النساء ص ٩ - و راجع العقد الفريد ٩٨٣

والبيان والتبيين للجاحظ ، ط . السندوي ٢٠٩-٢١٠ . المسحاة المحمّاة موضع لسرف كان عثمان قد حماه لخيله و خيل بني أمية و كان عمر قد حماه لخييل المسلمين ، و الموص الغسل اللين والدلك باليد .

(١٨٩) عمران بن حصين بن عبيد بن خلف الخزاعي الكعبي أسلم عام خيبر و غزا مع رسول الله (ص) بعدها بعثه عمر معلماً للبصرة ، و لما ولي ابن عامر استقضاه فاقام قاضياً يسيراً ، ثم استعفى و كان به استسقاء فقتب له سرير ، فبقي عليه ثلاثين سنة ، و توفي بالبصرة سنة اثنتين وخمسين . أسد الغابة ١٣٧٤ - ١٣٨ .

لما انتهوا إلى البصرة ، خرج إليهم عثمان بن حنيف عامل علي عليها ، وتقابلوا (١٩٠) في المربرد ؛ فخطبت أم المؤمنين وقالت :

إن أمير المؤمنين عثمان كان قد غير وبدل ، ثم لم يزل يغسل ذلك بالتوبة حتى قتل مظلوماً تائباً ، وإنما نقموا عليه ضربه بالسوط ، وتأميره الشبان ، وحمایته موضع الغمامة ، فقتلوه محرماً في الشهر الحرام وحرمة البلد ذبحاً كما يذبح الجمل ، الأوان قريشاً رمت غرضها بنبالها ، وأدمت أفواها بأيديها ، وما نالت بقتلها إياه شيئاً ، ولا سلكت به سيلاً قاصداً . أما والله ليرونها بلايا عقيمة ، تنبه النائم وتقيم الجالس ، وليسلطن عليهم قوم لا يرحمونهم يسومونهم سوء العذاب .

أيها الناس ! إنّه ما بلغ من ذنب عثمان ما يستحل دمه ، مصتموه كما يماص الثوب الرحيض ، ثم عدوتم عليه ، فقتلتموه بعد توبته وخروجه من ذنبه وبايعتم ابن أبي طالب من غير مشورة من الجماعة : ابتزازاً وغصباً . تروني أغضب لكم من سوط عثمان ولسانه ولا أغضب لعثمان من سيوفكم ؟

ألا إن عثمان قتل مظلوماً فاطلبوا قتلته ؛ فإننا ظفرتهم بهم فاقتلوهم ، ثم اجعلوا الأمر شورى بين الرهط الذين اختارهم أمير المؤمنين عمر ، ولا يدخل فيهم من شرك في دم عثمان .

و في رواية الزهري (١٩١) قام طلحة والزبير خطيبين ، فقالا : يا أهل البصرة توبة بحوبة ، إنما أردنا أن يستعذب أمير المؤمنين عثمان ، ولم نرد قتله ، فغلب سفهاء الناس الحلما حتى قتلوه ، فقال الناس لطلحة : يا أبا محمد : قد كانت كتبك تأتينا بغير هذا ، فقال الزبير : فهل جاءكم مني كتاب في شأنه ؟ ثم ذكر قتل عثمان (رض) وما أتى إليه وأظهر عيب علي ، فقام إليه رجل من عبد القيس ، فقال : أيها الرجل أنصت حتى تتكلم فقال عبدالله بن الزبير : ومالك ولللكلام ؛

(١٩٠) الامامة والسياسة ٦٠١ ، و ابن أبي الحديد ٤٩٩٢ ، والمربرد : كان به سوق للابل قديماً ، ثم سكنها الناس ، وأصبحت محلة عظيمة يجتمع فيها الأدباء ويتبارون فيها . و (الموص) الغسل اللين والدلك باليد و (الرحيض) : المغسول .

فقال العبدي: يا معشر المهاجرين! أنتم أول من أجاب رسول الله ﷺ فكان لكم بذلك فضل، ثم دخل الناس في الإسلام كما دخلتم، فلما توفي رسول الله ﷺ بايعتم رجلاً منكم، والله ما استأمرتمونا في شيء من ذلك، فرضينا واتبعناكم، فجعل الله عز وجل للمسلمين في إمارته بركة؛ ثم مات (رض)، واستخلف عليكم رجلاً منكم، فلم تشاورونا في ذلك، فرضينا وسلمنا، فلما توفي الأمير جعل الأمر إلى ستة نفر، فاخترتم عثمان، وبايعتموه عن غير مشورة منا، ثم أنكرتم من ذلك الرجل شيئاً فقتلتموه عن غير مشورة منا، ثم بايعتم علياً عن غير مشورة منا، فما الذي نعمتم عليه فقتلته؟ هل استأثر بفيء أو عمل بغير الحق أو عمل شيئاً تنكرونه فنكون معكم عليه و إلا فما هذا؟ فهموا بقتل ذلك الرجل، فقام من دونه عشيرته، فلما كان الغد وثبوا عليه وعلى من كان معه، فقتلوا سبعين رجلاً.

وأخرج الطبري (١٩٢) عن نصر بن مزاحم: قال: وأقبل جارية بن قدامة السعدي (١٩٣)، فقال: يا أم المؤمنين والله لقتل عثمان بن عفان أهون من خروجك على هذا الجمل الملعون عرضة للسلاح؛ إنه قد كان لك من الله ستر وحرمة، فهتكت سترك وأبحت حرمتك، إنه من رأى قتالك، فإنه يرى قتلك؛ إن كنت أئمتنا طائفة فارجعي إلى منزلك، وإن كنت أئمتنا مستكرهة فاستعيني بالناس، قال: فخرج شاب من بني سعد إلى طلحة والزبير، فقال: أما أنت يا زبير! فحواري رسول الله ﷺ وأما أنت يا طلحة: فوقيت رسول الله ﷺ بيدك وأرى أمكم معكم، فهل جئتما بنسائكما؟ قالا: لا، قال: فما أنا منكما في شيء واعتزل، وقال السعدي في ذلك:

صنتم حلائلكم وقدتم أمكم هذا لعمرك قلّة الإناص
أمرت بجرّ ذبولها في بيتها فهوت تشقّ البيد بالإيجاف

(١٩٢) الطبري ١٧٦٥

(١٩٣) جارية بن قدامة بن مالك بن زهير التميمي السعدي، اختلفوا في ادراكه النبي، شهد حروب علي، وهو الذي حصر عبد الله بن الحضرمي بالبصرة وحرق عليه الدار بالبصرة لما أرسله معاوية إليها، اسد الغابة ٢٦٣١.

فرضاً يقاتل دونها أبناءؤها بالنسب والخطي والأسياف
هتكت بطلحة والزبير ستورها هذا المخبر عنهم والكافي
و أقبل غلام من جهينة على محمد بن طلحة ، وكان محمد رجلاً عادياً ، فقال : أخبرني عن
قتلة عثمان ، فقال : نعم ، دم عثمان ثلاثة أثلاث ثلث على صاحبة اليهودج - يعني عائشة -
و ثلث على صاحب الجمل الأحمر - يعني طلحة - و ثلث على علي بن أبي طالب ، فضحك
الغلام وقال :

سألت ابن طلحة عن هالك بجوف المدينة لم يقبر
فقال : ثلاثة رهط هم أماتوا ابن عفان واستعبر
فثلث على تلك في خدرها و ثلث على راكب الأحمر
و ثلث على ابن أبي طالب و نحن بدوية قرقر
فقلت صدقت على الأولين وأخطأت في الثالث الأزهر

وقال الطبري : (١٩٤) فقدموا البصرة و عليها عثمان بن حنيف ، فقال لهم عثمان :

ما نعمتم على صاحبكم ، فقالوا : لم نره أولى بها هنا وقد صنع ماصنع .
قال : فإن الرجل أمرني فأكتب إليه فأعلمه ماجئتم له على أن أصلي بالناس
حتى يأتينا كتابه ؛ فوقفوا عليه ، و كتب فلم يلبث إلا يومين حتى وثبوا عليه فقاتلوه
بالزابوقة عند مدينة الرزق فظهروا ، وأخذوا عثمان فأرادوا قتله ، ثم خشوا غضب الأ نصار
فقالوه في شعره وجسده . . .

و ذكر اليعقوبي في تاريخه والمسعودي في مروجه و ابن عبد البر بترجمة حكيم بن
جبلّة من الاستيعاب - و اللفظ للأخير - :

إن عثمان بن حنيف لما كتب الكتاب (١٩٥) بالصلح بينه و بين الزبير و طلحة
وعائشة على أن يكفوا عن الحرب و يبقى هو في دار الإمارة خليفة لعلي على حاله حتى

(١٩٤) الطبري ١٧٨٥ .

(١٩٥) و في العقد الفريد : ثم اصطلحوا و كتبوا بينهم كتابا ان يكفوا عن القتال

حتى يقدم على بن ابي طالب ، و لعثمان بن حنيف دار الإمارة و المسجد الجامع و بيت
المال فكفوا .

يقدم علي^ث (رض) فيرون رأيهم ، قال عثمان بن حنيف لأصحابه : ارجعوا وضعوا سلاحكم فلما كان بعد أيام جاء عبدالله بن الزبير في ليلة ذات ريح ، و برد شديد ، ومعه جماعة من عسكرهم ، فطرقوا عثمان بن حنيف في دار الإمارة فأخذوه ، ثم انتهوا به إلى بيت المال ، فوجدوا ناساً من الزط يحرسونه ، فقتلوا منهم أربعين رجلاً .

وقال المسعودي : قتل منهم سبعون رجلاً غير من جرح و خمسون من السبعين ضربت أعناقهم صبراً من بعد الأسر .

و في الطبري^(١٩٦) والاستيعاب - و اللفظ للطبري : إنهم لما أخذوا عثمان بن حنيف أرسلوا أبان بن عثمان إلى عائشة يستشيرونها في أمره .
قالت : أقتلوه .

قالت امرأة : نشدتك الله يا أم المؤمنين في عثمان وصحبتك لرسول الله ﷺ .

قالت : ردوا أباناً ، فردوه .

فقالت : احبسوه و لا تقتلوه .

قال : لو علمت أنك تدعيني لهذه لم أرجع .

فقال لهم مجاشع بن مسعود : اضربوه و انتفوا شعر لحيته ، فضر بوه أربعين سوطاً ، و نتفوا شعر لحيته و رأسه و حاجبيه و أشفار عينيه و حبسوه .

وقال الطبري^(١٩٧) و لما كانت الليلة التي أخذ فيها عثمان بن حنيف في رحبة مدينة

الرزق طعام يرتزقه الناس ، فأراد عبدالله أن يرزقه أصحابه ، و بلغ حكيم بن جبلة^(١٩٨)

ما صنع بعثمان ، فقال : لست أخاف الله إن لم أنصره ، فجاء في جماعة من عبد القيس و بكر

ابن وائل ؛ و أكثرهم من عبد القيس ، فأتى ابن الزبير بمدينة الرزق ، فقال : مالك يا حكيم؟

قال : نريد أن نرتزق من هذا الطعام ، و أن تخلوا عثمان فيقيم في دار الإمارة على ما كتبتم

بينكم حتى يقدم علي^ث ؛ والله لو أجد أعواناً عليكم أخبطكم بهم مارضيت بهذه منكم حتى

(١٩٦) الطبري ١٧٨٥ .

(١٩٧) الطبري ١٨٢٥ وراجع ترجمة جبلة من الاستيعاب .

(١٩٨) حكيم بن جبلة بن حصين أسود العبدي قيل انه أدرك النبي و كان رجلاً صالحاً

أقتلكم بمن قتلتم ؛ ولقد أصبحتم وأن دماءكم لنا حلال بمن قتلتم من إخواننا ؛ أما تخافون الله عز وجل بما تستحلون سفك الدماء قال : بدم عثمان بن عفان (رض) ، قال : فالذين قتلتموهم قتلوا عثمان ؟ ! أما تخافون مقت الله ؟ فقال له عبدالله بن الزبير : لا نرزقكم من هذا الطعام ، ولا نخلي سبيل عثمان بن حنيف حتى يخلع علينا !!

قال حكيم : اللهم إنك حكم عدل فاشهد ، وقال لأصحابه : إنني لست في شك من قتال هؤلاء ، فمن كان في شك فليصرف ؛ وقاتلهم فاقتلوا قتلاً شديداً ، و ضرب رجل ساق حكيم فقطعها ، فأخذ حكيم ساقه فرماه بها ، فأصاب عنقه فصرعه و وقده ثم حبا إليه فقتله واتسكأ عليه ، فمر به رجل فقال : من قتلك ؟ قال : وسادتي وقتل .

و قال الطبري (١٩٩) لما قتل حكيم بن جبلة أرادوا أن يقتلوا عثمان بن حنيف ؛ فقال : ما شئتم أما إن سهل بن (٢٠٠) حنيف والى المدينة ، وإن قتلتموني انتصر ؛ فخلوا سبيله و اختلفوا في الصلاة . . . الحديث .

و قال اليعقوبي (٢٠١) و انتهبوا بيت المال ، وأخذوا ما فيه ؛ فلما حضر وقت الصلاة ، تنازع طلحة والزبير ، و جذب كل منهما صاحبه ، حتى فات وقت الصلاة ، و صاح الناس : الصلاة ، الصلاة ، يا أصحاب محمد ! فقالت عائشة : يصلني محمد بن طلحة يوماً و عبدالله بن الزبير يوماً ، و في الطبقات : (٢٠٢) تدافع طلحة و الزبير حتى كادت الصلاة تفوت ، ثم اصطلحا على أن يصلني عبدالله بن الزبير صلاةً ، و محمد بن طلحة صلاةً فذهب ابن الزبير يتقدم ، فأخبره محمد بن طلحة ، و ذهب محمد بن طلحة يتقدم فأخبره عبدالله بن الزبير عن

(١٩٩) الطبرى ١٨١٥ .

(٢٠٠) سهل بن واهب بن العكيم الاوسى شهد بدم عثمان بن حنيف ، و ثبت يوم أحد مع رسول الله حين انهزمت الصحابة عنه . استخلفه على المدينة عند ما توجه الى البصرة ، و شهد صفين مع على و ولاة بلاد فارس فأخرجه أهلها فاستعمل عليهم زياد بن أبيه ، و مات سهل بالكوفة سنة ثمان و ثلاثين و صلى عليه على و كبر عليه ستاً و قال انه بدرى اسد الغابة ج ٣٦٤-٣٦٥ .

(٢٠١) اليعقوبى فى ذكره حرب الجمل من تاريخه .

(٢٠٢) فى الطبقات ٣٩٥ بترجمة محمد بن طلحة و فيه أن طلحة و الزبير ختما

بيت المال جميعاً .

أول صلاة فاقتربا فقرعه محمد بن طلحة فتقدم فقراً : سأل سائل بعذاب واقع .
و في الأغاني وقال شاعرهم في ذلك (٢٠٣) :

تبارى الغلامان إذ صلياً وشحّ على الملك شيخا هما

و مالي وطلحة وابن الزبير و هذا بذني الجزع مولاها

فأمّهما اليوم عزتهما و يعلى بن منية دلاًهما

و أخرج الطبري (٢٠٤) عن جون بن قتادة : قال :

كنت مع الزبير (رض) ، فجاء فارس يسير ، وكانوا يسلمون على الزبير بالأمرة ؛
فقال : السلام عليك أيها الأمير .

قال : و عليك السلام .

قال : هؤلاء القوم قد أتوا مكان كذا و كذا ، فلم أرقوما أرث سلاحاً ولا أقلّ عدداً

ولا أربع قلوباً من قوم أتوك ، ثمّ انصرف عنه ، قال ثمّ جاء فارس فقال : السلام عليك
أيها الأمير .

فقال : و عليك السلام .

قال : جاء القوم حتّى أتوا مكان كذا و كذا ، فسمعوا بما جمع الله عزّ وجلّ لكم

من العدد و العدة و الحدّ فقذف الله في قلوبهم الرعب فولّوا مدبرين .

قال الزبير : إياها عنك الآن فوالله لو لم يجد ابن أبي طالب إلا العرفج لدبّ

إلينا فيه .

ثمّ انصرف ، ثمّ فارس ، و قد كادت الخيول أن تخرج من الرهج .

فقال : السلام عليك أيها الأمير .

قال : و عليك السلام .

قال هؤلاء القوم قد أتوك فلقيت عمّاراً فقلت له ، و قال لي .

فقال الزبير : إنّه ليس فيهم .

(٢٠٣) الاغاني ١٢٠١١ عن أبي مخنف و ذكر المسعودي في مروج الذهب أيضاً

تشاحها على الصلاة .

(٢٠٤) الطبري ٢٠٥٥ .

فقال : بلى والله إنه لفيهم .

قال : والله ما جعله الله فيهم .

فقال : والله لقد جعله الله فيهم .

قال : والله ما جعله الله فيهم . فلما رأى الرجل يخالفه ، قال لبعض أهله : اركب فانظر أحق ما يقول ؟ فركب معه ، فانطلقا و أنا أنظر إليهما حتى وقفا في جانب الخيل قليلاً ، ثم رجعا إلينا ، فقال الزبير لصاحبه : ما عندك ؟ قال : صدق الرجل .

قال الزبير : يا جدد أنفاه أو يا قطع ظهراه !

... ثم أخذته إفكل فجعل السلاح ينتفض ، فقال جون : ثكلتني أمي ، هذا الذي كنت أريد أن أموت معه أو أعيش معه ، والذي نفسى بيده ، ما أخذ هذا ما أرى إلا لشيء قد سمعه أوراؤه من رسول الله ﷺ .

وأخرج (٢٠٥) عن علقمة بن الوقاص الليثي (٢٠٦) قال :

لما خرج طلحة و الزبير و عائشة (رض) رأيت طلحة وأحب المجالس إليه أخلاها ، وهو ضارب بلحيته على زوره ، فقلت : يا أبانجد أرى أحب المجالس إليك أخلاها ، وأنت ضارب بلحيتك على زورك ؛ إن كرهت شيئاً فاجلس ، قال : فقال لي : يا علقمة بن وقاص بينا نحن يد واحدة على من سوانا ، إذ صرنا جبليين من حديد يطلب بعضنا بعضاً . إنه كان مني في عثمان شيء ليس توبتي إلا أن يسفك دمي في طلب دمه .

وأخرج الطبري (٢٠٧) عن عوف الأعرابي ، قال : جاء رجل إلى طلحة والزبير

وهما في المسجد بالبصرة ، قال : نشدتكما بالله في مسير كما أعهد إليكما فيه رسول الله ﷺ شيئاً ، فقام طلحة ولم يجبه فنأشد الزبير ، فقال : لاولكن بلغنا أن عندكم دراهم

(٢٠٥) الطبري ١٨٣ر٥ ، والمستدرک ١١٨ر٣ بتفصيل أوفى ، وفي ص ٣٧٢ أيضاً .

(٢٠٦) علقمة بن وقاص الليثي ولد على عهد رسول الله و شهد الخندق و توفي

أيام عبدالملك بن مروان بالمدينة . اسد الغابة ١٥ر٤ .

(٢٠٧) الطبري ١٨٣ر٥ .

فجئنا نشار ككم فيها .

وأخرج بعده عن أبي عمره مولى الزبير ، قال : لما بايع أهل البصرة الزبير وطلحة ، قال الزبير : ألا ألفت فارس أسير بهم إلى عليّ فإما بيته وإما صبّحت له لعلّي أقتله قبل أن يصل إلينا ، فلم يجبه أحد ، فقال : إن هذه لهي الفتنة التي كنا نحدث عنها ، فقال له مولاه : أتمسيها فتنة وتقاتل فيها ؟ قال : ويحك أنا نبصر ولا نبصر؛ ما كان أمر قط إلا علمت موضع قدمي فيه غير هذا الأمر فأنسي لأدري أمقبل أنا فيه أم مدبر .

وأخرج الطبري (٢٠٨) عن مجالد بن سعيد قال : لما قدمت عائشة (رض) البصرة ، كتبت إلى زيد بن صوحان (٢٠٩) .

من عائشة ابنة أبي بكر أم المؤمنين حبيبة رسول الله ﷺ إلى ابنها الخالص زيد ابن صوحان ، أما بعد . فإذا أتاك كتابي هذا فاقدم ، وانصرتنا على أمرنا هذا ، فإن لم تفعل ، فخذل عن عليّ .

فكتب إليها : من زيد بن صوحان إلى عائشة ابنة أبي بكر الصديق (رض) حبيبة رسول الله ﷺ أما بعد . فأنا ابنك الخالص إن اعتزلت هذا الأمر ورجعت إلى بيتك ، وإلا فأنا أول من نابذك .

قال زيد بن صوحان : رحم الله أم المؤمنين أمرت أن تلزم بيتها وأمرنا أن نقاتل ، فتركت ما أمرت به ، وأمرتنا به ، وصنعت ما أمرنا به ونهتنا عنه .

(٢٠٨) في شرح النهج ٨١٢ ، وفي العقد الفريد مع اختلاف في الفاظه ، وفي

جمهرة رسائل العرب ج ٣٧٩١ ، أخرج كتاب أم المؤمنين وجواب زيد إليها أيضاً .

(٢٠٩) زيد بن صوحان حنظلي بن الحارث الربيعي العبدي ، يكنى أبو سلمان أو سليمان

أدرك النبي وصحبه ، كان فاضلاً ديناً سيداً في قومه ، هو وأخوته صعصعة وسيحان أبناء

صوحان ، روى أن النبي (ص) كان في مسيرله ، إذ هوم فجعل يقول : زيد وما زيد . وجندب

وما جندب ؛ فسئل عن ذلك فقال : رجلان من امتي ، أما أحدهما فتسبقه يده إلى الجنة ثم

يتبعها سائر جسده ، وأما الآخر فيضرب ضربة تفرق بين الحق والباطل . فكان زيد بن

صوحان قطعت يده يوم جلولا ، وقتل هو يوم الجمل . وأما جندب فهو الذي قتل الساحر .

اسد الغابة ج ٢٣٣٢-٢٣٤ .

ذكر أبو مخنف (٢١٠) وقال : لما نزل عليّ ذاقار (٥) كتبت عائشة إلى حفصة

بنت عمر :

أما بعد . فإني أخبرك أنّ عليّاً قد نزل ذاقار ، وأقام بها مرعوباً خائفاً لما بلغه من عدتنا وجماعتنا ، فهو بمنزلة الأشقر إن تقدم عُقر ، وأن تأخر نُحر ، فدعت حفصة جوارى لها يتغنين ويضربن بالدفوف ، فأمرتهن أن يقلن في غنائهن :

ما الخبر ما الخبر ؟ عليّ في السفر ! كالفرس الأشقر ، إن تقدم عُقر ، وإن تأخر نُحر .

وجعلت بنات الطلقاء يدخلن على حفصة ، ويجتمعن لسماع ذلك الغناء ، فبلغ أمّ كلثوم بنت عليّ فلبست جلابيبها ، ودخلت عليهنّ في نسوة متنكرات ، ثم أسفرت عن وجهها ؛ فلما عرفتها حفصة خجلت واسترجعت ، فقالت أمّ كلثوم : لئن تظاهرتما عليه منذ اليوم لقد تظاهرتما على أخيه من قبل فأنزل الله فيكما ما أنزل .

فقالت حفصة : كفي ، رحمك الله ! وأمرت بالكتاب فمزق واستغفرت الله .

وأخرج الطبري (٢١١) عن محمد بن الحنفية قال : قدم عثمان بن حنيف على عليّ بالزبدة وقد نتفوا شعر رأسه ولحيته وحاجبيه فقال : يا أمير المؤمنين بعثتني ذالحة وجئتك أمرد . قال : أصبت أجراً وخيراً ، إنّ الناس وليهم قبلي رجلاً فعملاً بالكتاب ، ثم نكثا بيعتي وألبا الناس عليّ ، ومن العجب انقيادهما لأبي بكر وعمر (رض) وخلافهما عليّ والله إنهما ليعلمان أنّي لست بدون رجل ممن قد مضى ، اللهم فاحلل ما عقدا ، ولا تُبرم ما قد أحكما في أنفسهما وأرهما المساءة فيما قد عملا .

وأخرج (٢١٢) عن أبي ليلى .

(٢١٠) راجع ابن أبي الحديد ط . إيران ج ١٥٧٢ ؛ في شرحه ومن كتاب له إلى أهل

الكوفة عند مسيره من المدينة إلى البصرة .

(٥) ذوقار : ماء قريب من الكوفة على طريق واسط وبه سميت الواقعة الشهيرة

بين العرب والفرس وانتصر فيها العرب .

(٢١١) الطبري ج ١٨٦٥ .

(٢١٢) الطبري ج ١٨٤٥ .

قال : كتب عليٌّ إلى أهل الكوفة :

بسم الله الرحمن الرحيم ، أمّا بعد فإنّي اخترتكم و النزول بين أظهركم لما أعرف من موّدتكم و حبسكم لله عزّ وجلّ و لرسوله ﷺ ؛ فمن جاءني و نصرني فقد أجاب الحقّ و قضى الدين عليه .

و عن أبي الطفيل (٢١٣) قال : قال عليٌّ يأتيتكم من الكوفة اثنا عشر ألف رجل و رجل ، فقعدي على نجفة نبي قار ، فاحصيتهم فمأزادوا رجلاً و لانتقصوا رجلاً .

و روى الطبري (٢١٤) و قال : و بلغ الخبر عليّاً يعني خبر السبعين الذين قتلوا مع العبدي بالبصرة فأقبل يعني عليّاً في اثني عشر ألفاً فقدم البصرة و جعل يقول :

يا لهف نفسي على ربيعة * ربيعة السامعة المطيعة

سنتها كانت بها الوقعة

و في تذكرة سبط ابن الجوزي في ذكر حرب الجمل :

ثمّ إنّ عليّاً لما قارب البصرة كتب إلى طلحة و الزبير و عائشة و من معهم كتاباً لترتيب الحجّة عليهم :

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى طلحة و الزبير و عائشة سلامٌ عليكم ! أمّا بعد يا طلحة و الزبير ! قد علمتما أنّي لم أرد البيعة حتّى أكرهت عليها ، و أنتما ممن رضى ببيعتي ، فإن كنتما بايعتما طائعين فتوبا إلى الله تعالى ، و أرجعاً عما أنتم عليه ، و إن كنتما بايعتما مكرهين ، فقد جعلتما لي السبيل عليكم باظهار كما الطاعة . و كتما نكما المعصية و أنت يا طلحة ! يا شيخ المهاجرين ! و أنت يا زبير ! يا فارس قریش ! و دفعكما هذا الأمر قبل أن تدخلا فيه فكان أوسع لكما من خروجكما منه بعد إقراركما ؛ و أنت يا عائشة ! فإنك خرجت من بيتك عاصية لله و لرسوله تطلين أمراً كان عنك موضوعاً ، ثم تزعمين أنّك تريدين الإصلاح بين المسلمين فخبّريني ما للنساء و قود الجيوش و البروز للرجال و الوقوع بين أهل القبلة ، و سفك الدماء المحترمة ، ثمّ

(٢١٣) الطبري ج ١٩٩٥ .

(٢١٤) الطبري ج ٢٠٤٥ .

إنك طلبت على زعمك دم عثمان ، و ما أنت و ذاك و عثمان رجل من بني أمية و أنت من تيم ، ثم أنت بالأمس تقولين في ملاء من أصحاب رسول الله : اقتلوا نعثلاً فقد كفر ، ثم تطلبين اليوم بدمه فاتقي الله و ارجعي إلى بيتك ، و اسبلي عليك سترك و السلام . فما أجابوه بشيء .

و في رواية أخرى (٢١٥) فأجابت :

« يا ابن أبي طالب جل الأمر عن العتاب . و لن ندخل في طاعتك أبداً فاقض ما أنت قاض و السلام . »

و في تاريخ أعمش : أن طلحة و الزبير لم يكتبنا إليه و لكنهما أجاباه « إنك سرت مسيراً له ما بعده ، و لست راجعاً و في نفسك منه حاجة ، فامض لأمرك . أما أنت فليست راضياً دون دخولنا في طاعتك ، و لسنا بداخلين فيها أبداً فاقض ما أنت قاض » و قد روى المؤرخ الواسع الإطلاع بأخبار العراق - أبو مخنف لوط بن يحيى في كتابه الجمل (٢١٦) تفصيلاً وافياً عن ورود عائشة و طلحة و الزبير البصرة حيث قال : إن الزبير و طلحة أغذا السير بعائشة حتى انتهوا إلى حفر أبي موسى الأشعري (٢١٧)

(٢١٥) الامامة و السياسة ٥٥١ و ٦٢ ، و جمهرة رسائل العرب ٣٧٩١ ، و تاريخ أعمش ١٧٤ .

(٢١٦) أخرجه ابن أبي الحديد في شرحه لخطبته عليه السلام « فخرجوا يجرون حرمة رسول الله » في الجزء التاسع من تجزئة المؤلف .

و أبو مخنف هو لوط بن يحيى بن مخنف بن سليمان الأزدي كان جده مخنف من أصحاب علي و كان أبو مخنف راوياً اخبارياً صاحب تصانيف ؛ و قد عد ابن النديم لابي مخنف في فهرسه ص ١٣٦ - ١٣٧ : ثلاثاً و ثلاثين مؤلفاً منها : « كتاب الجمل » . الذي ينقل منه ابن أبي الحديد ما يرويه عن أبي مخنف في حرب الجمل . قال ابن النديم في ترجمته « قالت العلماء أبو مخنف بأمر العراق و أخبارها و فتوحها يزيد على غيره . و المدائني بأمر خراسان و الهند و فارس . و الواقدى بالحجاز و السيرة ؛ و قد اشتركوا في فتوح الشام » . توفي أبو مخنف سنة سبع و خمسين و مائة . فوات الوفيات ٢٨٨٢ .

(٢١٧) « أغذا السير » : أسرع . و « حفر » بفتح حاء . من معانيها : البئر اذا وسعت فوق قدرها . و يقال لها « حفير » أيضاً و الاحفار المعروفة في بلاد العرب ثلاثة . منها ←

وهو قريب من البصرة ، وكتبنا إلى عثمان بن حنيف الأنصاري وهو عامل عليّ عليّ البصرة أن اخل لنا دار الإمارة ، فلما وصل كتابهما إليه بعث إلى الأحنف بن قيس (٢١٨) فقال له : إن هؤلاء القوم قدموا علينا ، ومعهم زوجة رسول الله ، والناس إليها سراخ كما ترى . فقال الأحنف : إنهم جاؤك للطلب بدم عثمان ، وهم الذين ألّبوا علي عثمان الناس و سفكوا دمه ، أراهم والله لا يزايلونا حتى يلقوا العداوة بيننا ، و يسفكوا دماءنا ، و أظنهم والله سير كبون منك خاصة ما لا قبل لك به إن لم تتأهب لهم بالنهوض إليهم في من معك من أهل البصرة ، فأنتك اليوم الوالي عليهم ، وأنت فيهم مطاع ، فسر إليهم بالناس و بادرهم قبل أن يكونوا معك في دار واحدة ، فيكون الناس لهم أطوع منهم لك . فقال عثمان بن حنيف : الرأي ما رأيت . لكنني أكره الشر ، و أن أبدأهم به ، وأرجو العافية والسلامة إلى أن يأتييني كتاب أمير المؤمنين و رأيه فأعمل به . ثم أتاه بعد الأحنف . حكيم بن جبلة من بني عمرو بن وداعة (٢١٩) ، فأقرأه كتاب طلحة والزبير ،

← حفر أبي موسى وهو مياه عذبة على جادة البصرة الى مكة حفره أبو موسى الاشعري . بينه و بين البصرة خمس ليال . معجم البلدان .

(٢١٨) أبو بجر الضحاك ؛ و قيل : صخر بن قيس بن معاوية بن حصين المعروف بالاحنف التميمي السعدي . و امه امرأة من باهلة . و سمي الاحنف لحنف رجله فانه كان يطاء على وحشيا - أي ظهرها - أسلم في عهد النبي و لم يره و كان سيد قومه موصوفا بالعقل والدهاء و العلم و الحلم . شهد بعض الفتوح في زمن عمر و عثمان ، و اعتزل الجبل و شهد صفين مع علي . و لما بايع معاوية ليزيد تكلم الناس في مدحه ، فقال له معاوية « ما بالك لا تقول يا أبا بجر ؟ » فقال « أخاف الله ان كذبت . و أخافكم ان صدقت » . و خرج مع مصعب الزبير الى الكوفة و مات بها سنة سبع و ستين - على الاشهر - عن ثمانين سنة و دفن عند قبر زياد « بالثوية » و الثوية - بالضم و الفتح - كان موضعاً بظاهر الكوفة فيه ماء عذب و فيه قبور جماعة من الصحابة .

الاستيعاب ج ١ ر ٥٦٦ الترجمة ١٦٠ و اسد الغابة ١ ر ٥٥ ، و وفيات الاعيان ج ١ ١٨٦ - ١٩٢ الترجمة ٢٨٢ .

(٢١٩) حكيم بن جبلة بن حصين بن أسود العبدى . أدرك النبي (ص) و كان رجلاً صالحاً

ديتاً مطاعاً في قومه . و هو الذي بعثه عثمان الى السند . و كان الحكيم ممن يعيب علي عثمان من ←

فقال له : مثل قول الأحنف ، وأجابه عثمان بمثل جوابه للأحنف فقال له حكيم : فأذن لي حتى أسير إليهم بالناس ، فإن دخلوا في طاعة أمير المؤمنين وإلا نابتهم على سواء . فقال عثمان : لو كان ذلك رأيي لسرت إليهم بنفسي .

قال حكيم : والله لو دخلوا عليك هذا المصر لينتقلن قلوب كثير من الناس إليهم و ليزيلنك عن مجلسك هذا ، و أنت أعلم . فأبى عليه عثمان .

قال : و كتب عليٌّ إلى عثمان لما بلغه مشاركة القوم البصرة :

من عبد الله عليٌّ أمير المؤمنين إلى عثمان بن حنيف . أما بعد . فإن البغاة عاهدوا الله ، ثم نكثوا ، و توجهوا إلى مصرك ، و ساقهم الشيطان لطلب مالا يرضى الله به ، والله أشدُّ بأساً ، و أشدُّ تنكياً ، فإذا قدموا عليك فادعهم إلى الطاعة و الرجوع إلى الوفاء بالعهد ، و الميثاق الذي فارقونا عليه ، فإن أجابوا فأحسن جوارهم ماداموا عندك ، و إن أبوا إلا التمسك بحبل النكث و الخلاف ، فناجزهم القتال حتى يحكم الله بينك و بينهم ، و هو خير الحاكمين . و كتبت كتابي هذا إليك من الربذة و أنا معجل المسير إليك إن شاء الله .

و كتب عبيد الله بن أبي رافع في ست و ثلاثين . (٢٢٠)

قال : فلما وصل كتاب عليٍّ إلى عثمان أرسل إلى أبي الأسود الدئلي (٢٢١) و عمران

← أجل عبد الله بن عامر ، و غيره من عماله . و يأتي حكاية قتله في ما بعد . الاستيعاب ص ١٢١ الترجمة ٤٩٨ و اسد الغابة ٤٠٢ - ٤١ .

(٢٢٠) عبيد الله بن أبي رافع المدني القبطي ، مولى النبي و ابن مولاه و مولاته ، و قد سبق ترجمتهما في ص ٢٣ اتخذ علي عبيد الله هذا كاتباً له و خازناً ؛ راجع ترجمته في تهذيب التهذيب ج ٦ ر ١٠ الترجمة ٢٠ .

(٢٢١) أبو الأسود الدئلي ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل الديلي بكسر الدال

و يقال : الدؤلي بضم الدال و فتح الهمزة . نسبة إلى الدئل بكسر الهمزة ، و هي قبيلة من كنانة . قال ابن خلكان في اسمه و نسبه اختلاف كثير ، و قال : كان من سادات التابعين و أعيانهم . صحب علياً و شهد صفين معه . و علمه أصول علم النحو فنحا نحوه . توفي بالبصرة و عمره خمس و ثمانون سنة و اختلفوا في وفاته فقيل : كان سنة تسع و ستين في طاعون جارف . و قيل : قبله . و قيل : توفي في خلافة عمر بن عبدالعزيز ، و كانت خلافته

٩٩ - ١٠١ هـ ؛ وفيات الأعيان ٢١٦ ر ٢ - ٢١٩ و الفهرست لابن النديم ٦٠ - ٦٢ .

ابن الحصين الخزاعي فأمروهما أن يسيرا حتى يأتياه بعلم القوم ، وما الذي أقدمهم ، فانطلقا حتى إذا أتيا حفر أبي موسى ، وبه معسكر القوم ، فدخلا على عائشة ، فسألاها ، وعظاها ، واذكرها ، وناشداها الله ، فقالت لهما : ألقيا طلحة والزبير ، فقاما من عندها ولقيا الزبير فكلّماه ، فقال لهما : إنا جئنا للطلب بدم عثمان ، و ندعو الناس إلى أن يردوا أمر الخلافة شوري ليختار الناس لأنفسهم ، فقالا له : إن عثمان لم يقتل بالبصرة ليطلب دمه فيها ، و أنت تعلم قتلة عثمان من هم . و أين هم . و إنك وصاحبك وعائشة كنتم أشد الناس عليه ، و أعظمهم إغراءً بدمه فأقيدوا من أنفسكم ؛ و أمّا إعادة أمر الخلافة شوري ، فكيف و قد بايعتم عليّاً طائعين غير مكرهين ، و أنت يا أبا عبد الله لم يبعد العهد بتمامك دون هذا الرجل يوم مات رسول الله آخذ قائم سيفك تقول : ما أحدٌ أحقّ بالخلافة منه ، و لا أولى بها منه . و امتنعت عن بيعة أبي بكر ، (٢٢٢) فأين ذلك الفعل من هذا القول ، فقال لهما : اذهبا فالقيا طلحة ، فقاما إلى طلحة فوجداه خشن الملمس ، شديد العريكة ، قوي العزم في إثارة الفتنة و إضرار نار الحرب ، فانصرفا إلى عثمان بن حنيف ، فأخبراه و قال له أبو الأسود الدئلي :

يا ابن حنيف قد أتيت فانفر
وطاعن القوم ، و جالد ، و اصبر
و ابرز لها مستلماً و شمراً

فقال ابن حنيف : اي والحرمين لأفعلن ، و أمر مناديه ، فنادى الناس : السلاح ، السلاح . فاجتمعوا إليه و قال أبو الأسود الدئلي :

أتينا الزبير فداني الكلام
و طلحة كالنجم أو أبعده
و أحسن قوليهما فادح
يضيق به الخطب مستمكده

(٢٢٢) راجع عبد الله بن سبأ . المدخل ص ٤٧ - ٥٢ لتطلع على موقف الزبير يومذاك . و أورد تفصيل محاوراة الرسولين مع عائشة و طلحة و الزبير ثم مقاتلة عائشة و طلحة و الزبير مع ابن حنيف كل من ابن قتيبة في الامامة و السياسة ج ١ ر ٦٠ - ٦١ و ابن أعثم في ص ١٧٠ من تاريخه ، و العقد الفريد ج ٤ ر ٣١٣ و مروج الذهب بهامش ابن الاثير ص ١٨٤ - ١٨٥ و اليعقوبي ١٥٧٢ .

وقد أوعدونا بجهد الوعيد فأهون علينا بما أوعدوا (٢٢٣)

• • • • •

فأقبل القوم فلمّا انتهبوا إلى المرَبَدِ (٢٢٤) قام رجل من بني جشم (٢٢٥) فقال :
أيّها الناس ! أنا فلان الجشمي ، وقد أتاكم هؤلاء القوم ، فإن أتوكم خائفين ،
لقد أتوكم من المكان الذي يأمنُ فيه الطير والوحش والسباع (٢٢٦) ، وإن أتوكم
للطلب بدم عثمان ، فغيرنا ولي قتله ، فأطيعوني أيّها الناس ! وردّوهم من حيث أقبلوا ،
فإنّكم إن لم تفعلوا لم تسلموا من الحرب الضروس والفتنة الصّماء (٢٢٧) التي لا تبقى

(٢٢٣) «الفداح» : الصعب المثقل . يقال : نزل به أمر فادح . وركبه دين فادح .
و «الخطب» : الامر . وقد غلب استعماله للامر العظيم المكروه و « المستنكد » : قليل
الخير . ذوالعسر والشدة .

يقول : أتينا الزبير فقرب إلينا في الكلام . أما طلحة فقد تباعد عنا بعد النجم عن
الارض . وأحسن قوليهما لنا : صعب ، شديد ، عسر ، قليل الخير ، يضيق به الامر ، وقد
أوعدونا ... الخ .

(٢٢٤) « المربد » في اللغة : كل شيء حبست فيه الابل والغنم . وكان مربد البصرة
موجوداً قبل الاسلام وصارت له أهمية كبيرة بعد تخطيط البصرة من بعد فتح الاسلامي .
فقد أصبحت من أشهر محال البصرة وكانت الى جهة الباب الغربي منها . وكانت تحطفيها
القوافل الاتية من البادية . ثم صارت سوقاً للادب والدعوات السياسية . فكانت صورة معدلة
عن سوق عكاظ ، وفيها دفن طلحة والزبير . راجع بلدان الخلافة الشرقية ، ومعجم البلدان .
(٢٢٥) بنو جشم عدة أجدام في العرب ، أربعة منهم من الانصار ترجمتهم في جهمرة
أنساب العرب ٣١٩ - ٣٤٢ .

و منهم : بنو جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن
قيس بن عيلان ترجمتهم في الجهمرة ٢٥٤ .

و منهم : بنو جشم بن قسي بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن
خصفة بن قيس عيلان ، وهم ثقيف دخلوا في الازد ، وسكن منهم أناس البصرة .

(٢٢٦) يقصد به مكة .

(٢٢٧) « حرب ضروس » : أكل ، عضوض . و « الفتنة الصماء » هي التي لا سبيل

الى تسكينها . اسان العرب .

ولا تذر فحصبه ناس من أهل البصرة فأمسك .

وقال : اجتمع أهل البصرة إلى الأمير بد حتى ملأوه مشاةً وركباناً ، فقام طلحة فأشار إلى الناس بالسكوت ليخطب فسكتوا بعد جهد فقال :

أمّا بعد ، فإن عثمان بن عفان كان من أهل السابقة والفضيلة و من المهاجرين الأولين الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه ، و نزل القرآن ناطقاً بفضلهم ، و أحد أئمة المسلمين الوالين عليكم بعد أبي بكر و عمر صاحبي رسول الله ﷺ و قد كان أحدث أحداثاً نغمناها عليه فأتيناه فاستعتبناه فأعتبنا ، فعدا عليه امرؤ ابتز هذه الأمة أمرها غضباً بغير رضا منها ولا مشورة ، فقتله (٢٢٨) و ساعده على ذلك قوم غير أتقياء ولا أبرار فقتل محرماً بريئاً تائباً ، و قد جنناكم أيها الناس ! نطلب بدم عثمان و ندعوكم إلى الطلب بدمه ، فإن نحن أمكننا الله من قتلته قتلناهم به ، و جعلنا هذا الأمر شورى بين المسلمين ، و كانت خلافة رحمةً للأمة جميعاً فإن كل من أخذ الأمر من غير رضا من العامة و لا مشورة منها ابتزازاً كان ملكه عضواً و حدثاً كبيراً (٢٢٩) .

ثم قام الزبير فتكلم بمثل كلام طلحة ، فقام إليهما ناس من أهل البصرة فقالوا لهما : ألم تبايعا علياً في من بايعه ، فقيم بايعتما ثم نكثتما ؟

فقالا : ما بايعناه ، و ما لأحد في أعناقنا بيعة و إنما استكرهنا على بيعته . فقال ناس : قد صدقا ، و أحسنا القول ، و قطعنا بالثواب ؛ و قال ناس : ماصدقا ، و لا أصابا في القول ؛ حتى ارتفعت الأصوات ، قال : ثم أقبلت عائشة على جملها ، فنادت بصوت مرتفع ، أيها الناس ! أقلوا الكلام و اسكتوا ، فأسكت الناس لها ، فقالت : إن أمير المؤمنين عثمان قد كان غير و بدل ثم لم يزل يغسل ذلك بالتوبة حتى قتل مظلوماً تائباً ، و إنما نغموا عليه ضربه بالسوط و تأميره الشبان ، و حمايته موضع الغمامة ، فقتلوه محرماً في حرمة الشهر ، و حرمة البلد . ذبحاً كما يذبح الجمل ، ألا و

(٢٢٨) يقصد به علي بن أبي طالب .

(٢٢٩) ملك عضوض : شديد فيه عسف ، و عنف للرعية كأنهم يعضون فيه عضاً .

إنَّ قريشاً رمت غرضها بنبالها ، و أدمت أفواها بأيديها ، و ما نالت بقتلها إماماً شيئاً ، و لا سلكت به سبيلاً قاصداً أما و الله ليرونها بلايا عقيمة تنبّه الناس ، و تقيم الجالس ، و ليسلطن عليهم قوم لا يرعونهم يسومونهم سوء العذاب ، أيها الناس ! إنّه ما بلغ من ذنب عثمان ما يستحلُّ به دمه ، مصتموه كما يماص الثوب الرحيض (٢٣٠) ثم عدوتم عليه ، فقتلتموه بعد توبته و خروجه من ذنبه ، و بايعتم ابن أبي طالب بغير مشورة من الجماعة ، ابتزازاً و غصباً ، أترونني أغضب لكم من سوط عثمان و لسانه ، و لا أغضب لعثمان من سيوفكم . ألا إنَّ عثمان قتل مظلوماً ، فاطلبوا قتلته ، فإنّ ظفرتهم بهم فاقتلوهم ، ثمّ اجعلوا الأمر شورى بين الرهط الذين اختارهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ؛ و لا يدخل فيهم من شرك في دم عثمان ؛

قال : فماج الناس واختلطوا ، فمن قائل : القول ما قالت ؛ ومن قائل يقول : و ماهي و هذا الأمر ؟ إنما هي امرأة مأمورة بلزوم بيتها ؛ و ارتفعت الأصوات ، و كثر اللغط ، حتّى تضاربوا بالنعال ، و تراموا بالحصى . ثمّ إنَّ الناس تمايزوا فصاروا فريقين : فريق مع عثمان بن حنيف ، و فريق مع عائشة و أصحابها . (٢٣١) قال أبو مخنف : فلما أقبل طلحة و الزبير من المربد يريدان عثمان بن حنيف ، فوجداه و أصحابه قد أخذوا بأفواه السكك ، فمضوا حتّى انتهوا إلى موضع الدباغين فاستقبلهم أصحاب ابن حنيف فشجرهم طلحة و الزبير و أصحابهما بالرماح ، فحمل عليهم حكيم بن جبلة ، فلم يزل هو و أصحابه يقاتلونهم حتّى أخرجوهم من جميع السكك ، و رمتهم النساء من فوق البيوت بالحجارة فأخذوا إلى مقبرة بني مازن ، فوقفوا بها ملياً حتّى ثابت إليهم خيلهم ، ثمّ أخذوا على مسنّة البصرة حتّى انتهوا إلى الزابوقة ثمّ أتوا سبخة دار الرزق (٢٣٢)

(٢٣٠) الموص : الغسل اللين ، والدلك باليد . و الرحيض : المغسول .

(٢٣١) قد أورد هذه المقابلة و المقاتلة أيضاً ابن قتيبة في الامامة و السياسة

ج ٦٤ - ٦٥ .

(٢٣٢) « المسنى » : ما بينى فى وجه السيل . و « مقبرة بنى مازن » : منسوبة

إلى بنى مازن بن الازد بن الغوث بن نبت . راجع الجمهرة ٣١١ و « السبخة » : بالتحريك الارض الملحة النازة . موضع بالبصرة . و « الزابوقة » فى اللغة : شبه دغل فى بناء ، ←

فنزلوها وأتاها عبد الله بن حكيم التميمي^{٢٢٣} لما نزل السبخة بكتب كانا كتبها إليه ،
فقال لطلحة : يا أبا محمد ! أما هذه كتبك إلينا ؟

قال : بلى .

قال : فكتبت أمس تدعونا إلى خلع عثمان و قتله حتى إذا قتلته أتيتنا نائراً
بدمه ؟ فلعمري ما هذا رأيك ، لا تريد إلا هذه الدنيا . مهلاً . إذا كان هذا رأيك فلم قبلت
من علي ما عرض عليك من البيعة ، فبايعته طابعاً راضياً ، ثم نكثت بيعتك ، ثم جئت
لتدخلنا في فتنك ، فقال : إن علياً دعاني إلى بيعته بعد ما بايع الناس ، فعلمت أنني
لولم أقبل ما عرضه علي لم يتم لي ، ثم يغري بي من معه .

قال : ثم أصبحنا من غد ، فصفا للحرب ، و خرج عثمان بن حنيف إليهما في
أصحابه ، فناشدهما الله و الإسلام وأذكرهما ببيعتهما علياً ، فقالا : نطلب بدم عثمان .
فقال لهما : وما أنتما وذلك ، أين بنوه ؟ أين بنو عمه الذين هم أحق به منكم^(٢٣٣) ؟
كلاً و الله ، ولكنكما حسدتماه حيث اجتمع الناس عليه ؛ و كنتما تروجان هذا الأمر ،
و تعملان له ؛ و هل كان أحد أشد على عثمان قولاً منكما ، فشتماه شتماً قبيحاً و ذكرا
أمه ، فقال : للزبير أما و الله لولا صفة و مكانها من رسول الله فإنها أدتكم إلى الظل
و إن الأمريني و بينك يا ابن الصعبة^(٢٣٤) - يعني طلحة - أعظم من القول . لأعلمتكما
من أمر كما ما يسؤ كما . اللهم إنني قد أعذرت إلى هذين الرجلين .

ثم حمل عليهم و اقتتل الناس قتالاً شديداً ثم تحاجزوا و اصطلحوا على أن يكتب
بينهم كتاب الصلح ، فكتب :

← أو بيت : يكون له زوايا معوجه . و موضع قرب البصرة كانت فيه وقعة الجمل أول النهار .

معجم البلدان .

(٢٣٣) لعله يقصد : أن هذا الأمر يجب أن يقوم به أولاد عثمان و بنو عمه ، فانهم هم

الذين ينبغي أن يسوقوا الجيوش للطلب بشار عثمان .

(٢٣٤) صفة ام الزبير كانت ابنة عبد المطلب و عمه رسول الله ، و الصعبة أم طلحة ،

بنت عبد الله بن مالك الحضرمي .

هذا ما اصطاح عليه عثمان بن حنيف الأنصاري و من معه من المؤمنين من شيعة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب . و طلحة و الزبير و من معهما من المؤمنين و المسلمين من شيعتهما . إنّ لعثمان بن حنيف دار الإمارة ، و الرحبة ، و المسجد ، و بيت المال ، و المنبر . و إنّ لطلحة و الزبير و من معهما أن ينزلوا حيث شاؤا من البصرة و لا يضارّ بعضهم بعضاً في طريق ، و لا فرضة ،^(٢٣٥) و لا سوق ، و لا شريعة ، و لا مرفق ، حتّى يقدم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب فإن أحبّوا دخلوا في ما دخلت فيه الأمة ، و إن أحبّوا لحق كل قوم بهواهم و ما أحبّوا من قتال أو سلم أو خروج أو إقامة ، و على الفريقين بما كتبوا عهد الله و ميثاقه . و أشدّ ما أخذه على نبيّ من أنبيائه من عهد و زمّة .

و ختم الكتاب . و رجع عثمان بن حنيف حتّى دخل دار الإمارة ، و قال لأصحابه : الحقوا رحمكم الله بأهلكم ، وضعوا سلاحكم و داووا جرحاكم ، فمكثوا كذلك أياماً ثمّ إنّ طلحة و الزبير قالوا : إنّ قدم عليّ و نحن على هذا الحال من القلّة و الضعف ليأخذنّ بأعناقنا ، فأجمعنا على مراسلة القبائل ، و استمالة العرب ، فأرسلنا إلى وجوه الناس و أهل الرياسة و الشرف ، يدعوهم إلى الطلب بدم عثمان ، و خلع عليّ ، و إخراج ابن حنيف من البصرة ، فبايعهم على ذلك الأزد و ضبة و قيس عيلان ،^(٢٣٦) كلّها إلا الرجل

(٢٣٥) الفرضة من النهر : التلثة ينحدر منها الماء و تصعد منها السفن و يستقى منها .

(٢٣٦) الأزد . قال ابن منظور : الأزد لغة في الاسد . تجمع قبائل و عمائر كثيرة

في اليمن . و أزد : أبوحي من اليمن . و هو أزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن كهلان ابن سبأ . و هو أسد ، بالسين أفصح . يقال أزد شنوأة . و أزد عمان . و أزد السراة ، راجع الاشتقاق ٤٣٥ و ٤٦٨ و جمهرة أنساب العرب ٣١١ - ٣٦٤ .

و ضبة بن أد بن طابخة . و أكبر قبائل بني ضبة : بنو بكر بن سعد بن ضبة ؛ قتل

منهم سبعمائة بين يدي المؤمنين يوم الجمل ، و كان من أشرف المقتولين فيهم يوم ذاك عمرو بن يثرب ، و الحصين بن ضرار .

جمهرة الانساب ١٩٢ - ١٩٥ : و راجع الاشتقاق ١٨٩ .

و قيس عيلان : قبيلة من مضر نسبة الى قيس عيلان بن مضر بن نزار ؛ و بنو جشم

من قيس عيلان ، و منهم عتبة بن غزوان الذي بنى البصرة ، و منهم المغيرة بن ←

والرجلين من القبيلة كرهوا أمرهم فتواروا عنهم، وأرسلوا إلى هلال بن وكيع التميمي^{٢٣٧} فلم يأتهم فجاءه طلحة والزبير إلى داره، فتوارى عنهما، فقالت له أمه: ما رأيت مثلك! أتاك شيخا قريش، فتواريت عنهما، فلم تزل به حتى ظهر لهما، وبايعهما، ومعه بنو عمرو بن تميم كلهم وبنو حنظلة إلا بني يربوع، فإن عامتهم كانوا شيعة لعلي، وبايعهم بنو دارم كلهم إلا نفر من بني مجاشع ذوي دين وفضل.

فلما استوثق لطلحة والزبير أمرهما خرجا في ليلة مظلمة ذات ريح ومطر، و معهما أصحابهما قد ألبسوهم الدروع و ظاهروا فوقها بالثياب، فانتهوا إلى المسجد وقت صلاة الفجر، وقد سبقهم عثمان بن حنيف إليه، وأقيمت الصلاة فتقدم عثمان ليصلي بهم

← الاخنس الذي قتل مع عثمان يوم الدار. راجع الجهرة ٢٣٢ - ٢٧٥ و الاشتقاق ٢٦٥ - ٢٦٦.

(٢٣٧) هلال بن وكيع بن بشر بن عمرو الدارمي التميمي.

قال ابن دريد: وكيع بن بشر، كان سيد بني تميم، رأسه عمر بن الخطاب، وابنه هلال رأسه عمر بعد أبيه. الاشتقاق ص ٢٣٥؛ وفي الاستيعاب ص ٥٩٨: قتل مع عائشة يوم الجمل وراجع اسد الغابة ٦٩٥.

و هؤلاء قبائل تميم الذين ذكرهم أبو مخنف:

تميم بن مرة بن أد. و بنوه ثلاثة:

١ - الحارث بن تميم.

ب - عمرو بن تميم. و بنوه سبعة. و اياهم يقصد بقوله: «بنو عمرو بن تميم».

ج - زيد مناة. و بنوه خمسة. منهم: مالك بن زيد مناة.

و بنو مالك أربعة، منهم: حنظلة. و فيهم البيت والعدد.

و بنو حنظلة ثمانية منهم: يربوع. و مالك.

و بنو يربوع ثمانية. و اياهم يقصد في قوله: «الا بنو يربوع».

و بنو مالك أحد عشر و فيهم البيت والعدد من بني حنظلة.

و من بني مالك: دارم و اليه كان ينتسب هلال بن وكيع الدارمي.

و بنو دارم تسعة، منهم مجاشع. و اياهم يقصد في قوله: «من بني مجاشع».

و مجاشع هو ابن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم.

راجع جهرة أنساب العرب ص ١٩٧ - ٢٢٠ و الاشتقاق ٢٠١ - ٢٦١.

فأخّره أصحاب طلحة والزبير و قدّموا الزبير ، فجاءت السباجة (٢٣٨) وهم الشرط حرس بيت المال ، فأخّروا الزبير و قدّموا عثمان ؛ فغلبهم أصحاب الزبير فقدّموا الزبير و أخّروا عثمان ؛ و لم يزالوا كذلك حتّى كانت الشمس أن تطلع ، و صاح بهم أهل المسجد : ألا تتّقون الله يا أصحاب محمّد ، و قد طلعت الشمس ؛ فغلب الزبير فصلّى بالناس ؛ فلمّا انصرف من صلاته صاح بأصحابه المستسلحين : أن خذوا عثمان بن حنيف ؛ فأخذوه بعد أن تضارب هو و مروان بن الحكم بسيفيهما ؛ فلمّا أسرّ ضرب ضرب الموت ، و نُتِف حاجباه و أشقار عينيه و كلّ شعرة في رأسه و وجهه ؛ و أخذوا السباجة و هم سبعون رجلاً ، فانطلقوا بهم و بعثمان بن حنيف إلى عائشة ؛ فقالت : لأبأن بن عثمان : أخرج إليه فاضرب عنقه فإنّ الأنصار قتلت أبأك ، و أعانت على قتله ؛ فنأدى عثمان : يا عائشة ! و يا طلحة ! و يا زبير ! إن أخي سهل بن حنيف خليفة عليّ بن أبي طالب على المدينة و أقسم بالله إن قتلتموني ليضعنّ السيف في بني أبيكم ، و أهلكم ، و رهطكم ، فلا يبقى منكم أحداً ، فكفّوا عنه و خافوا أن يوقع سهل بن حنيف بعيالانهم و أهلهم بالمدينة ، فتر كوه ؛ و أرسلت عائشة إلى الزبير : أن اقتل السباجة ، فإنّه قد بلغني الذي صنعوا بك ، قال : فذبّحهم والله الزبير كما يذبح الغنم . و لي ذلك منهم عبدالله ابنه ، و هم سبعون رجلاً ، و بقيت منهم طائفة مستمسكين ببيت المال قالوا : لن ندفعه إليكم حتى يقدم أمير المؤمنين ، فسار إليهم الزبير في جيش ليلاً ، فأوقع بهم و أخذ منهم خمسين أسيراً ، فقتلهم صبراً .

قال أبو مخنف : فحدّثنا الصقعب بن زهير قال : كانت السباجة القتلى يومئذ أربع مائة رجل ؛ قال : فكان غدر طلحة و الزبير بعثمان بن حنيف أوّل غدر كان في الإسلام ، و كان السباجة أوّل قوم ضربت أعناقهم من المسلمين صبراً ؛ قال : و خيرّوا عثمان بن حنيف بين أن يقيم أو يلحق بعليّ ؛ فاختر الرحيل ؛ فخلّوا سبيله فلحق بعليّ ، فلمّا رآه بكى ،

(٢٣٨) السباجة قوم ذوو جلد من السند و الهند ، يكونون مع رئيس السفينة البحرية و أحدهم سبيجي و جمعت على سباجة كالبرابرة و ربما قالوا : السابج ، و قال الجوهري : السباجة قوم من السند كانوا بالبصرة جلاوزة و حراس السجن . لسان العرب ؛ و المعتزلي في شرحه الخطبة السابقة .

وقال: فارقتك شيخاً وجمتك أمرد؛ فقال عليٌّ: إننا لله وإننا إليه راجعون، قالها ثلاثاً؛ فلما بلغ حكيم بن جبلة ما صنع القوم بعثمان بن حنيف خرج في ثلاثمائة من عبد القيس مخالفاً لهم ومنازلاً، فخرجوا إليه، وحملا عائشة على جمل، فسمي ذلك اليوم يوم الجمل الأصغر. ويوم عليٍّ يوم الجمل الأكبر، وتجادل الفريقان بالسيوف، فشدَّ رجلٌ من الأزد من عسكر عائشة على حكيم بن جبلة، فضرب رجله فقطعها، ووقع الأزدى عن فرسه، فبجنا حكيم فأخذ رجله فرمى بها الأزدى، فصرعه؛ ثم دبَّ إليه، فقتله متسكناً عليه، خانقاً له حتى زهقت نفسه؛ فمرَّ بحكيم إنسان وهو يوجد بنفسه، فقال: من بك؟ قال: و سادي، فنظر فإذا الأزدى تحته. وكان حكيم شجاعاً مذكوراً. قال: و قتل مع حكيم إخوة له ثلاثة، و قتل أصحابه كلهم وهم ثلاثمائة من عبد القيس، والقليل منهم من بكر بن وائل (٢٣٩).

فلما صفت البصرة لطلحة و الزبير بعد قتل حكيم و أصحابه و طرد ابن حنيف عنها؛ اختلفا في الصلاة، و أراد كلُّ منهما أن يؤمَّ بالناس، و خاف أن تكون صلاته خلف صاحبه تسليمياً و رضاءً بتقدّمه، فأصلحت بينهما عائشة، بأن جعلت عبد الله بن الزبير و محمد ابن طلحة يصلّيان بالناس هذا يوماً، و هذا يوماً و روى المعتزلي (٢٤٠): أن طلحة و الزبير تدافعا الصلاة، فأمرت عائشة عبد الله يصلّي قطعاً لمنازعتهم، فإن ظهروا كان الأمر إلى عائشة، تستخلف من شاءت

و اختلفت الروايات في كيفية السلام على الزبير و طلحة، فروي أنه كان

(٢٣٩) عبد القيس هم ولد عبد القيس بن أفضى بن دعوى بن جديلة بن أسد بن ربيعة نزار. و النسبة إليه عبدى. منهم حكيم بن جبلة. و بنو صوحان: زيد، و صعصعة، و سيحان، الجمهرة ٢٧٨ - ٢٨٢، و لسان العرب.

و بكر بن وائل نسبة إلى بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفضى بن دعوى، و النسبة إليه بكرى، الجمهرة ٢٨٥ و ٢٩٠ - ٣٠٨ و لسان العرب.

(٢٤٠) ابن أبي الحديد ج ١٦٦٢، و ابن أعثم ص ١٧٠ من الجائز ان ام المؤمنين كانت قد عينت كلا الابنين للصلاة و الابوين للامارة، ثم خصت عبد الله للصلاة و أباه للحرب، لان عبد الله بن الزبير كان أحب الناس إلى خالته أم المؤمنين و ذواتها بالبعث عليها.

يسلم على الزبير وحده بالإمرة ، فيقال : السلام عليك ، أيها الأمير ، لأن عائشه ولته أمر الحرب .

وروي أنه كان يسلم على كل واحد منهما بالإمرة .

قال أبو مخنف : ثم دخلا بيت المال في البصرة ، فلما رأوا ما فيه من الأموال ، قال الزبير : « وعدكم الله مغنم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذا (٢٤١) . » فنحن أحمق بهامن أهل البصرة . فأخذوا ذلك المال كله : فلما غلب علي رد تلك الأموال إلى بيت المال وقسمها في المسلمين ، انتهى رواية أبي مخنف في كتابه الجمل (٢٤٢) .

استمداد علي من الكوفة وخطبته فيهم

أمّا علي فقد كان أرسل ابنه الحسن إلى أهل الكوفة يستنفرهم ؛ فلما قدموا إليه قام فيهم خطيباً فقال :

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين و آخر المرسلين ؛ أمّا بعد . فإن الله بعث محمداً ﷺ إلى الثقلين كافة ، والناس في اختلاف والعرب بشر المنازل ، مستضعفون لِمابهم ، فرأب الله به الثأبي (٢٤٣) ، ولأم به الصدع (٢٤٤) ، ورتق به الفتق ، وأمن به السيل ، وحقق به الدماء ، وقطع به العداوة الموغرة (٢٤٥) للقلوب ، والضغائن المشحنة (٢٤٦) للصدر ؛ ثم قبضه الله تعالى مشكوراً سعيه ، مرضياً عمله ، مغفوراً ذنبه ، كريماً عند الله نزله . فيالها من مصيبة عمت المسلمين ، وخصت الأقربين . وولي أبو بكر فسار فينا بسيرة رضى ، رضي بها المسلمون . ثم ولي عمر فسار بسيرة أبي بكر رضي الله عنهما . ثم ولي عثمان فنال منكم ونلتم منه . ثم كان من أمره ما كان ، أتيتموه فقتلتموه ، ثم أتيتموني فقتلتم : لو بايعتنا ؟ فقلت : لأفعل ، و قبضت يدي فبسطتموها ،

(٢٤١) سورة الفتح الآية ٢٠ .

(٢٤٢) وقد استخرجناه كما ذكرنا من ابن أبي الحديد ج ٢ ر ٤٩٧ - ٥٠١ .

(٢٤٣) رأب الله به الثأى : أصلح به الفساد .

(٢٤٤) لام به الصدع : أصلحه ،

(٢٤٥) الموغرة : الموقدة في الصدر .

(٢٤٦) المشحنة أى الموغرة ، يقال شحن عليه ، كفرح - اذا حقد .

ونازعتكم كفتي فجذبتموها وقتلتم: لانرضى الابك، ولا نجتمع إلا عليك، وتراكمتم عليّ تراكم الإبل الهيم على حياضها يوم ورودها، حتى ظننت أنكم قاتلي وأن بعضكم قاتلٌ بعضاً، فبايعتموني، وبايعني طلحة والزبير، ثم مالبتا أن أستأذناي إلى العمرة. فسارا إلى البصرة فقاتلا بها المسلمين، وفعلاها الأفاعيل، وهما يعلمان والله أني لست بدون من مضى، ولو أشاء أن أقول لقلت: اللهم إنهما قطعاً قرابتي، ونكثا بيعتي، وألبا عليّ عدويّ. اللهم فلا تحكم لهما ما أبرما. وأرهما المساة فيما عملا (٢٤٧).

تلاقي الجيشين والمراسلة.

وروى الطبري (٢٤٨) وقال سار عليّ من الزاوية (٢٤٩) يريد طلحة والزبير وعائشة وساروا يريدون عليّاً فالتقوا عنده موضع قصر عبيدالله بن زياد... فاقاموا ثلاثة أيام لم يكن بينهم قتال، يرسل إليهم عليّ ويكلّمهم ويردّهم، انتهى. ولم يذكر الطبري ما دار بينهم من كتب ومحاججات، وإنما ذكر بعضها ابن قتيبة وابن أعثم والرضي في نهج البلاغة ومنها الكتاب الآتي (٢٥٠) الذي كتبه إلى طلحة والزبير مع عمران بن الحصين الخزاعي. قال فيه: أمّا بعد. فقد علمتما وإن كنتما أني لم أرد الناس حتى أردوني، ولم أبايعهم حتى بايعوني وإنكما ممن أردني و بايعني، وإن العامة لم تبايعني لسultan غالب، ولا لعرض حاضر (٢٥١) وإن كنتما بايعتماي طائعين فارجعاً وتوبا إلى الله من قريب، وإن كنتما بايعتماي كارهين فقد جعلتما لي عليكما

(٢٤٧) العقد الفريد ٣١٨ر٤.

(٢٤٨) الطبري ١٩٩ر٥.

(٢٤٩) الزاوية على ما ذكره الحموي عدة مواضع، منها: موضع قرب البصرة و

اخرى قرية على شاطئ دجلة بين واسط والبصرة يقال لها: الزاوية ويقابلها قرية اخرى يقال لها الهبئة.

(٢٥٠) نهج البلاغة ج ٣ ر ١٢٢ و الامامة و السياسة ص ٦٥ ط. مصطفى محمد و

أعثم ص ١٧٣.

(٢٥١) العرض الحاضر: ما سوى التقدين من المال.

السييل (٢٥٢) بإظهار كما الطاعة، وإسرار كما المعصية، ولعمري ما كنتما بأحق المهاجرين بالنقيصة والكتمان، وإن دفعكما هذا الأمر من قبل أن تدخلا فيه (٢٥٣) كان أوسع عليكم من خروجكما منه بعد إقرار كما به؛ وقدزعمتما أنني قتلت عثمان، فبيني وبينكما من تخلف عني وعنكما من أهل المدينة، ثم يلزم كل امرئ بقدر ما احتمال؛ فارجعا أيها الشيخان عن رأيكما، فإن الآن أعظم أمر كما العار من قبل أن يجتمع العار والنار والسلام.

ثم أرسل ابن عباس إلى الزبير خاصة وقال: له (٢٥٤) لائقين طلحة فإنك إن تلقه تجده كالثور عاقصاً قرنه يركب الصعب ويقول: هو الذلول، ولكن القى الزبير فإنه أليّن عريكةً فقل له: يقول لك ابن خالك: عرفتنى بالحجاز وأنكرتني بالعراق، فماعدامابداً (٢٥٥).

وفي رواية ابن عساكر: يقول لك علي: نشدتك الله ألسنتي بايعتني طائعا غير مكره فما الذي أحدثت فاستحللت به قتالي.

قال ابن عباس: قلت الكلمة للزبير فلم يزدني على أن قال: قل له: إننا مع الخوف الشديد لنطمع (٢٥٦).

وقال لي ابنه عبد الله: قل له: بيننا وبينك دم خليفة ووصية خليفة، واجتماع

(٢٥٢) أي جعلتما الحججة لي عليكما.

(٢٥٣) يعني الخلافة.

(٢٥٤) نهج البلاغة ج ١ ص ٧٢ - ٧٣. والعقد الفريد ٤/٣١٤، وفي الاغانى

١٦ ر ١٢٧ ذكر ارسال ابن عباس الى الزبير مع اختلاف في الالفاظ و ابن عساكر ٣٦٣، ٣٦٥.

(٢٥٥) (عص الشعر) ضفره و فنتله، و لواه. و هو تمثيل له في تغطرسه و

كبره وعدم اتقياده (والعريكة) الطبيعة. عرفه بالحجاز، فبايعه و أنكره بالعراق، فنكث بيعته و خرج عليه. (فماعدامابدا) أي فما صرفك عن الذي ظهر منك، قال الشريف وهو أول من سمعت منه هذه الكلمة.

(٢٥٦) رواه محمد بن اسحاق و الكلبي، راجع شرح النهج ج ٢ ر ١٦٥ تحقيق محمد

أبو الفضل و في الاغانى ١٦ ر ١٢٦ قريبا منه.

اثنين ، وانفراد واحد ، وأم مبرورة ، ومشاورة العامة ، قال : فعلمت أنه ليس وراء هذا الكلام إلا الحرب ، فرجعت إلى علي عليه السلام فأخبرته (٢٥٧) .

ثم أرسل عبدالله بن عباس وزيد بن صوحان إلى عائشة (٢٥٨) وقال لهما : اذهبا إلى عائشة وقولا لها إن الله أمرك أن تقرّي في بيتك وألا تخرجي منه وإنك لتعلمين ذلك غير أن جماعة قد أغرّوك ، فخرجت من بيتك ، فوقع الناس لاتفاقك معهم في البلاء والعناء ، وخير لك إن تعودي إلى بيتك ولا تحومي حول الخصام والقتال ، وإن لم تعودي ولم تطفئي هذه النائرة فأنها سوف يعقب القتال ، ويقتل فيها خلق كثير فاتقي الله يا عائشة ! وتوبي إلى الله ، فإن الله يقبل التوبة من عباده ويعفو . وإياك أن يدفعا حبّ عبد الله بن الزبير وقرابة طلحة إلى أمر يعقبه النار .

فجاءا إلى عائشة وبلغا رسالة علي إليها ، فقالت . إنني لأرد علي ابن أبي طالب بالكلام ، لأنني لأبلغه في الحجاج ، فرجعا إليه وأخبراه بما قالت .
وفي رواية أخرى أن طلحة نادى بأصحابه : ناجزوا القوم فإنكم لاتقومون لحجاج ابن أبي طالب وخطب عبدالله بن الزبير وقال :

أيها الناس ! إن علي ابن أبي طالب قتل الخليفة بالحق عثمان ، ثم جهّز الجيوش إليكم ليستولي عليكم ، ويأخذ مدينتكم ، فكونوا رجالاً تطالبون بثأر خليفتمكم ، واحفظوا حريمكم ، وقاتلوا عن نسائكم وذراريكم وأحسابكم وأنسابكم ، أترضون لأهل الكوفة أن يردوا بلادكم ، اغضبوا فقد غوضتم ، وقاتلوا فقد قوتلتم ألا وإن علياً لا يرى أن معه في هذا الأمر أحداً سواه ، والله لمن ظفر بكم ليهلكن دينكم ودنياكم .

(٢٥٧) لقد نسب ابن عبد ربه؛ هذا الجواب الى الزبير نفسه في العقد الفريد

٤٣٤٤ غير ان الزبير بن بكار نسبه الى عبدالله بن الزبير وهو الاشبه بالصواب ، كما في شرح النهج ٢١٦٩٢ ، وابن عساكر ٣٦٣٥ ، ويقصد بدم الخليفة : دم عثمان الذي يتهم به علي ابن أبي طالب ، ووصية خليفة : عهد عمر بالشورى ، واجتماع اثنين : اجتماع طلحة والزبير من أهل الشورى على نقض بيعته وانفراد واحد : انفراد علي بالامر ، وام مبرورة : عائشة ، التي كانت معهم ضد علي .

(٢٥٨) تاريخ ابن أعثم ص ١٧٥ .

وأكثر من هذا القول ونحوه ، فبلغ ذلك علياً ، فقال لولده الحسن : قم يا بني فاخطب فقام الحسن خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيّه ، ثم قال :
أيّها الناس ! قد بلغنا مقالة ابن الزبير في أبي ، وقوله فيه : إنه قتل عثمان وأنتم يامعشر المهاجرين والأنصار وغيرهم من المسلمين علمتم بقول الزبير في عثمان ، وما كان اسمه عنده ، وما كان يتجنّى عليه .

وإنّ طلحة يومذاك راكز رايته على بيت ماله ، وهو حيٌّ ؛ فأنى لهم أن يرموا أبي بقتله وينطقون بدمه ، ولو شئنا القول فيهم لقلنا .
وأما قوله : إنّ علياً ابتزّ الناس أمرهم ، فإنّ أعظم حجةٍ لأبيه زعم أنّه بايعه بيده ولم يبايعه بقلبه ، فقد أقرّ بالبيعة وادّعى الوليعة فليأت على مادّعاه بيرهان ، وأنى له ذلك .

وأما تعجّبه من تورّد أهل الكوفة على أهل البصرة ، فما عجبه من أهل حق تورّدوا على أهل باطل .

أما أنصار عثمان فليس لنا معهم حرب ولا قتال ، ولكننا نحارب راكبة الجمل وأتباعها (٢٥٩) .

ولما رجعت رسل عليّ عليه السلام من عند طلحة و الزبير وعائشة يؤذنونه بالحرب (٢٦٠) قام ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله ثم قال : أيّها الناس ! إنّي راقت هؤلاء القوم كي يرعوا أو يرجعوا وبختهم بنكثهم ، وعرفتهم بغيهم ، فلم يستحيوا ، وقد بعثوا إليّ أن ابرز للطعان ، واصبر للجبال ، وإنّما تمنيتك نفسك ، أماني الباطلة ، وتعدك الغرور ؛ ألا هبّلتهم الهبول (٢٦١) لقد كنت وما أهدر بالحرب ، ولا أهرب بالضرب ! ولقد أنصف القارة من رامها (٢٦٢) فليس عبدوا وليس قوا ، فقد رأوني

(٢٥٩) روى الخطبتين ابن اعثم في ص ١٧٤ والمفيد في الجمل ١٥٨ - ١٥٩ ؛

والوليعة : الدخيلة والامر يسرويكتم .

(٢٦٠) تاريخ أعثم ١٧٥ و ابن أبي الحديد ج ١٠١ .

(٢٦١) هبّلتهم الهبول : تكلمتهم الشواكل من النساء .

(٢٦٢) القارة من بني الهون بن خزيمة بن مدركة بن الياس ، أخو بني أسد و

كانوا حلفاء لبني زهرة من قريش ، ابن خلدون ٢ ر ١٣٩ ؛ وكانوا مشهورين بجودة ←

قديماً وعرفوا نكايتي ، فكيف رأوني ! أنا أبو الحسن الذي فلتت حدّ امشر كين ، وفرقت
بجماعتهم ، و بذلك القلب ألقى عدوي اليوم وإني لعلّ على ما وعدني ربي من النصر والتأييد
وعلى يقين من أمري ، وفي غير شبهة من ديني ، أيها الناس : إنّ الموت لا يفوته المقيم
ولا يعجزه الهارب . ليس عن الموت محيدٌ ولا محيصٌ . ومن لم يقتل مات . إنّ أفضل الموت
القتل . و الذي نفس عليّ بيده لألف ضربة بالسيف أهون من موتةٍ واحدةٍ على الفرائس .
ثمّ مدّ يده بالدعاء وقال : اللهم إنّ طلحة نكث بيعتي و ألّب على عثمان حتّى قتله ثمّ
عضني به (٢٦٣) و رماني . اللهم فلا تُمهله . اللهم إنّ طلحة قطع رحمي و نكث بيعتي ،
و ظاهر عليّ عدوي فاكفنيه اليوم بما شئت .
ثمّ نزل .

قال ابن أعثم : ثمّ دنت العساكر بعضها إلى بعض و استعرض عليّ جيوشه فبلغوا
عشرين ألفاً و استعرض طلحة و الزبير فبلغوا ثلاثين ألفاً .

الاعذار قبل الحرب

قال الطبري : و التقوا في النصف من جمادي الآخرة سنة ٣٦ يوم الخميس (٢٦٤)
و روى الحاكم و المتقي (٢٦٥) عن عمّ يحيى بن سعيد أنّه قال :

← الرمي وفي لسان العرب : كانوا مائة الحدق في الجاهلية ، و زعموا أن رجلا من بني قارة
و آخر من بني أسد التقي ، فقال القارى : ان شئت صارعتك ، وان شئت راميتك ، فقال
الاسدي : اخترت المراماة .

فقال القارى : لقد أنصفتني و أنشد .

قد أنصف القارة من رامها انا اذا ما فتة نلقاها

✽ نرد أولها على اخرها ✽

ثم انتزع له سهماً فشك فؤاده ، و قيل غير ذلك ، راجع تاريخ يعقوبى ج ١
٢٦٥ : ط بيروت .

(٢٦٣) العضه : الافك . البهتان .

(٢٦٤) الطبرى ١٩٩٥ ، و الاغانى ١٦ ر ١٢٦ .

(٢٦٥) المستدرک ج ٣ ر ٣٧١ و فى تلخيصه للذهبي بهامشه كذلك . و فى كنز العمال

٨٥٦ ، الحديث ١٣١١ .

لما كان يوم الجمل نادى عليٌّ في الناس :

لا يرمين رجل بسهم ، ولا يطعن برمح ، ولا يضرب بسيف ، ولا تبدأوا القوم بالقتال ، و كلموهم بأطف الكلام ، فإن هذا مقام من أفلح فيه فليح يوم القيامة .

قال : فلم نزل ووقوفاً حتى تعالي النهار ، و نادى القوم بأجمعهم : « يا لثارات عثمان » فنادى عليٌّ محمد بن الحنفية ، قال و ابن الحنفية أماننا بربوة معه اللواء ، فأقبل علينا يعرض بوجهه ؛ فقال له عليٌّ : ما يقولون ؟ فقال : يقولون : « يا لثارات عثمان » فرفع يديه فقال : اللهم اكب اليوم قتلة عثمان بوجوههم .

و قال غيره من أهل السير و الأخبار (٢٦٦) لما تراحف الناس يوم الجمل و التقتوا قال عليٌّ :

لا تقاتلوا القوم حتى يبدؤوكم ، فإنكم بحمد الله على حجة ، و كفكم عنهم حتى يبدؤوكم حجة أخرى و إذا قاتلتموهم فلا تجهزوا على جريح ، و إذا هزمتموهم فلا تتبعوا مدبراً ، ولا تكشفوا عورة ، و لا تمثلوا بقتيل ، و إذا وصلتكم إلى رحال القوم فلا تهتكوا سترأ ، و لا تدخلوا داراً ، و لا تأخذوا من أموالهم شيئاً .

و في رواية المسعودي بعده : و لا تقربوا من أموالهم إلا ما تجدونه في عسكرهم من سلاح أو كراع أو عبد أو أمة ، و ما سوى ذلك فهو لورثتهم على كتاب الله (٢٦٧) و لا تهيجوا امرأة بأذى و إن شتمت أعراضكم و سبين أمراءكم و صاحباكم ، فإنهن ضعاف القول و الأنفس و العقول ، و لقد كننا نؤمر بالكف عنهن و إنهن مشركات و إن كان

(٢٦٦) رواه اليعقوبي ، و المسعودي ، و ابن أعثم ، و كلما ننقل عنهم الى آخر

ما نوره في حرب الجمل فما كان عن اليعقوبي فقد نقلناه عن تاريخه ج ٢ ١٥٧ - ١٦٠ و المسعودي فقد نقلناه عن مروجه بهامش ابن الاثير ج ٥ ١٨٨ - ٢٠١ ، و أما ابن أعثم فمن تاريخه ص ١٧٥ - ١٨٣ ، و قد ذكر هؤلاء الثلاثة ما أوردناه و أخرجه أبو الفرج في الاغانى ج ١٦ ١٢٧ ، و أبو مخنف في كتابه الجمل برواية ابن أبي الحديد عنه في شرحه ج ٢ ٤٣٠ و ٨١ منه ، و في عباراتهم بعض الاختلاف ، و بعضهم قد ذكره ملخصاً و قد تخيرنا اللفظ من الاخير .

(٢٦٧) عدنا الى رواية أبي مخنف السابقة .

الرجل ليتناول المرأة بالهراوة والجريدة فيعير بها عقبه من بعده (٢٦٨) .
و روى الحاكم أن الزبير قال للأساورة - الذين كانوا معه - ارموهم برشق كأنه
أراد أن ينشب القتال (٢٦٩) .

و قال ابن أعثم وغيره : إن عائشة قالت : ناولوني كفاً من الحصة ، و حصبت بها
وجوه أصحاب علي ، و صاحت بأعلى صوتها : شامت الوجوه ! - كما صنع رسول الله يوم
حنين - فنادها رجل من أصحاب علي وما رميت إذ رميت و لكن الشيطان رمى (٢٧٠) .
و ذكر الطبري وغيره و اللفظ للطبري (٢٧١) قال : أخذ علي مصحفاً يوم الجمل
فطاف به في أصحابه و قال : من يأخذ هذا المصحف يدعوهم إلى ما فيه و هو مقتول ؟
فقام إليه فتى من أهل الكوفة عليه قباء أبيض محشو ، فقال : أنا ، فأعرض عنه ، ثم قال :
من يأخذ هذا المصحف يدعوهم إلى ما فيه و هو مقتول ؟ فقال الفتى : أنا ، فدفعه إليه ،
فدعاهم فقطعوا يده اليمنى فأخذه بيده اليسرى ، فدعاهم فقطعوا يده اليسرى ؛ فأخذه
بصدره و الدماء تسيل على قبائه ، فقتل .

وفي رواية أخرى للطبري : فقال علي لأصحابه : أيكم يعرض عليهم هذا المصحف
وما فيه فإن قطعت يده ، أخذه بيده الأخرى ، وإن قطعت أخذه بأسنانه قال فتى شاب :
أنا ؛ فطاف علي على أصحابه يعرض عليهم ذلك فلم يقبله إلا ذلك الفتى ، فقال له علي :

(٢٦٨) « الهراوة » : العصا الضخمة . و « الجريدة » : قصب النخل .

(٢٦٩) الاسوار بفتح الهمزة والاسوار بكسرهما : قائد الفرس ، والفارس المقاتل
منهم ، و قيل هو الذي يجيد الرمي بالسهم ، أو الجيد الثبات على ظهر الفرس ، و الجمع
منه أساورة و أساور ؛ و الاساورة : قوم من الهنم بالبصرة قديماً كالأحامرة بالكوفة . لسان
العرب . و « الرشق » أن يرمى أهل النبال مامعهم من السهم ، ثم يعودوا ، فكل شوط من ذلك
رشق . و اذا رمى الرماة بأجمعهم بجميع سهامهم في جهة واحدة قالوا رمينا رشقوا واحداً .
(٢٧٠) ابن أعثم ص ١٧٩ - ١٨٠ ، و في شرح النهج ار ٨٥١ .

(٢٧١) رواه كل من المتقي في الكنز ٨٥٦ ر ١٣١٣ و الرواية الاولى
من الطبري ص ٢٠٥ و الثانية ٢٠٤ منه و ابن الاثير ١٠٤٣ ر ١٠٤٣ و تاريخ أعثم و الجمل
لابي مخنف على رواية المعتزلي عنه في ج ٤٣١ ر ٤٣١ و في الجمل للمفيد أن عائشة قالت :
أشجروه بالرماح .

أعرض عليهم هذا ، وقل : هو بيننا وبينكم من أوله إلى آخره ، والله في دماننا ودمائكم ؛ فحمل على الفتى و في يده المصحف . فقطعت يده . فأخذها بأسنانه حتى قتل .

فقال عليٌّ : الآن وجب قتالهم ، فقالت أمُّ الفتى بعد ذلك فيما ترثي :

لاهُمَّ إنَّ مسلماً دعاهم يتلو كتاب الله لا يخشاهم

و أمهم قائمة تراهم يأترون الغي لا تنهاهم

قد خضبت من علق لجاهم

قال أبو مخنف : فقالت أمُّ زريح العبدية في ذلك .

وقال ابن أعثم : إنَّ الفتى كان من مجاشع ، و تقدّم أحد خدم عائشة فضربه

بالسيف و قطع يده .

قال المسعودي : و قام عمّار بن ياسر بين الصفيين و قال : أيّها الناس ! ما أنصفتهم

نبيكم حيث كففتهم عتقاء تلك الخدور ، و أبرزتم عقيلته للسيوف . و عائشة على جمل في

هودج من دفوف الخشب ^(٢٧٢) و قد ألبسوه المسوح ^(٢٧٣) و جلود البقر و جعلوا دونه

اللبود ^(٢٧٤) قدغشي على ذلك بالدروع ، فدنى عمّار من موضعها فنادى : إلى ماذا تدعينني ؟

قالت إلى الطلّب بدم عثمان . فقال : قتل الله في هذا اليوم الباغي و الطالب بغير الحق ،

ثمّ قال : أيّها الناس ! إنكم لتعلمون أيّنا المماليء في دم عثمان ، ثمّ أنشأ يقول و قد

رشقوه بالنبل :

فمنك البداء و منك العويل و منك الرياح و منك المطر

و أنت أمرت بقتل الإمام و قاتله عندنا من أمر

و تواتر عليه الرمي و اتّصل . فحرّك فرسه و زال عن موضعه ، فقال : ما ذا تنتظر يا أمير

المؤمنين و ليس لك عند القوم إلا الحرب ؟ !

وقال أبو مخنف وغيره واللفظ لأبي مخنف ^(٢٧٥) :

(٢٧٢) الدفوف . واحدها الدف و هو صفحة الشيء .

(٢٧٣) المسوح . واحدها المسح و هو الكساء من الشعر . بساط من الشعر .

(٢٧٤) اللبود . واحدها اللبد ما يجعل على ظهر الفرس تحت السرج .

(٢٧٥) ابن أعثم في تاريخه ص ١٧٦ و ١٧٧ ، و أبو الفرج في الاغانى ١٢٧ر ١٢٧ ، ←

فرمى أصحاب الجمل عسكر علي بالنبل رمية شديداً متتابعاً فضج إليه أصحابه وقالوا: عقرتنا سهامهم يا أمير المؤمنين! وحياً، برجل إليه وإنه لفي فسطاط له صغير، فقيل: هذا فلان قد قتل، فقال: اللهم اشهد، ثم قال: اعذروا إلى القوم، فأنتي برجل آخر، فقيل: وهذا قد قتل، فقال: اللهم اشهد، اعذروا إلى القوم، ثم أقبل عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي وهو من أصحاب رسول الله ﷺ يحمل أخاه عبد الرحمن ابن بديل (٢٧٦) قد أصابه سهم فقتله، فوضعه بين يدي علي وقال: يا أمير المؤمنين! هذا أخي قد قتل؛ فعند ذلك استرجع علي ودعا بدرع رسول الله ﷺ ذات الفضول فلبسها فتدلت على بطنه فرفعها بيده وقال لبعض أهله فحزم وسطه بعمامة وتقلد ذا الفقار ورفع إلى ابنه محمد راية رسول الله ﷺ السوداء وتعرف بالعقاب، وقال لحسن وحسين: إنما رفعت الراية إلى أخيكما وتركتما لمكانكما من رسول الله ﷺ.

قال أبو مخنف: وطاف علي على أصحابه وهو يقرأ «أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى» ← كلاهما أورد بعض هذا الحديث؛ واليعقوبي في تاريخه ج ٢ ر ١٥٨، ملخصاً، وأورده أبو مخنف في «الجمل» على رواية ابن أبي الحديد عنه في شرح النهج ج ٢ ر ٨١ و ٤٣٠. وقد تخيرنا اللفظ من الأخير.

(٢٧٦) عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي. اختلفوا في نسبه و كان سيد خزاعة أسلم هو وأبوه يوم الفتح أو قبله، وشهدا حنيناً والطائف و تبوك. توفي أبوه بديل قبل وفاة النبي وأرسل النبي عبدالله وأخاه عبد الرحمن بن بديل إلى اليمن. وشهد مع علي صفين و خطب في أصحابه و قال: قاتلوا الفئة الباغية الذين نازعوا الأمر أهله و قد قاتلتموهم مع رسول الله صلى الله عليه وآله، فوالله ما هم في هذه بأزكى و لا أتقى و لا أبر و حارب يومئذ و عليه درعان و سيفان، فلم يزل يضرب بسيفه حتى انتهى إلى معاوية فأزاله عن موقفه و أزال أصحابه الذين كانوا معه فأقبلوا يرمونه حتى أثنىوه و قتل. فقال معاوية: ان نساء خزاعة لو قدرت أن تقاتلني فضلاً عن رجالها فعلت.

هذا هو عبدالله و قد ذكر بعضهم أن أخاه عبد الرحمن قتل معه بصفين، راجع الاستيعاب ص ٧٠، والترجمة ص ٢٢٠ و ٣٣٩ الترجمة ١٤٥٨، و ص ٣٩٧ الترجمة ١٧٠٣ و اسد الغابة ج ٣ ر ١٢٤ و ٢٨٢ و الاصابة ج ٢ ر ٢٧٢ الترجمة ٤٥٥٩ و المستدرک ج ٣ ر ٣٩٥ صفين ٢٧٦ - ٢٧٧.

يقول الرسول و الذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب .
ثم قال : أفرغ الله علينا و عليكم الصبر ، وأعز لنا و لكم النصر ، و كان لنا و لكم
ظهيراً في كل أمر .

مقتل الزبير

و قال الطبري : فلما توافقوا خرج عليٌّ على فرسه فدعا الزبير . فتوافقا ، فقال :
عليٌّ للزبير : ما جاء بك ؟ قال : أنت و لا أراك لهذا الأمر أهلاً و لا أولى به منا ، فقال له
عليٌّ : لست له أهلاً بعد عثمان (رض) ؟ قد كنا نعدك من بني عبد المطلب حتى بلغ
ابنك ابن السوء ، ففرق بيننا و بينك ، و عظم عليه أشياء ، فذكر أن النبي ﷺ مر
عليهما فقال لعليٍّ : ما يقول ابن عمك ؟ ليقاتلنك و هو لك ظالم ، فانصرف عنه الزبير ،
و قال : فإني لا أقاتلك فرجع إلى ابنه عبد الله فقال : مالي في هذا الحرب بصيرةٌ فقال له
ابنه : قد خرجت على بصيرة . و لكنك رأيت رايات ابن أبي طالب ، و عرفت أن تحتها
الموت فجبنت فأحفظه حتى أرعد و غضب و قال : و يحك إنني قد حلفت له : ألا أقاتله
فقال له ابنه : كفسر عن يمينك بعنق غلامك سرجيس ، فأعته و قام في الصف معهم و كان
عليٌّ قال للزبير : أطلب مني دم عثمان و أنت قتلته ؟ سلط الله على أشدنا عليه اليوم ما يكره .
قد أورد الطبري في هذه الرواية ملخص ما دار بين عليٍّ و الزبير بين الصفيين
و أورد تفصيله في الرواية الآتية حيث قال فيها : خرج الزبير على فرس عليه سلاح ، فقيل
لعليٍّ : هذا الزبير قال : أما إنه أحرى الرجلين إن ذكر بالله أن يذكر ؛ و خرج طلحة
فخرج إليهما عليٌّ ، فدنا منهما حتى اختلف أعناق دوابهم ؛ فقال عليٌّ : لعمرى لقد
أعددتما سلاحاً و خيلاً و رجالاً ؛ إن كنتما أعددتما عند الله عذراً فاتقيا الله سبحانه
و لا تكونا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً ، ألم أكن أخاكما في دينكما تحرمان
دمي و أحرمت دماءكما ؟ فهل من حدث أحل لكما دمي ؟ قال طلحة : ألبت الناس على
عثمان (رض) ، قال عليٌّ : يومئذ يوفيه الله دينهم الحق و يعلمون أن الله هو الحق المبين ،
يا طلحة ! تطلب بدم عثمان (رض) ؟ فلعن الله قتلة عثمان ، يا زبير ! أتذكر يوم مررت
مع رسول الله ﷺ في بني غنم فنظر إليّ فضحك و ضحكت إليه ، فقلت : لا يدع ابن أبي

طالب زهوه؟ فقال لك رسول الله ﷺ: صه إنّه ليس به زهوهٌ و لتقاتلنّه و أنت له ظالم ،
و في تاريخ أعمش (فقال له : ما حملك يا أبا عبد الله على ما صنعت ؟ قال أطلب
بدم عثمان ، قال : أنت وطلحة و ليثماه ، وإنما نوبتك من ذلك أن تقيد به نفسك و تسلمها
إلى وراثته ؛ ثم قال : نشدتك الله أن تذكر . . .) الحديث .

و في رواية الطبري بعده : (٢٧٧) .

فقال : اللهم نعم ، ولو ذكرت ماسرت مسيري هذا ، والله لا أقاتلك أبداً ، فانصرف
عليّ إلى أصحابه ، فقال : أمّا الزبير فقد أعطى عهد الله ألا يقاتلكم ، ورجع الزبير إلى
عائشة ، فقال لها : ما كنت في موطن منذ عقلت إلا و أنا أعرف فيه أمرى غير موطني هذا .
قالت : فما تريد أن تصنع ، قال : أريد أن أدعهم و أذهب ، فقال له ابنه عبد الله : جمعت بين
هذين العارين حتى إذا حدث بعضهم لبعض أردت أن تتر كهم و تذهب أحسست رايات ابن
أبي طالب و علمت أنها تحملها فتية أنجاد .

قال : إنني قد حلفت ألا أقاتله . و أحفظه ما قال له .

فقال له : كفر عن يمينك و قاتله ، فدعا بغلام له يقال له : « مكحول » فأعتقه .

فقال عبد الرحمن بن سليمان التميمي :

لم أركال يوم أخوا إخوان * أعجب من مكفر الأيمان

بالعتق في معصية الرحمان

و قال رجل من شعرائهم :

يعتق مكحولاً لصون دينه * كفارة لله عن يمينه

و النكث قد لاح على جبينه

انتهى حديث الطبري .

و في مروج المسعودي : و خرج عليّ بنفسه حاسراً على بغلة رسول الله ﷺ

لا سلاح عليه ، فنأدى يا زبير اخرج إليّ ! فخرج شاكاً سلاحه ، فقيل لعائشة ، فقالت :

و احرباه بأسماء ! فقيل لها : إن عليّاً حاسراً فاطمأنت ، واعتنق كل واحد منهما صاحبه .

فقال له عليٌّ : و يحك يا زبير ! ما الذي أخرجك ؟
قال : دم عثمان .

قال : قتل الله أولانا بدم عثمان أما تذكر . . ؟ الحديث .

فقال الزبير : أستغفر الله ، ولو ذكرتها ما خرجت .

فقال : يا زبير ! ارجع ، فقال : و كيف أرجع الآن و قد التقت حلقتا البطان ؛ هذا والله العار الذي لا يغسل .

فقال . يا زبير ! ارجع بالعار قبل أن تجمعه العار و النار ، فرجع الزبير وهو يقول :

اخترت عاراً على نار مؤججة
نادى عليٌّ بأمر لست أجعله
فقلت حسبك من عدل أباحسن
ما إن يقوم لها خلق من الطين
عارٌ لعمرك في الدنيا وفي الدين
بعض الذي قلت منذ اليوم يكفيني

فقال ابنه عبد الله : أين تدعنا ؟!

فقال : يا بنيّ أذ كرني أبو الحسن بأمر كنت قد أنسيته .

فقال : لا والله ولكنك فررت من سيوف بني عبد المطلب فإنها طوال حداد ،
تحملها فتية أنجاد .

في رواية أعثم و شرح النهج بعده (فقال الزبير : مالك أخراك الله من ولد
ما أشأمك ، (٢٧٨))

و في رواية المسعودي :

قال الزبير : لا والله ، ولكنني ذكرت ما أنسانيه الدهر ، فاخترت العار على النار .
أبالجين تعيسني ؟ لا أبالك ثم أمال سنانه و شد في الميمنة .

فقال عليٌّ : أفرجوا له فقد هاجوه ، ثم رجع فشد في الميسرة ، ثم رجع فشد
في القلب ثم عاد إلى ابنه فقال : أيفعل هذا جبان . ثم مضى منصرفاً حتى أتى وادي
السباع و الأحنف بن قيس معتزل في قومه من بني تميم ، فأتاه آت فقال : هذا الزبير ماراً ،
فقال : ما أصنع بالزبير و قد جمع بين قمتين عظيمتين من الناس يقتل بعضهم بعضاً وهو مار إلى

منزله سالماً فلحقه نفر من بني تميم فسبقهم إليه عمرو بن جرموز وقد نزل الزبير إلى الصلاة فقال : أتؤمنني أوأمك ؟ فأمه الزبير فقتله عمرو بن جرموز في الصلاة . (٢٧٩)

هكذا انتهت حياة الأمير الأول لجيش أم المؤمنين ، ثم صفت أمانة الجيش لابن عمها طلحة .

مقتل طلحة

قال ابن عساكر : و بعث عليُّ إلى طلحة أن ألقني ، فلقيه فقال له : أنشدك الله أسمعت رسول الله ﷺ يقول : « من كنت مولاه فعليُّ مولاه اللهم وال من والاه و عاد

(٢٧٩) و ذكر المسعودي و أبو مخنف كلاهما قالوا :

فجاء بسيفه الى علي ،

فقال : والله ما كان ابن صفية جباناً و لا لثيماً ولكن الحين و مصارع السوء ثم أخذ سيفه و هزه و قال : سيف طال ما جلي به الكرب عن وجه رسول الله (ص) .

فقال ابن جرموز : الجائزة يا أمير المؤمنين ! فقال : أما اني سمعت رسول الله يقول :

قاتل ابن صفية في النار فخرج ابن جرموز خائباً و قال :

وقد كنت أرجوه الزلفة

أتيت علياً برأس الزبير

فبئست بشارة ذى التحفة

فبشر بالنار يوم الحساب

وضرطة عنز بنى الجحفة

لسيان عندي قتل الزبير

و قال أبو مخنف : ثم خرج ابن جرموز على علي مع أهل النهر فقتله معهم فيمن قتلته .

قد أوردنا ما دار بين علي و الزبير من الطبرى ج ١٩٩٥ و ٢٠٤ ، و الإغاني

١٦٦١٢٦ و أبو مخنف على رواية ابن أبي الحديد عنه كما في شرح النهج ج ٧٨١ ، و

تاريخ أعثم ، و مروج الذهب للمسعودي ، و تهذيب تاريخ ابن عساكر ٣٦٤٥ و أورد

تذكير علي للزبير قول الرسول له و رجوعه عن الحرب في الاستيعاب ص ٢٠٣ ، و اسد

الغابة ج ٢١٩٩ ، و تاريخ ابن الاثير ٩٤٣ - ٩٥ ، و العقد الفريد ٣٢٢٤ - ٣٢٣ ،

والمستدرک ٣٦٦٣ - ٣٦٧ ، و الكنز ٨٢٦ - ٨٣ و ٨٥ منه الحديث ١٢٨٣ و ١٢٩٠

و ١٢٩١ و ١٣١٨ و ١٣١٩ و ١٣٢٠ . عن نذير الضبي ، و عن ابن عباس - مختصراً -

و عن ابن جرير ، و الاسود بن قيس ، و عبد السلام . و النهبي في النبلاء ٣٨ - ٣٩

و اليعقوبى في تاريخه ١٥٨٢ و الاصابة ٥٢٧ الترجمة ٢٧٨٩ .

من عاداه « قال : نعم . فقال له : فلم تقاتلني ؟

وقال الطبري : قال عليّ يا طلحة ! جئت بعرس رسول الله ﷺ تقاتل بها وخبأت عرسك في البيت ؟ أما بايعتني ؟ قال : بايعتك وعلى عنقي اللّج (٢٨٠) .

و روى ابن عساكر والذهبي عن أبي رجاء قال : رأيت طلحة على دابته وهو يقول : يا أيها الناس ! أنصتوا ، فجعلوا يركبونه ولا ينصتون ، فقال : أف فرأى النار و ذئاب طمع .

و في تاريخ ابن أعمش : إن طلحة نادى بأعلى صوته : يا عبادة ! اصبروا ، فإن الصبر و الظفر قرينان ، و إن أجر الصابرين كثير و إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب .

و روي أبو مخنف بسنده إلى جندب بن عبد الله قال : مررت بطلحة و إن معه عصابة يقاتل بهم و قد فشت فيهم الجراح و كثر هم الناس فرأيته جريحاً و السيف في يده و أصحابه يتصدعون عنه رجلاً رجلاً و اثنين فائنين و أنا أسمعهم وهو يقول : عباد الله الصبر الصبر فإن بعد الصبر النصر و الأجر . . . الحديث .

و قال ابن عبد البر و اليعقوبي و ابن عساكر و ابن عبد ربّه و ابن الأثير و ابن حجر : فلما اشتبكت الحرب قال : مروان لأطلب بشاري بعد اليوم ثم رماه بسهم فأصاب ركبته فما رقي الدم (٢٨١) حتى مات ، و قال : لا يختلف العلماء الثقات : في أن مروان قتل طلحة يومئذ و كان في حزبه .

و في طبقات ابن سعد قال طلحة : والله ما بلغت إلينا سهامهم .

و روى المسعودي أن مروان قال لما رأى طلحة : ما أبالي رميت هاهنا أم هاهنا - جيش عليّ أو جيش البصرة - فرماه في أكحله فقتله . (٢٨٢) .

و روى ابن سعد و قال : كان مروان مع طلحة في الخيل فرأى فرجة في درع طلحة

(٢٨٠) اللج السيف .

(٢٨١) ما رقي الدم : ما انقطع .

(٢٨٢) « الاكحل » : عرق في الذراع يفصد .

فقتله . وروى أيضاً وقال : فلما رأى انكشاف الناس نظر إلى طلحة واقفاً ، فقال : والله إن دم عثمان عند هذا ؛ هو كان أشدّ الناس عليه وما أطلب أثراً بعد عين ففوق له سهماً فقتله (٢٨٣) .

وفي المستدرک وابن عساكر و أسد الغابة :

فالتفت إلى أبان بن عثمان وهو معه ، فقال : لقد كفيتك أحد قتلة أبيك .

وروى ابن أعثم تفصیل قتل طلحة هكذا قال : قال مروان لغلّامه : إنني لأعجب من طلحة فإنه لم يكن أشدّ منه على عثمان ، فقد كان يحرض أعداءه ويسعى حثيثاً في إراقة دمه واليوم جاء يطلب ثاره ! أريد أن أرميه وأريح المسلمين من شرّه فلو تقدّمت أمامي وحجبتني كي لا أرى فيعلم أنني رميته ، فأنت حرّ ، ففعل ، فأخرج مروان سهماً مسموماً من كنانته فرماه فشكّ قدمه إلى ركابه (٢٨٤) . فقال لغلّامه : خذني إلى الظلّ ، فقال : لا أرى هاهنا ظلاً ، فقال طلحة : سبحان الله ! لا أرى في قریش اليوم أضيع دماً مني ولا أدري من رمانی وكان أمر الله قدراً مقدوراً .

وروى المدائني وقال : لمّا أدير طلحة وهو جريح يرتاد مكاناً ينزله جعل يقول :

لمن يمرّ به من أصحاب عليّ : أنا طلحة من يجيرني يكرّرها .

قال : فكان الحسن البصريّ إذا ذكر ذلك يقول : لقد كان في جوار عريض .

وقالوا : ثمّ مات ودفنوه بالسبخة .

وقال ابن عبد ربّه وابن عبد البرّ والذهبي :

إنّه كان أوّل قتيل (٢٨٥) .

(٢٨٣) فوق السهم : جعل فوقته في الوتر ليرمي والفوقة : رأس السهم .

(٢٨٤) شكّه بالرمح : طعنه ، وخرقه إلى العظم . شك الشيء إلى الشيء ضمه إليه .

(٢٨٥) الطبري ٢٥٤ر٥ و اليعقوبي في تاريخه ١٥٨ر٢ ، و ابن أعثم في تاريخه ،

و المسعودي في مروجه وابن سعد في الطبقات ط بيروت ٢٢٣ر٣ و المستدرک ٣٧١ر٣ ؛

وابن عساكر في تهذيب تاريخه ٨٤ر٧ - ٨٧ ، وابن عبد البر في الاستيعاب ص ٢٠٧ - ٢٠٨

الترجمة ٨٧٥ ؛ و اسد الغابة ٦٠٣ - ٦١ والذهبي في النبلاء ٨٢ر١ - ٢٣ ؛ وابن حجر

في الاصابة ٢٢٢ر٢ الترجمة ٤٢٦٦ ، و العقد الفريد ٣٢١ر٤ و أبو مخنف والمدائني

برواية شرح النهج ٤٣١ر٢ .

قتل أمير جيش أمّ المؤمنين ولم يؤثر ذلك في نفوس جيشها فقد كان الجمل رايتهم فازداد التفافهم حوله واستماتوا دونه واشتدّ الحرب ضراماً .

لواء الجيشين

ثمّ خرج عليّ وقد تعمّم بعمامة سوداء ، فعبأ أصحابه . وخرجت أمّ المؤمنين راكبةً على الجمل الذي اشتراه لها يعلى بن أمية ، وعبأت أصحابها (٢٨٦) .

وكان الجمل لواء أهل البصرة لم يكن لواء غيره (٢٨٧) وأعطى عليّ رايته في أوّل الحرب إلى ابنه محمد بن الحنفية : قال محمد (٢٨٨) : دفع إليّ أبي الراية يوم الجمل وقال : تقدّم ، فتقدّمت حتّى لم أجد متقدّماً إلاّ على رمح ، قال تقدّم لا أمّ لك فتكأ كأت (٢٨٩) وقلت : لأجد متقدّماً إلاّ على سنان رمح فتناول الراية من يدي متناولٌ لا أدري من هو فنظرت فإذا أبي بين يديّ وهو يقول :

أنت التي قدغرك مني الحُسنا يا عيشُ إنّ القوم قوم أعدا
والخفض خيرٌ من قتال الأبناء

الموت حول الخطام .

وكان كعب بن سور يوم الجمل أخذاً لخطام جمل عائشة وفي عنقه المصحف وفي

(٢٨٦) تاريخ أعمش ١٧٦ .

(٢٨٧) ابن أبي الحديد ١ و ٢ و ٨١ قال : و كان جمل عائشة راية عسكر أهل البصرة قتلوا دونه كما تقتل الرجال تحت راياتها وفي تاريخ ابن أعمش ١٧٦ ان أهل البصرة كانوا قد حملوا رايتهم على الجمل المذكور ؛ و قريب منه اليعقوبي في تاريخه .

(٢٨٨) الطبري ٢٠٧ .

و أم محمد خولة بنت جعفر بن قيس بن مسلمة بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع ، من حنيفة من جذم بكر بن وائل ، سبيت ثم أخذها على و اختلفوا في كيفية سبيها ، روى ابن أبي الحديد في ج ١ و ٨١ من شرحه عن أنساب البلاذري أن بني أسد أغارت على بني حنيفة في أيام أبي بكر فسبوا منها و قدموا بها المدينة فباعوها من علي و بلغ قومها خبرها فاتوا عليا و أخبروه بموضعها منهم ، فأعتقها ومهرها و تزوجها فولدت محمد افكناه أبا القاسم و قيل : ان خالدًا قاتل أهلها في حروب الردة و سبها و دفعها أبو بكر الى علي .

(٢٨٩) تكأ كأت : نكصت .

يده عصاً فجاءه سهم غرب فقتله (٢٩٠) .

ولم يكن لكعب رأيٌ في القتال ، فقد روى الطبري عنه : أنه قال يومذاك :
أنا والله كما قالت القائلة : « يا بني لا تسبِن ولا تقاتل » .

وروى ابن سعد : أن كعب بن سور لما قدم طلحة والزبير وعائشة البصرة دخل في بيت وطيين عليه ، وجعل فيه كؤوة يناول منه طعامه وشرا به اعتراضاً للفتنة ، فقيل لعائشة : إن كعب بن سور إن خرج معك لم يتخلف من الأزد أحدٌ ، فركبت إليه فنادته وكلمته ،

(٢٩٠) «غرب» بفتحين و « غرب » بفتح و سكون : سهم لا يدرى من رماه .

(لسان العرب) .

و كعب بن سور هو ابن بكر بن عبد الازدى من القسامل من نبي لقيط ؛ أسلم في عهد النبي و لم يصحبه فعدوه من التابعين قال ابن عبد البر : بعثه عمر بن الخطاب قاضياً على البصرة لخبر عجيب مشهور له معه : و حكى هو و غيره و قال :

ان كعبا كان جالساً عند عمر اذ جاءت امرأة فقالت : ما رأيت رجلاً أفضل من زوجي انه ليبيت ليله قائماً و يظل نهاره صائماً في اليوم الحار ما يفطر فاستغفر لها عمر و أتني عليها و قال : مثلك أتني بالخير و قاله ، فاستحيت المرأة و قامت راجعة فقال كعب : يا أمير المؤمنين هلا أعديت المرأة على زوجها اذ جاءتك تستعديك ؟ فقال : أكذلك أرادت ؟ قال : نعم ، قال : ردوا على المرأة فردت ، فقال لها : لا بأس بالحق أن تقوليه ان هذا يزعم أنك جئت تشتكين أنه يجتنب فراشك ، قالت : أجل ! انى امرأة شابة و انى أتبعي ما تبتغي النساء فأرسل الى زوجها فجاء فقال لكعب ، اقض بينهما ، فقال : أمير المؤمنين أحق ؛ فقال : عزمت عليك لتقضين بينهما فانك فهمت من أمرهما ما لم أفهم فقضى لها يوماً و ليلة من أربع ؛ فقال عمر : والله ما رأيك الا اول بأعجب من الاخر ، اذهب فأنت قاض على أهل البصرة فلم يزل قاضياً حتى قتل يوم الجمل .

راجع في ما ذكرناه عن كعب الى :

الطبرى ٢١٦هـ ، و الاستيعاب ص ٢٢١ - ٢٢٢ الترجمة ٩٣٣ ؛ و اسد الغابة

٢٤٢ - ٢٤٣ و الاصابة ٢٩٧٣ الترجمة ٧٤٩٥ و الاشتقاق ٥٠٠ ؛ و شرح النهج

٢ و ٨١ و تحقيق محمد ابو الفضل ج ١ ر ٢٥٨ و طبقات ابن سعد ج ٧ ر ٩٢ - ٩٧

ط . بيروت و الجمل للمفيد ١٥٦ - ١٥٧ ، و الكامل للمبرد ج ٣ ر ٢٤٢ ط . مصر و تحقيق

ابراهيم الدليمونى .

فلم يجيبها فقالت : يا كعب ألسنتُ أمك : ولي عليك حق ؟ فكلمها . . .) الحديث .
 إن ابن سعد لم يعين القائل لعائشة : (إن كعب بن سور إن خرج لم يتخلف
 عنك الأزدي) ، والمفيد قد أنسبه إلى طلحة والزبير ورواه هكذا :

وتأخر عنهما الأزدي ليعود كعب بن سور القاضي عنهما وكان سيد الأزدي وأهل
 اليمن بالبصرة ، فأنفذ إليه رسوليهما يسألانه النصر لهما ، والقتال معهما فأبى عليهما ،
 وقال : أنا أعتزل الفريقين ، فقالا : لئن قعدت عننا كعب خذلنا الأزدي بأسرها ولا غنى لنا
 عنه ، فصارا إليه واستأذنا عليه فلم يأذن لهما وحجبهما ، فصارا إلى عائشة فخبسراها
 خبره ، وسألاها أن تسيّر إليه فأبت وأرسلته تدعوه إلى الحضور عندها فاستعفاها
 من ذلك ،

فقال طلحة والزبير : يا أم ! إن قعدت عننا كعب قعدت عننا الأزدي كلها وهي حي
 البصرة فاركبي إليه ، فإنك إن فعلت لم يخالفك وانقاد لرأيك ، فركبت بغلا وأحاط بها
 نفر من أهل البصرة وذهبت إلى كعب . . .) الحديث .

وقال : المبر في الكامل : فلما كان يوم الجمل خرج مع إخوته له ، قالوا : ثلاثة وقالوا :
 أربعة وفي عنقه مصحف فقتلوا جميعاً فجاءت أمهم حتى وقفت عليهم فقالت :

يا عين جوذي بدمع سرب على فتية من خيار العرب
 وما لهم غير حين النفو س أي أميري قريش غلب

الخطام بيد قريش .

وأخذ الخطام عبدالرحمن بن عتّاب وارتجز يقول :

أنا بن عتّاب وسيفي ولول والموت عند الجمل المجلّل
 فقطعت يده وقتل ، (٢٩١) .

(٢٩١) عبدالرحمن بن عتّاب بن أسيد أبي العيص القرشي الاموي و امه جويرة
 بنت أبي جهل ، و كان اسم سيفه «ولول» و قطعت يده وفيها خاتمه قالوا : فخطفها نسر
 ذلك اليوم و طرحها بالمدينة أو اليمامة فعرفت يده بخاتمه راجع الطبري ٢١٠٥ و اسد
 الغابه ٣٠٨٣ و نسب قريش ١٩٣ .

وأخذ خطام النجمل سبعون من قريش ، قتلوا كلهم ، ولم يكن يأخذ بخطام الجمل أحد إلا سألت نفسه ، وأوقعت يده (٢٩٢) ، وجاءت بنوناجية ، فأخذوا بخطام الجمل ، ولم يكن يأخذ الخطام أحد إلا سألت عائشة من هذا ؟ فسألت عنهم ، فقيل بنوناجية ، فقالت عائشة : صبراً يا بني ناجية : (٢٩٣) فإني أعرف فيكم شمائل قريش . قالوا : وبنو ناجية مطعون في نسبهم إلى قريش ، فقتلوا حواها جميعاً .

الخطام بيد ضيمة .

وأخذ عمرو بن يثربي خطام الجمل وكان فارس أصحاب الجمل وشجاعهم ثم رفعها إلى ابنه وبرز للقتال وارتجز ، وقتل اثنين من جيش علي ثم رجع إلى الخطام ثم أراد أن يخرج لطلب البراز فقال الأزدي : يامعشر الأزدي إنكم قوم لكم حياء و بأس ، وإني

(٢٩٢) هذه رواية أبي مخنف في كتابه الجمل برواية المعتزلي عنه في شرح النهج

ج ١٢٦٥ - ٢٦٦ ؛ وقال الطبري : قتل سبعون على خطام الجمل الطبري ٢٠٤٥ .

(٢٩٣) بنو ناجية نسبة إلى امهم ناجية وكانت ناجية زوجة سامة بن لؤي بن غالب

القرشي ، وخرج سامة إلى ناحية البحرين مغاضباً لآخيه كعب بن لؤي في مخالصة كانت بينهما فنهش ساقه أفعى فقتله .

وقال من يدفعهم عن قريش من نسابة قريش : و كانت معه امرأته ناجية . فلما مات تزوجت رجلاً من أهل البحرين فولدت منه الحارث ، و مات أبوه و هو صغير فطمعت امه أن تلحقه بقريش ، فرحلت به إلى مكة وتعرفت إلى كعب ، وقالت له ان الحارث هو ابن أخيه سامة فصدقها و مكث عنده مدة حتى قدم ركب من البحرين فأخبروا كعباً ان الحارث ابن رجل منهم فنفاه كعب و نفا امه فرجعا إلى البحرين و تزوج الحارث هناك و أعقب هذا العقب .

وقال ابن الكلبي : ان الحارث نكح امه ناجية نكاح مقت و مات هو و أخوه غالب

و لم يعقبا .

و ان قوماً من بني ناجية بن جرم بن علاف ادعوا انهم بنو سامة من ناجية ، وانهم ولد الحارث هذا الذي قلنا انه لم يعقب ، و قال ابن حزم في الجمهرة ص ١٦٢ : و فيهم يقول بعض شعراء قريش .

فأمرهم عندنا مظلم

و سامة منافماً بنوه

الاغاني ج ١٠ ٢٠٣ - ٢٠٥ وشرح النهج ٣ ١٢٠ - ١٢١ تحقيق محمد ابو الفضل .

وترت القوم وهم قاتلي ، وهذه أمكم نصرها دينٌ وخذ لانها عقوقٌ . . (الحديث ثم
برز و قاتل ، فقتل (٢٩٤) .

وروى الطبري (٢٩٥) وقال : كان عمرو بن يشرى يحضّ قومه يوم الجمل وقد تعاوروا
الخطام (٢٩٦) يرتجزون :

نحن بنوضبة لانفرُّ
حتّى نرى جماجماً تخرُّ
يخرُّ منها العلق الماحمرُّ (٢٩٧)

* * *

يا أمّنا يا عيش لمن تراعي
كلُّ بنيك بطلٌ شجاع
يا أمّنا يا زوجة النبيّ
يا زوجة المبارك المهديّ

حتّى قتل على الخطام أربعون رجلاً .

وقالت عائشة (رض) : ما زال جملي معتدلاً حتّى فقدت أصوات بني
ضبة . . . الحديث .

(٢٩٤) عمرو بن يشرى بن بشر بن الرحب الضبي كان من رؤس ضبة في الجاهلية ،
ثم أسلم واستقضاء عثمان وقيل ان الذي استقضاء عثمان انما هو اخوه عميرة ، ولما
ولى البصرة عبد الله بن عامر بن كريز أعاد الى قضائها كعب بن سور ؛ وان عمرو بن يشرى
هذا غير عمرو بن الضمرى الصحابي الذي ترجمه ابن عبد البر في الاستيعاب في ص ٤٤٣ و
في اسد الغابة ١٣٥٤ ؛

و قد ذكر أن الضمرى الصحابي الذي استقضاء عثمان ؛ راجع ترجمة عمر والضبي
في الاشتقاق ٤١٢ والجمهرة ١٩٤ - ١٩٥ والاصابة ١١٩٤ ؛ و ذكر أبو مخنف تفصيل
قتال عمرو بن يشرى في الجمل راجع شرح النهج ج ١٢٥٨١ - ٢٦٠ .

(٢٩٥) الطبري ٢١٠٥ .

(٢٩٦) تعاوروا الخطام : تداولوه فيما بينهم .

(٢٩٧) العلق : الدم الجامد الغليظ قبل أن يبس .

وروى الطبري أيضاً (٢٩٨) : أنَّ ضَبَّةَ والأزد أطاقت بعائشة يوم الجمل وإذا
رجال من الأزد يأخذون بعرج الجمل فيقتونه (٢٩٩) ويشمونه ويقولون : بعرج جمل أمنا
ريحه ريح المسك . . .) الحديث .

الافتراس عند الموت .

ذكر المدائني (٣٠٠) أنه رأى بالبصرة رجلاً مصطلم الأذن فسأله عن قصته فذكر
أنه خرج يوم الجمل ينظر إلى القتلى ، فنظر إلى رجل يخفض رأسه ويرفعه وهو يقول :
لقد أوردتنا حومة الموت أمنا فلم ننصرف إلا ونحن رواء
لقد كان عن نصر ابن ضببة أمه و شيعتها مندوحة و غناء
أطعنا بني تميم بن مرة شقوة وهل تيمم إلا أعبد وإمامه (٣٠١)
فقال : سبحان الله أتقول هذا عند الموت ؟ قل : لا إله إلا الله .

فقال : يا ابن اللُّخناء ! إيتاي تأمر بالجزع عند الموت . فوليت عنه متعجباً منه
فصاح بي ! أذن مني ، ولقني الشهادة ، فصرت إليه فلما قربت منه استدناي ، ثم التقم
أذني ، فذهب بها ، فجعلت ألعنه وأدعو عليه ، فقال : إذا صرت إلى أمك ، فقلت : من
فعل هذا بك ؟ فقل عمير بن الأهلب الضببي مخدوع المرأة التي أرادت أن تكون
أميرة المؤمنين .

وفي رواية الطبري : قال : اذن مني ولقني فإن في أذني وقرأ فدنوت منه ، فقال

(٢٩٨) الطبري ٢١٢٥ و ابن الاثير ٩٧٣ .

(٢٩٩) يفتونه : يكسرونه بأصابعهم .

(٣٠٠) روى عنه المسعودي في مروجه بهامش الكامل ج ٥ ر ١٩٩ و راجع ابن

الايثير ٣ ر ١٠٠ .

(٣٠١) قدورد البيتين الاخيرين في رواية الطبري ج ٥ ر ٢١٣ ، وفي رواية المسعودي

بعد البيت الاول .

أطعنا بني تميم شقوة جدنا و ما تيمم الا أعبد و امام

يقصد بقوله : (امنا) و(امه) أم المؤمنين و(تيمم) قبيلة أم المؤمنين وطلحة و(المصطلم)

مقطوع الاذن و الانف من أصلها .

ممن أنت؟ قلت: رجلٌ من أهل الكوفة. فوثب عليّ فاصطلم أذني.
وفي رواية أخرى للطبري (فمرّ به رجلٌ من أصحاب عليّ وهو في
الجرحى... الحديث).

أراجيز ضبة والأزد

وروى ابن أبي الحديد^(٣٠٢) عن المدائني والواقدي أنّهما قالا: ما حفظ رجز قطُّ
أكثر من رجز قيل يوم الجمل، وأكثره لبني ضبة والأزد، الذين كانوا حول الجمل
يحامون عنه...

ونقل من أراجيز أهل البصرة قول بعضهم:

يا أمنا يكفيك منا دنوه	لن يؤخذ الدهر الخطام عنوه
و حولك اليوم رجال شنوه	وحي همدان رجال الهبوه
و المالكيون القليلو الكبوة	و الأزدحي ليس فيهم نبوه ^(٣٠٣)

قالوا: وخرج من أهل البصرة شيخ صبيح الوجه، نبيل، عليه جبّة، وشيء يحضّ

الناس على الحرب، ويقول:

يا معشر الأزد عليكم أممكم	فإنّها صلاتكم و صومكم
والحرمة العظمى التي تعممكم	فأحضروها جدكم و حزمكم
لا يغلبن سمّ العدو سممكم	إنّ العدو إن علاكم زممكم ^(٣٠٤)
و خصمكم بجوره و عممكم	لا تفضحوا اليوم فداكم قومكم

قال المدائني والواقدي: وهذا الرجز يصدق الرواية أنّ الزبير وطلحة قاما في
الناس فقالا: إنّ عليّاً إن يظفر فهو فناءؤكم يا أهل البصرة، فاحموا حقيقتكم، فإنّه

(٣٠٢) قد أوردنا هنا قسماً من رواية ابن أبي الحديد عن المدائني والواقدي
راجع تفصيل ما نقله عنهما في شرحه للنهج ج ١ ص ٢٥٣ - ٢٥٦ ط . مصر تحقيق محمد أبي الفضل .

(٣٠٣) يقصد بالهبوه . الغبار المتصاعد في المعارك؛ و «الكبوة» الانكباب على

الوجه، و «النبوة»: بنى السيف عن الضريبة كل .

(٣٠٤) زمه: ربطه وشده .

لا يبقي حرمة إلا انتهكها، ولا حرماً إلا هتكه، ولا ذريرة إلا قتلها، ولا زوات خدر إلا ساهن، فقاتلوا مقاتلة من يحمي عن حريمه، ويختار الموت على الفضيحة يراها في أهله.

وقال أبو مخنف: لم يقل أحدٌ من رجّاز البصرة قولاً كان أحبُّ إلى أهل الجمل من قول هذا الشيخ. استقتل الناس عند قوله، و ثبتوا حول الجمل و انتدبوا، و خرج عوف بن قطن الضبّي؛ و هو ينادي ليس لعثمان ثارٌ إلا عليّ بن أبي طالب و ولده، فأخذ خطام الجمل و قال:

يا أمّ يا أمّ خلا منّي الوطن	لا أبتغي القبر ولا أبغي الكفن
من هاهنا محشر عوف بن قطن	إن فاتنا اليوم عليّ فالغبين
أو فاتنا ابناه حسين و حسن	إذا أمّت بطول همّ و حزن
ثمّ تقدّم، فضرب بسيفه حتى قتل.	

الازد حول الخطام

قتل بنو ضبة حول الجمل، فلم يبق فيهم إلا من لا نفع عنده وأخذت الأزد بخطامه فقالت عائشة: «من أنتم؟» قالوا: الأزد قالت: «فإنما يصبر الأحرار. ما زلت أرى النصرمع بني ضبة، فلما فقدتهم أنكرته» فحرّضت الأزد بذلك فقاتلوا قتالاً شديداً (٣٠٥).

و أخذ الخطام عمرو بن الأشرف الأزدي العتكي و كان لا يدنومنه أحدٌ إلا خبطه بسيفه إذ أقبل الحارث بن زهير الأزدي و هو يقول:

يا أمّنا يا خير أمّ نعلم
أما ترين كم شجاعاً يكلم
و تختلي هامته و المعصم

فاختلفا ضربتين فسقطا يفحصان الأرض برجليهما حتى ماتا قتل عمرو و قتل معه ثلاثة عشر من أهل بيته (٣٠٦).

(٣٠٥) النهج ٢٨١

(٣٠٦) رواه الطبري ٥ ر ٢١١-٢١٢ و ابن الاثير ٣ ر ٩٨، و لم يذكر نسب ←

مقتل صاحب دار ام المؤمنين في البصرة

قال أبو مخنف : و خرج عبد الله بن خلف الخزاعي ، و هو رئيس أهل البصرة ؛
و أكثرها مالاً و ضياعاً ، فطلب البراز ، و سأل ألا يخرج إلا عليّ و ارتجز فقال :
أبا تراب ادن منّي فتراً فانمني دان إليك شبراً
و إن في صدري عليك غمراً
فخرج إليه عليّ فلم يمهل أن ضربه ففلق هامته (٣٠٧) .

مبارزة ابن الزبير والاشتر

و روي الطبري عن ابن الزبير قال : مشيت يوم الجمل و بي سبع و ثلاثون جراحة
من ضربة و طعنة ، و ما رأيت مثل يوم الجمل قطّ ينهزم منّا أحد ، و ما نحن إلا
كالجبل الأسود و ما يأخذ بخظام الجمل أحد إلا قتل ، فجئت فأخذت بالخظام .
فقال عائشة : من أنت ؟
قلت : عبد الله الزبير .

قالت : و أثنك أسماء . و مرّ بي الأشتر فعرفته ، فعانقته فسقطنا جميعاً و ناديت :
اقتلونني و مالكم ؛ فجاءنا ناسٌ منّا و منهم ، فقاتلوا عنّا حتى تحاجزنا ، و ضاع الخظام .
و قال الواقدي : دعا عبد الله بن الزبير إلى المبارزة ، فبرز إليه الأشتر ، فقاتل

← عمرو بن الأشرف هذا وقد ذكر نسبه ابن دريد في الاشتقاق ٤٨٣ و راجع الجمهرة
٣٥٠ و كان أزدياً من عتيك و الحارث أيضاً كان أزدياً في جيش علي ، فهذان ولداهما
يقتل أحدهما الآخر «خبطه» : ضربه ضرباً شديداً ، و «يكلم» يجرح ، و «تختلي» : تقطع .
(٣٠٧) عبد الله بن خلف أسعد بن عامر الخزاعي .

أبو طلحة الطلحات ، و كان كاتباً على ديوان البصرة لعمر و عثمان ؛ و شهد أخوه
عثمان بن خلف حرب الجمل مع علي ما ذكره في اسد الغابة ؛

و روي مبارزته أبو مخنف في الجمل على رواية ابن أبي الحديد في شرحه ج ١ ر ٢٦١

- ٢٦٢ تحقيق محمد أبو الفضل و ابن أعثم في تاريخه و راجع ترجمته في :

الاشتقاق ٤٧٥ ، و المعبر ٣٧٧ ، و الاستيعاب ص ٣٤٨ و اسد الغابة ج ٣ ر ١٥١ .
و «الغمر» : الحقد و العداوة .

عائشة : من برز إلى عبد الله ، قالوا : الأستر ، فقالت : و أنكل أسماء ف ضرب كل منهما صاحبه ف جرحه ؛ ثم اعتنقا فصرع الأستر عبد الله و قعد على صدره و اختلط الفريقان هؤلاء لينقذوا عبد الله ؛ وهؤلاء ليعينوا الأستر وكان الأستر طويلاً ثلاثة أيام لم يطعم ، وهذه عادته في الحرب ؛ وكان أيضاً شيخاً عالي السن ، فجعل عبد الله ينادي : اقتلوني و مالكاً ، فلو قال : اقتلوني و الأستر لقتلوهما إلا أن أكثر من كان يمر بهما لا يعرفهما لكثرة من وقع في المعركة صرعى بعضهم فوق بعض و أفلت ابن الزبير من تحته ولم يكذب .

و في العقد الفريد عن ابن الزبير قال : ثم جرّ برجلي فألقاني بالخندق ، و قال : لولا قربك من رسول الله ﷺ ما اجتمع فيك عضو إلى آخر !

و روي الطبري عن علقمة قال : قلت للأستر : قد كنت كارهاً لقتل عثمان (رض) فما أخرجك بالبصرة ؟ قال : إن هؤلاء بايعوه ثم نكثوا وكان ابن الزبير هو الذي أكره عائشة على الخروج فكنت أدعوا لله عز وجل أن يلقينيه ، فلقيني كفة لكفة فما رضيت بشدة ساعدي أن قمت في الركاب ف ضربته على رأسه فصرعته .

قلنا : فهو القائل : اقتلوني و مالكاً .

قال : لا . ما تركته و في نفسي منه شيء . ذاك عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد لقيني فاختلفنا ضربتين فصرعني و صرعته فجعل يقول : اقتلوني و مالكاً ، ولا يعلمون من مالك ، فلو يعلمون لقتلوني .

و في رواية أخرى للطبري ف جرح ابن الزبير فألقى نفسه في الجرحى فاستخرج فبراً^(٣٠٨) و هذا ثالث الرؤوس يسقط من جيش الجمل ، و الحرب مع ذلك قائمة على قدم جمل أم المؤمنين عائشة ، و الموت و الدماء حوله ، و الأبطال تسقط أمامه كما يتساقط أوراق الشجر في الخريف .

(٣٠٨) الطبري ٢١٠ و ٢١١ و ٢٠٤ عن علقمة وعن دينار بن عيزار والواقدي

برواية شرح النهج ج ٨٧ في شرح الخطبة «كنتم جند المرأة» .

و راجع ابن الاثير ٩٩٣ و العقد الفريد ج ٤ ر ٣٢٦ ، ط . لجنة التأليف ، و تاريخ

أعظم . و مروج الذهب مختصراً .

اشتداد الحرب

وروى الطبري (٣٠٩) وقال : حملت ميممة أمير المؤمنين عليّ عليّ ميسرة أهل البصرة فاقتتلوا ؛ و لاز الناس بعائشة (رض) أكثرهم ضبّة و الأزد .
قال أبو مخنف : (٣١٠) و بعث عليّ إلى الأشر : أن احمل عليّ ميسرتهم ، فحمل عليها و فيها هلال بن و كيع ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، و قتل هلال ، قتله الأشر ، فمالت الميسرة إلى عائشة ، فلاذوا بها ، و أعظمهم بنو ضبّة و بنو عدي (٣١١) ، ثمّ عطفت الأزد ، و ضبّة ، و ناجية ، و باهلة (٣١٢) إلى الجمل فأحاطوا به ، واقتتل الناس حوله قتالاً شديداً .
وروى المدائني و الواقدي (٣١٣) عن ضبّة و الأزد : أنهم كانوا حول الجمل يحامون عنه و لقد كانت الرؤوس تندر عن الكواهل ، (٣١٤) و الأيدي تطيح من المعاصم ، و اقتاب البطن تندلق من الأجواف ، و هم حول الجمل كالجراد الثابتة لا تتحلجل ولا تتزلزل حتّى لقد صرخ عليّ بأعلى صوته : ويلكم ! اعقروا الجمل فإنّه شيطان ؛ ثمّ قال : اعقروه و إلاّ فنيت العرب ؛ لا يزال السيف قائماً و راکعاً حتّى يهوي هذا البعير إلى الأرض .

قالوا : (٣١٥) و استدار الجمل كما تدور الرحاة ، و تكاثف الرجال حوله و اشتدّ

(٣٠٩) الطبري ٢٠٧٥ .

(٣١٠) في شرح النهج ج ٨١٢ .

(٣١١) في القبائل العربية تسعة عشر بطن تسمى بنو عدي و لم نعرف من أيهم

كان هؤلاء ؛ راجع نهاية الارب للقلقشندی ص ٣٢٨ - ٣٣١ ، و الجمهرة ١٤٠ - ٣٩٤ .

(٣١٢) بنو باهلة هم بنو مالك بن أعصر بن سعد بن قيس عيلان ؛ من العدنانية ،

تزوج مالك بن باهلة بنت صعب بن سعد العشيرة من منذج ، فولدت له سعد مناة ، فولد

سعد : هم بنو باهلة ثم . مات مالك فخلف ابنه الآخر معن من مالك عليّ باهلة فولدت له

أولاداً ، و أحضنت سائر ولد معن من غيرها ، فنسب جميعهم الى باهلة . الجمهرة ص ٢٣٣

- ٢٣٥ و نهاية الارب للقلقشندی ص ١٦٠ - ١٦١ و الاشتقاق ٢٦٩ - ٢٧٤ .

(٣١٣) برواية ابن أبي الحديد عنهما ج ٨٤١ .

(٣١٤) « تندر » : تقطع « و اقتاب البطن تندلق » الامعاء تخرج من مكانها .

(٣١٥) أبو مخنف و غيره ، راجع ابن أبي الحديد ج ٨٧١ .

رُغَاؤُهُ واشتدَّ زحام الناس عليه ، ونادى الحتات المجاشعي (٣١٦) : أَيُّهَا النَّاسُ ائْتِكُمْ ائْتِكُمْ ، و اختلط الناس وضرب بعضهم بعضاً ، وتقصد أهل الكوفة قصد الجمل ، ودونه كالجبال كلما خفَّ قوم جاء أضعافهم ؛ فنادى عليٌّ : ويحكم ! ارسقوه بالنبل ، اعقروه ؛ لعنه الله ، فرشق بالسهم ، فلم يبق فيه موضع إلا أصابه النبل وكان متجففاً (٣١٧) فتعلقت السهام به فصارت كالقنفذ ؛

ونادت الأزد ، وضبةٌ : يا لثارات عثمان ! فأخذوها شعاراً ؛ ونادى أصحاب عليٍّ : يا محمد ! فاتخذوها شعاراً ، واختلط الفريقان ؛ و نادى عليٌّ بشعار رسول الله ﷺ : يا منصور أمت ! .

عقر الجمل وانتهاء الحرب .

وروى الطبري (٣١٨) عن أحدهم أنه قال : حاص الناس حيصة ، ثم رجعنا

(٣١٦) الحتات بن يزيد بن علقمة بن حوى التميمي الدارمي المجاشعي ؛ و فد مع بنى تميم على النبي ، و أسلم و آخى رسول الله بينه وبين معاوية بن أبي سفيان ، و لما اجتمعت الخلافة لمعاوية قدم عليه الحتات ، و جارية بن قدامة ، و الاحنف بن قيس ، و كلاهما من تميم ، و كان الحتات عثمانياً ، و كان جارية و الاحنف من أصحاب علي ، فأعطاهما معاوية أكثر مما أعطى الحتات فرجع اليه . فقال : فضلت على محرراً ومخدلاً ، قال اشتريت منهما دينهما و وكلتكم الى هواك في عثمان ، قال : و أنا أيضاً فاشترمني ديني ! يعني بالمحرق جارية بن قدامة لانه أحرق ابن الحضرمي في دار الامارة بالبصرة لما أرسله معاوية اليها في أيام علي و المخدل الاحنف حيث خذل الناس عن عائشة يوم الجمل .

قيل انه و فد الحتات على معاوية - في غير هذه المرة - فمات عنده فورثه معاوية بتلك الاخوة .

الاستيعاب ص ١٥٠ الترجمة ٦٠٧ ؛ و اسد الغابة ج ١ ص ٣٧٩ ؛ و الجمهرة ص ٢١٩ ؛ (٣١٧) تجفجف الطائر : انتفش فوق البيضة و ألبسها جناحها ؛ و ذلك لما كانوا ألبسوا عليه من الجلود و الخشب و غير ذلك بحيث كان الجمل مستوراً تحتها كالبيضة تحت جناحي الطائر .

(٣١٨) الطبري ٢١٨ ر ٥ ؛ و حاص عن العدو : انهزم عنه .

وعائشة على جمل أحمر في هودج ماشبته إلا القنفذ من النبل .
وقال أبو مخنف : (٣١٩) ورمي الجمل بالنبل حتى صارت القبة عليه كهيمة القنفذ ؛ وقال علي : لما فني الناس على خطام الجمل ، وقطعت الأيدي و سالت النفوس : ادعولي الأشر ، وعماراً ، فيجاه ! فقال : اذهبا فاعقرا هذا الجمل ، فإن الحرب لا يبوخ ضرامها (٣٢٠) مادام حياً ؛ إنهم اتخذوه قبلة .

وقال الطبري : ونادى علي أن اعقروا الجمل ، فإنه إن عقرت فارقوا ، فضر به رجل فسقط ، فما سمعت صوتاً أشد من عجاج الجمل .

وفي رواية أخرى لأبي مخنف (٣٢١) : فلما رأى علي أن الموت عند الجمل ، وأنه مادام قائماً فالحرب لا تطفأ ، وضع سيفه على عاتقه ، وعطف نحوه ، وأمر أصحابه بذلك ، ومشى نحوه والخطام مع بني ضبة ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، واستحرق القتل في بني ضبة ، فقتل منهم مقتلة عظيمة ، وخلص علي في جماعة من النخع و همدان (٣٢٢) إلى الجمل ، وقال لرجل من النخع اسمه « بجير » : دونك الجمل يا بجير ! فضر بعجز الجمل بسيفه فوق لجنبه ، وضر بجراً أنه الأرض وعج عجاجاً لم يسمع بأشد منه ، فما هو إلا أن صرع الجمل حتى فرّت الرجال كما يطير الجراد في الريح الشديدة الهبوب ، فنادى علي : اقطعوا أنساع الهودج ؛ واحتملت عائشة بهودجها ، وأمر بالجمل أن يحرق ثم يذرى في الريح ، وقال : لعنه الله من دابة ، فما أشبهه بعجل بني إسرائيل ثم قرأ : « وانظر إلى الهك الذي ظلت عليه عاكفاً لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفاً » .

(٣١٩) برواية المعتزلي عنه في شرح النهج ٨١٢ .

(٣٢٠) باخ الحر والفضب والنار . سكن و فتر و خمد .

(٣٢١) لأبي مخنف في شرح النهج ٨٩١ .

(٣٢٢) النخع و همدان بطنان من كهلان من القحطانية . و هم بنون نخع بن عامر ابن علة ، و منهم مالك الاشر ، و كميل بن زياد ؛ الجمهرة ٣٨٩ ؛ و همدان بن مالك بن زيد ، قال القلقشندي في النهاية ص ٣٩٧ : و كانت همدان شيعة على عند وقوع الفتن بين الصحابة ، و راجع الجمهرة ٣٦٨ - ٣٧٢ .

رعاية ام المؤمنين .

ثم أمر عليٌّ محمد بن أبي بكر ، فضرب عليها قبّةً ، وقال : انظر هل وصل إليها شيءٌ : فأدخل رأسه .

فقلت : من أنت ؟

فقال : أبغض أهلك إليك .

قلت : ابن الخشميّة ؟

قال : نعم .

قلت : بأبي أنت وأمّي ، الحمد لله الذي عافاك .

و في مروج الذهب للمسعودي : قال لها : أقرب الناس قرابة ، وأبغضهم إليك ، أنا

محمد أخوك ، يقول لك أمير المؤمنين : هل أصابك شيءٌ ؟

قلت : ما أصابني شيءٌ ، إلا سهم لم يضرّني ،

فجاء عليٌّ حتّى وقف عليها ، فضرب الهودج بقضيب ، وقال : يا حميراء ! رسول الله

أمرك بهذا ؟ ألم يأمرك أن تقرّ في بيتك ؟ والله ما أنصفك الذين صانوا عقائلهم وأبرزوك .

و في رواية أخرى للطبري : و احتمل محمد بن أبي بكر عائشة فضرب عليها فسطاطاً

فوقف عليٌّ عليها ، فقال لها : استقرزت الناس ؛ وقد فزوا وألّبت بينهم حتّى قتل بعضهم

بعضاً ؛ في كلام كثير ، فقالت : ملكت فاسجح (٣٢٣) .

وقال عمّار بن ياسر لعائشة : (رض) - حين فرغ القوم - : يا أمّ المؤمنين ! ما أبعد هذا

المسير من العهد الذي عهد إليك .

قلت : أبو اليقظان ؟

قال : نعم .

قلت : والله إنك ما علمت قولاً بالحق .

قال : الحمد لله الذي قضى لي على لسانك (٣٢٤) .

(٣٢٣) الطبري ٢٠٤ر٥ والعقد الفريد ٣٢٨ر٤ واليعقوبي في تاريخه .

(٣٢٤) الطبري ٢٢٥ر٥ - ٢٢٦ وابن الاثير ٣ر١٠٢ .

العفو العام

ثم نادى منادي عليّ ألاّ يُجْهز عليّ جريح ، ولا يتبع مولد ولا يطعن في وجهه مدبر
ومن ألقى السلاح فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن ثم آمن الأسود والأحمر .

وفي الكنز بعده : ولا يستحلن فرجٌ ولا مالٌ^(٣٢٥) وانظروا ما حضر به
الحرب من آنية فاقبضوه ، وما كان سوى ذلك فهو لورثته ، ولا يطلبنّ عبداً خارجاً من
العسكر وما كان من دابة أو سلاح فهو لكم ، وليس لكم أمٌ ولد ، والموارث على فريضة
الله ، وأيُّ امرأة قتل زوجها فلتعتدّ أربعة أشهر وعشراً .

قالوا : يا أمير المؤمنين ! تحلّ لنا دماؤهم ولا تحلّ لنا نساؤهم ؟

فقال : كذلك السيرة في أهل القبلة ، فخاصموه .

قال : فهاتوا سهامكم وأقرعوا على عائشة فهي رأس الأمر وقائدهم ، فعرّفوا وقالوا :

نستغفر الله ، فحّمهم عليّ .

وقال : عليّ يوم الجمل نمّن عليهم بشهادة أن لا إله إلاّ الله ونورث الأبناء

من الآباء .

و أورد في الكنز أيضاً تفصيل هذه المخاصمة بين عليّ وجيشه هكذا^(٣٢٦) وقال :

وخطب عليّ في البصرة بعد حرب الجمل وفيما هو يخطب قام إليه عمّار ، فقال : يا أمير-

المؤمنين ! إنّ الناس يذكرون الفياء ويزعمون أنّ من قاتلنا فهو وماله وأهله فيءٌ

لنا وولده .

فقام رجلٌ من بكر بن وائل يدعى عبّاد بن قيس - وكان ذاعارضة ولسان شديد - .

فقال : يا أمير المؤمنين ! والله ما قسمت بالسويّة ، ولا عدلت في الرعيّة .

فقال : عليّ ولم ؟ ويحك .

قال : لأنّك قسمت ما في العسكر ، وتركت الأموال والنساء والذريّة ...

(٣٢٥) يعقوبى فى تاريخه ، والكنز ٦ ر ٨٣ - ٨٥ ، الحديث ١٣٠٢ و

١٣٠٥ - ١٣٠٧ و ١٣١٦ ، وراجع الاغانى .

(٣٢٦) الكنز ٨ ر ٢١٥ - ٢١٧ و منتخبه ج ٣١٥ ر ٣٣١ .

فقال عليّ: يا أخابكر! إنك امرؤٌ ضعيف الرأي، أو ما علمت أننا لا نأخذ الصغير بذنب الكبير (٣٢٧) وأن الأموال كانت لهم قبل الفرقة، وتزوجوا على رشدة، وولدوا على الفطرة، وإنما لكم ما حوى عسكرهم، وما كان في دورهم فهو ميراث لذرّيتهم، فإن عدا علينا أحدٌ منهم أخذناه بذنبه، وإن كفّ عنا لم نحمل عليه ذنب غيره، يا أخابكر! لقد حكمت فيهم بحكم رسول الله ﷺ في أهل مكة، قسم ما حوى العسكر، ولم يعرض لما سوى ذلك وإنما اتبعت أثره حذو النعل بالنعل، يا أخا بكر! ما علمت أن دار الحرب يحلُّ ما فيها؟ وأن دار الهجرة يحرم ما فيها إلا بحقٍّ فمهلاً مهلاً رحمكم الله، فإن أنتم لم تصدقوني وأكثرتم عليّ - وذلك أنه تكلم في هذا غير واحد - فأبيكم يأخذ أمه عائشة بسهمه؟!

قالوا: لا. أينما يا أمير المؤمنين! بل أصبت وأخطأنا، وعلمت وجهلنا، ونحن نستغفر الله، وتنادى الناس من كلِّ جانب: أصبت يا أمير المؤمنين! أصاب الله بك الرشاد والسداد.

فقام عمار، فقال: يا أيها الناس! إنكم والله إن اتبعتموه وأطعتموه لم يضلِّ بكم عن منهاج نبيكم قيس شعرة؛ وكيف يكون ذلك وقد استودعه رسول الله ﷺ المنيا والوصايا وفصل الخطاب على منهاج هارون بن عمران، إن قال له رسول الله ﷺ: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لانيبيّ بعدي. فضلاً خصّه الله به إكراماً منه لنبيّه ﷺ حيث أعطاه ما لم يعطه أحداً من خلقه.

ثم قال عليّ: انظروا رحمكم الله ما تؤمرون به فامضوا له... فأني حاملكم إن شاء الله إن أطعتموني على سبيل الجنة، وإن كانت زامشقة شديدة ومرارة عتيبة... (٣٢٨) وأما عائشة فقد أدر كها رأي النساء، وشيء كان في نفسها عليّ يغلي في جوفها كالمِرْجَل ولو دعيت لتنال من غيري ما أتت به إليّ لم تفعل، ولها بعد ذلك حرمتها الأولى والحساب على الله يعفو عمن يشاء، ويعذب من يشاء؛ فرضي بعد ذلك أصحابه، وسلّموا لأمره بعد

(٣٢٧) يعنى أنه لا يسترق المسلم الصغير والمرأة الحرة المسلمة بذنب الاب والزوج الباغي.

(٣٢٨) قد ورد في نهج البلاغة ج ٦٣١ يغلى في صدرها.

اختلاط شديد (٣٢٩) فقالوا :

يا أمير المؤمنين حكمت والله فينا بحكم الله غير أننا جهلنا ومع جهلنا لم نأت ما يكره

أمير المؤمنين ؛ وقال ابن يساف الأ نصاري :

- | | | |
|----------------------------|---|----------------------------|
| لخطا الأيراد و الإصدار | * | إن رأياً رأيتموه سفاهاً |
| ذا كزيع القلوب والأبصار | * | ليس زوج النبي تقسم فيئاً |
| لاتناجوا بالأثم في الإسرار | * | فاقبلوا اليوم ما يقول عليّ |
| إنما الفيء ما تضم الأوار | * | ليس ماضمت البيوت بفيء |
| ومتاع يبيع أيدي التجار | * | من كراع في عسكر وسلاح |
| لا ولا أخذكم ذات خمار | * | ليس في الحق قسم ذات نطاق |
| قد رضينا لاخير في الأكثر | * | ذاك فيئكم خذوه وقولوا |
| ب و جاءت بزلة و عثار | * | إنها أمكم وإن عظم الخط |
| ن علينا من سترها و وقار | * | فلها حرمة النبي و حقا |

فقام إليه رجلٌ ، فقال : يا أمير المؤمنين ! أخبرنا على م قاتلت طلحة والزبير ؟

قال : قاتلتهم على نفضهم يعنني ، وقتلهم شيعتي من المؤمنين حكيم بن جبلة العبدي من عبد القيس ، و السبابعة ، و الأساورة . بلاحق استوجبه منهما ، و لا كان ذلك لهما دون الإمام . و لو أنهما فعلا ذلك بأبي بكر و عمر لقاتلاهما ، و لقد علم من ههنا من أصحاب النبي ﷺ أن أبا بكر و عمر لم يرضيا ممن امتنع من بيعة أبي بكر حتى بايع و هو كاره و لم يكونوا بايعوه بعد الأ نصار فما بالي ! و قد بايعاني طائعين غير مكرهين و لكنهما طمعا مني في ولاية البصرة و اليمن ، فلما لم أولهما ، و جاءهما الذي غلب عليهما من حبهما للدينا و حرصهما عليهما ، خفت أن يتخذنا عباد الله خولاً ، و مال المسلمين

(٣٢٩) إنما التبس الأمر عليهم في ذلك لما كانوا قد شاهدوه من سيرة أول الخلفاء

مع من حاربه من المسلمين ممن امتنعوا من أداء الزكاة إليه ، فانه لم يفرق بينهم وبين غيرهم من القبائل العربية التي ارتدت في الجزيرة العربية بعد رسول الله و سائر المشركين و عامل الجميع معاملة واحدة .

لأنفسهما ، فلمآزوت ذلك (٣٣٠) عنهما وذلك بعد أن جرّبتهما واحتججت عليهما ...)
الحديث .

ثمّ خطب عليّ في أهل البصرة وقال في خطبته :
كنتم جند المرأة و أتباع البهيمة رغا فاجبتم ؛ و عقر فهر بتم ؛ أخلاقكم دفاق ،
وعهدكم شقاق ، ودينكم نفاق ، وماؤكم زعاق ، والمقيم بين أظهركم مرتين بذنبه ، والشاخص
عنكم متداركٌ برحمة من ربه ...) الخطبة (٣٣١) .

اعادة آ المؤمنين الى بيتها

قال عليّ لابن عباس : «أنت هذه المرأة فلترجع إلى بيتها التي أمرها الله أن تقرّ
فيه ، قال - ابن عباس - فجئت فاستأذنت عليها ، فلم تأذن لي ، فدخلت بلا إذن و مدت
يدي إلى وسادة في البيت فجلست عليها .

فقال : تالله يا ابن عباس ! ما رأيت مثلك ! تدخل بيتنا بلا إذننا ، و تجلس على
وسادتنا بغير أمرنا ؟!

و في رواية أخرى : «قالت : أخطأت السنة مرتين دخلت بيتي بغير إذنني ؛ وجلست
على متاعي بغير أمري ، قال : نحن علمناك السنة ، (٣٣٢) والله ما هو بيتك ، ولا بيتك

(٣٣٠) زوى عنه : نجاه عنه .

(٣٣١) أخلاقكم دفاق : دنيئة . وعهدكم شقاق : يفهم بالعدو وأن ذمتهم لا يوثق
بها . وماؤكم زعاق : مالح ؛ قد نقلنا هذه الخطبة من نهج البلاغة شرح محمد عبده
ج ٤٠ ر ٤٠ ؛ و قد أورد هذه الخطبة أيضاً كل من : ابن قتيبة في عيون الاخبار ص ٢١٧ ط مصر
١٣٤٣ مع تغيير في بعض ألفاظها ؛ والشيخ الطوسي في أماليه ص ٧٨ ط ايران ١٣١٣ ،
والمفيد في (الجمل) ٢٠١ ؛ والمسعودي في مروج بهامش ابن الاثير ج ١٩٧٥ و قال ،
هناك : و خطب الناس بالبصرة خطبته الطويلة التي يقول فيها ... الخطبة ؛ والعقد الفريد
ج ٤٢٨ ر ٣٢٨ ط لجنة التأليف ، و في ألفاظها اختلاف بعضها مع بعض ، و يظهر أن كل واحد
منهم قد أورد قسماً منها .

(٣٣٢) هذه الجملة في رواية المسعودي في موجه واليعقوبي في تاريخه في ذكرهما

حرب الجمل .

إلا الذي أمرك الله أن تقرّي فيه فلم تفعلي ، إن أمير المؤمنين يأمرك أن ترجعي إلى بلدك الذي خرجت منه .

قالت : رحم الله أمير المؤمنين ، ذاك عمر بن الخطاب .

قلت : نعم وهذا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب .

قال : أبيت أبيت .

قلت : ما كان إباؤك إلا فواق ناقة بكيفة^(٣٣٣) ثم صرت ما تحلين ولا تسمرين^(٣٣٤)

ولا تأمرين ولا تنهين .

قال : فبكت حتى علان شيخها^(٣٣٥) . ثم قالت : نعم ، أرجع ، فإن أبغض البلدان

إليّ بلد أتمن فيه .

قلت : أما والله ما كان ذلك جزاؤنا منك إذ جعلناك للمؤمنين أمّا ، وجعلنا أباك

لهم صديقاً .

قالت : أتمنّ عليّ برسول الله يا ابن عباس !؟

قلت : نعم ، نعم عليك بمن لو كان منك بمنزلة منّا لمننت به علينا .

قال ابن عباس : فأثبت عليّاً فأخبرته ، فقبّل بين عينيّ ، وقال : بأبي ذرّية بعضها

من بعض^(٣٣٦) .

وقال ابن عبد ربّه : فجهّزها بأحسن الجهاز وبعث معها أربعين امرأة و قبيل

(٣٣٣) فواق . ما بين الحلبتين من الوقت فان الناقة تحلب ثم تترك سوية يرضعها

الفصيل لتدر ، ثم تحلب . و يقال : ما أقام عنده الا فواقاً ، أى قدر ما بين الحلبتين و«البكيفة» الناقة التي قل لبنها .

(٣٣٤) فلان ما يمر وما يحلى . ما يتكلم بخلو ولا مر . ولا يفعل فعلا حلو ولا مرّاً .

(٣٣٥) النشيج أشد البكاء . مثل البكاء للصبي اذا ردد صوته في صدره .

(٣٣٦) لقد أوردت محاوره ابن عباس وأم المؤمنين من العقد الفريد ج ٣٢٨ - ٣٢٩ ط .

لجنة التأليف . وأوردها ابن أبي الحديد ج ٨٢٢ ط . المصرية كذلك . و أعمش

في تاريخه ص ١٨١ بتفصيل أوفى واليعقوبى في ٢ ٢١٣ مختصراً وكذلك المسعودى

في موجه ج ١٩٧ ص ١٩٧ بهامش ابن الاثير .

سبعين حتى قدمت المدينة .

وقال الطبري : فسرّحها عليٌّ و أرسل معها جماعةً من رجال و نساء ، وجهزها
و أمر لها باثني عشر ألفاً من المال ، فاستقلّ ذلك عبد الله بن جعفر (٣٣٧) فأخرج لها
مالاً عظيماً و قال : إن لم يجزه أمير المؤمنين فهو عليّ .

وقال المسعودي : و قد بعث عليٌّ أخاها عبد الرحمن بن أبي بكر و ثلاثين رجلاً
و عشرين امرأةً من ذوات الدين من عبد القيس و همدان ، و قريب منه ما قاله اليعقوبي
و ابن أعثم ، غير أنّهما لم يذكرا إرسال عبد الرحمن معها .

حصيلة الحرب :

ذكروا من هذا الحرب الضروس و شدته ما رواه الطبري و غيره عنهم أنّهم
قالوا : لمّا كان يوم الجمل ترامينا بالنبل حتى فنيت و تطاعنا بالرماح حتى تشبكت
في صدورنا و صدورهم حتى لو سيرت عليها الخيل لسارت .
وقال بعضهم : ما مررت بدار الوليد قطّ ، فسمعت أصوات القصارين يضربون ، إلا
ذكرت قتالهم (٣٣٨) .

و مرّ قولهم : ولقد كانت الرؤوس تندر عن الكواهل و الأيدي تطيح عن المعاصم ،

(٣٣٧) الطبري ٢٠٤ - ٢٠٥ ، و العقد الفريد ٤ ر ٣٢٨ .

عبدالله بن جعفر بن أبي طالب بن عبدالمطلب القرشي الهاشمي و امه أسماء بنت غيس
التخيمية ؛ هاجر أبواه الى الحبشة فولد هناك و هو أول مولود للمسلمين في الحبشة و قدم مع أبيه
المدينة ، و تزوج أبوبكرامه أسماء بعد مقتل جعفر فولدت له محمد بن أبي بكر ؛ فهما اخوة لام
و توفي رسول الله (ص) و هو ابن عشرين و كان كريماً جواداً حليماً يسمى بحر الجود ؛ أشهر
الاقوال في وفاته أنه توفي سنة ثمانين عام الجحاف بالمدينة و قيل بل توفي سنة أربع أو
خمس و ثمانين ؛ و عمره تسعون ، أو احدى أو اثنتان و تسعون سنة ، و صلى عليه أمير
المدينة يومذاك أبان بن عثمان .

اسد الغابة ج ٣ ر ١٣٣ - ١٣٥ ، والاستيعاب ص ٤٢٢ الترجمة ١٤٦٦ .

(٣٣٨) الطبري ٢١٨ ، و في العقد الفريد ٤ ر ٣٢٢ ما يؤيد ذلك و «دار الوليد»
موضع بالبصرة يجتمع فيه غاسلوا الثياب و «القصار» و «المقصر» محوور الثياب و
مبيضا بالقصرة و هي خشبة قصيرة كانوا يضربون بها على الثياب عند غسلها .

وأقتاب البطن تندلق من الأجواف ، و كان حصيلة هذا الحرب من الأيدي المقتووعة و العيون المفقووعة ما لم يحص عددها ، أمّا القتلى فقد عدّها الطبري في بعض رواياته ما يزيد على ستة آلاف .

و قال ابن أعثم في تاريخه : قتل من جيش عليّ ألف وسبعمائة و من أصحاب الجمل تسعة آلاف .

و قال ابن عبد ربّه في العقد الفريد : قتل يوم الجمل من عائشة عشرون ألفاً ، و من أصحاب عليّ خمسمائة .

و في تاريخ اليعقوبي : قتل في ذلك نيف و ثلاثون ألفاً (٣٣٩) .

كانت هذه حصيلة المسلمين من الحرب يومذاك ، و ما أنتجت لهم بعده فكثيرة لانحصى ، و هائلة لاتقدر .

و إن من نتائجها القريبة إشعال معاوية الحرب بصفين فانتها في حقيقتها كانت امتداداً لحرب الجمل إذ أن قيام أمّ المؤمنين التيميّة بالحرب على عليّ باسم الطلب بشار عثمان مهّد السبيل لمعاوية الأموي أن يقيمها عليه كذلك ، كما مهّدت له السبيل أيضاً أن يجعل الخلافة ملكاً وراثياً في آل أُميّة أسرة الخليفة القليل يورثها الآباء للأبناء ،

و كان من نتائج الحربين الجمل و صفين خروج الخوارج على عليّ و حربهم بنهروان فإنّ هاتين الحربين شوّشتا على جماعة من المنتظمين أمرهم ، فخرجوا على المسلمين كافةً ؛ يكفرونهم ، و يزيقون دماءهم و يقطعون السبيل و يسلبون الأمان بما أقاموا من حروب امتدّ مداها إلى عصور الخلافة العباسيّة .

وي كأنّ حرب الجمل لم تقع في فترة قصيرة من الزمن بل امتدّت إلى آحاد

(٣٣٩) الطبري ٥ ٢٢٥ ، و العقد الفريد ط لجنة التأليف ٤ ٢٢٦ وأعثم و اليعقوبي

عند ذكرهما الجمل من تاريخهما .

ان المؤرخين غالباً يختلفون في عدد قتلى المعارك و قد يكون منشأ ذلك أنه

لم يكن هناك احصاء دقيق صحيح عن الجيوش المحاربة و المفقودين فيها ، و قد يكون مبعثه الا هواء و العصبية الى غير ذلك .

بعيدة في الدهر .

التحزب والحرب الكلامية

و كان طبيعياً أن يستتبع ذلك تفريق كلمة المسلمين وانقسامهم إلى شيع وأحزاب فأصبحوا علويةً وعثمانيةً وخوارج و بكريّةً إلى غير ذلك من طوائف متخاصمة تقوم بينها حروباً دمويةً أحياناً وكلاميةً أخرى (٣٤٠).

و كان من مجالات حروبهم الكلامية واقعة الجمل نفسها و من قام بها ورضي عنها ؛ فقد قالت الخوارج فيها :

إن عائشة و طلحة و الزبير كفروا بمقاتلتهم عليّاً ، وقالوا : إن عليّاً كان يوم ذاك على الحقّ ولكنّه كفر بعد التحكيم (٣٤١).

و لعنوا عليّاً في تركه اغتنام أموالهم و سبي ذراريهم و نسائهم (٣٤٢).

و قال فريق من المعتزلة : بفسق كلا الفريقين من أصحاب حرب الجمل و أنّهم خالدون مخلّدون في النار (٣٤٣).

و قال آخرون منهم : إنّ أحد الفريقين فاسق لا محالة و أقلّ درجات الفريقين أنّه لا تقبل شهادتها (٣٤٤) . و أن لو شهدوا جميعاً على باقة بقل لم يقبل (٣٤٥).

و قال فريق ثالث منهم : كلُّ أهل الجمل هالكون إلا من ثبتت توبته و كذلك

(٣٤٠) راجع كتاب العثمانية للجاحظ (١٥٥ - ٢٥٠) و نقده لمعاصره أبي جعفر

الاسكافي ؛ ترجمه ابن ابى الحديد في شرح النهج ج ٢ ر ١٥٩ ؛ و كذلك أورد ابن ابى الحديد كثيراً من محارباتهم القولية نظماً و نثراً في مجلدات شرح النهج .

(٣٤١) التبصير ٤١ والملل والنحل ج ١ ر ١٨٥ ، والفصل ٤ ر ١٥٣ ، والفرق بين

الفرق ٥٥ - ٥٦ و يقصدون بالتحكيم تحكيم أبي موسى وعمرو بن العاص بعد واقعة صفين .

(٣٤٢) الملل ج ١ ر ١٧٦ والتبصير ٢٧ والفرق ٥٨ .

(٣٤٣) التبصير ٤٢ عن عمرو بن عبّيد .

(٣٤٤) الملل ج ١ ر ٦٥ عن واصل بن عطاء والفصل لابن حزم ر ١٥٣ ، والتبصير ٤١ .

(٣٤٥) التبصير ٤١ .

طلحة والزبير ، أمّا عائشه فانّها اعترفت لعليّ يوم الجمل بالخطأ وسألته العفو (٣٤٦) .
و روى الجاحظ عن بعض السلف : أنّهم كانوا يقولون إذا ذكروا يوم الجمل :
« هلك الأتباع ونجت القادة !! » (٣٤٧) .

وقال أكثر الأشاعرة : إنّ أصحاب الجمل أخطأوا و لكنّه خطأ مغفور كخطأ
المجتهد في بعض مسائل الفروع ولا يلزم به الكفر ولا الفسق ولا التبرّي ولا العداوة (٣٤٨)
وقال قسم منهم : إنّ عائشة و طلحة رجعوا عن الخطأ (٣٤٩) .
وقال غيرهم : إنّهم اجتهدوا فلا إثم عليهم ولا نحكم بخطأهم و خطأ عليّ
و أصحابه (٣٥٠) .

و إنّ أكرم القول في أمّ المؤمنين و أطيبه ما قاله فيها عليّ حيث قال : « ولها بعد
حرمتها الأولى و الحساب على الله » (٣٥١) .

أمّ المؤمنين من خلال هذه الحرب

استعرضنا من حرب الجمل ما يساعدنا على درس شخصيّة أمّ المؤمنين من قريب
أو بعيد .

فوجدناها في هذه الحرب تجمع الناس على حرب عليّ بعد ما بويع بالخلافة
باسم الطلب بشار عثمان ، و تؤمّر على جيشها أشدّ المؤلّبين على عثمان طلحة و الزبير من
بعد بيعتهما لعليّ . وعليّ ينادي في خطبه و يقول : يا عني طلحة و الزبير ثمّ ما لبثا
أن استأذنا إلى العمرة ، فسارا إلى البصرة فقاتلا فيها المسلمين و فعلا بها الأفاعيل ،
و نكثا بيعتي ، و ألّبا عدويّ . و يقول لهما : إنكما بايعتماني ، و نكثتما بيعتي ،
و زعمتما أنّي قتل عثمان ، فبيني و بينكما من تخلف عنيّ و عنكما من أهل

(٣٤٦) شرح النهج ج ٣ ر ٢٩٦ ، و في ج ٢ ر ٤٤٨ منه ، يشير اشارة عابرة الى ذلك .

(٣٤٧) العثمانية للجاحظ ص ٢٤٦ ط دار الكتاب بمصر سنة ١٣٧٤ هـ .

(٣٤٨) شرح النهج ج ٣ ر ٢٦٦ .

(٣٤٩) التبصير ص ٤١ .

(٣٥٠) الملل والنحل ج ١ ر ١٤٤ و الفصل ٤ ر ١٥٣ .

(٣٥١) نهج البلاغة ر ٦٣ ، و كنز العمال ر ٢١٥-٢١٧ ، و منتخبه ر ٣١٥-٣٣١ .

المدينة ، ثم يلزم كل امرء ما احتمال .
يقول هذا و أمثال هذا . في كل مجتمع ويتبرء من دم عثمان ، والناس يصدقون
التهمة عليه ، وذلك لمكانة أم المؤمنين في النفوس . على أن برآة علي من دم عثمان
و تبعة طلحة و الزبير و عائشة في دم عثمان كان معروفاً يوم ذاك .
فقد قال ابن سيرين : ما علمت أن علياً اتهم بدم عثمان حتى بويع ، فلمّا بويع
اتهمه الناس (٣٥٢) .

و قال أبو الأسود لطلحة و الزبير : إنكما وعائشة كنتم أشد الناس عليه وأعظمهم
إغراءً بدمه فأقيدوا من أنفسكم ، و أمّا إعادة الخلافة شورى فكيف و قد بايعتم علياً
طائعين غير مكرهين .

و قال عمار لعائشة : فمنك الرياح ومنك المطر . . . و أنت أمرت بقتل الإمام . .
و جاء عبد الله بن حكيم بكتب كانا كتبها إليه ، فقال لطلحة : يا أبا محمد ! أما
هذه كتبك إلينا ؟ قال : بلى ! قال فكتبت أمس تدعونا إلى خلع عثمان و قتله حتى إذا
قتلته أتيتنا ثائراً بدمه ؟ !

و قال سعيد بن العاص الأموي مروان بعد خروج الجيش من مكة : أين تذهبون
و ثأركم على أعجاز الإبل ؟ ! - يقصد بهم عائشة و طلحة و الزبير - اقتلوهم ثم ارجعوا
إلى منازلكم ! و لذلك لما التحم الجيشان في البصرة رمى مروان طلحة بسهم فقتله .

و إنمّا تمكّنت من تجهيز جيش لجب لمقاتلة علي البريء عن دم عثمان باسم
الطلب بدم عثمان لمكانتها في النفوس ؛ و طواعية الناس لها ؛ و مقدرتها السياسية
و الخطابية ؛ و إدراكها ما يؤثر في النفوس .

و أمّا مقدرتها الخطابية - بلاغتها في المحاورات - فمن مواردها جوابها لأم سلمة
عند ما أخرجتها أم سلمة بخطابها الطويل تلومها فيه على خروجها ، فقالت عائشة في
جوابها : « لنعم المطلع مطلعاً أصلحت فيه بين فئتين متناجرتين » و ليث شعري . أين كان
التناجز لو جلست هي في بيتها و لم تتجشم الأهوال لاقامة الحرب على علي ؟ ! و أين

كانت الفتان المتناجزتان لو لم توجد هما هي بخروجها إلى البصرة؟!
 و منها قولها لأهل البصرة في المربد - عند ما اختلفوا بعد خطاب طلحة والزبير -
 « قتلتموه بعد توبته . . . » وهي في هذا القول كما قالت القائلة : رمتني بدائها و انسلت .
 فمن قتل عثمان إن لم يكن بنو تميم ألّبوا عليه وجلبوا حتى قتلوه؟!
 و تفصح بعد هذا عن مكنون خاطرها حين تقول : « و بايعتم ابن أبي طالب بغير
 مشورة من الجماعة ابتزازاً و غصباً . . . ألا وإن عثمان قتل مظلوماً فاطلبوا قتلته ، فإذا
 ظفرت بهم فاقتلوهم ، ثم اجعلوا الأمر شورى بين الرهط الذين اختارهم عمر ، ولا يدخل
 فيهم من شرك في دم عثمان . . . »

إنها في قولها هذا فسخت بيعة عليّ و أبطلته ، ثم أعادت الأمر شورى بين من
 اختارهم عمر على شرط أن لا يكون ممن شرك في دم عثمان .
 و إن عرفنا أن الباقيين من أهل الشورى يومذاك كانوا طلحة و الزبير ، و هما
 بريئان من دم عثمان في رأيها !! و عليّاً وهو المتهم به عندها !! و سعداً ، و ليس بالعسير
 إشراكه في التهمة إذا اقتضى الأمر ذلك ؛ على أنه إن قدر له يجتمع مع طلحة و الزبير
 في الشورى ، فهو واحد في مقابل اثنين . إذن نعرف أنها في ما عينتها من قاعدة لانتخاب
 الخليفة قد حصرت الأمر في طلحة و الزبير ؛ و كان ذلك هو الهدف المذشود من قتل عثمان
 و إقامة هذه الحرب .

و قولها لبني ناجية عند ما أخذوا بخطام جملها : « صبراً يا بني ناجية ! فإني
 أعرف فيكم شمائل قريش » من موارد معرفتها بما يؤثر في النفوس فإن بني ناجية كانت
 مطعوناً في نسبها إلى قريش ، فقد قال رسول الله في سامة الذي ينتسبون إليه : « عمي
 سامة لم يُعقب » (٣٥٣) و إن أبا بكر و عمر لم يدخلاهم في قريش (٣٥٤) .
 و هي بتشريفهم بهذا الخطاب أثارَت فيهم النخوة ، و دفعتهم إلى الاستبسال في
 القتال ، فقاتلوا حول جملها حتى قتلوا .

(٣٥٣) الاغانى ج ٩ ر ١٠٠ ط . ساسى بترجمة على بن الجهم .

(٣٥٤) شرح النهج ٣ ر ١٢٦ تحقيق أبي الفضل .

وكذلك قولها للأزد عند ما التقوا حول جملها بعد ضبة : « صبراً فإنما يصبر الأحرار ، ما زلت أرى النصر مع بني ضبة فلماً فقدتهم أنكرته » ، فانها بهذا القول حرصتهم على الاستماتة في الحرب فقاتلوا دون جملها قتالاً شديداً .

و كذلك هي في جوابها لعليّ حين قال لها بعد ما انتصر عليها : « استفزرت الناس حتى فزوا و الّبت بينهم حتى قتل بعضهم بعضاً . أرسول الله أمرك بهذا ؟ ! ألم يأمرك أن تقعد في بيتك » . فأجابته بقولها : « ملكت فاسجح » .
ما أبلغه من جواب و أجزه ؟ استعطف في لفظ أمر و تهكّم ، و مخاطبة ذي مروءة بما يؤثّر في نفسه .

و أمّا طاعة الناس لها فقد نشأت عمّا مهّد لها في عصر الشيخين استناداً إلى أمومتها للمؤمنين و باسم حبّ رسول الله لها .
و كانت هي تدلي بأمومتها للمؤمنين في هذه الحرب فقد كتبت إلى زيد بن صوحان العبدي .

من عائشة ابنة أبي بكر أمّ المؤمنين ، حبيبة رسول الله ﷺ إلى ابنها الخالص زيد ابن صوحان أمّا بعد فاذا أتاك كتابي هذا فأقدم فانصرنا على أمرنا هذا فإن لم تفعل فخذل الناس عن عليّ (٣٥٥) .

و قالت لكعب بن سور حين اعتزل في بيته و طين عليه بابُه فر كبت إليه و كلمّته فلم يجيبها ، فقالت له : « يا كعب ؛ ألسنت أمك ؟ ولي عليك حق ؟ فكلمّها و خرج معها فاتبعته قبائل الأزد و لولا ذلك لقعدت الأزد كلّها .
و باسم أمومتها للمؤمنين كان التفاف الناس حول جملها في هذه الحرب (٣٥٦) فقد كان راجزهم يقول :

(٣٥٥) الطبري ٥ ر ١٨٣ - ١٨٤ .

(٣٥٦) على ان قسماً من المسلمين يومذاك لم تؤثّر فيهم امومتها لهم ليندفعوا ورائها في هذه الحرب ، فقد كتب زيد بن صوحان في جوابها :

أما بعد فأنا ابنتك الخالص ان اعتزلت هذا الامر و رجعت الي بيتك والا فأنا أول من نابذك . راجع الطبري ٥ ر ١٨٣ . ←

يا معشر الأزد! عليكم أممكم فإنيها صلاتكم و صومكم
والحرمة العظمى التي تعمكم

و يقول الآخر : هذه أممكم نصرها دين ، وخذلانها عقوق .
و كانت الأزد تأخذ بعرجلها ، و تقته و تشمه و تقول : بعرجل أمنا ربحه
ريح المسك ؛ و هذا ما لم يفعله أحد مع رسول الله نفسه !
و من طواغية الناس لها : أن جعلها كان لواء أهل البصرة ، ليس لهم لواء دونه ؛
فلم يؤثر في الجيش نكوص الزبير ، و مقتل طلحة ، و سقوط عبد الله بن الزبير ، بل كانت
الحرب قائمة ما زال رأس جعلها معتدلاً ، فلما عقر انهزمت الرجال ، و فرّوا .
و أمّا مقدرتها السياسية فمن أجلى مظاهرها جمعها شتات ذلك الجيش المتنافر
الذي يقتل بعضه بعضاً ، و قد ظهرت آثار الشحنة و الفرقة بينهم منذ انفصالهم عن مكة ،
فقد أراد مروان أن يضرب الجيش بعضه ببعض فأذن و جاء و وقف على طلحة و الزبير
و قال : على أيكمما أسلمت بالإمرة و أؤذن بالصلاة ، فقال ابن الزبير : على أبي ، و قال
ابن طلحة : على أبي ؛ و تنافروا فبلغ بأئم المؤمنين الخبر ؛ فتداركت الأمر و أرسلت إلى
مروان تقول له : مالك ؟ ! أتريد أن تفرق أمرنا ! ليصل ابن أختي و كذلك فعلت أيضاً
لما تنافس الشيخان على الصلاة في البصرة - بعد غلبتهما عليها - و تدافعا فإنيها تداركت

← و قال أبو بكر لقد نفعني الله بكلمة - وفي رواية عصمني الله بكلمة - سمعتها من رسول
الله - أيام الجمل بعد أن كدت الحق بأصحاب الجمل فاقتل معهم ، قال : لما بلغ رسول الله
(ص) أن أهل فارس ملكوا عليهم بنت كسرى ، قال : لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة .

و في رواية أخرى قال : لما قدم طلحة و الزبير البصرة تقلدت سيفي و أنا أريد
نصرهما فدخلت على عائشة فإذا هي تأمر و تنهى ، و إذا الأمر أمرها فذكرت حديثاً كنت
سمعت من رسول الله : لن يفلح قوم تدبر أمرهم امرأة ، فانصرفت و اعتزلت .

راجع البخاري ج ٣ ر ٦٣ في كتاب المغازي و في ج ٤ ر ١٥٢ منه باب الفتن مختصراً ؛

و النسائي ج ٤ ر ٣٠٥ باب النهي عن استعمال النساء في الحكم ، و المستدرک ج ٤ ر

٥٢٤ - ٥٢٥ بعبارة أخرى و في صفحة ٢٩١ قريباً مما أوردناه و الرواية الأخيرة أوردتها

المفيد في كتابه الجمل .

الأمر مرةً أخرى وأصلحت بينهما وعيّنت ابن أختها للصلاة على أن يكون الأمر إلى عائشة إن ظهروا ، تستخلف من شاءت .

إذن فهي ليست بأميرة جيش الجمل فحسب . وإنما هي أميرة المؤمنين تستخلف على المسلمين من تشاء و تحكم لمن تشاء و على من تشاء .

أما رباطة جأشها فلم نجد لها في ربّات الخدور من نظير ، تأمر بقتل الأسارى عند ما ملكت البصرة في بادئ أمرها فيذبح العشرات منهم ذبح الغنم ، وتباشر الحرب في هودجها امرأةً ناهيةً ، فتطيح حولها الرؤوس عن الكواهل و الأمعاء تندلق من الأجواف و الأيدي تنقطع من المعاصم ، و هي ثابتة كالطود الأشم لا يرى فيها ضعف النساء ورقّتهن .

هذه أمّ المؤمنين في بلاغتها ، و قدرتها السياسية ، و نفوذ كلمتها و رباطة جأشها غير أنه كانت فيها نقطة ضعف أوتيت منها .

عبد الله بن الزبير وراء هذه الحرب

كانت أمّ المؤمنين فذةً في ملكاتها ، و مواهبها . فذةً في عاطفتها المشبوبة نحو زوي قرباها ، و خصت من بينهم عبد الله بن الزبير ابن أختها أسماء بحبّها الجمّ ، و حلّ منها محلّ الولد الفرد من الوالدة الشفيقة و تكنت باسمه (٣٥٧) و لم يكن أحدٌ أحبّ إليها يومذاك من ابن الزبير (٣٥٨) .

قال هشام بن عروة : ما سمعت تدعو لأحد من الخلق مثل دعائها له ، و أعطت للذي بشرها بسلامته من القتل عشرة آلاف درهم ، ثمّ سجدت شكرًا لله تعالى ، و لمّا اعتلّت دخل عليها بنواؤها ، و فيهم عبد الله فبكى فرفعت رأسها تنظر إلى وجهه ، فأبهت لبكائه فبكت ، ثمّ قالت : ما أحقني منك يا بنيّ ما أرى ؛ فما أعلم بعد رسول الله ﷺ

(٣٥٧) نسب قريش ص ٢٣٧ ؛ و الاستيعاب بترجمة ابن الزبير المرقمة ١٥١٨

و اسد الغابة بترجمتها ، و شرح النهج ٤٨٢٤ .

(٣٥٨) الاغانى ١٤٢٩ .

وبعد أبويّ أحدُ أنزل عندي منزلتك وأوصت له بحجرتها (٢٥٩) .

وعبد الله بن الزبير هذا كان قد نشأ على كره بني هاشم حتى استطاع أن يغير رأيه
أبيه الزبير على عليّ وهو ابن خال أبيه .

قال عليّ : مازال الزبير رجلاً منّا أهل البيت حتى نشأ ابنه المشؤم عبد الله (٣٦٠)
و بلغ من بغضه لهم مارواه عمر بن شبة ، و ابن الكلبي ، والواقدي ، وغيرهم من
رواة السير أنه مكث أيام خلافته أربعين جمعة لا يصلي فيها على النبي ويقول : لا يمنعني ذكره
إلا أن تشمخ رجال بآنفها ؛ و في رواية محمد بن حبيب ، و أبي عبيدة ، و معمر بن المثنى
أنه قال : إن له أهيل سوء ينغضون رؤوسهم عند ذكره (٣٦١) .

وقال لعبد الله بن العباس : إنني لأكتم بغضكم أهل هذا البيت منذ أربعين سنة (٣٦٢)
وكان يبغض عليّ بن أبي طالب خاصةً وينال من عرضه (٣٦٣) .

و جمع محمد بن الحنفية و عبد الله بن العباس في سبعة عشر رجلاً من بني هاشم منهم:
الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب ، و حصرهم في شعب بمكة يعرف بشعب عارم
و أراد أن يحرقهم بالنار ، فجعل في فم الشعب حطباً كثيراً فأرسل المختار أربعة آلاف ؛ فجدوا
السير حتى انتهوا إلى مكة فباغتموا ابن الزبير و أنقذوا بني هاشم (٣٦٤) .

(٣٥٩) تهذيب ابن عساكر ٧-٤٠٠-٤٠٢ ؛ و شرح النهج ج ٤-٤٨٢-٤٨٣

(٣٦٠) نهج البلاغة ٣-٢٦٠ ، و تهذيب ابن عساكر ٧-٣٦٣ ، و ابن عبد البر

في الاستيعاب ص ٣٥٣ الترجمة ١٥١٨ ، و شرح النهج ٢-١٦٧ ، و ج ٤-٤٨٠ .

(٣٦١) ذكر تركه الصلاة على النبي مراغماً لبني هاشم كل من المسعودي في موجه

بهامش ابن الاثير ٥-١٦٣-١٦٤ و يعقوبي في تاريخه ج ٣-٧-٨ و شرح النهج

ج ١-٣٨٥ و ج ٤-٤٨٠-٤٩٠ .

(٣٦٢) المسعودي ج ٥-١٦٣-١٦٤ و شرح النهج ج ١-٣٥٧ .

(٣٦٣) شرح النهج ج ١-٣٥٨ و راجع المسعودي ج ٥-١٦٣-١٦٤ و يعقوبي

ج ٣-٧-٨ .

(٣٦٤) المسعودي ٥-١٥٨-١٦٠ و شرح النهج ٤-٤٨٧-٤٩٥ و أشار إليه ابن

عساكر في تهذيبه ج ٧-٤٠٨ .

أما أبو الفرج فقد قال : كان عبد الله بن الزبير قد أغرى بني هاشم يتبعهم بكلّ مكروه ويفري بهم ويخطب بهم على المنابر ويصرّح ويعرض بذكرهم فر بما عارضه ابن عباس وغيره منهم ، ثمّ بداله ، فحبس ابن الحنفية في سجن عارم ثمّ جمعه و سائر من كان يحضرته من بني هاشم فجعلهم في محبس وملاء حطباً وأضرم فيه النار وقد كان بلغه أنّ أبا عبد الله الجدلي وسائر شيعة ابن الحنفية قد وفوا لنصرته ومحاربة ابن الزبير ؛ فكان ذلك سبب إيقاعه بهم وبلغ أبا عبد الله الخبر فوافى ساعة أضرمت النار عليهم فأطفأها واستنقذهم (٣٦٥) فابن الزبير هذا الذي يتقدّ غيضاً وحنقاً على بني هاشم ، والذي استطاع أن يغيّر رأي أبيه على عليّ وهو ابن خاله استطاع أن يسوق أمّ المؤمنين التي كان بينها وبين عليّ ما بينهما إلى هذه الحرب .

وقد روى ابن عبد البرّ أنّ عائشة قالت : إذا مرّ ابن عمر فأرونيه فلما مرّ ابن عمر قالوا : هذا ابن عمر ! فقالت : يا أبا عبد الرحمن ما منعك أن تنهاني عن مسيري ؟ قال : رأيت رجلاً قد غلب عليك وظننت أنّك لا تخالفه يعني ابن الزبير ، قالت : أما أنّك لو نهيتني ما خرجت . (٣٦٦) وكتب عليّ قبل الحرب إلى عائشة يقول : « لا يدعوك حبّ ابن الزبير وقرابة طلحة . . . »

وقالوا . إنّها لما سمعت نباح كلاب الحوآب وتذكّرت حديث الرسول وأرادت

(٣٦٥) الاغانى ج ١٦٩ ط . دار الكتب .

وأبو عبد الله الجدلي هذا هو عبدة بن عبد ، وكان المختار أرسله لانتقاد بني هاشم وقد ذكر الطبري في ج ١٣٦٧ واليعقوبى ج ٣٣٧-٨ وابن الاثير ٤ و ٩٨ أنّ عبد الله الجدلي سار بجيشه حتى دخلوا المسجد الحرام ومعهم « الكافر كوبات » وهم ينادون : يا ثارات الحسين حتى انتهوا إلى زمزم وقد أعد ابن الزبير الحطب ليحرقهم وكان قد بقي من الاجل يومان ، فطردوا الحرس وكسروا أعواد زمزم ودخلوا على ابن الحنفية فقالوا له : خل بيننا وبين عدو الله ابن الزبير ، فقال لهم : انى لا أستحل القتال في حرم الله . . . الحديث .

و « الكافر كوبات » : نوع من الخشب تسلحوا بها بدلا من السيف حفظاً لحرمة الحرم فكان ابن الزبير لذلك يسميهم بالخشبية .

(٣٦٦) الاستيعاب ص ٣٥٤ بترجمة عبد الله المرقمة ١٥١٨ و شرح النهج ٤٨١٤ .

أن ترجع أتاها عبدالله بن الزبير فزعم أنه كذب من قال : أنه الحوآب ولم يزل بها حتى مضت .

إذن فعبد الله بن الزبير كان وراه هذه الحرب وليس بعبدالله بن سبأ الذي مازال المأورّ خون يلهجون باسمه منذ أكثر من ألف سنة كما سند كره فيما يأتي .

اسطورة عبدالله بن سبأ

اعتمدنا في ما أوردنا من روايات في « مقتل الخليفة عثمان » و « حرب الجمل » على روايات موثوقة لدينا ، ويقابل هذه الروايات روايات موضوعة وضعها راو واحد ، و منه أخذ الكتّاب والمأورّ خون كافةً ، والواضح لتلك المجموعة من الروايات هو : « سيف ابن عمر التميمي البرجمي الكوفي » المتوفى سنة ١٧٠ هـ ، فإن هذا الراوي وضع أسطورة خرافية بطلها : « عبدالله بن سبأ » اليهودي الذي نسبته إلى صنعاء اليمن وعبر عنه بابن السوداء أحياناً .

وموجز الأسطورة : أن هذا الشخص الخرافي : « عبدالله بن سبأ » أظهر الإسلام في عصر عثمان ليكيد المسلمين فتنقل في الحواضر الإسلامية ، مصر ، والشام ، والكوفة ، والبصرة مباشرةً برجة النبي وأنّ علياً هو وصيه وأنّ عثمان غاصبٌ حقّ هذا الوصي ، فمال إليه و تبعه جماعات من كبار الصحابة والتابعين من أمثال عمّار بن ياسر ، وأبي ذر ، وأبي حذيفة ، وغيرهم ؛ واستطاع أن يجيش الجيوش لقتل الخليفة عثمان حتى قتلوه في داره وهكذا يسلسل « سيف بن عمر » الحوادث في أسطوره الموضوعه حتى ينتهي إلى حزب الجمل ، فيخلق هناك وسيطاً للصلح اسمه « القعقاع بن عمرو » (٣٦٧) يقوم بالسفارة

(٣٦٧) قد أوردنا مجمل ما نسب إلى هذا الشخص الاسطوري « القعقاع بن عمرو » من بطولات في حروب الردة ، و فتوح الشام ، القادسية ، إلى غيرها ؛ وصحبته للنبي و بعض ما نسب إليه من شعر في ص ١٣٦-١٥٢ من كتابنا عبدالله بن سبأ - المدخل-ضمن ذكرنا أربعين صحابياً ممن خلقهم سيف ، في أساطيره وأبنتنا هناك : أن أولئك الصحابة لم يخلقهم الله و أن من ترجمهم من العلماء انما استند إلى أحاديث سيف وحده ، فراجعه ، فقيه فوائد هامة .

و مما تركنا ذكره في استعراضنا لحوادث الجمل حكيتان عند المسعودي وابن ←

للصلح بين عليّ . وعائشة وطلحة والزبير؛ حتى إذا تمّ أمر المعسكرين على الصلح ورأى « السبأيون » أتباع « عبد الله بن سبأ » ذلك خافوا على أنفسهم من مغبة هذا الصلح ، فاجتمعوا سرّاً في سواد الليل يشنّورون ، فأو عز اليهم رئيسهم بطل القصة « ابن سبأ » أن يندسوا بين الجيشين ، فيهجم من اندس منهم في جيش عليّ على جيش عائشة ، ومن اندس منهم في جيش عائشة يهاجم جيش عليّ ، ويشنّوا الحرب فجاءةً ، فراقت لهم الخطة ، ونفذوها في غلس الليل دون علم عليّ وعائشة . وهكذا أنشبت الحرب خلافاً لرغبة قادة الجيشين . وهكذا وقعت حرب الجمل .

هذه الأسطورة الخرافية وضعاها « سيف بن عمر » قبل سنة ١٧٠ هـ ، ومنه أخذ جميع المؤرّخين ثمّ اشتهرت القصة وانتشرت في كتب التاريخ مدى القرون حتى يومنا هذا حتى أصبحت من الحوادث التاريخية الشهيرة التي لا يتطرّق إليها الشك ، وقدرات الغالب من الكتّاب والمؤرّخين من الشرقيين والمستشرقين : أن هذه الأسطورة وضعاها راوٍ واحدٌ وأنّ هذا الراوي مشهور عند القدامى من علماء الحديث بالوضع ، ومنتهم بالزندقة (٣٦٨) .

وأنه قد أخذ من هذا الراوي الطبري (٣١٠ هـ) في تاريخه .

وابن عساكر (٥٢٧ هـ) في موسوعته « تاريخ مدينة دمشق » .

وابن أبي بكر (٧٤١ هـ) في كتابه « التمهيد والبيان في فضائل الخليفة عثمان » (٣٦٩) .

← أعمش : اولاهما ارسال عائشة أباها محمداً ليأتي بابن الزبير ؛ و الثانية دخول عليّ على عائشة بعد الحرب ، تركنا ذكر هاتين الحكايتين لاننا لم نجد لهما سنداً الا عند الطبري ٢٢٠-٢٢١ بسنده الى سيف .

(٣٦٨) راجع ص ١٧ من عبدالله بن سبأ لترى ترجمته عند العلماء .

(٣٦٩) راجعنا مصور دار الكتب المصرية بالقاهرة رقم ٦٣٢٢ .

وقد ورد في الصفحة الاولى منه : « أما بعد فهذا كتاب أذكر فيه مصرع الامام الشهيد ذى النورين عثمان بن عفان . . . أذكر ما نقلته الائمة العلماء في كتبهم وتواريخهم مثل . . . كتاب الفتوح لسيف بن عمر التميمي . . . ؛ و كتاب التاريخ للشيخ عبدالكريم المعروف بابن الاثير الجزرى . . . »

و قال في آخر الكتاب ص ٢٤٨ منه : ←

ومن الطبري أخذ سائر الكتاب والمؤرخين إلى يومنا هذا مما بيناه مفصلاً في كتابنا «عبدالله بن سبأ - المدخل -» فراجعه إلى ص ١٧ منه (٣٧٠).

ونشير هنا مضافاً إلى ما بيناه هناك من استناد الكتاب والمؤرخين إلى الطبري فيما أورده من أسطورة «السبائية» أولاً، من القدامي إلى:

فيلسوف المؤرخين ابن خلدون فإنه بعد ما أورد فصولاً من القصة عند ذكره «مقتل عثمان» و«حرب الجمل» من تاريخه «المبتدأ والخبر» قال في ص ٤٢٥ من ج ٢ منه: «هذا أمر الجمل ملخصاً من كتاب أبي جعفر الطبري، اعتمدناه للوثوق به. وقال في ص ٢٤٧ منه: (هذا آخر الكلام في الخلافة الإسلامية، و ماكان من الردة، و الفتوحات، و الحروب، ثم الاتفاق و الجماعة، أوردتها ملخصة عيونها و مجامعها من كتاب محمد بن جرير الطبري، و هو تاريخه الكبير، فإنه أوثق ما رأيناه في ذلك و أبعد عن المطاعن و الشبه في كبار الأمة من خيارهم و عدولهم من الصحابة (رض) و التابعين . . .»

و ثانياً من المتأخرين: إلى سعيد الأفغاني في كتابه «عائشة و السياسة» فإنه أيضاً ذكر فصولاً من قصة السبائية فيه تحت عنوان «اجتماع عثمان و تتابع الحوادث» ص ٣٢-٣٥ منه و «ابن سبأ البطل الخفي المخيف» ص ٤٨-٥٢ منه و «الإشراف على الصلح» ١٤٥-١٤٧ منه و «المؤامرة و الدسيسة» ص ١٥٥-١٨٥ منه.

و قد قال في ص ٥ منه: «إنني جعلت أكثر اعتمادي . . . على تاريخ الطبري

← (و فرغ من جمعه و تأليفه الفقير الى الله محمد بن يحيى بن أبي بكر . . . ؛ وذلك

في يوم الثلاثاء خامس عشر ذى القعدة من سنة تسع و تسعين و ستمائة . . .)

اذن فابن أبي بكر قد أخذ من «سيف بن عمر» مباشرة عن كتابه الفتوح كما أخذ من تاريخ ابن الاثير أيضاً الذي لم يكتب عن أحوال الصحابة في تاريخه عداما أورده الطبري قد أخذ من سيف، راجع «عبدالله بن سبأ» المدخل ص ٨-٩.

(٣٧٠) و في بقية الكتاب مقارنات بين بعض روايات سيف و الوقائع التاريخية

الثابتة التي حدث عنها ثقات الرواة .

خاصةً ، وهو أقرب المصادر من الواقع ، و صاحبه أكثر المؤرخين تحريياً و أمانةً و عليه اعتمد كلُّ من أتى بعده من الثقات . . . و حرصت هنا كلُّ الحرص على عبارته ما وجدت إلى ذلك سبيلاً . . .) وقال في ص ٦٧ منه : « معظم اعتمادنا فيما نسوق على الطبري » . (٣٧١)

هكذا انتشرت هذه الأسطورة في الكتب التاريخية بعد أن رواها الطبري من « سيف بن عمر » وحده (٣٧٢) اعتماداً منهم على جلاله قدر الطبري ، والجدول الآتي يبيِّن سلسلة رواة أسطورة السبائية من واضعها الأوّل « سيف بن عمر » حتّى رواتها من المتأخرين .

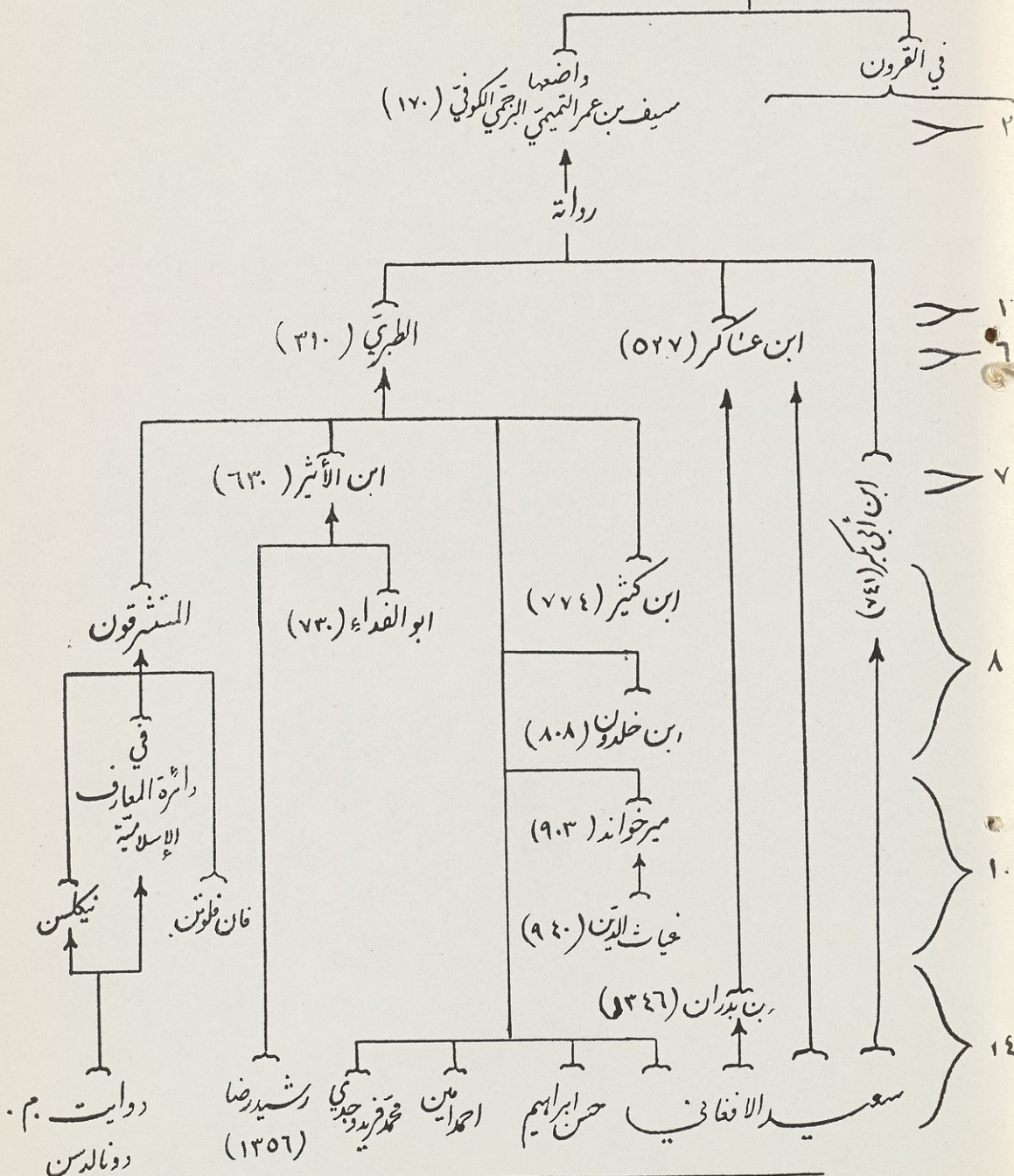
(٣٧١) و مضافاً الى الطبرى قد يستند في بيانه بعض أجزاء الاسطورة الخرافية « السبائية » و ذيولها الى :

« تهذيب تاريخ ابن عساكر » كما فعل ذلك في الصفحة ٣٤ و ٤٩ و ٥١ و ١٨٧ من كتابه .

و الى « التمهيد و البيان في مقتل الخليفة عثمان » كما فعله في ص ٣٤ و ٥٨ منه ، و قد علمنا أنهما أيضاً يستندان الى « سيف بن عمر » في بيانهما الاسطورة الخرافية .

(٣٧٢) راجع ص ١٦ من عبدالله بن سبأ تجد بيان ذلك .

سلسلة الاسطوره (السياسية)



إن النسخ المسجل في هذا الجدول هجري ولا يشمل المستشرقين

Handwritten text at the top of the page, possibly a title or header.

Handwritten text in the upper section of the page.

Handwritten text in the upper section of the page.

Handwritten text in the upper section of the page.

Handwritten text in the upper section of the page.

Handwritten text in the upper section of the page.

Handwritten text in the upper section of the page.

Handwritten text in the upper section of the page.

Handwritten text in the upper section of the page.

Handwritten text in the upper section of the page.

Handwritten text in the upper section of the page.

Handwritten text on the right side of the page.

Handwritten text on the right side of the page.

Handwritten text on the right side of the page.

Handwritten text on the right side of the page.

Handwritten text on the right side of the page.

Handwritten text on the right side of the page.

Handwritten text on the right side of the page.

Handwritten text on the right side of the page.

Handwritten text on the right side of the page.

Handwritten text on the right side of the page.

Handwritten text on the right side of the page.

بعد الجمل

آبت أم المؤمنين عائشة إلى بيتها أسيفةً ثاكلةً . رجعت إلى بيتها بعد أن قتل ابن عمها طلحة الذي كانت تأمل أن تراه على عرش الخلافة . قتل ابن عمها هذا ، وقتل ابنه محمد ، وقتل الزبير زوج أختها أسماء (٢٧٣) ، إلى آخرين من ذويها . رجعت إلى بيتها وفي نفسها ألف حسرةٍ وندامةٍ بعد أن لم تسمع لمشورة نصحاءها . رجعت إلى المدينة وصدرها يغلي على ابن أبي طالب كالمِرْجَل (٢٧٤) وبقيت منطويةً على غيظها عليه مدةً خلافته القصيرة حتى إذا جاء نعيه سجدت لله شكراً (٢٧٥) وأظهرت السرور وتمثلت :

فألقت عصاها واستقرَّ بها النوى * كما قرَّ عيناً بالأياب المسافر
ثمَّ قالت : من قتله ؟

ف قيل : رجلٌ من مراد .

فقالت : فان يك نائياً فلقد نعاه * غلام ليس في فيه التراب

فقالت زينب ابنة أم سلمة (٢٧٦) : ألعليّ تقولين هذا ؟ !

(٢٧٣) أسماء بنت أبي بكر ، و أمها قبيلة أوقيلة بنت عبد العزى وكانت أسن من عائشة ، سماها الرسول ذات النطاقين يوم الهجرة لانها شقت نطاقها وصنعت للنبي سفرة تزوجها الزبير وولدت له عبدالله ، وعروة ، والمنذر ، و طلقها الزبير و عاشت أسماء الى أن قتل ابنها عبدالله سنة ثلاث وسبعين وماتت بعده بايام ، وعمرها مائة سنة ؛ اسد الغابة ج ٣٩٢-٣٩٣ .

(٢٧٤) استعرنا هذه الجملة من خطبة على في البصرة بعد حرب الجمل - راجع قبله - و المرجل : القدر الكبيرة .

(٢٧٥) ذكر سجدها لله عند سماعها نعي علي : أبو الفرج في مقاتل الطالبين ص ٤٣ .

(٢٧٦) زينب بنت أبي سلمة بن عبد الاسد القرشية المخزومية ربيبة رسول الله وامها ام سلمة تزوجت من عبدالله بن زمعة بن الاسود الاسدي . اسد الغابة ج ٤٦٨٥ .

فقال: إنِّي أنسى، فاذا نسيت فذكروني (٢٧٧).

وفي رواية أبي الفرج بعد هذا: ثمَّ تمثَّلت:

ما زال إهداء القصائد بيننا * باسم الصديق وكثرة الألقاب

حتَّى تركت وكان قولك فيهم * في كلِّ مجتمع طنين ذباب

انتهى .

وقد أثار ذلك في علاقاتها مع أبناء عليّ، فقد رووا (٢٧٨) أنها كانت تحتجب من حسن و حسين (٢٧٩) وقد قال ابن عباس . إنَّ دخولهما عليها لجلّ .

وقد روى ابن سعد بعد هذا عن أبي حنيفة و مالك بن أنس (٢٨٠) أنهما قالا :

(٣٧٧) الطبري ج ٨٧٧ ، و الطبقات ج ٤٠٣ و مقاتل الطالبين ص ٤٢ و ابن

الاثير ج ١٥٧٣ .

(٣٧٨) طبقات ابن سعد ٧٣٨ .

(٣٧٩) الحسن والحسين سبطا النبي (ص)؛ أبوهما علي بن أبي طالب و أمهما فاطمة بنت النبي محمد، وكنية الحسن أبو محمد؛ ولد في النصف من رمضان سنة ثلاث من الهجرة و بويع بالخلافة بعد أبيه و صالح معاوية بعد سبعة أشهر، و دس معاوية اليه السم و توفي سنة تسع و أربعين أو خمسين أو احدى و خمسين، و دفن بالبقيع من المدينة .

و أبو عبدالله الحسين ولد في الثالث من شعبان سنة أربع من الهجرة و قتله جيش ابن زياد في طف كربلاء في اليوم العاشر من المحرم سنة ٦٠ من الهجرة و قتل معه رجال من أهل بيته و شيعته ثم أخذوا رؤوسهم و سبوا نسوته و ذراريه الى ابن زياد في الكوفة ثم الى يزيد في الشام و أحضر وهم مجلسهما الى غير ذلك من حوادث يطول شرحها .

وقد قال فيهما رسول الله فأكثر، و من حديثه فيهما: « هذان ابنائى و ابنا ابنتى اللهم انى أحبهما فأحبهما و أحب من يحبهما . . . الحديث .

أخرجه الحاكم في مستدركه ج ٣٦٦١٦٦ و صحيحه و قد نص الرسول في هذا الحديث و غيره على أنهما ابناه . و قد انقطع نسل رسول الله الا ما كان من ذريتهما فان الرسول لم يخلف من الذرية الا ما كان من بطن ابنته فاطمة أمهما .

(٣٨٠) أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطى الكابلى التيمى و لاء؛ كان زوطى ←

إن زوجة الرجل لا تحل لولده ولا لولد ولده الذكور أبداً ولا لأولاد البنات وهذا مجمع عليه ، ولم يكن هذا خافٍ على أم المؤمنين غير أنها كانت تقصد من وراء ذلك ما تقصد .

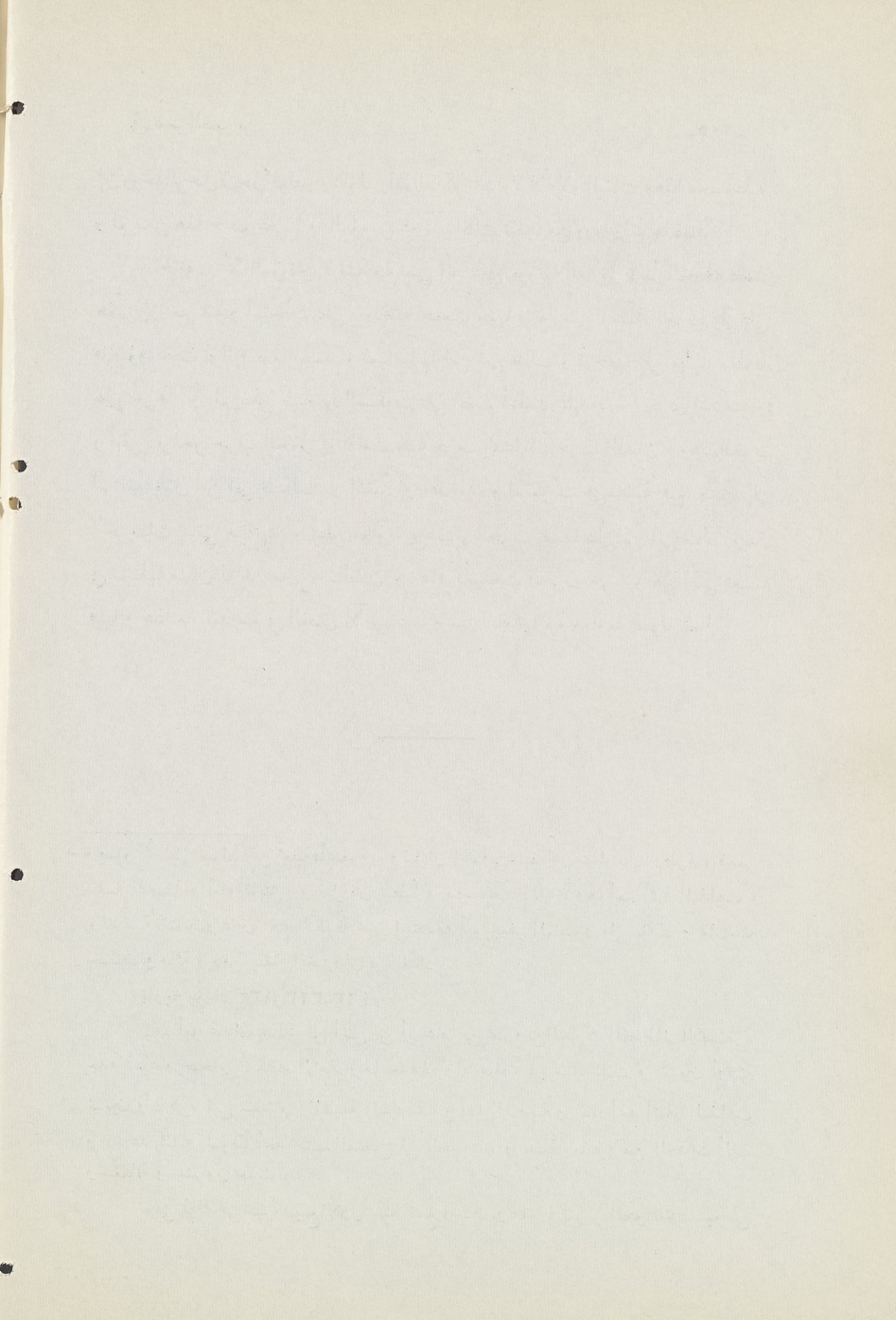
اختلفت أم المؤمنين عائشة مع بني أمية في ثورتها العارمة ضد الخليفة عثمان حتى إذا صرغته واستخلف علي بعد قتله جمعت بينها وبين بني أمية الحرب على علي فانضوا تحت لوائها يوم الجمل ولما غلبها ابن أبي طالب وأرجعها إلى بيتها مغلوبة على أمرها ، ولم يكن طبيعتها السكوت على الضيم أعلنت عليه حرباً أخرى أشدّ ضراوة وأبقى أثراً من حرب الجمل إذ أقامت عليه حرب الدعاية : حرب اللسان ؛ وهذه الحرب لم تنته بقتل ابن أبي طالب بل اشتدّ أوارها بعده واستمرت هي ماضية فيها ضده إلى آخريات سني حياتها ، وأعلن معاوية في عصره الحرب نفسها على ابن أبي طالب وبذل في سبيلها ما كان له من مالٍ وسلطانٍ ودهاءٍ فأصبحت الحرب حرباً وهي التي تعينه فيها وهذا ما سندرسه في الفصل الآتي عند درسنا لسيرتها مع معاوية بحوله تعالى .

← مملوكاً لبني تيم الله بن ثعلبة فأعتقوه . وقيل ان اسم أبي حنيفة كان عتيك بن زوطرة ، فسمى نفسه النعمان وأباه ثابتاً . وقيل كان نبطياً وقيل غير ذلك ، وهو أحد أئمة المذاهب ، ولد سنة ثمانين وعاش في الكوفة حتى استقدمه أبو جعفر المنصور إلى بغداد ومات سنة خمسين ومائة ودفن بمقام الخيزران في بغداد .

تاريخ بغداد ج ١٣ ، ٣٢٣-٤٢٣ .

ب - أبو عبدالله مالك بن أنس بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث القحطاني الاصبحي ، جده أبو عامر صحابي ، شهد الاحد وما بعدها . ولد مالك في سنة ثلاث و تسعين أو سنة تسعين و ذكره ابن سعد في الطبقة السادسة من أهل المدينة و هو أحد أئمة المذاهب و قد عد كتابه الموطأ أحد كتب الصحاح في الحديث ، و جملة ما فيه من الحديث ألف وسبعمائة و عشرون حديثاً .

توفي مالك في شهر ربيع الاول سنة تسع وستين و مائة ، تنوير الحوالك للسيوطي



مَعَ مَعَاوِيَةَ

157
158
159

أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان و امه هند بنت عتبة .

الأشهر أنه أسلم يوم الفتح ، وسار إلى الشام سنة اثنتي عشرة تحت لواء أخيه يزيد عند ما سير أبو بكر الجيوش لغزوها . و لما أُصيب أخوه في طاعون عمواس سنة ثمان عشرة ، استخلفه على عمله بدمشق فأقره الخليفة عمر ، و بعد أن استخلف عثمان جمع له الشام جميعها ، و في عهد عليّ تمرّد عليه و جهّز جيشاً لقتاله باسم الطلب بدم عثمان ، فتلاقيا بصفين في ذي الحجة سنة ستّ و ثلاثين ، و جرت بينهما تسعون واقعة في عشرة أيّام و مائة ؛ و لما لاح النصر لجيش عليّ خدعهم معاوية برفع المصاحف ، فانخبوا أبا موسى الأشعري للتحكيم ، وعيّن معاوية عمراً ، فاجتمعا بدومة الجندل في شهر رمضان سنة ثمان و ثلاثين ، فغدر عمروّ بأبي موسى ، ثمّ نفرّقا و هما يتسابان ، و لما قتل عليّ في شهر رمضان سنة أربعين ، و بويع الحسن بالخلافة ، و غدر به جيشه صالح معاوية في ربيع الأوّل سنة إحدى و أربعين ، فبويع معاوية بالخلافة فسميت تلك السنة بعام الجماعة . و توفّي معاوية في شهر رجب سنة ستّين و دفن في دمشق ؛ وكانت أيّامه تسع عشرة سنة و ثلاثة أشهر و أيّاماً (١) .

(١) ولما كان عصر معاوية يمتاز في العصور الاسلامية بانصراف السلطة الى وضع الحديث ، و بكثرة الحديث الموضوع فيه كثرة هائلة أثرت على الفكر الاسلامي مدى العصور ، ينبغي درس ذلك العصور والسلطة القائمة فيه وتحليل أشخاصهم درساً و تحليلاً و ايفياً يمكن من درس الحديث الكثير الموضوع فيه .
ونبدأ في هذا الدرس بمعاوية و اسرته ثم عصره الى غيرها مما ينير لنا السبيل في طريق فهم الحديث والتاريخ ، ثم ندرس علاقة ام المؤمنين مع معاوية وولائه ، ثم خاتمة حياتها .

نسب معاوية - اسرته في الجاهلية و الاسلام - معاوية في عصر الرسول -
علمي عهد الشيخين - في عصر عثمان و علي - في عصره : الدور الاول .
الدور الثاني - دواعي وضع الحديث - علاقة ام المؤمنين مع معاوية
وولاته - فضائلها - وفاتها - نوادر - خلاصة البحث .

نسب معاوية

معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبدشمس وأمّ أبي سفيان : صفيّة
بنت حزن بن بجير بن الهزم .
وأمّ معاوية : هند^(٢) بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وأمّها صفيّة : بنت أمية
ابن حارثة السلمي .

تزوجت هندُ الفاكه بن المغيرة المخزوميّ ، فقتل عنها بالغميصاء^(٣) ، ثمّ حفص
ابن المغيرة فمات عنها ؛ ثمّ أبا سفيان^(٤) ، وفي رواية أنّ الفاكه بن المغيرة اتّهمها بالزنى
(٢) وكانت هند ام عتبة بن أبي سفيان و جورية ، اما بقية اولاد أبي سفيان فمن
امهات شتى .

(٣) ترجمة الفاكه في نسب قريش ص ٣٠٠ ؛ «الغميصاء» موضع في بادية العرب
قرب مكة كان يسكنه بنو جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة ، وكانت بنو جذيمة قد
قتلت الفاكه بن المغيرة الوليد ، والفاكه بن المغيرة في بضعة نفر من قريش في الجاهلية
فلما كان يوم فتح مكة بعث النبي خالدًا الى بنو جذيمة - في من بعث الى قبائل العرب -
يدعوهم الى الاسلام فغدر بهم خالد و قتل منهم فوداهم رسول الله (ص) ؛ راجع خبرها
في سيرة ابن هشام ٤ ر ٥٣ - ٥٧ والاغانى ٢٨٢٧ - ٢٩٠ .

(٤) المجبر ص ٤٣٧ ؛ وفي طبقات ابن سعد ٢٣٥٨ ؛ تزوجها الحفص بن المغيرة
ابن عبد الله بن مخزوم فولدت له أباناً ، ولم أجد عند غيره ذكر أبان ، و ترجمة حفص في نسب
قريش ص ٣٠١ .

فبانت منه ^(٥)؛ وكانت هند تذكر في مكة بفجورٍ وعُهرٍ ^(٦) وذكروا في كيفية زواج هند بأبي سفيان: أن المسافر بن عمرو بن أمية عشق هنداً، فاتمهم بها، وحملت منه، فلمّا بان حملها أوكد، خرج مسافر إلى النعمان بن المنذر ^(٧) يستعينه على أمره، فتنزّوا عنها أبو سفيان بعده ^(٨).

وقال الأصمعي وهشام بن محمد الكلبي في كتاب المثالب ^(٩): إن معاوية كان يقال إنه من أربعة من قريش: عمارة بن الوليد المخزومي، ومسافر بن عمرو، وأبي سفيان، والعبّاس بن عبد المطّلب، وهؤلاء كانوا ندماء أبي سفيان، وكان كلٌّ منهم يتهم بهند؛ فأما عمارة بن الوليد فقد كان من أجمل رجالات قريش، وهو الذي وشى به عمرو بن العاص إلى النجاشي، فدعا الساحر فنفت في إحليله فهم مع الوحش، وكانت امرأة النجاشي قد عشقته ^(١٠)، وأما مسافر بن أبي عمرو فقال الكلبي: عامة الناس على أن معاوية منه، لأنّه كان أشدّ حبّاً لهند، فلمّا حملت هند بمعاوية خاف مسافر أن يظهر أنّه منه، فهرب إلى ملك الحيرة وهو هند بن عمرو، فأقام عنده. ثمّ إنّ أبا سفيان قدم الحيرة فلقية مسافر وهو مريض عشقه لهند، وقد سقى بطنه فسأله عن أهل مكة فأخبره. وقيل إنّ أبا سفيان تزوّج هنداً بعد انفصال مسافر عن مكة، فقال أبو سفيان: إنني تزوّجت هنداً بعدك، فزاد مرضه، وجعل يذوب، فوصف له الكي؛ فأحضروا المكايي والحجّام، فبينما الحجّام يكويه إذ حبّق الحجّام، فقال مسافر: قد يحبّق العير والملكواة في النار فسارت مثلاً؛ ثمّ مات مسافر من عشقه لهند ^(١١) فهو أحد من

(٥) العقد الفريد ٨٦٦ - ٨٧ والاعاني ٥٣٩.

(٦) ابن أبي الحديد شرح النهج ج ٣٣٦١ تحقيق محمد أبي الفضل.

(٧) من ملوك الحيرة، ذكر نسبه في الجمهرة ص ٣٩٧، وفي ص ١٣٥ منه نسب مسافر.

(٨) راجع الاعاني ج ٥٠٩ - ٥٣.

(٩) علي ما روى عنهما سبط ابن الجوزي في التذكرة ص ١١٦.

(١٠) تجد تفصيل قصة عمارة في الاعاني ٥٥٩ - ٥٨.

(١١) انتهت رواية سبط ابن الجوزي عن الاصمعي وهشام بن محمد الكلبي؛ وفي

قتله العشق (١٢).

وقال الزمخشري في ربيع الأبرار (١٣) :

وكان معاوية يُعزى إلى أربعة : إلى مسافر بن أبي عمرو (١٤) ، وإلى عمارة بن الوليد ، وإلى العباس بن عبد المطلب ، وإلى الصباح (١٥) مغنّ لعمارة بن الوليد ، قال : وقد كان أبو سفيان دميماً قصيراً ، وكان الصباح عسيفاً لأبي سفيان شاباً فدعته هندُ إليها ، فغشيتها .

وقالوا : إنَّ عتبة بن أبي سفيان من الصباح أيضاً ؛ وقالوا : إنَّها كرهت أن تدعه في منزلها ، فخرجت إلى أجياد ، فوضعت هناك ، وفي هذا المعنى يقول حسان أيام المهاجاة بين المسلمين والمشركين في حياة رسول الله ﷺ قبل عام الفتح :

لمن الصبيّ بجانب البطحاء في التراب ملقى غير ذي مهدٍ
نَجَلت به بيضاءً آنسُهُ من عبد شمسٍ صلّمتُ الخدَّ

وذكر هشام بن محمد الكلبى أيضاً في كتاب المثلث (١٦) وقال :

كانت هند من المغيلمات ، وكانت تميل إلى السودان من الرجال ، فكانت إذا ولدت ولداً أسود قتلته ؛ قال : وجرى بين يزيد بن معاوية وبين إسحاق بن طابة بن عبيد كلامٍ بين يدي معاوية وهو خليفة ؛ فقال يزيد لإسحاق : إنَّ خير لك أن يدخل بنو حرب كلهم الجنة ، أشار يزيد إلى أنَّ أمَّ إسحاق تُتهم ببعض بني حرب ، فقال له إسحاق : إنَّ خيراً لك أن يدخل بنو العباس كلهم الجنة ؛ فلم يفهم يزيد قوله وفهم معاوية ، فلمّا قام إسحاق

(١٢) رواه أبو الفرج في الاغانى ٥٣٩ روى فى ص ٥٥ منه عن ابن سيرين انه

قال « فما سمعت أن أحداً مات عشقاً غير هذا » .

(١٣) ربيع الأبرار ج ٣ باب القرابات والانساب ؛ راجع نسخة مكتبة الاوقاف ببغداد

المخطوطة المرقمة ٣٨٨ وابن أبى الحديد ج ١ ر ٣٣٦ تحقيق محمد أبى الفضل .

(١٤) أورد أبو الفرج ذكر مسافر ونسبه فى ج ٩ من الاغانى ص ٤٩ - ٥٥ ، وترجمة

عمارة بعده .

(١٥) و ضبطه فى شرح ديوان حسان بن ثابت ص ١٥٧ - ١٥٨ : « الصباح » .

(١٦) تذكرة سبط ابن الجوزى .

قال معاوية ليزيد : كيف تشاتم الرجال قبل أن تعلم ما يقال فيك ؟ قال : قصدت شين إسحاق قال : و هو كذلك أيضاً ، قال : وكيف ؟ قال : أما علمت أن بعض قريش في الجاهلية يزعمون أنني للعباس ؟ فسقط في يدي يزيد ؛ وقال الشعبي : و قد أشار رسول الله ﷺ إلى هند يوم فتح مكة بشيء من هذا ، فإنها لما جاءت تبايعه وكان قد أهدر دمه ، فقالت : على ما أبايعك ؟ فعرفها رسول الله ﷺ فنظر إلى عمر فتبسّم (١٧) .

بيت معاوية في الجاهلية .

كان عتبة والد هند وشيبة أخوه من سادات قريش في الجاهلية . أما أبو سفيان فقد كان ربعة من الرجال قصيراً دحداً و يُكنى أبا حنظلة بابنه الذي قتله علي يوم بدر ، وكان أيضاً من سادات قريش في الجاهلية ؛ وعده محمد بن حبيب من زنادقة قريش الثمانية (١٨) و كان رأساً من رؤوس الأحزاب على رسول الله ﷺ في حياته (١٩) ، و من الذين أجمعوا على منابذة رسول الله ﷺ و تعجيزه (٢٠) ، و ممن اجتمعوا على أبي طالب يخاصمونه في حمايته لرسول الله ﷺ (٢١) ؛ و ممن حضر دار الندوة حين اجتمعوا فيها يتشاورون على قتل رسول الله ﷺ و تعاهدوا على ذلك (٢٢) و من بعد هجرة المسلمين إلى المدينة عدا على بعض دورهم بمكة فباعها و في السنة الثانية من الهجرة عندما رجع أبو سفيان بتجارة قريش من الشام و خرج النبي ﷺ يعترضه ، استنصره أهل مكة فخرجوا و حاربوا النبي ﷺ على ماء بدر ، فقتل فيها من بني عبد شمس ثمانية ، و فيهم حنظلة ابن أبي سفيان و عتبة و شيبة أبناء ربيعة و الوليد بن عتبة خال معاوية ، و قتل ستة من حلفائهم و أسر منهم سبعة فيهم عمرو بن أبي سفيان (٢٣) ، فعدا أبو سفيان على شيخ من

(١٧) انتهت رواية سبط ابن الجوزي عن هشام بن الكلبي .

(١٨) المحبر ص ١٦١ .

(١٩) الاغانى ج٦ ص ٣٤٣ - ٣٤٤ .

(٢٠) سيرة ابن هشام ج١ ص ٣١٥ - ٣١٨ .

(٢١) سيرة ابن هشام ج١ ص ٢٧٦ - ٢٧٩ ، و ج٢ ص ٢٦ - ٢٨ .

(٢٢) سيرة ابن هشام ج٢ ص ٩٢ - ٩٥ .

(٢٣) سيرة ابن هشام ج٢ ص ٣٥٥ - ٣٦٤ .

من الأنصار ذهب إلى مكة معتمراً؛ فحبسه بابه عمرو؛ وكانت قريش قبل ذلك لا تعترض لأحد جاء حاجاً أو معتمراً؛ فأطلق المسلمون ابنه عمراً فخلّى هو سبيل الشيخ المعتمر (٢٤).

و من بعد غزوة بدر أصبح أبو سفيان سيّد مكة الوحيد، وزعيم قريش في حربها وسلمها، ونذر أن لا يمس رأسه ماءً من جنابة حتى يغزو مجداً؛ فخرج في مائتي راكب من قريش ليبري يمينه حتى نزل في يهود بني النضير، واستخبر منهم، وأرسل رجالاً إلى ناحية من المدينة فحرقوا بها بعض النخيل، وقتلوا رجلين وجدوهما هناك وانصرفوا (٢٥).

أما هند فقد أكرمت من رثاء أبيها عتبة وعمها شيبه وبقية أفراد أسرتها من الذين قتلوا ببدر محرقة قومها على طلب الثأر (٢٦).

وصلت تجارة قريش إلى مكة بعد أن قتل في سبيلها سبعون منهم ببدر وأسر سبعون فقرر أبو سفيان ومن كان له في تلك العير تجارة أن ينفقوها في حرب رسول الله ﷺ فنزلت فيهم: « إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون » (٢٧).

فاجتمعت قريش لحرب رسول الله ﷺ حين فعل ذلك أبو سفيان وأصحاب العير وخرج أبو سفيان - وهو قائد الناس - معه هند بنت عتبة، وكانت هند كلما مرت بوحشي أو مرت بها، قالت: وبها أبا دسمة اشف واشتف (٢٨). وفي يوم أحد قال أبو سفيان لأصحاب اللواء: يا بني عبد الدار! إنكم قد وليتم لواءنا يوم بدر، فأصنبا ما قد رأيتم، وإنما يؤتمى الناس من قبل راياتهم؛ فإما أن تكفوا نالواءنا وإما أن تخلوا بيننا وبينه

(٢٤) سيرة ابن هشام ج ٢ ر ٢٩٥ .

(٢٥) سيرة ابن هشام ج ٢ ر ٤٢٢ - ٤٢٣ .

(٢٦) سيرة ابن هشام ج ٢ ر ٤١٤ - ٤١٦ :

(٢٧) الآية ٣٦ من سورة الانفال .

(٢٨) كان وحشي غلام جبير بن مطعم يكنى بابي دسمة .

فنكفيكموه؛ فقالوا: نحن نسلّم إليك لواءنا؟ استعلم غداً إذا التقينا كيف نصنع؟ وذلك ما أراد أبوسفيان. فلما التقى الناس ودنا بعضهم من بعض قامت هند بنت عتبة في النسوة اللاتي معها، وأخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال ويحرضنهم وتقول هند:

وبها بني عبدالدار وبها حماة الأدار
ضرباً بكلّ بتار (٢٩)

وتقول:

نحن بنات طارق إن تُقبلوا نُعائق
و نفرش النمارق أو تُدبروا نُفارق
فراق غير وامق (٣٠)

ورآها أحداً نصارت حرّض الناس تحريضاً شديداً، فعلاها بالسيف، ثم كف عنها لما وجد أنّها امرأة. ثم قتل وحشي حمزة: عم النبي.

و وقعت هند و النسوة اللاتي معها يُمثّلن بالقتلى من أصحاب رسول الله ﷺ يَجِدَ عن الأذن والأنف حتّى اتّخذت هند من آذان الرجال و أنّفهم خدماً و قلائد و أعطت خدماً و قلائد و قرطتها وحشياً و بقرت عن كبد حمزة فلا كتبها فلم تسطع أن تسيغها فلفظتها^(٣١)؛ ثمّ علت على صخرة مشرفة فصرخت بأعلى صوتها فقالت:

نحن جزيناكم بيوم بدر و الحربُ بعد الحرب ذات سَعْر (٣٢)

(٢٩) «وبها» كلمة تحريض واغراء. و«حماة الأدار»: الذين يحمون أعقاب الناس و«البتار» بشديد التاء: السيف القاطع و«بني عبدالدار» حملة راية المشركين في بدر واحد.

(٣٠) «النمارق» جمع نمرقة: الوسادة الصغيرة و«الوامق»: المحب.

(٣١) «يجد عن الأنف» يقطعنها و«الخدم» واحدها الخدمة: الخلل و«القرطة» واحدها القرط: ما يعلق في شحمة الأذن و«بقرت» شقت و«لا كتبها» مضغتها و«تسيغها» تبلعها و«لفظتها» طرحتها من فمها.

(٣٢) «سعر» في هذا البيت بضمه و سكون رعاية لوزن الشعر و هي في الاصل

بضمتين جمع سعيير و هي اللهب.

- ما كان عن عتبة لي من صبر - ولا أخى و عمه و بكري (٣٣)
 شفيت نفسي و قضيت نذري شفيت وحشي غليل صدري (٣٤)
 فشكر وحشي علي عمري حتى ترم أعظمي في قبري (٣٥)
 فأجابتها هند بنت أئانة بن عباد بن المطلب ، فقالت : (٣٦)
 خزيت في بدرٍ و بعد بدرٍ يا بنت وقاع عظيم الكفر (٣٧)
 صبحك الله غداة الفجر ملهاشميين الطوال الزهر (٣٨)
 بكل قطاع حسام يفري حمزة ليثي و علي صقري (٣٩)
 إذ رام شيب و أبوك غدري فحضبنا منه ضواحي النحر (٤٠)
 و نذرك السوء فشر نذر (٤١)

و مرّ الحليس ، سيد الأحابيش بأبي سفيان و هو يضرب في شدة حمزة بن عبد المطلب بزج الرمح ويقول زوق عقق ، فقال : يا بني كنانة ! هذا سيد قريش يصنع بابن عمه ما ترون لهما فقال : و يحك اكنمها عنّي فانها زلة (٤٢) .

- (٣٣) « عتبة » أبوها و « أخوها » الوليد و « عمه » أى عم أخيها : شيبه بن ربيعة و « بكرها » : حنظلة بن أبى سفيان و انهم قتلوا جميعاً ببدر ، و كانت امحنظلة بن أبى سفيان و شقيقته ام حبيبة زوجة الرسول (ص) ؛ وأميمة : صفية بنت أبى العاص بن امية ابن عبدشمس ، راجع نسب قريش ص ١٢٣ - ١٢٤ و انما قالت بكري لانه كان بكر أبى سفيان .
 (٣٤) « الغليل » : العطش و حرارة الجوف .
 (٣٥) « ترم » تبلى و تفتت .
 (٣٦) هند بنت أئانة كانت من اللواتى أسلمن بمكة ترجمتهافي اسد الغابة ص ٥٥٩ .
 (٣٧) « الوقاع » الكثير الوقوع فى الدنيا .
 (٣٨) « ملهاشميين » : مخفف من الهاشميين .
 (٣٩) « حسام يفري » : سيف يقطع .
 (٤٠) « شيب » تقصد به شيبه عم هند و « ضواحي » ما ظهر من الصدر .
 (٤١) قال ابن هشام تركنا منها ثلاث آيات أقدعت فيها .
 (٤٢) « الحليس » هو ابن علقمة بن عمرو بن الارقم الكنانى ، راجع الجهمرة ص ١٧٧

و « الاحابيش » الذين حالفوا قريشاً هم بنو المصطلق سعد بن عمرو و بنو الهون بن خزيمة ←

ثم إنَّ أباسفيان أشرف على الجبل ، وصرخ بأعلى صوته فقال : أنعمتَ فعَـل ، إنَّ الحرب سجال يوم بيوم بدر ، أعل هُبَـل - أي أظهر دينك - فقال رسول الله ﷺ أجيبوه ، « الله أعلى و أجل » ثمَّ قال أبو سفيان : ألا لنا العزى و لا عزى لكم ، فقال رسول الله ﷺ أجيبوه : « الله مولانا و لامولى لكم » (٤٣) .

ولما انصرف نادى إنَّ موعدكم بدر للعام القابل فقال رسول الله ﷺ لرجل من أصحابه : « قل : نعم هو بيننا و بينكم موعد » .

ثمَّ إنَّ أباسفيان بعد انصرافه يوم أحد بدا له الرجوع إلى المدينة ليستأصلوا أصحاب رسول الله ﷺ فبلغهم أن رسول الله ﷺ قد خرج ملاقاتهم فاجتمعوا ورجعوا أدبارهم (٤٤) .

و قالت هندُ أيضاً :

شفيت من حمزة نفسي بأحد حين بقرتُ بطنه عن الكبد

← اجتمعوا بذنبه حبشى ، وهو جبل بأسفل مكة فتحالفوا بالله : اتنا ليدُ على غيرنا ما سجدى ليل و وضع نهار و مارسى حبشى مكانه فسموا أحاييش باسم الجبل .

عيون الاثر ج ٢٥١ : و الى « كنانة » ينتهى نسب قريش و حلفائها راجع جمهرة أنساب العرب ص ٨٩ - ١٧٩ فان قريشاً هو فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمه ، و بنوليث هم ولد بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمه والقارة هم بنو الهون بن خزيمه و « زج الرمح » الحديدية التى فى أسفلها . و « عقق » بضم ففتح : العاق « لحما » يعنى بعد أن أصبح لحما .

(٤٣) «الفعال» الفعل الحسن و «الحرب سجال» : تارة لهمم و تارة عليهم و «هبل» كان أعظم الاصنام و كان على بشر فى جوف الكعبة و كان من عقيق أحمر على صورة انسان أدركته قريش و يده مكسورة فجعلوا له يداً من ذهب و أول من نصبه خزيمه ؛ الاصنام لابن الكلبي ص ٢٧ و ٢٨ و ابن هشام ٨٦١ و «العزى» بضم العين و تشديد الزاء كانت أعظم الاصنام عند قريش و بنى كنانة و كانت بوادعلى مسيرة ليلتين من مكة يقال لها مخلة ؛ الاصنام لابن الكلبي ص ١٨ - ١٩ و سيرة ابن هشام ١ ٨٨ و ٤ و ٦٤ .

(٤٤) الى هنا لخصنا ما أوردنا عن غزوة أحد من سيرة ابن هشام ج ٣٣ - ٥٦ .

أذهبَ عَنِّي ذاك ما كنتُ أُجدُ
من لَذعةِ الحزنِ الشَّدِيدِ المَتَّقِدِ (٤٥)
والحربُ تَعْلُو كَمِ بَشْوِ بوبِ بَرْدِ
نُقَدِّمُ إِقْدَاماً عَلَيْكُمْ كَالْأَسَدِ (٤٦)
وقالَ عمرُ بنُ الخطَّابِ لحَسَّانَ بنِ ثابتٍ : يا ابنَ الفَرِيعَةِ (٤٧) لو سَمِعْتَ ما تَقولُ
هَندُ ورأيتُ أَشْرَها قائِمةً على صَخْرَةٍ تَرْتَجِزُ بنا و تَذَكُرُ ما صَنَعْتَ بِحِمْرَةٍ قالَ حَسَّانُ :
أَسْمَعُنِي بَعْضَ قَوْلِها أَكْفِيكُمُوهَا ، فَأُنشِدُ عَمْرُ بَعْضَ ما قَالَتْ فَقالَ : حَسَّانُ بنِ ثابِتٍ :
أَشْرِيَتْ لِكَاعٍ وَكانَ عَادَتِها لُؤْماً
إِذا أَشْرِيَتْ مَعَ الكُفْرِ (٤٨)
قالَ ابنُ هِشامٍ : وَ هَذا البَيتُ في أَيْياتٍ لَه تَر كَناها و أَيْياتاً أَيْضاً لَه على الدالِ
وَ أَيْياتاً على الدالِ ، لِأَنَّهُ أَقذَعُ فيها ، انْتَهى وَ قد أوردَها الطَّبْرِيُّ - بَعْدَ هَذا البَيتِ
هَكَذا (٤٩) .

(٤٥) اللذعة : ألم النار أو ما يشبهها .

(٤٦) « الشؤبوب » الدفعة من المطر و « برد » بفتح فكسر : ماء الغمام يتجمد في الهواء البارد و يسقط على الارض حبوباً . تقول : الحرب تعلوكم كالدفعة العظيمة من المطر الغزير المصحوب بالثلج .

(٤٧) حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام ، وامه الفريعة بنت خالد بن خنيس ، وأبواه أنصاريان خزرجيان و يكنى أبا الوليد وأبا عبد الرحمن و أبا الحسام لمنازلته عن رسول الله (ص) ، وكان النبي (ص) ينصب له منبراً في المسجد يقوم عليه قائماً ينافح عن رسول الله (ص) ورسول الله (ص) يقول : ان الله يؤيد حساناً بروح القدس ما نافح عن رسول الله (ص) . و أمره أن يذهب إلى أبي بكر و يتعلم منه أنساب قريش ، فكان يذهب إلى أبي بكر فيقول له أبو بكر : كف عن فلانة و فلانة و ازكر فلانة و فلانة ، فجعل يهجوهم فلما سمعت قريش شعر حسان قالوا : هذا شعر لم يغب عنه ابن أبي قحافة . عمر حسان مائة و عشرين سنة و توفي على الاصح قبل سنة أربعين . الاستيعاب ص ١٢٥ - ١٢٩ الترجمة ٥٢٢ و اسد الغابة ٤٢٢ - ٧ .

(٤٨) « الاشر » أشد البطرو « لكاع » اللثيمة ، ويقال : للرجال بالكع بضم ففتح ولا تستعملها العرب في غير النداء .

(٤٩) الطبري ٣ ر ٢٣ - ٢٤ و ديوان حسان ط أوربا ص ٨٧ و شرحه ط . مصر ص ٢٢٩ - ٢٣٠ و الاغانى ط ساسى ج ١٦٤ ر ١٦ - ٢١ . ب - « مقتبة على بكر » أى شادة الرجل على ابل فتى . ج - ثقال : البطييء الذى لا ينبعث الاكرها أى بطيء لاجركة ←

هندَ الهندَ طويلة البَظرِ
 في القومِ مقتبةً على بكرِ
 لا عن معاتبَةٍ ولا زجرِ
 دَقِّي العجاية هند بالفهرِ
 من دأبها نصّاً على القترِ
 باماء تنضحهُ و بالسِدرِ
 بأبيك و ابنك يوم ذي بدرِ
 و أخيك منعفرين في الجفرِ
 ياهند ويحك سبّة الدهرِ
 منّا ظفرت به و لا نصّرِ
 ولدأ صغيراً كان من عُهرِ
 و أمّا الأبيات التي قالها على الدال فقد وردت في ديوان حسان هكذا: (٥٠).

أ - لعن الإله و زوجها معها
 ب - أخرجت مرفصة إلى أحد
 ج - بكر ثمّ قال لا حراك به
 د - وعصاك إستك تتقن به
 ه - قرحت عجيزتها و مشرجها
 و - ضلت تدأبها زميلتها
 ز - أخرجت نائرة مبادرة
 ح - و بعمك المسلوب بزته
 ط - و نسيت فاحشة أتيت بها
 ي - فرجعت صاغرة بلا ترة
 ك - زعم الولائد أنّها ولدت
 و أمّا الأبيات التي قالها على الدال فقد وردت في ديوان حسان هكذا: (٥٠).

← له لاعن زجر ولاحث . ط و ك . يقصد بهما ما كانت ترمى به من العهر و الفجور راجع قبله - الفهر : الحجر ملء الكف .

(٥٠) ديوان حسان ط اوربا ص ٩١ ، ط مصر شرح البرقوقى ص ١٥٧ - ١٥٨

أ - البطحاء : أصله المسيل الواسع فيه دقاق الحصى . و يقصد بالبطحاء هنا بطحاء مكة و مهد الصبي : موضعه الذي يمهد له لينام وفي الذكر : « من كان في المهد صبيّاً » .

ب - « نجلت به » : ولدته و النجل : النسل و الولد ؛ و « آنسة » طيبة الحديث و قيل : جارية آنسة ، اذ كانت طيبة النفس تحب قربك و حديثك و « صلته الخد » ملساء الخد .

ج - « الصباح » بالصاذ المفتوحة و الياء المشددة و في نسخة « الصباح » بالهباد المفتوحة و الباء الموحدة : مولى كان لعمارة بن الوليد كانت هند ترمى به و كان أجيراً لابي سفيان و « صلبة الجرد » شديدة الغيظ .

د - « بمقطرة » المقطرة : المجمرة من القطر و هو العود الذي يتبخر به و « تذكي لها بألوة الهند » توقد لها بالعود الهندي الذي يتبخر به .

ه - يقول ان وليدها أشبه بها ، وان كان قد ظهر سواد الصباح في شعره الاسود المجمع .

و - أشرت لكاع سبق تفسيره و « المشاش » كل عظم لامخ فيه و « الناجذ » أحد

النواجذ و هي الاضراس .

وقال لهند بنت عتبة بن ربيعة :

- أ - لمن الصبي بجانب البطحاء
ب - نجلت به بيضاء آتسة
ج - تسعى إلى «الصياح» معولة
د - فاذا تشاء دعت بمقطرة
هـ - غلبت على شبه الغلام وقد
و - أشيرت لكاع وكان عادتها
وقال أيضاً بهجوها (٥١) .

- أ - لمن سواقط صبيان منبذة
ب - باتت تمخض ما كانت قوابلها
ج - فيهم صبي له أم لها نسب
د - تقول وهناً وقد جد المخاض لها
هـ - قد غادروه لحر الوجه منعراً

(٥١) هكذا ورد في ديوان حسان ط . أوربا ص ٩١ ، وفي شرحه ط . مصر ص ١٥٨ - ١٥٩ ، وفي شرح النهج ج ٣ ر ٣٨٧ ورد البيت الخامس بعد البيت الثاني هكذا :

يظل يرجمه الصبيان منعراً
أ - « أجياد » موضع بمكة وقد كثر في الشعر وقيل : انها مما يلي «الصفاء» قال الاعشى .

ولا جعل الرحمن بيتك في الذرا
ب - تمخض المرأة - أخذها الطلق و جمع الولادة و « القوابل » جمع القابلة و « الجنة » اسم الجن .
ج - « أباد » من الايد : القوة او الشدة .

د - تقول « وهناً » أى ضعفاً وفي التنزيل « حملته امه وهناً على وهن » و « الشول » جمع شائلة وهى من النوق ما خف لبسها و ارتفع ضرعها و أتى عليها سبعة أشهر أو ثمانية من يوم نتاجها .

هـ - « حر الوجه » : الخد او ما أقبل عليك منه و « منعراً » : متمرغاً فى التراب .

وقد أورد ابن هشام نيّفاً وثلاثين قصيدةً للمشرّكين والمسلمين، فيها وصف هذه الواقعة، وذكر أبي سفيان وما فعلته هند^(٥٢).

وفي شعبان سنة أربع من الهجرة خرج رسول الله ﷺ إلى بدر لميعاد أبي سفيان. وخرج أبو سفيان في أهل مكة، ثمّ بداله في الرجوع فقال: يا معشر قريش! إنّه لا يصلحكم إلّا عام خصيب وإنّ عامكم هذا عام جذب؛ وإنّي راجعٌ فارجعوا فرجع الناس^(٥٣).

ثمّ استعدت قريش لحرب رسول الله وحرّبت الأحزاب من حلفائها واليهود الذين كانوا حول المدينة فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان وكان رسول الله ﷺ قد حفر خندقاً حول المدينة فجاءت قريش وحلفاؤها حتّى حاصرت المدينة قريباً من أشهر وكان ذلك في شوّال سنة خمس من الهجرة وقتل عليّ بن أبي طالب عمرو بن عبدود مبارزةً وخافت اليهود؛ فلم تشترك في الحرب واشتدّ البرد والريح على قريش؛ فخطب فيهم أبو سفيان وقال: يا معشر قريش! إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام، لقد هلك الكراع والخف^(٥٤) وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذي نكره ولقينا من شدة الرياح ما ترون ما تطمئنّ لنا قدرٌ، ولا تقوم لنا نارٌ، ولا يستمسك لنا بناء؛ فارتحلوا فإني مرتحل فارتحلوا في ليلتهم تلك من المدينة راجعين إلى مكة^(٥٥).

ولمّا عاهد رسول الله ﷺ قريشاً يوم الحديبية ونقضت العهد بعد ذلك جاء أبو سفيان إلى المدينة ليجدد العهد، فلم يجبه رسول الله ﷺ وجاء إلى عليّ أخيراً وقال له: يا أبا الحسن! إنّي أرى الأمور قد اشتدت عليّ فانصحني. قال: والله لا أعلم لك شيئاً يغني عنك شيئاً ولكنك سيّد بني كنانة فقم فأجر بين الناس، ثمّ الحقّ بارضك قال: أو ترى ذلك مغنياً عنّي شيئاً، قال: لا والله ما أظنّه ولكنّي لأجد لك غير ذلك، فقام أبو سفيان إلى المسجد، فقال: يا أيّها الناس إنّي قد أجزت بين الناس ثمّ ركب

(٥٢) راجع سيرة ابن هشام ج ٥٦٣ - ١٥٩، وديوان حسان.

(٥٣) راجع سيرة ابن هشام ج ٢٢١ - ٢٢٢.

(٥٤) «الكراع»: الخيل و«الخف»: الإبل.

(٥٥) سيرة ابن هشام ج ٢٢٩ - ٢٥١.

بعيره فانطلق (٥٦).

فهو إذن لم يكن سيد قريش في الجاهلية فحسب ، وإنما كان سيد قريش وسائر قبائل كنانة في حربها لرسول الله ﷺ وسلمها ، واستمرت له هذه السيادة حتى فتح مكة حيث كسر النبي ﷺ سيادته هذه مع كسره أصنام قريش .

و كان من خبره في فتح مكة ما ذكره ابن هشام وغيره قالوا (٥٧) .

إن النبي لما قرب مكة ركب العباس بغلة النبي و خرج يطلب أحداً يرسله إلى قريش ليأتوا إلى النبي و يستأمنوه ؛ فأدرك ثلاثة من قريش ، فيهم أبو سفيان خرجوا يتجسسون ، فقال العباس لأبي سفيان : و الله لئن ظفر بك ليضربن عنقك ، فأردفه خلفه و أخذه إلى رسول الله ﷺ ليستأمن له ، فقال له رسول الله ﷺ : « و يحك يا أباسفيان ! ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله ؟ » .

قال : بأبي أنت و أمي ما أحلمك و أكرمك و أوصلك و الله لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى عني شيئاً بعد .

قال : « و يحك يا أباسفيان ! ألم يأن لك أن تعلم أنني رسول الله ؟ »

قال : بأبي أنت و أمي ما أحلمك و أكرمك و أوصلك ! أما هذه و الله فإن في النفس حتى الآن منه شيئاً .

فقال له العباس : و يحك أسلم قبل أن تضرب عنقك . فشهد ، و أسلم ثم سأل له العباس رسول الله ﷺ : أن يؤمن من دخل داره ، و قال : إنه رجل يحب الفخر و الذكر فأسعه رسول الله ﷺ في ذلك و قال : « نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، و من أغلق بابه على نفسه فهو آمن ، و من دخل المسجد فهو آمن ، و من ألقى السلاح فهو آمن » .

و قال للعباس : « احبسه بمضيق الوادي حتى تمر به جنود الله فيراها » ففعل : و مرت القبائل على راياتها كلما مرت قبيلة قال : يا عباس أمن هذا ؟ فيقول « سليم »

(٥٦) سيرة ابن هشام ج ١٢ ر ١٤ - ١٤ .

(٥٧) سيرة ابن هشام ج ٣ ر ٣٢ - ٣٢ .

فيقول : مالي ولسليم حتى نفدت القبائل ؛ وما تمر قبيلة حتى يسأله عنها فإذا أخبره قال : مالي و لبني فلان ، حتى مر رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار ، لا يرى منهم إلا الحدق من الحديد فقال : من هؤلاء قال : هذا رسول الله في المهاجرين والأنصار قال : ما لأحد بهؤلاء قبل ولاطلقه ، لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيماً ، قال : يا أبا سفيان إنها النبوة قال : فنعم إذن ثم خلى العباس سبيله ، فذهب حتى دخل المسجد و صرخ بأعلى صوته : يا معشر قريش ! هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن فقامت إليه هند بنت عتبة فأخذت بشاربه فقالت : اقتلوا هذا الحميت الدسم الأحمس^(٥٨) قبيح من طليعة قوم قال : ويلكم لا تغرنكم هذه من أنفسكم فإنها قد جاءكم ما لا قبل لكم به فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن قالوا : قاتلك الله وما تغني عنا دارك؟ قال : و من أغلق عليه بابه فهو آمن و من دخل المسجد فهو آمن فتفرق الناس إلى دورهم و إلى المسجد^(٥٩) و دخل رسول الله مكة و جاء حتى قام على باب الكعبة و قال بعد خطبته لقريش : يا معشر قريش ! ما ترون أنني فاعل فيكم؟ قالوا : خيراً أخ كريم و ابن أخ كريم . قال : فازهبوا فأنتم الطلقاء .

و هذا القول و إن كان في يومه منحة كريمة من النبي لهم غير أنه أصبحت بعد ذلك سبة عليهم و على أولادهم أبدالهم فأنهم أصبحوا عتقاء رسول الله يعيرهم بذلك غيرهم .

أبو سفيان بعد إسلامه

وطاف رسول الله ﷺ بالبيت و طارأى أبو سفيان الناس بطون عقب رسول الله ﷺ قال في نفسه لو عاودت الجمع لهذا الرجل فضر رسول الله في صدره : ثم إذا يخزيك الله فقال : أتوب إلى الله و أستغفر الله ما تفوتت به .

و قال مرة أخرى في نفسه : ما أدري بما يغلبنا محمد فضر ظهره و قال : بالله يغلبك

(٥٨) الحميت : زق السمن . و «الدسم» . الكثير الودك ، و «الاحمس» الشديد

اللحم شبيهت هند أبا سفيان بزق السمن لسمنه .

(٥٩) كان قول رسول الله (ص) لا يبى سفيان من دخل دار أبي سفيان فهو آمن مع

قوله من دخل داره فهو آمن كقول علي له : قم و أجر بين الناس وانصرف؛ الاستيعاب ص ٦٨٩ .

فقال أبو سفيان : أشهد أنك رسول الله (٦٠) .

و خرج رسول الله ﷺ إلى حنين لحرب هوازن (٦١) ؛ و خرج معه جماعة من قريش ، و انهزم المسلمون في أول الحرب ؛ فتكلم نفر من قريش في ذلك ما ذكره ابن هشام و قال : (٦٢)

فلما انهزم الناس ، و رأى من كان مع رسول الله ﷺ من جفاة أهل مكة الهزيمة ، تكلم رجال منهم بما في أنفسهم من الظعن (٦٣) ؛ فقال أبو سفيان بن حرب : « لا تنتهي هزيمتهم دون البحر » وإن الألام لمعه في كنانته ؛ و قال غيره : « الأبطال السحر » .

ثم أنتصر رسول الله ، و أعطى المؤلفة قلوبهم من غنائم حنين مائة بعير يتألفهم ، و أعطى أبا سفيان و ابنه يزيد و معاوية من الإبل مائة مائة ، و من الفضة أربعين أوقية ؛ فقال أبو سفيان : و الله إنك لكريم ، فذاك أبي و أمي ، حاربتك فلنعم المحارب كنت ، و لقد سالمتك فنعم المسالم ؛ فعتب على ذلك الأنصار ؛ فقال لهم النبي ﷺ : إنني تألفت بهم قومهم ليسلموا و و كلتكم إلى إسلامكم (٦٤) .

دخل أبو سفيان في الإسلام ، غير أن المسلمين لم ينسوا مواقفه منهم ، فكانوا لا ينظرون إليه ، و لا يقاعدونه ، على ما رواه مسلم في صحيحه (٦٥) ؛ و روى أيضاً أن أبا سفيان أتى على سلمان ، و صهيب ، و بلال في نفر ؛ فقالوا : و الله ما أخذت سيوف الله عن

(٦٠) بترجمة صخر من تهذيب ابن عساكر ٤٠٤٦ ج٤ و الإصابه ج٢٢ ر١٧٢ .

(٦١) (حنين) واد بالقرب من ذى الحجاز ، بينه و بين مكة ثلاث ليال (معجم البلدان) و « هوازن » هم بنوهوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان ، من العدنانية . راجع تراجمهم ، جمهرة أنساب العرب ص ٢٥٢ - ٢٥٤ .
و نهاية الارب ص ٤٠٠ .

(٦٢) سيرة ابن هشام ج٤ ر٧٢ ، و الطبري ٣٨٣ ر١٢٨ ، و ابن الاثير ج٢ ر١٠٠ ، و امتاع

الاسماع ار٤١١ .

(٦٣) « الظفن » بكسر الظاء و سكون الغين : الجحد .

(٦٤) ابن هشام ج٤ ر١٣٩ - ١٤٨ .

(٦٥) صحيح مسلم ج٧ ر١٧١ .

عنق عدو الله مأخذها . قال : فقال أبو بكر : أتقولون هذا لشيخ قريش و سيدهم ؟ فأتى النبي ﷺ ، فأخبره ، فقال : يا أبا بكر ! لعلك أغضبتهم ؛ لمن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك ؛ فأما هم أبو بكر فقال : يا إخوانه أغضبتكم ؟ قالوا : لا ، يغفر الله لك يا أخي (٦٦) .

كان ذلك في عصر رسول الله ؛ أمّا في عصر الشيخين فكان ما ذكره ابن عساكر ،

(٦٦) صحيح مسلم ج ١٧٣ ر ٧ ، وفي ترجمة « سلمان » و « صهيب » و « بلال » من

النبلاء ١٥ ر ٢ ؛ واللفظ لمسلم .

أ - أبو عبدالله سلمان الفارسي كان مجوسياً ثم تنصر قبل بعثة رسول الله (ص) وقصد المدينة ليذكر الرسول ، فصحب قوم من العرب فأسروه وباعوه لرجل من يهود المدينة ، فرأى رسول الله (ص) ، و عرف فيه علامات النبوة ، وأسلم على يديه ، فاشتراه رسول الله (ص) ، و أعتقه وهو الذي أشار على النبي يوم الخندق بحفر الخندق ، وقال النبي في حقه يوم ذاك : سلمان منا أهل البيت ، وتوفى في عصر عثمان سنة خمس وثلاثين في المدائن أميراً عليها و دفن هناك .

اسد الغابة ج ٢ ر ٢٢٨ - ٢٣٢ .

ب - صهيب بن سنان الربعي النمرى ، كان أبوه عاملاً لكسرى على الابل ، فغارت الروم عليهم ، و أسرت صهيباً فنشأ فيهم ، ثم باعته الى كلب فجات به الى مكة ، فباعته من عبدالله بن جدعان فأعتقه ، وكان من السابقين الى الاسلام الذين عذبوا في مكة ، و كناه الرسول أبا يحيى ، وكان في لسانه لكنة . توفى بالمدينة سنة ثمان أو تسع وثلاثين ؛ و دفن بها وكان ابن سبعين أو ثلاث وسبعين .

اسد الغابة ج ٣ ر ٣١ - ٣٣ .

ج - بلال بن رباح الحبشي ، و امه حمامة ، كان من السابقين الى الاسلام ، فعذبتة قريش ، فكانت تبطحه على وجهه في الشمس ، وتضع الرحاء عليه حتى تصهره الشمس ، و يقولون له : أكفر برب محمد ، فيقول : أحد ، أحد ، واشتراه أبو بكر و أعتقه ، وكان مؤذن رسول الله (ص) ، و خازنه ، و شهد معه مشاهدته كلها ، و ذهب بعد النبي الى الشام غازياً ، و توفى هناك في العشر الثاني بعد الهجرة ، و عمره بضع وستون سنة .

اسد الغابة ج ١ ر ٢٠٩ .

وقال (٦٧) : إنَّ أبابكر أغلظ يوماً في الكلام لأبي سفيان ، فقال له أبو قحافة : يا أبابكر ! أتقول هذه المقالة لأبي سفيان ؟ فقال له : يا أبة ! إنَّ الله رفع بالإسلام بيوتاً ، ووضع بيوتاً ، وكان بيتي في ما رفع ، وبيت أبي سفيان في ما وضع .

وروى أنَّ عمر بن الخطَّاب قدم مكَّة ، فقالوا له : إنَّ أبا سفيان ابتنى داراً ، فألقى الحجارة فحمل علينا السيل ؛ فانطلق معهم عمر ، وسهل الحجارة على كتف أبي سفيان ، فرفع عمر يده وقال : الحمد لله الذي أمرُ أبا سفيان بطن مكَّة فيطيعني . وروى أنَّ عمر اجتاز في سكك مكَّة ، وأمرهم أن يقموا أفئيتهم ، ثمَّ اجتاز بعد ذلك فرأى الفناء كما كان ، فعلا أبا سفيان بالدرَّة بين أذنيه ، فضربه ، فسمعت هند فقالت : أبصر به ، أما والله لربَّ يوم لو ضربته لا قشعرٌ بك بطن مكَّة ، فقال عمر : صدقت ولكنَّ الله رفع بالإسلام أقواماً ووضع به آخرين .

هكذا أذلَّ الإسلامُ أبا سفيان وأعزَّ غيره ؛ فكان في نفسه على الإسلام والمسلمين ما ظهر على فَلَستات لسانه ؛ ومن ذلك ما رواه جمعٌ من المؤرِّخين عن ابن الزبير أنَّه قال : كنت مع أبي باليرموك ، وأنا صبيٌّ لا أقاتل ؛ فلما اقتتل الناس نظرت إلى ناس على تلٍّ لا يقانلون ، فركبت وذهبت إليهم وإذا أبو سفيان بن حرب ومشِيخةٌ من قريش من مهاجرة الفتح ؛ فأروني حدِّثاً ، فلم يتقوني ؛ قال : فجعلوا والله إذا مالت المسلمون وركبتهم الروم يقولون : « إيه بني الأصفر » فإذا مالت الروم وركبتهم المسلمون قالوا : « ويح بني الأصفر » فلما هزم الله الروم أخبرت أبي ، فضحك ، فقال : قاتلهم الله أبوا إلا ضغنًا ؛ لَمَنحن خيرٌ لهم من الروم (٦٨) .

وفي رواية أخرى عنه : فكانت الروم إذا هزمت المسلمين ، قال أبو سفيان : « إيه

(٦٧) أوردت ماجرى بين أبي بكر وعمر وأبي سفيان ملخصاً من تهذيب ابن عساكر ج ٤٠٦٦ - ٤٠٧ ؛ بترجمة أبي سفيان .

(٦٨) الطبري ١٣٧٤ ، وابن الاثير ١٥٩٢ ، واللفظ له ، والاصابة ١٧٢٢ الترجمة ٤٠٤٦ ، وتهذيب ابن عساكر ٣٥٦٥ و ٤٠٦٦ .

و «اليرموك» واد بناحية الشام ، وقعت فيه حرب بين المسلمين والروم في السنة

بني الأصغر « فاذا كشفهم المسلمون ، قال أبو سفيان :

و بنو الأصغر الكرام ملوك الروم لم يبق منهم مذكور .

فلما فتح الله عليهم ، وحدت به أبي ، أخذ بيدي يطوف على أصحاب رسول الله ﷺ يقول : حدّتهم ، فأحدّتهم ، فيعجبون من نفاقه (٦٩) .

و عند ما ولي عثمان الخلافة دخل عليه أبو سفيان ، فقال : يا معشر بني أمية ! إنّ الخلافة صارت في تيم وعدي حتّى طمعت فيها ، وقد صارت إليكم فتلقّفوها بينكم تلقّف الصبي الكرة ؛ فو الله ما من جنة ولا نار ؛ فصاح به عثمان : « قم عني ، فعل الله بك و فعل ، (٧٠) .

و في رواية أخرى أنّه قال : يا بني أمية ! تلقّفوها تلقّف الكرة ، فو الذي يحلف به أبو سفيان ما زلت أرجوها لكم ، و لتصيرنّ إلى صبيانكم وراثة ، فانتهره عثمان و ساءه ما قال (٧١) .

و في رواية أخرى : دخل أبو سفيان على عثمان بعد أن كفّ بصره ، فقال : هل علينا من عين ؟ قال : لا . فقال : يا عثمان ! إنّ الأمر أمرٌ عالميةٌ ، و الملك ملكٌ جاهليةٌ ، فاجعل أوتاد الأرض بني أمية (٧٢) .

و في هذا العصر كان ماروي عنه : أنّه مرّ بقبر حزة ، و ضرب به برجله و قال : يا أبا عمارة ! إنّ الأمر الذي اجتلدنا عليه بالسيف أمس صارت في يد غلماننا اليوم يتلعّبون به (٧٣) . أدرك أبو سفيان أمّنيته بولاية عثمان على الخلافة ؛ و توفي في عصره ، سنة إحدى

(٦٩) الاغانى ٣٥٤ر٦ - ٣٥٥ ، والاستيعاب ص ٦٨٩ الترجمة ٣٢١ ، و اسد الغابة

٢١٦ر٥ مختصرا ، و اللفظ للاول .

(٧٠) الاغانى ٣٥٥ر٦ - ٣٥٦ ، والاستيعاب ص ٦٩٠ .

(٧١) مروج الذهب بهامش ابن الاثير ١٦٥ر٥ - ١٦٦ .

(٧٢) الاغانى ٣٥٥ر٦ ، و في تهذيب ابن عساكر ٤٠٧ر٦ ، و هذا لفظه : « وعن

أنس أن أبا سفيان دخل على عثمان بعد ما عمى فقال هل هاهنا أحد ؟ فقالوا : لا ؛ فقال : اللهم اجعل الامر أمر جاهلية ، و الملك ملك غاصبية و اجعل أوتاد الارض لبني أمية .

(٧٣) شرح النهج ٥١ر٤ ، الطبعة المصرية الاولى .

أو اثنتين ، أو ثلاث ، أو أربع و ثلاثين ؛ وقد نيسف على الثمانين أو التسعين .
أما هند ، فكانت قد توفيت قبله في عصر الخليفة عمر (٧٤) .

معاوية

أما معاوية فلم يكن في الجاهلية بدعاً عن أبيه و ذويه في حروبهم لرسول الله ﷺ و المسلمين ؛ و لما رأى أن أباه أقبل يسلم ، خاطبه بقوله :

يا صخر ! لا تسلمن فتمضحنا
بعد الذين بيدرٍ أصبحوا مزفا
خالي وعمي (٧٥) وعم الأم ثالثهم
و حنظل الخير قد أهدى لنا الأرقا
لا تر كني إلى أمرٍ تقلدنا
و الرافصات به في مكة الخرقا
فالموت أهون من قول العداة لنا
عاد ابن حرب عن العزى إذ فرقا (٧٦)

وأسلم معاوية بعد الفتح في من أسلم ، وكان نصيبه من غنائم حنين مائة ناقه و أربعين أوقية أسوة بغيره من المؤلفة قلوبهم الذين تألف النبي قلوبهم بذلك ، ثم تكرر عليه و استكتبه في من استكتب من أصحابه ، و بعث النبي إليه ذات يوم ابن عباس يدعوه ليكتب له ، فوجد ابن عباس يأكل ، فأعاده النبي إليه يطلبه ، فوجده يأكل ، إلى ثلاث مرّات ؛ فقال النبي فيه « لا أشبع الله بطنه » (٧٧) .

و كان من خبره يوم ذلك ، أن امرأة من المهاجرات استشارت النبي فيه و في رجلين

(٧٤) ترجمتها في اسد الغابة ٥٦٣ر٥ .

(٧٥) لم نعرف لمعاوية « عمأ » قتل يوم بدر و لعل الصواب « جدى » بدل « عمى » و من الجائر أنه يقصد بقوله « عمى » أحد أبناء عمومة أبيه الذين قتلوا بيدر .

(٧٦) رواه الزبير بن بكار في المفاخرات ، راجع شرح النهج ج ٢ر١٠٢ ، و تذكرة السبط ١١٥ ، و جمهرة الخطب ١٢ر٢ ، و في التذكرة : البيت الاول و الثالث فحسب مع اختلاف في ألفاظ البيت الثالث ، و « الخرق » : ضعف الرأى ، سوء التصرف ، الجهل ، و الحمق . و « حاد عنه » : مال عنه ، و « الفرق » : الفرع .

(٧٧) أنساب الاشراف ج ١ر٥٣٢ ، و فيه هذه التهمة : فكان معاوية يقول . لحقني دعوة رسول الله (ص) ، و كان يأكل في كل يوم مرات أكلا كثيراً ، و راجع صفين ، و مسلم في صحيحه ج ٨ر٢٧ ، في باب (من لعنه النبي . . .) و شرح النهج ج ١ر٣٦٥ .

كانوا قد خطبوها ؛ فقال رسول الله في معاوية : « أمام معاوية فصعلوكٌ لا مال له » (٧٨) .
و خرج رسول الله في سفره ، فسمع رجلين يتغنيان و أحدهما يجيب الآخر و هو
يقول :

يزال حوارِيّ تلوح عظامه زوى الحرب عنه أن يُجنّ فيُقبّرَا

فقال النبيّ : « انظروا من هما ؟ » ، فقالوا : معاوية و عمرو بن العاص ، فرجع
رسول الله يديه فقال : « اللهم أر كسهما في الفتنة ر كسأ ، ودُعّهما إلى النار دعاً » (٧٩) .
و في حديث آخر : أن رسول الله رآهما في غزاة تبوك يسيران ، وهما يتحدّثان ،
فالتفت إلى أصحابه ، فقال : إذا رأيتموهما اجتمعا ففرّ قوا بينهما ، فانهما لا يجتمعان
على خيرٍ أبداً (٨٠) .

و في رواية : رآهما مجتمعين فنظر إليهما نظراً شديداً ، ثم رآهما في اليوم الثاني ،
و اليوم الثالث ، كلُّ ذلك يديم النظر إليهما ، فقال في اليوم الثالث : « إذا رأيتم معاوية

(٧٨) مسلم ١٩٥٤ باب المطلقة ثلاثاً لانفقة لها من كتاب الطلاق . و في مسند
الطيالسي ص ٢٢٨ الحديث ١٦٤٥ و كتاب النكاح من سنن أبي داود ٣٠٧ - ٣٠٨ ،
و قريب من لفظه ما في سنن ابن ماجة الحديث ١٨٦٩ من كتاب النكاح .
(٧٩) في مسند أحمد ٤٢١٤ عن أبي برزة الاسلمي و لفظه « فقالوا فلان وفلان »
و في صفين لنصر بن مزاحم ص ٢٤٦ الحديث عن أبي برزة كذلك ، وفيه تصريح باسميهما
- معاوية و عمرو بن العاص - و أخرجه ابن عقيل في ص ٩ من النصائح الكافية عن أبي
يعلى بهذا السند ، وعن الطبراني في الكبير بسنده الى ابن عباس .

و «يزال» حذف منه «لا» كما يقال «زلت أفعل» أى : ما زلت أفعل ، و «الحوارى» :
الصاحب الناصح ، و أنصار الانبياء و «زوى عنه» : منع عنه و «يجن» : يكفن و يدفن
و في بعض النسخ « يحس » و المعنى فى البيت لا يزال الناصر الناصح تلوح عظامه منع
الحرب عن كفته و دفنه . و «أركسه» : اعاده الى الحالة السيئة و «أركسه» : نكسه ،
و فى القرآن الكريم « والله أر كسهم بما كسبوا » و «الدع» : الدفع الشديد ، العنيف .
(٨٠) فى العقد الفريد ج ٤ ر ٣٤٥ - ٣٤٦ أن معاوية بعث الى عبادة بن الصامت
يستنصره فى حرب على ؛ فلما جاء جلس بين عمرو و معاوية و حدثهما بهذا الحديث .

و عمرو بن العاص مجتمعين ، ففرّ قوا بينهما فأنهما لن يجتمعا على خير» (٨١) .
و نظر رسول الله ذات يوم إلى أبي سفيان و هوراكب و معاوية و أخوه ؛ أحدهما قائد و الآخر سائق ، قال : اللهم العن القائد والسائق والراكب (٨٢) .
هذا إلى غيره من حديث كثير لرسول الله فيه و في أسرته (٨٣) تنبئنا عن مكانة معاوية في ذلك العصر .

و من بعد رسول الله لما استخلف أبو بكر ، و أرسل يزيد بن أبي سفيان في من أرسله من الأمراء في السنة الثالثة عشرة من الهجرة ، سار معاوية تحت لواء أخيه يزيد .
و في عهد عمر لما طعن يزيد سنة ثمانني عشرة بالطاعون ، و احتضر ، استعمل أخاه معاوية على عمله - دمشق و جندها - فأقره الخليفة على ذلك (٨٤) .
و لما دخل عمر الشام ، تلقاه معاوية في موكب عظيم ؛ فقال فيه عمر : « هذا كسرى العرب » . فلما دنا منه ، قال له : « أنت صاحب الموكب العظيم؟ » ، قال : نعم يا أمير المؤمنين ! قال : مع ما بلغني من وقوف ذوي الحاجات ببابك ؟ قال : مع ما يبلغك من ذلك ؛ قال : « و لم تفعل هذا؟! » قال : نحن بأرض جواسيس العدو بها كثير ، فيجب أن نظهر من عز السلطان ما نرهبه ... (٨٥) الحديث .
و لما استخلف عثمان ، جمع له الشام ، و أرخى له زمامه ، فانطلق معاوية على سجيته ، لا يردعه عما يشتهي رادع .

و من قصصه في الشام ما كان بينه و بين عبادة بن الصامت الخزرجي أحد نقباء
(٨١) في صفين ٢٤٥ - ٢٤٦ أن زيد بن أرقم دخل على معاوية فاذا عمرو بن العاص جالس معه على السرير فلما رأى ذلك جاء حتى رمى بنفسه بينهما وحدثهما بهذا الحديث .
(٨٢) صفين ص ٢٤٧ وراجع الطبري ١١ر٣٥٧ والزبير بن بكار في كتاب المفخرات برواية ابن أبي الحديد عنه في شرح النهج ٢ر١٠٣ ، و تذكره سبط ابن الجوزي ١١٥ ،
وفيه أن ذلك كان يوم الاحزاب .

(٨٣) كالحكم بن أبي العاص ، و عقبه بن أبي معيط وغيرهما .

(٨٤) الطبري ج ٢٤ر٢٠٢ والنبلاء ١ر٢٣٧ - ٢٣٨ .

(٨٥) ترجمة معاوية في الاستيعاب ١ر٢٥٣ والاصابة ٣ر٤١٣ . وبتاريخ ابن كثير

الأَنْصار ، وكان أحد خمسة جمَعوا القرآن على عهد رسول الله (٨٦) ؛ فقد أرسله عمر بن الخطاب في إمارة يزيد بن أبي سفيان إلى الشام ليعلّم الناس القرآن ؛ فأقام بحمص حتى إذا مات يزيد و ولي بعده معاوية ، سار في جنده .

روى مسلم (٨٧) أن معاوية غزا غزاةً كان فيها عبادة بن الصامت ، فغنموا فيما غنموا آنيةً من فضةٍ ، فأمر معاوية رجلاً أن يبيعها في أعطيّات الناس ، فتسارع الناس إلى ذلك - وفي تهذيب ابن عساكر : يباع الإناء بمثلي ما فيه أو نحو ذلك - فبلغ عبادة ابن الصامت ؛ فقام فقال : إنّي سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن بيع الذهب بالذهب والفضة بالفضة . . . الأسواء أسواء وعينابعين ، فمن زاد أو ازداد فقد أربى ؛ فرد الناس ما أخذوه ؛ فبلغ ذلك معاوية فقام خطيباً فقال : ألا ما بال رجال يتحدّثون عن رسول الله أحاديث قد كنّا نشهدهن ونصحبهن فلم نسمعها منه ؛ فقام عبادة بن الصامت ، فأعاد القصة ، ثمّ قال : لنحدّثن بما سمعنا من رسول الله ﷺ وإن كره معاوية أو قال : وإن رغم ما أبالي أن لا أصحبه في جنده ليلةً سوداء ؛ وفي مسند أحمد ٣١٩٥ ؛ والنسائي ٢٢٢٢٥ إنّي والله لا أبالي أن لا أكون بأرض يكون بها معاوية . وفي أسد الغابة والنبلاء بترجمة عبادة : أنّ عبادة أنكر على معاوية شيئاً فقال : لا أساكنك بأرض ؛ فرحل إلى المدينة فقال له عمر : ما أقدمك ؟ فأخبره بفعل معاوية ؛ فقال له : ارحل إلى مكانك ، فقبح الله أرضاً لست فيها وأمثالك فلا إمرة له عليك . وفي النبلاء (٨٨) أنّ عبادة بن الصامت كان مع معاوية فأذن يوماً ؛ فقام خطيبٌ يمدح معاوية ويثني عليه . فقام عبادة بتراب في يده ، فحثاه في فم الخطيب فغضب معاوية . فقال له عبادة : إنك لم تكن معنا حين بايعنا رسول الله ﷺ بالعقبة - إلى قوله - وأن تقوم بالحق حيث كنّا ، لانخاف

(٨٦) شهد عبادة مشاهد رسول الله ﷺ كلها وعاش إلى سنة أربع وثلاثين ، وتوفى بالرملة أو بالبيت المقدس ، ودفن هناك ، ترجمته في الاستيعاب ص ٤١٢ ، و أسد الغابة ١٠٦٣ ، وتهذيب ابن عساكر ٢٠٦٧ - ٢١٤ ، والاصابة ٢٦٠٢ والنبلاء ١٢٢ - ٥ .

(٨٧) في صحيح مسلم ٤٦٥ ، وتهذيب ابن عساكر ٢١٢٧ .

وقد أوردته ملخصاً من صحيح مسلم .

(٨٨) النبلاء ٢٢ ، وتهذيب ابن عساكر ٢١١٧ .

في الله لومة لائم و قال رسول الله ﷺ : إذا رأيتم المداحين فاحتوا في وجوههم التراب .
 و ذكر معاوية الفرار من الطاعون في خطبته . فقال له عبادة : أمك هند أعلم
 منك فأتهم خطبته ثم ؛ صلى ثم أرسل إلى عبادة : فنذت رجالاً من الأنصار معه فاحتبسهم ودخل
 عبادة ؛ فقال معاوية : ألا تتقي الله وتستحي من إمامك ؟ فقال عبادة : أليس قد علمت أنني
 بايعت رسول الله ﷺ ليلة العقبة : أنني لا أخاف في الله لومة لائم ؛ ثم خرج معاوية عند
 العصر فصلى ؛ ثم أخذ بقائمة المنبر فقال : أيها الناس ! إنني ذكرت لكم حديثاً على
 المنبر ؛ فدخلت البيت ؛ فإذا الحديث كما حدثني عبادة فاقتبسوا منه فهو أفقه مني (٨٩) .
 نرى أن هذا كله كان في عصر عمر ؛ أما في عصر عثمان فإنه كان ما رواه ابن
 عساكر والذهبي^(٩٠) ، وقالوا :

إن عبادة بن الصامت مرّت عليه قطارة^(٩١) و هو بالشام تحمل الخمر ؛ فقال :
 ما هذه ؟ أزيّت ؟ قيل : لا ، بل خمرٌ يباع لفلان . فأخذ شفرة من السوق فقام إليها ؛ فلم
 يذرفها راوية إلا بقرها - و أبو هريرة إن ذاك بالشام - فأرسل فلان إلى أبي هريرة ؛
 فقال : أتمسك عنا أخاك عبادة ؛ أما بالغدوات فيغدو إلى السوق يفسد على أهل الذمة
 متاجرهم ؛ و أما بالعشي فيقعده في المسجد ليس له عمل إلا شتم أعراضنا و عينا ؛
 قال : فأتاه أبو هريرة فقال : يا عبادة ، مالك و لمعاوية ! زره و ما حمل . فقال :
 لم تكن معنا إن بايعنا على السمع و الطاعة ؛ و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ؛
 و ألا تأخذنا في الله لومة لائم ، فسكت أبو هريرة .
 و كتب معاوية إلى عثمان : أن عبادة بن الصامت قد أفسد عليّ الشام و أهله ، فأمّا
 أن تكفّه إليك ؛ و إمّا أن أخلي بينه و بين الشام .

(٨٩) تهذيب ابن عساكر ٧ر ٢١٠ - ٢١١ .

(٩٠) في تهذيب ابن عساكر ٧ر ١١١ - ١٢ ، و النبلاء ٢ر ٣ - ٤ ، و مسند أحمد
 ٣٢٥ر ٥ عن ابن خيثم ثنى اسماعيل بن عبيد الانصاري ، غير أن الحديث حذف من أوله
 في مسند أحمد ، وورده هكذا : « ثنى اسماعيل بن عبيد الانصاري فذكر الحديث » فقال
 عبادة يا أبا هريرة انك لم تكن معنا اذ بايعنا » ثم ساق الحديث الى آخره .

(٩١) «القطارة» : الابل تشد على نسق واحد خلف واحد .

فكتب إليه : أن رحل عبادة حتى ترجعه إلى داره بالمدينة .
قال : فدخل على عثمان ، فلم يفجأه إلا وهو معه في الدار ؛ فالتفت إليه فقال : مالنا
ولك ؟ فقام عبادة بين ظهرائي الناس ؛ فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : سيأتي أموركم
بعدي رجالٌ يعرفونكم ما تنكرون ؛ وينكرون عليكم ما تعرفون ؛ فلا طاعة لمن عصى
ولا تضلوا برؤسكم .

و في رواية ابن عساكر بعد هذا : فوالذي نفس عبادة بيده إن فلاناً يعني معاوية
لسمين أولئك فما راجعه عثمان بحرف ؛ انتهى .

و قصة معاوية مع الصحابة في شربه الخمر لم يقتصر على ما كان بين معاوية
و عبادة ؛ فقد رووا أن عبد الرحمن بن سهل بن زيد الأ نصاري غزا في زمن عثمان ومعاوية
أمير على الشام ؛ فمرت به روايا خمر ، فقام إليها برمحه ، فبقر كل راوية منها ؛ فناوشه
الغلمان ؛ حتى بلغ شأنه معاوية ؛ فقال : دعوه فإنه قد ذهب عقله ، فبلغه فقال : كلاً والله
ما ذهب عقلي ؛ ولكن رسول الله ﷺ نهانا أن ندخل بيوتنا وأسقيتنا خمرأً و أحلف
بالله لئن بقيت حتى أرى في معاوية ما سمعت من رسول الله ﷺ لأ بقرن بطنه أو
لأ موتنّ دونه (٩٢) .

و أخرج ابن حنبل في مسنده ج ٣٤٧٥ عن عبد الله بن بريدة ، قال : دخلت أنا
و أبي على معاوية ، فأجلسنا على الفرش ، ثم أتينا بالطعام ، فأكلنا ، ثم أتينا بالشراب ،
فشرب معاوية ، ثم ناول أبي ، ثم قال : ما شربته منذ حرّمه رسول الله ﷺ . . . الحديث .
وله قصصٌ أخرى في الخمر أخرجها ابن عساكر في تاريخه (٩٣) .

و في هذا العصر - عصر عثمان - كان لمعاوية مع أبي ذر قصصٌ يطول شرحها ، ونحن

(٩٢) بترجمته في الاصابة ٣٩٤٢ ، وفي اسد الغابة ٢٩٩٣ الى قوله و «أسقيتنا»
ثم قال : و أخرجه الثلاثة ، و في الاستيعاب ص ٤٠٠ أورده ملخصاً ، وأشار اليه في آخر
ترجمته في تهذيب التهذيب ج ١٩٢٦ .

(٩٣) منها قصة أخرى له مع عبادة بن الصامت عند ما كان بانطرسوس ، أخرجه
في تهذيب ابن عساكر ج ٢١٣٧ ؛ و منها قصته مع عبد الله بن الحارث بن امية بن عبد
شمس ج ٣٤٦٧ ، وأشار اليه ابن حجر بترجمته في الاصابة ج ٢٨٢٢ .

نوردها هاهنا بايجاز .

مع أبي ذر

كان أبو ذر يتأله في الجاهلية و يقول: لا إله إلا الله ، و لا يعبد الأصنام (٩٤) فلمّا بلغه خبر النبي بمكة ذهب إليها ، و أسلم رابعاً أو خامساً (٩٥) و أجبر باسلامه في مكة ، فضرّب حتى غشي عليه ، ثم أمره النبي بالرجوع إلى قومه (٩٦) و دعوتهم إلى الإسلام ، و أن يأتيه إذا بلغه نبأ ظهوره ، فرجع أبو ذر إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام . و هاجر إلى المدينة بعد غزوة الخندق .

و أثنى عليه رسول الله في أحاديث صحيحة و ردت عنه مثل قوله : « ما أنظلت الخضراء و لأقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر » (٩٧) .

و في غزوة تبوك تخلف أبو ذر و أبطأ به بعيره ، فحمل متاعه على ظهره و تبع أثر رسول الله ماشياً حتى لحق به ، فلمس آه رسول الله قال : « رحم الله أبازر يمشي وحده ويموت وحده و يبعث وحده » (٩٨) .

و لما ولي عثمان ، و أعطى مروان بن الحكم ما أعطاه ، و أعطى الحارث بن الحكم

(٩٤) اللفظ لابن سعد فى الطبقات ٤ ر ٢٢٢ - ٢٢٣ ، و فى النبلاء ٢ ر ٣٨ :

« يوحى بدل « لا اله الا الله » ، و بترجمته فى اسد الغاية ١ ر ٣٠١ أيضاً .

و فى صحيح مسلم باب مناقب أبي ذر ٧ ر ١٥٣ - ١٥٥ ، و بترجمته من طبقات ابن سعد ، و تهذيب ابن عساکر ٧ ر ٢١٨ و الحلية ١ ر ١٥٧ ، و صفوة الصفوة ١ ر ٢٣٨ و النبلاء ٢ ر ٣٨ :

أنه كان يصلى لله سنتين أو ثلاثاً أو أربعاً قبل إسلامه .

(٩٥) بترجمته فى الطبقات ، و الاستيعاب ، و المستدرک ، و الحلية ، و النبلاء ،

و اسد الغابة ، و الاصابة .

(٩٦) المصادر السابقة و مسند أحمد ٥ ر ١٧٤ و باب مناقبه فى صحيح البخارى .

(٩٧) جميع المصادر السابقة و الترمذى فى باب مناقبه ، و مسند أحمد ج ٢ ر ١٦٣

و ١٧٥ ، ٢٢٣ ، و ج ٥ ر ١٩٧ و ج ٦ ر ٤٤٢ ، و فى بعضها من يسره أن ينظر الى عيسى

ابن مريم زهداً و سماً فلينظر الى أبي ذر .

(٩٨) سيرة ابن هشام ٤ ر ١٧٩ ، و الطبرى ٣ ر ٤٥ و بترجمته من الطبقات ، و الاستيعاب ،

و اسد الغابة ، و الاصابة .

ثلاثمائة ألف درهم، وزيد بن ثابت الأنصاري مائة ألف درهم، جعل أبو ذرّ يتلو: «والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعباب اليم» وجرى بينه وبين عثمان في ذلك محاورات؛ فأمره أن يلتحق بالشام، فكان أبو ذرّ ينكر على معاوية أشياء يفعلها، وبعث إليه معاوية بثلاث مائة دينار، فقال: إن كان من عطائي الذي حرمتونه عامي هذا قبلتها، وإن كانت صلة فلا حاجة لي فيها. وبنى معاوية قصره الخضراء بدمشق، فقال: يا معاوية؟ إن كانت هذه الدار من مال الله فهي الخيانة، وإن كانت من مالك فهذا الإسراف، فسكت معاوية و كان أبو ذرّ يقول: والله لقد حدثت أعمال ما أعرفها، والله ما هي في كتاب الله ولا سنة نبيه، والله إنني لأرى حقاً يظفأ و باطلاً يحيى، و صادقاً يكذب، و أثره بغير تقى، و صالحاً مستأثراً عليه،^(٩٩) و كان الناس يجتمعون عليه، فنادي منادي معاوية ألا يجالسه أحد^(١٠٠).

و في رواية: أن معاوية بعث إليه بالف دينار في جنح الليل فأنفقها، فلمّا صلى معاوية الصبح، دعا رسوله: فقال: اذهب إلى أبي ذر، فقل: أنقذ جسدي من عذاب معاوية، فإنني أخطأت. قال: يا بني، قل له: يقول لك أبو ذر: والله ما أصبح عندنا منه دينار ولكن أنظرنا ثلاثاً حتّى نجمع لك دنانيرك؛ فلمّا رأى معاوية أن قوله صدق فعله؛ كتب إلى عثمان: أمّا بعد؛ فإن كان لك بالشام حاجة أو بأهلك؛ فابعث إلى أبي ذر فإنه و غلّ صدور الناس... الحديث^(١٠١).

و في أنساب الأشراف: فكتب عثمان إلى معاوية. أمّا بعد فاحمل جندباً على أغلظ مركب وأرعه. فوجه معاوية من سار به الليل والنهار^(١٠٢). و في اليعقوبي^(١٠٣): فكتب إليه أن احمله على قتب بغير وطاء؛ فقدم به إلى المدينة و قد ذهب لحم فخذه.

(٩٩) أنساب الاشراف للبلاذري ٥ بترجمة عثمان.

(١٠٠) ابن سعد ٤ر٢٢٩.

(١٠١) النبلاء ج ٢ر٥٠.

(١٠٢) ترجمة عثمان في الجزء الخامس من أنساب الاشراف.

(١٠٣) اليعقوبي ج ٢ر١٢٠ - ١٢٢.

وفي مروج الذهب (١٠٤) : فحمله علي بعير عليه قتبٌ يابسٌ معه خمس من الصقالبة يطيطون به حتى أتوا به المدينة وقد تسلخت أفخاذه وكاد أن يتلف .

وفي الأستاب : فلما قدم أبوذر المدينة جعل يقول : تستعمل الصبيان ، و تحمي الحمى ، و تقرّب أولاد الطلقاء فسيّرء إلى الربذة ، فلم يزل بها حتى مات .
و كان مكث أبي ذر في الشام سنة واحدة ، فقد ذكر المؤرّخون أنّ تسفيره من المدينة إلى الشام كان سنة تسع و عشرين ؛ و في سنة ثلاثين شكاه معاوية إلى عثمان ، فجلبه إلى المدينة ، ثمّ نفاه إلى الربذة ، فتوفّي بها سنة إحدى و ثلاثين ، أو اثنتين و ثلاثين .

و ما أوردنا من أسباب إبعاد أبي ذر إلى الشام ، ثمّ جلبه إلى المدينة ، و نفيه إلى الربذة هو الصحيح . و ما أورده الطبري في ذلك (١٠٥) موضوعٌ وضعه « سيف بن عمر »

(١٠٤) مروج الذهب بهامش ابن الاثير ١٦١٥ - ١٦٣ ، و قد ذكر هناك تفصيل قصة أبي ذر ؛ و « الصقالبة » : قوم كانت بلادهم تتاخم بلاد الخزر .
(١٠٥) قال الطبري في ج ٦٦٥ . « وفي هذه السنة أعنى سنة ثلاثين كان ما ذكر من أمر أبي ذر ، و اشخاص معاوية اياه من الشام الى المدينة ، و قد ذكر في سبب اشخاصه اياه منها اليها امور كثيرة كرهت ذكر أكثرها ، فاما العاذرون معاوية في ذلك فانهم ذكروا في ذلك قصة كتب الي بها السرى يذكر أن شعيبا حدثه عن عطية عن يزيد الفقعسي قال : لما ورد « ابن السوداء » الشام لقي أبا ذر فقال : يا أبا ذر . ألا تعجب الي معاوية ، الحديث ، ثم أورد قصة « عبدالله بن سبأ » الذي لقبه سيف « بابن السوداء » و قد حققنا عنها و بينا زيفها في كتابنا « عبدالله بن سبأ - المدخل - » فراجعه و أشرنا الي ذلك في ص ١٩٧ - ٢٠١ من هذا الكتاب .

و اقتدى بالطبري من جاء بعده من المؤرّخين فقد قال ابن الاثير في ج ٣ ر ٤٣ من تاريخه :

« و في هذه السنة كان ما ذكر في أمر أبي ذر و اشخاص معاوية اياه من الشام الى المدينة و قد ذكر في سبب ذلك امور كثيرة من سب معاوية اياه ، و تهديده بالقتل ، و حمله الى المدينة من الشام بغير وطاء ، و نفيه من المدينة على الوجه الشنيع لايصح النقل به ، و اوصح لكان ينبغي أن يعتذر عن عثمان ، فان للامام أن يؤدّب رعيته ، و غير ذلك من ←

ومنهُ أخذ الطبري و من جاء بعده تلك الأساطير؛ راجع قبله ص ١٩٧ - ٢٠١ .
ولمعاوية أيضاً قصصٌ طويلةٌ مع قرّاء أهل الكوفة الذين سيّرهم عثمان إلى الشام .
روى البلاذري . أن عثمان لما عزل الوليد عن الكوفة ، ولأها سعيد بن العاص ،
وأمره بمدارة أهلها فكان يجالس قرّاءها و وجوه أهلها ، ويسامرهم؛ وتذاكروا يوماً عنده
السواد^(١٠٦) والجبل ، ففضّلوا السواد ، وقالوا : هوينبث ما ينبت الجبل وله هذا النخل ،
فقال صاحب شرطة سعيد : لوددت أن هذا السواد للأمير ، ولكم أفضل منه ، فقال له
الأشتر : تمنّ للأمير أفضل منه ولا تمنّ له أموالنا ، فقال : ما يضرّك من تمنّي حتّى تزوي
ما بين عينيك ، فو الله لو شاء كان له ، فقال الأشتر : و الله لو رام ذلك ما قدر عليه ؛ فغضب
سعيد وقال : إنّما السواد بستان لقريش ، فقال : أتجعل مراکز رماحنا و ما أفاء الله علينا
بستاناً لك و لقومك ، والله لو رامه أحد لقرع قرعاً يتصاصاً منه^(١٠٧) و وثب بصاحب
← الاعذار ، لا أن يجعل ذلك سبباً للطعن عليه . كرهت ذكرها ، و أما العاذرون فانهم
قالوا . . . » الحديث .

ثم أورد قصة « ابن سبأ » و كذلك فعل ابن كثير ، و ابن خلدون ، و غيرهما .
و اذا رجعنا الى كلام الطبري ها هنا عرفنا أنه لم يترك الامور الكثيرة لعدم صحتها ،
بل لكرهه ذكرها . و رجح ذكر ما رواه العاذرون معاوية و التي وصفها بانها « قصة »
لما وجد فيها عذراً لمعاوية .

و كذلك فعل ابن الاثير ، فانه بعد ما لمح الى الامور الكثيرة التي ذكروها في
قصة أبي ذر لم يضعف سندها و انما رأى أنه لا يصح النقل به ، لما في ثقلها عيب على
السلطة . ولكننا اليوم لسنا بصدد العيب على أحد ، كما لا نبحث عن عذر الاشخاص .
و انما نبحث عن واقع الحوادث التاريخية بغية العلم و المعرفة ، و لانقر هؤلاء الاعلام على
كتمهم الحقائق طلباً للعذر و دفعاً عن السلطة .

(١٠٦) « السواد » . رستاق العراق و ضياعها التي افتتحها المسلمون على عهد
عمر ؛ سمي بذلك لسواده بالزرع و النخيل ، و حد السواد من حدثة الموصل طولاً الى
عبادان ، و من العذيب بالقادسية الى حلوان عرضاً ، فيكون طولها مائة وستين فرسخاً ، و « الجبل »
ما بين اصبهان الى زنجان الى قزوین و همدان و دینور و قرمسين و الری و ما بين ذلك .
معجم البلدان .

(١٠٧) « تصاصاً عنه » : خاف منه ، ذل له .

الشرطة فأخذته الأيدي .

فكتب سعيد بن العاص بذلك إلى عثمان وقال : إنني لأملك من الكوفة مع الأشر و أصحابه الذين يدعون القرّاء ، وهم السفهاء شيئاً ؛ فكتب إليه أن يسيرهم إلى الشام ، فخرج المسيّرون من قرّاء أهل الكوفة فاجتمعوا بدمشق فبرّهم معاوية وأكرمهم ثمّ إنّه جرى بينه وبين الأشر قولٌ حتّى تغالطا ، فحبسه ، ثمّ أخرجه من الحبس و بلغ معاوية أن قوماً من أهل دمشق يجالسون الأشر وأصحابه ؛ فكتب إلى عثمان : إنك بعثت إليّ قوماً أفسدوا مصرهم وأنفلوا ، ولا آمن أن يفسدوا طاعة من قبلي و يعلموهم مالا يجيدونه حتّى تعود سلامتهم غائلة و استقامتهم اعوجاجاً .

فكتب إلى معاوية يأمره أن يسيرهم إلى حصّ ففعل (١٠٨) .

و روى المدائني أنّه كان لهم مع معاوية بالشام مجالس طالت فيها المحاورات و المخاطبات بينهم ، و أنّ معاوية قال لهم في جملة ما قال : إنّ قريشاً قد عرفت أنّ أباسفيان أكرمها و ابن أكرمها إلا ما جعل الله لنبيّه فانّه انتجبه و أكرمه ، و لو أنّ أباسفيان و لدّ الناس كلّهم لكانوا حلماً .

فقال له صعصعة بن صوحان : كذبت قد ولّدهم خير من أبي سفيان من خلقه الله بيده و نفخ فيه من روحه ، و أمر الملائكة فسجدوا له ، فكان فيهم البرّ و الفاجر و الكيّس و الأحمق (١٠٩) .

و إنّما كان معاوية يشكو من بقاء صحابة النبيّ كأبي ذرّ ، و عبادة بن الصامت و غيرهما من التابعين و قرّاء المسلمين و أخيارهم في الشام خشية أن يعرفوا أهل الشام بما خفي عنهم من الإسلام و أحكامه ، فلا يستطيع معاوية آنذاك أن يعيش فيهم عيشة كسرى و قيصر ، و بعد أن بلغ السيل الزبي ، و ثار المسلمون بعثمان في المدينة كتب عثمان إلى معاوية فيمن كتب إليه من ولاته يستمدّه و يقول :

(١٠٨) الانساب ٣٩٥ - ٤٣ ، وقد أوردناها منه ملخصة .

(١٠٩) الطبري ٥ ر ٨٨ - ٩٠ ، و ابن الاثير ٣ ر ٥٧ - ٦٠ ، و شرح النهج

بسم الله الرحمن الرحيم أمّا بعد فإنّ أهل المدينة كفروا ، وأخلفوا الطاعة ، و نكثوا البيعة ، فابعث إليّ من قبيلك من مقاتلة أهل الشام على كلّ صعب وزلول ، فلمّا جاء معاوية الكتاب تربصّ به و كره إظهار مخالفة أصحاب رسول الله ﷺ ، و قد علم اجتماعهم ، فلمّا أبطأ أمره على عثمان كتب إلى أهل الشام يستنفرهم ... (١١٠) الحديث .

قال البلازري : و لمّا أرسل عثمان إلى معاوية يستمدّه بعث يزيد بن أسد القسري (١١١) و قال له : إذا أتيت ذاخشب (١١٢) فأقم بها ، ولا تتجاوز ، و لا تنقل : يرى الشاهد ما لا يرى الغائب ، فإنّني أنا الشاهد وأنت الغائب ، قال : فأقم بنذي خشب حتّى قتل عثمان ، فاستقدمه حينئذ معاوية ، فعاد إلى الشام بالجيش الذي كان أرسل معه ؛ و إنّما صنع ذلك معاوية ليقتل عثمان ، فيدعو إلى نفسه (١١٣) انتهى .

و لمّا بويع لعليّ ، ندم معاوية على ما فرط في جنب عثمان ؛ و رأى أنّ الخلافة قد زويت عنه ، فكتب لطلحة والزبير بمنيهما الخلافة ، و يدفعهما إلى قتال عليّ ، حتّى إذا قتلا بالبصرة . (١١٤) و بعث عليّ إليه جريراً يطلب منه البيعة ، فقال لجرير (١١٥) :

اكتب إلى صاحبك : يجعل لي الشام و مصر جبايةً ، فإذا حضرته الوفاة لم يجعل لأحد بعده بيعة في عنقي ، و أسلم له هذا الأمر ، و اكتب إليه بالخلافة . فقال جرير : اكتب بما أردت ، و اكتب معك ، فكتب معاوية بذلك إلى عليّ ، فكتب عليّ إلى جرير :

(١١٠) الطبرى ج ٥ ص ١١٥ - ١١٦ .

(١١١) اختلفوا في ادراكه صحبة النبي ، راجع ترجمته باسد الغابة ص ١٠٣ .

(١١٢) «خشب» بضم أوله و ثانيه : واد على مسيرة ليلة من المدينة . ياقوت .

(١١٣) شرح النهج ٤ ص ٥٧ - ٥٨ .

(١١٤) شرح النهج ٢ ص ٥٨٠ - ٥٨١ .

(١١٥) جرير بن عبدالله بن جابر و فد من اليمن الى النبي ، و أسلم ، و اشترك

في الفتوح زمن عمر ، و توفى بقرقيسيا سنة احدى ، أو أربع و خمسين الاصابة ١ ص ٢٣٣ ،

واسد الغابة ١ ص ٢٧٩ - ٢٨٠ .

« أمّا بعد ، فإنّما أراد معاوية ألا يكون لي في عنقه بيعةٌ ، و أن يختار من أمره ما أحبّ ، و أراد أن يرثك حتّى يذوق أهل الشام ، و إن المغيرة بن شعبة كان قد أشار عليّ أن استعمل معاوية على الشام ، و أنا بالمدينة فأبيت ذلك عليه ، ولم يكن ليراني الله أتخذ المضلّين عضداً ؛ فإن بايعك الرجل و إلا فأقبل » (١١٦) .

وروى ابن كثير في ج ٨ ر ١٦٩ من تاريخه : أن عقبة بن أبي معيط كتب إلى معاوية يؤنّبه و يلومه على ما كتب إلى عليّ ، و سأله منه ولاية الشام و مصر و قال فيه :

معاوية إنَّ الشامَ شامك فاعتصم	بشامك لا تدخل عليك إلا فاعيا
فإنَّ عليّاً ناظرٌ ما تحببه	فأهد له حرباً تشيب النواصيا
و حامٍ عليها بالصوارم و القنا	و لا تك مخشوش الذراعين و انيا
و إلا فسلم إنَّ في الأمن راحةً	لمن لا يريد الحرب فاختر معاويا
و إنَّ كتاباً يا ابن حرب كتبته	على طمع جانٍ عليك الدواھيا
سألتَ عليّاً فيه ما لا تناله	و لو نلته لم تبق إلا لياليا
إلى أن ترى منه الذي ليس بعدها	بقاءً فلا تكثر عليك الأمانيا
و مثل عليّ تغتتره بخدعةٍ	و قد كان ما خرّبت من قبل بانيا
و لو نشبت أظفاره فيك مرّةً	فراك ابن هند بعد ما كنت فاريا

ثم أخذ معاوية البيعة من أهل الشام بالطلب بدم عثمان ، و جهّز جيشاً لقتال عليّ ، فالتقى بجيوش عليّ في صفين في ربيع الآخر سنة ست و ثلاثين (١١٧) .

و طال الحرب بينهما مائة يوم و عشرة أيام ؛ و بلغت الوقائع بينهما تسعين واقعة ؛ و لما أن عضت الحرب معاوية كرّر على عليّ طلب الشام ، فأبى عليه (١١٨) ؛ ثمّ بان الانكسار في جيش معاوية ، فأشار عليهم عدرو برفع المصاحف يطلبون الرجوع إليه ، فانخدع جيش العراق ، و قبلوا التحكيم في صفر سنة سبع و ثلاثين ؛ فعيّن معاوية

(١١٦) صفين ٥٨ ، و ابن أبي الحديد ٢٥٠ ر ١ .

(١١٧) صفين ٢٠٩ و ابن أبي الحديد ٢٥٠ ر ١ .

(١١٨) صفين ٥٣٧ ، و الامامة و السياسة ، و شرح النهج ٤٢٤ ر ٣ .

عمرأ و أهل الكوفة أبا موسى، فخدع عمرو أبا موسى، فخلع أبا موسى علياً و معاوية؛ و نصب عمرو معاوية، فافترقا يتسابان، و أُصيب بصفين من أهل الشام خمسة و أربعون ألفاً، و من أهل العراق خمسة و عشرون ألفاً (١١٩).

رجع معاوية إلى الشام بعد حرب صفين في سنة سبع و ثلاثين، و أخذ يبعث إلى أطراف علي من يغير عليهم، و يهلك الحرث و النسل، فوجه النعمان بن بشير، و سفيان ابن عوف، و عبد الله بن مسعدة، و الضحّاك بن قيس، و بسر بن أرطاة، و غيرهم فنقضوا ما رسم لهم من قتل و إرهاب مما سذكروه بعد إيراد تراجمهم.

أ - النعمان بن بشير الأنصاري الخزرجي. ولد قبل وفاة النبي بثمان سنين و سبعة أشهر، أو بست سنين؛ و كان في الفتن هواه مع عثمان، ثم مع معاوية، ثم يزيد، خلافاً لقومه الأنصار؛ و هو الذي حمل قميص عثمان من المدينة إلى الشام، فرفعها معاوية على منبرها، يهيج به أهل الشام، و ولي لمعاوية الكوفة، ثم حصص، و من بعد معاوية ابن يزيد دعا إلى بيعته عبد الله بن الزبير، فقتله شيعة بني أمية بمرج راهط في ذي الحجة سنة أربع و ستين (١٢٠).

وجه معاوية نعمان بن بشير هذا في سنة تسع و ثلاثين إلى عين التمر (١٢١) في ألف رجل، فأغاروا عليها، و كان بها مسلحة لعلّي، فيها مائة رجل فكسروا جفون سيوفهم، و اقتتلوا أشد قتال و جاءهم خمسون رجلاً من القرى المجاورة، فلمّا رأهم أهل الشام ظنّوا أنّ لهم مدداً فانهزموا عند المساء (١٢٢).

ب - سفيان بن عوف بن المغفل الأزدي الغامدي، و كان مع أبي عبيدة في فتوح الشام، و كان معاوية يولّيه غزو الروم في الصائفتين (١٢٣)؛ توفي في أرض الروم سنة

(١١٩) صفين ٦٤٣.

(١٢٠) ترجمته باسد الغابة ٢٢٥ - ٢٣، و الاصابة ٥٢٩٣ الرقم ٨٧٣٠.

(١٢١) « عين التمر » : بلدة قريبة من الانبار غربى الكوفة على طرف البرية.

(١٢٢) الطبرى ج ٦٧٦ في ذكره حوادث سنة ٣٩، و كذلك ابن الاثير ج ٣٣١٥٠،

و تفصيلها فى شرح النهج ج ١٢٢ - ٢١٣، و تاريخ ابن كثير ٣١٩٧ و ٣٢٤.

(١٢٣) « الصائفتين » غزو الروم فى الصيف و الشتاء، راجع ترجمته فى تهذيب ابن ←

اثنتين ، أو ثلاث أو أربع وخمسين . وجهه معاوية أيضاً في سنة تسع وثلاثين ، وقال له فيما أوصاه :

فاقتل من لقيته ممن ليس هو علي رأيك ، و أخرب كل ما مررت به من القرى ، و أهرب الأموال ، فإن حرب الأموال شبيه بالقتل ، و هو أوجع للقلب (١٢٤) .
 و في رواية الطبري و ابن الأثير (١٢٥) : وجهه معاوية في ستة آلاف رجل ، و أمره أن يأتي هيت (١٢٦) ، فيقطعها ، و أن يغير عليها ، ثم يمضي حتى يأتي الأنبار و المدائن (١٢٧) ، فيوقع بأهلها ، فسار حتى أتى هيت ، فلم يجد بها أحداً ، ثم أتى الأنبار و بها مسلحة لعلي فيها مائة رجل ، فقتلوا منهم ثلاثين ، و احتملوا ما كان في الأنبار من أموال و أموال أهلها ، و رجعوا إلى معاوية .

و في الأغاني (١٢٨) فقص الغامدي (١٢٩) إلى الأنبار ، فقتل عاملاً لعلي ، و قتل رجالاً و نساءً ، فبلغ ذلك علي بن أبي طالب ، فخطب أهل الكوفة ، و قال في خطبته :
 « و تر كتم قولي وراءكم ظهرياً حتى شئت عليكم الغارات ، هذا أخو غامد ، قد جاء

← عساكر ١٨١٥ - ١٨٢ ، و الإصابة ٥٤٢٢ رقم ٣٣٢٣ ، و لم يثبت مارواه من ادراكه صحبة النبي ، و شرح النهج تحقيق محمد أبي الفضل ٨٥٢ .

(١٢٤) أورد هذا ابراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال الثقفي المتوفى (٢٨٠) في كتابه الغارات برواية ابن أبي الحديد عنه ، راجع شرح النهج تحقيق محمد أبي الفضل ج ٥٨٢ - ٩٠ تجد تفصيل الواقعة وخطبة علي ومحاورته مع أهل الكوفة في ذلك هناك .
 (١٢٥) الطبري ٧٨٦ - ٨٠ ؛ و ابن الأثير ج ٣ - ١٥٠٣ .

(١٢٦) « هيت » : بلدة على الفرات من نواحي بغداد فوق الأنبار مجاورة للبرية . ياقوت .

(١٢٧) « الأنبار » : مدينة على الفرات غربي بغداد بينهما عشرة فراسخ ، و « المدائن » كان بها قصور ملوك فرس الأكاسرة ، و بها مدفن الصحابي سلمان و هي تبعد عن بغداد ستة فراسخ . ياقوت .

(١٢٨) الأغاني . ط . ساسي ج ١٥ - ٤٣ .

(١٢٩) في الأغاني ط . ساسي « العامري » و هو تصحيف ، و صحيفه الغامدي كما

أثبتناه نسبة إلى غامد قبيلة من اليمن من أزد شنوءة .

راجع شرح النهج تحقيق محمد أبي الفضل ج ٢ - ٨٥ .

الأخبار ، فقتل عاملها ، وقتل رجالاً كثيراً ونساءً ؛ والله لقد بلغني أنه كان يأتي المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة ، فينزعها حجلها و رعاثها (١٣٠) ، ثم ينصرفون موفورين لم يكلم أحد منهم كلفاً ، فلو أن امرأةً مسلمامات دون هذا أسفاً لم يكن عليه ملوماً ، بل كان به جديراً . . . الخبطة (١٣١).

ج - عبد الله بن مسعدة بن حكمة بن مالك بن بدر الفزاري . سبى طفلاً في سرية زيد بن حارثة إلى بني فزارة بعد أن قتل في المعركة مالك جد أبيه مع ثلاثة عشر من ولده و حفيده : مسعدة والد عبد الله بن مسعدة هذا ، وغيرهم من أفراد أسرته و ربطت أم قيرفة جدة أبيه بين بعيرين و أرسلت حتى انشقت نصفين ، و وهب النبي عبد الله بن مسعدة لابنته فاطمة فأعتقته ، ثم كان عند علي ، ثم صار إلى معاوية ، و كان من أشد الناس على علي ، و عاش حتى غزا المدينة في واقعة الحرّة و جرح في قتال ابن الزبير محاصراً الحرم ، و لم نجد له ذكراً بعد ذلك (١٣٢).

وجه معاوية عبد الله هذا في ألف و سبعمائة ، و أمره أن يصدق من مر به من أهل البوادي ، و أن يقتل من امتنع من عطائه ، ثم يأتي مكة و المدينة و الحجاز (١٣٣).

د - الضحّاك بن قيس القرشي الفهري ، ولد قبل وفاة النبي نحواً من سبع سنين ، له في حروب معاوية بلاءٌ عظيم ، و كان على شرطته . و لاه الكوفة سنة ثلاث و خمسين ، و عزله سنة سبع و خمسين ، و هو الذي ولي دفن معاوية ، و أخبر يزيد

(١٣٠) «رعاث» بكسر الراء جمع رعثة : القرط . و «الكلم» : الجرح .

(١٣١) الخطبة المذكورة بتفصيلها في نهج البلاغة ج ١ ر ٦٣ ، والبيان و التبيين

للجاحظ ج ١ ر ١٧٠ ، و الكامل للمبرد ١ ر ١٣ ، و عيون الاخبار ٢ ر ٢٣٦ ، و العقد الفريد ج ٢ ر ١٦٣ .

(١٣٢) ترجمته باسد الغابة ٣ ر ٢٥٥ ، و الاصابة ٢ ر ٣٥٩ الرقم ٤٩٥٣ ، و نسبة

في جمهرة أنساب العرب ٢٤٥ ، و قصة سرية زيد لبني فزارة في سيرة ابن هشام ٤ ر ٢٩٠ ، و طبقات ابن سعد ٢ ر ٩٠ ، و في ذكر حوادث سنة ست من الهجرة في الطبرى ج ٤ ر ٨٣ ، و اليعقوبي ج ٢ ر ٤٤ ط . بيروت ، و المحبر ٤٩٠ ؛ و امتاع الاسماع ٢٦٩ - ٢٧٠ .

(١٣٣) الطبرى ج ٦ ر ٧٨ ؛ و ابن الاثير ٣ ر ١٥٠ .

بموته ، وكان يزيد يوم ذاك خارج دمشق ، وبايع لابن الزبير بعد معاوية بن يزيد ، وقاتل مروان بمَرَجِ رَاهِطٍ ، فقتل بها منتصف ذي الحجة سنة أربع وستين (١٢٤) .
 قال الطبري (١٣٥) : ووجه الضحّاك بن قيس ، وأمره أن يَمُرَّ بأَسْفَلِ واقصة ، وأن يغير على كلِّ من يمرُّ به ممَّن هو في طاعة عليٍّ من الأعراب ، ووجهه معه ثلاثة آلاف رجل ، فمرَّ على الثعلبيَّة ، وأخذ أمتعتهم ، ومرَّ في القَطْقَطَانة (١٣٦) بعمرو ابن عميس بن مسعود ، وهو يريد الحجَّ ، فأغار على من كان معه ، وحبسه عن المسير .
 وفي كتاب الغارات (١٣٧) : فأقبل الضحّاك ، فنهب الأموال ، وقتل من لقي من الأعراب حتَّى مرَّ بالثعلبيَّة ، فأغار على الحاجِّ ، فأخذ أمتعتهم ، ثمَّ أقبل ، فلقى عمرو ابن عميس بن مسعود الذُّهليَّ ، وهو ابن أخي عبد الله بن مسعود صاحب رسول الله ﷺ ؛ فقتله في طريق الحاجِّ عند القَطْقَطَانة ، وقتل معه ناساً من أصحابه .

هـ - بسَّر بن أرطاة القرشيَّ العامريَّ كان من شيعة معاوية ، وكان مع معاوية بصفين ، فأمره أن يلقى عليّاً في القتال ، وقال له : سمعتك تتمنّي لقاءه ، فلو أنظرَكَ اللهُ به ، وصرعته ؛ حصلت على دنيا و آخرة ، ولم يزل يشجِّعه ؛ ويُمنِّيه ، حتَّى رآه ، فقصده في الحرب ، فالتقيا : فطعنه عليٌّ فصرعه ، فأنكشف له ، فكفَّ عنه كما عرض له ذلك مع عمرو بن العاص . فقال في ذلك الحارث بن النضر السهميَّ :

أفي كلِّ يوم فارسٌ تندبونه	له عورةٌ وسطَ العِجاجةِ بادية
يكفُّ لها عنه عليٌّ سنانه	ويضحك منها في الخلاءِ معاوية

(١٣٤) اسد الغابة ٣٦٣ - ٣٧ ، وتهذيب ابن عساكر ج ٤٧ - ٩ .

(١٣٥) الطبري ٧٨٦ ؛ وابن الاثير ج ٣ - ١٥٠ .

(١٣٦) « واقصة » : منزل بطريق مكة ، و « الثعلبية » من منازل طريق مكة الى الكوفة ، و « القَطْقَطَانة » : موضع قرب الكوفة من جهة البرية بالطف . ياقوت .

(١٣٧) شرح النهج تحقيق محمد أبي الفضل ٢ ر ١١١ - ١١٧ ، و في النهج ج ١ خطبة على الكوفة بهذه المناسبة ، والذي قال فيها : « أي دار بعد داركم تمنعون ؛ ومع أي امام بعدى تقاتلون ؟ » الى قوله : « مالكم ؟ ما دواؤكم ؟ ما طبكم ؟ القوم رجال أمثالكم . . . » الخطبة .

و عورة بسرٍ مثلها حذو حازية
سديلكما لا تلقيا اللّيتَ ثانية
هما كانتا و الله للنفس واقية
و تلك بما فيها عن العودِ ناهية

بدت أميس من عمر و فقتع رأسه
فقولا لعمر و وابن أرطاة : أبصرا
ولا تحمدا إلا الحيا و خصا كما
ولو لاهما لم تنجوا من سنانه
الآيات (١٣٨) و قال الأستر :
أكلُّ يوم رجلٌ شيخٌ شاغرة
تبرزها طعنة كف و اطرة

و عورةٌ وسط العجاجة ظاهرة
عمر و بسرٌ منسيا بالفاقرة (١٣٩)

اختلفوا في أن بسرأ أدرك النبي ، و سمعه أم لا . و قالوا : إنه لم يكن له استقامة
بعد النبي - يعني أنه كان من أهل الردة - و لمّا بلغ علياً فعله بالمسلمين ، و قتله الصبيّين
- كما يأتي - دعا عليه و قال : اللهم أسلب دينه ، و لا تخرجه من الدنيا ، حتّى تسلبه
عقله ، فأصابه ذلك ، و فقد عقله ، و كان يهذي بالسيف ، و يطلبه ، فيؤتى بسيف من خشب ،
و يجعل بين يديه زقٌ منفوخٌ فلا يزال يضربه حتّى يسأم ، و تؤفسي في أيام
معاوية (١٤٠) .

قال الطبري (١٤١) : و في سنة أربعين بعث معاوية بسر بن أبي أرطاة في جيش ،
فسار حتّى دخل المدينة ، و أخاف أهلها ، و بقيّة الأنصار فيها ، و هدم فيها دوراً ، ثمّ سار
حتّى أتى اليمن ، و لقي ثقل عبيد الله بن العباس ، و فيه إبنان له صغيران ، فذبحهما ؛
و قتل في مسيره ذلك جماعة كثيرة من شيعة علي .
و في كتاب الغارات (١٤٢) : بعثه في ثلاثة آلاف ، و قال : سر حتّى تمر بالمدينة ،

(١٣٨) الاستيعاب ٦٤ - ٦٧ ، و صفين ص ٥٢٧ .

(١٣٩) شرح النهج ٢ ر ٣٠١ فيه البيتان ، و الآيات السابقة و « الفارقة » :

الداهية : تكسرفقار الظهر .

(١٤٠) الاغانى ١٥ ر ٤٥ ، و تهذيب ابن عساكر ٣ ر ٢٢٠ - ٢٢٢ .

(١٤١) الطبري ج ٦ ر ٧٨ .

(١٤٢) كتاب الغارات برواية ابن أبي الحديد عنه فى شرح النهج ، تحقيق محمد

أبى الفضل ج ٢ ر ٣ - ١٤ ، و أورد قسماً منها اليعقوبى فى تاريخه ٢ ر ١٤١ .

فاطرُ دِ الناس ، و أخيف من مررت به . و انهب أموال كل من أصبت له مالا ممن لم يكن له دخل في طاعتنا .

و قال : و كانوا إذا وردوا ماء أخذوا إبل أهل ذلك الماء ، فركبوها ، و قادوا خيولهم حتى يردوا الماء الآخر ، فيردون تلك الإبل ، و يركبون إبل هؤلاء ؛ فلم يزل يصنع كذلك حتى قرب إلى المدينة .

و قال : و دخل بئر المدينة ، فخطب الناس ، و شتمهم ، و تهددهم يومئذ ، و توعددهم ، و قال : شامت الوجوه .

و في تهذيب التهذيب : و كان معاوية وجهه إلى اليمن و الحجاز في أول سنة أربعين ، و أمره أن يستقرى من كان في طاعة علي فيوقع بهم ، ففعل بمكة و المدينة أفعالا قبيحة (١٤٣) .

و في تاريخ ابن عساكر : ليستعرض الناس ، فيقتل من كان في طاعة علي ؛ فقتل قوماً من بني كعب على ما نهم في ما بين مكة و المدينة ، و ألقاهم في البئر (١٤٤) .
و في مروج الذهب : (١٤٥) قتل بالمدينة و بين المسجدين خلقاً كثيراً من خزاعة و غيرهم ، و كذلك بالجرف قتل بها خلقاً كثيراً من الأبناء ، و لم يبلغه عن أحد يمالىء علياً أو يهواه إلا قتله .

و في الاغانى : إن معاوية بعث إلى بئر بعد تحكيم الحكيمين ، و علي بن أبي طالب (رض) يومئذ حي ، و بعث معه جيشاً آخر ، و أمر أن يسيروا في البلاد ، فيقتلوا كل من وجدوه من شيعة علي بن أبي طالب و أصحابه ، و أن يغيروا على سائر أعماله ،

(١٤٣) تهذيب التهذيب ١ ر ٤٣٦ .

(١٤٤) ابن عساكر ٣ ر ٢٢٢ ، و ترجمة بني كعب في نهاية الارب للقلقشندي ص ٣٧١

(١٤٥) مروج الذهب بهامش ابن الاثير ٦ ر ٩٣ ، و ترجمة « خزاعة » في نهاية

الارب ص ٢٣٠ ، و في الجمهرة ص ٢٢٨ - ٢٣١ ، و « الجرف » : علي ثلاثة أميال

من المدينة نحو الشام . ياقوت و « الابناء » ثلاثة بطون في العرب .

أ - بطن بنى تيم ، ب - و بطن من قيس عيلان ، ج - و بطن من مضر ؛ راجع نهاية

الارب للقلقشندي ص ١٥٤ .

و يقتلوا أصحابه ، ولا يكفوا أيديهم عن النساء و الصبيان ؛ فمرَّ بسُرِّ لذلك على وجهه حتى انتهى إلى المدينة ، فقتل بها ناساً من أصحاب علي عليه السلام ، وأهل هواه ، و هدم بها دوراً ، و مضى إلى مكة ، فقتل نقرأ من آل أبي لهب ، ثم أتى السراة فقتل بها من أصحابه و أتى نجران ، فقتل عبد الله بن المدان الحارثي ، و ابنه ، و كان من أصحاب بني العباس عامل علي ثم أتى اليمن ، و عليها عبيد الله بن العباس عامل علي ، و كان غائباً . و قيل : بل هرب لما بلغه خبر بسر ، فلم يصادفه بسر ، و وجدَ ابنين له صبيين ، فأخذهما بسر لعنه الله و ذبحهما بيده بمُدية كانت معه ، ثم انكفأ راجعاً إلى معاوية (١٤٦) .

قالوا : فقالت امرأة له : يا هذا قتلت الرجال ! فعلام تقتل هذين ؟ و الله ما كانوا يُقتلون في الجاهلية و الإسلام ، و الله يا ابن أبي أرتاة إن سلطانا لا يقوم إلا بقتل الصبي الصغير ، و الشيخ الكبير ، و نزع الرحمة ، و عقوق الأرحام لسلطان سوء (١٤٧) .
وقالوا : فولت عليهما أمهما ، و كانت لاتعقل ، و لا تصغي إلا لمن يخبرها بقتلها ، و لا تزال تنشدهما في المواسم .

كالدُرِّتين تَشْطِي عنهما الصدفُ	ها من أحسَّ با بني اللذين هما
قلبي وسمعي فقلبي اليوم مُخْتَطَفُ	ها من أحسَّ بابني اللذين هما
مُخَّ العظام فمخي اليوم مُزْدَهَفُ	ها من أحسَّ بابني اللذين هما
على صبيين ذُلًّا إذ غدا السلفُ	من ذُلِّ و الهبة حيرى مُدلِّه
من قولهم و من الإفك الذي اقترفوا	نُبِّئتُ بسراً و ما صدقت مازعموا
من الشفار كذلك إلا ثم يُقترفُ	أحنى على ود جبي ابني مُرهقة

(١٤٦) الاغانى ط . ساسى ١٥ ر ٤٥ و «نجران» فى مخالفيف اليمن و «المخالفيف» واحده «المخلاف» و المخلاف فى اليمن قرى و مزارع متجاورة ، و كل مخالف ينسب الى القبيلة التى تسكنها . ياقوت . فى لغة نجران ، و فيه ذكر لنسب بنى عبدالمدان و فى الجمهرة ص ٣٩١ - ٣٩٢ ، و «عبيدالله بن العباس» ترجمته فى اسدالغابة ج ٣ ر ٣٤٠ و «السراة» ناحية بمكة ، ياقوت .

(١٤٧) ابن الاثير ج ٣ ر ١٥٣ - ١٥٤ ، و فى ابن عساكر ٣ ر ٢٢٤ - ٢٢٥ تقريباً منه ، و الابيات فى الاغانى ١٥ ر ٤٥ ، و الغارات برواية ابن أبى الحديد عنه .

و في الاستيعاب و أسد الغابة (١٤٨) : أغار بسر بن أرطاة على همدان ، و قتل ، و سبى نساءهم ، فكُنَّ أول مسلمات سُبِين في الإسلام ، فأقمن في السوق .
و في كتاب الغارات (١٤٩) : و أتاه وفد مأرب ، فقتلهم ، فلم ينبج منهم إلا رجلٌ واحدٌ ، و رجع إلى قومه ، فقال لهم : « إنني أنعمي قتلانا شيوخاً و شبانا » .
و قال : فندب عليُّ أصحابه لبعث سرية في أثر بسر ، فتشاقلوا ، و أجابه جارية ابن قدامة السعدي فبعثه في ألفين .

و ذكر اليعقوبي : أن علياً عهد لجارية ، و جاء في عهده إليه : « و لا تقاتل إلا من قاتلك ، و لا تجهز على جريح ، و لا تسخرن دابةً ، و إن مشيت و مشى أصحابك ، و لا تستأثر على أهل المياه بمياههم ، و لا تشر بن إلا فضلهم عن طيب نفوسهم ، و لا تشتمن مسلماً ، و لا مسلمةً ، فتوجب على نفسك ما لملك تؤدب غيرك عليه ، و لا تظلمن معاهداً و لا معاهدة » .

و جاء فيه أيضاً « وأسفك الدم في الحق و أحقنه في الحق » .
و قال في كتاب الغارات : فشخص إلى البصرة ، ثم أخذ طريق الحجاز حتى قدم اليمن ، و قال : و بلغ بسراً مسير جارية ، فأنحدر إلى اليمامة ، و أخذ جارية بن قدامة السير ما يلتفت إلى مدينة مرّ بها ، و لأهل حصن ولايعرج على شيء .
و قال : و صمدنحو بسر ، و بسر بين يديه يفر من جهة إلى جهة أخرى حتى أخرجه من أعمال علي .

و قال : و وثب الناس ببسر في طريقه لما انصرف من بين يدي جارية ، لسوء سيرته

(١٤٨) الاستيعاب ج ١ ص ٦٥-٦٦ ، و أسد الغابة ر ١ ص ١٨٠ ، إلى قوله : « سبِين في الإسلام »
& « همدان » : بطن من كهلان من القحطانية ، و ديار همدان باليمن من شرقه و كانت همدان من شيعة علي ، نهاية الارب للقلقشندی ص ٣٩٧ - ٣٩٨ و راجع الجمهرة ص ٣٩٦ - ٣٧٢ .

(١٤٩) برواية شرح النهج تحقيق محمد أبي الفضل ج ٢ ر ١٥ و « مأرب » : بلاد الازد باليمن . ياقوت .

(١٥٠) اليعقوبي ، في تاريخه ج ٢ ر ١٤٣ ، ط بيروت .

و فظاظته وظلمه وغشّة .

وقال : و كان الذي قتل بسر في وجهه ذلك ثلاثين ألفاً ، و حرّق قوماً بالنار ، فقال يزيد بن مفسّر غ . ثم ذكر أبياته التي منها :

إلى حيث سار المرء بسر بجيشه
فقتل بسر ما استطاع و حرّقا
انتهى (١٥١)

و أرسل معاوية غارات أخرى إلى أطراف عليّ من غير ما ذكرناه (١٥٢) ؛ وكانت خيله أبداً تحذر من مواجهة خيل عليّ و حدّه وحديده ، و إنما كانت تغير على الأطراف النائية ، و القرى غير المحصّنة ، أو ما كان له فيها مسلحة صغيرة قليل عدده و إذا تصدّى لهم جيش لعليّ خنسوا عن طريقه .

و كان من الغارات التي التحم فيها الجيشان غارة جيش معاوية على أهل الجزيرة (١٥٣) ، فإن عامل عليّ هناك استنجد بكميل بن زياد (١٥٤) و كان على هيت (١٥٥) ، فسار اليهم كميل في ستمائة فارس ، فقاتلهم و هزّمهم و أكثر القتل في أهل الشام ، و أمر أن لا يُجهّز على جريح ، و لا يتبع مدبر ، و قتل من أصحاب كميل رجالان . و تبع أحد ولاة عليّ الجيش الشامي المتغير فلم يدر كمهم ، فعبر الفرات خلفهم ، و بثّ خيله فأغارت على أهل الشام حتى بلغ نواحي الرقة (١٥٦) فلم يدع للعثمانية هناك ماشية إلا استاقها و لاخيلاً و لاسلاحاً إلا أخذه ، و وجه معاوية إليه جيشاً لم يدر كه ، فإنّه عاد إلى

(١٥١) ترجمة يزيد بن مفرغ في الاغانى ط ٠ ساسى ١٧ ر ٥١ - ٧٢ ، و أورد

الايات في صفحة ٦٩ منه ، و نسب يزيد في الجمهرة ٤٠٩ .

(١٥٢) تجد وصفها في تاريخ ابن الاثير ج ٣ ر ١٥٣ ، و كان ذلك قبل غارات بسر .

(١٥٣) « الجزيرة » : بين دجلة و الفرات تشتمل على ديار مضر و ديار بكر ، بها

مدن جليمة ، و حصون ، و قلاع كثيرة ، و سماها ياقوت بجزيرة أقور .

(١٥٤) كميل بن زياد النخعي كان من شيعة عليّ قتله الحجاج صبراً ، الجمهرة ٣٩٠ .

(١٥٥) « هيت » . بلدة على الفرات من نواحي بغداد . ياقوت .

(١٥٦) « رقة » . بفتحيتين مدينة مشهورة على الفرات معدودة في بلاد الجزيرة .

نصيبين^(١٥٧) سالماً، وكتب إلى عليّ بخبره فكتب إليه عليّ ينهيه عن أخذ أموال الناس إلا الخيل و السلاح الذي يُقاتلون به^(١٥٨).

إن هاتين السياستين المتقابلتين، سياسة عليّ: أن لا يقاتل جيشه إلا من قاتله، ولا يسخرن دابة و إن مشوا، و لا يسخر بون إلا من فضل مياه أهل المياه، و لا يشتمن المسلم، و لا يظلمن المعاهد، و لا يسفكن الدم إلا في الحق؛ و نهيه أن لا يأخذوا من أموال الناس إلا الخيل و السلاح الذي يُقاتلون به^(١٥٩).

و سياسة معاوية: أن يقتل جيشه من لقيه ممن ليس على رأيه، و يخربوا كل ما مروا به من القرى، و يخربوا الأموال^(١٦٠)، و ينهبوا أموال كل من أصابوا له مالا ممن لم يكن دخل في طاعة معاوية، و يستعرضوا الناس، و يقتلوا من كان في طاعة عليّ، و لا يكفوا أيديهم عن النساء و الصبيان.

كان لا بد لإحدى هاتين السياستين: السياسة التي تأمر بسلب أموال الناس أن تغلب التي تنهى عنها. ولذلك كان أهل العراق يتناقلون عن تلبية نداء عليّ، و أهل الشام يبادرون إلى نداء معاوية، و لو سمح عليّ لأهل العراق ما أمر به معاوية أهل الشام، لضيعوا على معاوية سياسته و دهاه؛ ولكن عليّاً كان يقول: «أما و الله إنني لعالم بما يصلحكم ولكن في ذلك فسادى»^(١٦١).

حارب معاوية عليّاً باسم الطالب بدم عثمان، و لكن، هل كانت هذه القرى المسلمة الآمنة من العراق إلى الحجاز حتى اليمن مشاركة في دم عثمان؟ و هل إن عشرات الألوف من القتلى الذين أبادتهم غارات معاوية أهلكوا في سبيل الطلب بدم عثمان؟ و هل إن المسببات من المسلمات و القتلى من الأطفال الصغار، كان عليهم و عليهم

(١٥٧) «نصيبين»: مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل

الى الشام، بينها و بين الموصل ستة ايام. ياقوت.

(١٥٨) ابن الاثير ٣ ر ١٥٢ - ١٥٣.

(١٥٩) راجع قبله وصايا علي و معاوية لجيشهما في الغارات المذكورة آنفا.

(١٦٠) «حرب الرجل»: سلب ماله و تركه بلا شيء، فالرجل «حريب».

(١٦١) اليعقوبى ج ٢ ر ١٤٢.

وزر دم عثمان؟ كلاً! ولكن معاوية كان يبتغي الملك، وكان الغاية - لديه - تبرر
الواسطة.

هذا معاوية في عصر عليّ. ولما قتل عليّ بسيف ابن ملجم، وبايع المسلمون
الحسن، كتب إلى معاوية يطلب منه البيعة، فأبى عليه، ثم سار معاوية بجيوشه نحو العراق
فخرج الحسن في جيوشه، وساق أمامه ابن عمه عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب
في اثني عشر ألفاً من فرسان العرب، وقرء الكوفة، و آزره بقيس بن سعد بن عباد،
ولما لقي عبيد الله بن العباس معاوية، ووقف بأزائه. جرت بعض المناوشات بين الجيشين،
ثم احتمال معاوية على عبيد الله، وأرسل إليه في الليل قائلاً له: إن الحسن قد راسلني
في الصلح، فان دخلت في طاعتي الآن كنت متبوعاً، و إلا دخلت و أنت تابع، و لك
إن جئتني الآن أن أعطيك ألف ألف درهم، يعجل في هذا الوقت النصف، وإذا دخلت
الكوفة النصف الآخر، فانسَلَّ عبيد الله ليلاً، فدخل عسكر معاوية (١٦٢).

و دس معاوية إلى عمرو بن حريث، و الأشعث بن قيس، و إلى حجاج بن أبجر،
و شبت بن ربعي^(١٦٣) دسيساً: أفرد كل واحد منهم بعين من عيونهم إنك إن قتلت الحسن

(١٦٢) ان ما أوردته في قصة بيعة الحسن الى هنا ملخصة من مقاتل الطالبين

ص ٥٠ - ٦٥.

(١٦٣) كان يجمع هؤلاء كرههم لاهل البيت، و قد اشتركوا مع الجيش الذي
قاتل الحسين بن علي بالطف ما عدا الاشعث الذي كان مات قبل ذلك و هذه تراجمهم
باختصار:

أ - أبوسعيد عمرو بن حريث بن عمر و القرشي المخزومي، توفي النبي و هو
صغير؛ سكن الكوفة و هو أول قرشي ابنتي بها داراً. و ولي لبني امية الكوفة، و كانوا
يميلون اليه، و يتقون به. مات سنة خمس وثمانين، اسد الغابة ٤ ر ٩٧ - ٩٨.

ب - الاشعث بن قيس الكندي وفد مع قومه الى النبي سنة عشر من الهجرة و ارتد
بعد النبي فاسر و جيء به الى المدينة فقال لابي بكر: استبقني لحربك و زوجني أختك
ففعل. و شهد مع علي صفين و أزم علياً بالتحكيم. مات بعد سنة أربعين بالكوفة اسد
الغابة ١ ر ٩٨.

ج - حجاج بن أبجر العجلي. مات أبوه نصرانياً بالكوفة، نسبة في طبقات ابن سعد

ابن عليّ ، فلك مائة ألف درهم ، و جند من أجناد الشام ، و بنت من بناتي ، فبلغ الحسن فاستلأم ، و لبس درعاً و كَفَرَهَا ، و كان يحترز ، و لا يتقدّم للصلاة بهم إلا كذلك ، فرماه أحدهم في الصلاة بسهم ، فلم يثبت فيه لما عليه من اللامة . . . (الحديث . (١٦٤))
 و قال اليعقوبي : (١٦٥) كان معاوية يدسُّ إلى عسكر الحسن ، من يتحدث أن قيس بن سعد قد صالح معاوية ، و صار معه ، و وجهه إلى عسكر قيس ، من يتحدث أن الحسن قد صالح معاوية و أجابه ، و وجهه معاوية إلى الحسن المغيرة بن شعبة ، و عبد الله ابن عامر بن كرز ، و عبد الرحمن بن أم الحكم ، و افوه و هو بالمدائن نازل في مضاربه ثم خرجوا من عنده ، و هم يقولون ، و يسمعون الناس : إن الله قد حقن با بن رسول الله الدماء ، و سَكَنَ به القتنة ، و أجاب إلى الصلح ، فاضطرب العسكر ، و لم يشكك الناس في حديثهم ، فوثبوا بالحسن ، فانتهبوا مضاربه و ما فيها ، فركب الحسن ^(عليه السلام) فرساً له ، و مضى في مظالم سابط و قد كمن له الجراح بن سنان الأسدي فجرحه بمغول في

← د - أبو عبدالقدوس ، شبت بن ربيع التميمي ، كان مع المتنبي سجاح ، ثم أسلم ، ثم سار مع الخوارج ، ثم تاب ، و عمر الى ما بعد المختار ، الجمهرة ص ٢١٦ و ابن سعد ٦ ر ٢١٦ .

(١٦٤) البحار ج ١٠ ر ١٠٧ عن علل الشرايع . و كفر الشيء : ستره .

(١٦٥) اليعقوبي ٢ ر ١٥٦ و تفصيل قصة جرح فخذ الحسن في مقاتل الطالبيين

ص ٦٣ - ٦٤ و عبدالرحمن هو : -

عبدالرحمن بن عبدالله الثقفي ، ينسب الى أمه أم الحكم أخت معاوية بن أبي سفيان . و لاه خاله الكوفة سنة سبع و خمسين فأساء السيرة فيهم ، فطردوه فلحق بخاله معاوية ، فقال له : اوليك خيراً منها مصر ، فتوجه اليها فتلقاها أهل مصر على مرحلتين منها ، فردوه منها ، و تفصيل القصة بترجمته في اسد الغابة ٣ ر ٢٨٧ - ٢٨٨ و توفي أيام عبدالملك ابن مروان ، نسبه في الجمهرة ٢٥٤ .

و سبق ذكر ترجمة عبدالله ، و المغيرة .

و « مظلم سابط » : موضع قرب المدائن و « المغول » : نصل طويل . سوط

في جوفه سيف دقيق .

فخذه و حمل الحسن إلى المدائن و قد نَزَفَ نَزْفًا شَدِيدًا ، و اشدَّت به العلة فافترق عنه الناس .

و قال الطبري^(١٦٦) بايع الناس الحسن بن علي^{عليه السلام} بالخلافة ، ثمَّ خرج بالناس حتَّى نزل بالمدائن - إلى قوله - فبينما الحسن في المدائن إذ نادى منادٍ في العسكر : ألا إنَّ قيس بن سعد قد قتل فانفروا ؛ فانفروا ، و نهبوا سرادق الحسن حتَّى نازعوه بساطاً كان تحته .

و في رواية - و عولجت خلاخيل أمهات أولاده -^(١٦٧) ؛ و قال الطبري^(١٦٨) لم يلبث الحسن بعد ما بايعوه إلا قليلاً حتَّى طعن طعنة أشوته فازداد لهم بغضاً و ازداد منهم زعراً . قال أبو الفرج : و بعث معاوية إلى الحسن للصلح و شرطاً ألا يتبع أحدٌ بما مضى ، و لا ينال من شيعة علي^{عليه السلام} بمكروه ، و لا يذكر علياً إلا بخير ، و أشياء اشترطها الحسن .

ثمَّ دخل معاوية الكوفة ، و خطبهم فقال :

إني و الله ما قاتلتكم لتصلوا ، و لا لتصوموا ، و لا لتتجسبوا ، و لا لتزكوا ، إنكم لتفعلون ذلك ، و إنَّما قاتلتكم لأتأمّر عليكم ، و قد أعطاني الله ذلك و أنتم كارهون^(١٦٩) .
و قال : ألا إن كلَّ شيء أعطيته الحسن فتحت قدمي هاتين^(١٧٠) .

معاوية في بادئ عهد

صفا الجوّ لمعاوية بعد قتل علي^{عليه السلام} ، و تسليم الحسن الأمر إليه ، غير أنَّ البلاد الإسلاميّة في الجزيرة العربيّة كانت قد ضعفتها غارات جيش معاوية عليها ، و قلوب الناس تغلي عليه كالمرجل بما قتل من رجالها في صفين ، و ما بعد صفين ، باسم الطلب بدم عثمان ؛ فاتّبع معاوية سياسة المداراة ، و المهادنة مع أعدائه في الخارج .

(١٦٦) الطبري ٦ ر ٩٢ .

(١٦٧) في البحار ١٠ ر ١١٦ يرويه عن ابن أبي الحديد .

(١٦٨) الطبري ٦ ر ٩٣ .

(١٦٩) مقاتل الطالبين ص ٧٠ ، و ابن كثير ٨ ر ١٣١ ، و اللفظ للاول ، و ابن

أبي الحديد ج ٤ ر ١٦ .

(١٧٠) مقاتل الطالبين ص ٦٩ ، و ابن أبي الحديد ج ٤ ر ١٦ .

قال اليعقوبي (١٧١) : ورجع معاوية إلى الشام سنة إحدى وأربعين ؛ وبلغه أن طاغية الروم قد زحف في جموع كثيرة ، وخلق عظيم ، فخاف أن يشغله عما يحتاج إلى تدبيره ، وإحكامه ، فوجه إليه ، فصالحه على مائة ألف دينار .
و في داخل البلاد الإسلامية اتبع سياسة اللين لتثبيت أساس ملكه : حتى أنه قيل فيه : إن معاوية عمل سنتين ، عمل عمر ما يخرم فيه ، ثم بعد عن ذلك (١٧٢) .

ونسى معاوية بعد أن استولى على الملك دم عثمان ، والطلب بثاره .
قال ابن عبد ربّه (١٧٣) : قدم معاوية المدينة بعد عام الجماعة ، فدخل دار عثمان ابن عفان ، فصاحت عائشة ابنة عثمان ، وبكت ، و نارت أباهما - : و اعثماناه ! تحرض بذلك معاوية على القيام بطلب ثاره .

فقال معاوية : يا ابنة أخي إن الناس أعطونا طاعة و أعطيناهم أماناً ، و أظهرنا لهم حلماً تحته غضبٌ ، و أظهروا لنا ذلاً تحته حقد ، و مع كل إنسان سيفه ؛ و يرى موضع أصحابه ، فان نكثنا بهم نكثوا بنا ، و لاندري أعلينا تكون الدائرة أم لنا ؛ و لمن تكوني ابنة عم أمير المؤمنين خيرٌ من أن تكوني امرأة من عرض الناس .

و أصدق العطاء على الرؤساء ، فمالوا إليه ، قال الطبري (١٧٤) : إن الحتات بن يزيد المَجاشعي وفد على معاوية في جماعة من الرؤساء ؛ فأعطى كلاً منهم مائة ألف ، و أعطى الحتات سبعين ألفاً ؛ فلمّا رجعوا ، و كانوا ببعض الطريق ، أخبر بعضهم بعضاً بجائزته ، فرجع الحتات إلى معاوية يعاتبه ؛ فقال له فيما قال : ما بالك خسست بي دون القوم ؟ فقال : اشتريت من القوم دينهم ، و وكلتكم إلى دينك ، و رأيك في عثمان ؛ فقال : و أنا

(١٧١) اليعقوبي ٢ ر ٢١٧ .

(١٧٢) ابن كثير ٨ ر ١٣١ .

(١٧٣) في العقد الفريد ط . مصر ٣١ هـ ج ٣ ر ١٢٦ ؛ و في تاريخ ابن كثير ج ٨ ر ١٣٢ مع تغيير و زيادة و فيها : (ان الناس قد اعطونا سلطانتنا فاطهرنا لهم حلماً تحته غضب . . . فبعناهم هذا بهذا و باعونا هذا بهذا . . .) الحديث في البيان والتبيين ٢ ر ١٨٢ .

(١٧٤) اوردها ملخصة من الطبري ٦ ر ١٣٥ ، و ابن الاثير ٣ ر ٢٠١ .

فاشتر منّي ديني؛ فأمر له بتمام جائزته .

و صانع الرجال ذوي الدّهاء و الخطر ، فولّى المغيرة بن شعبة الكوفة بعد أن كان قد أعطى مصر طعمة لعمر و بن العاص مدّة حياته ؛ وبقي زياد بن عبيد شوكة إلى جنبه ، فأقضى أمره مضجعه^(١٧٥) فعالجه علاج امرئ حازم في دنياه غير آبه لدينه حين استلحقه بنسبه ؛ و وافق ذلك هوى في نفس زياد فرغب في ذلك أشدّ الرغبة بما نقل نسبه من ثقيف إلى قريش ، و من عبيد إلى أبي سفيان ، فأصبح أخاً لخليفة المسلمين بعد أن كان امرأاً وضيع النسب خسيس الحساب .

و قصّة الاستلحاق على ما ذكره المسعودي ، و ابن الأثير وغيرهما^(١٧٦) هي أنّ سمية كانت جارية للحرث بن كلدة الطيب الشقي و كانت من البغايا ذوات الرايات بالطائف ؛ و تؤدّي الضريبة إلى الحرث بن كلدة ؛ و كانت تنزل في حارة البغايا خارجاً عن الحضر ؛ و كان الحرث قد زوجها من غلام رومي له اسمه عبيد ؛ و نزل أبو سفيان في أحد أسفاره في الجاهلية إلى الطائف على خمّار يقال له : أبو مريم السلولي ، فقال له : قد اشتهيت النساء فالتمس لي بغياً ؛ فقال له : هل لك في سمية ؟ فقال : هاتها على طول ثديها ، و ذفر بطنها ، فأتاها ، فوقع عليها ، فعلمت بزياد ، ثمّ وضعته سنة إحدى من الهجرة . و ذكروا في سبب استلحاق معاوية زياداً إلى نسبه : أنّ عليّاً لمّا ولي الخلافة استعمل زياداً على فارس ، فضبّطها وحمى قلاعها ؛ فساء معاوية ذلك ، فكاتب إليه يتهدّده ، ويتعرّض له بولادة أبي سفيان ، و لمّا قتل عليّ ، و صالح الحسن معاوية خاف معاوية منه ، فأرسل إلى المغيرة و قال له : ذكرت زياداً واعتصامه بفارس ، و هو داهية العرب و معه الأموال ، و قد تحصّن بأرض فارس و قلاعها يدبّر الأمور . فما يؤمنني أن يبايع لرجل من أهل

(١٧٥) اخبار زياد و الحجاج في العقد الفريد ج ٣ ر ٢٣٩ .

(١٧٦) قصة استلحاق زياد بترجمته في الاستيعاب ؛ و ابن عساكر ٥ ر ٤٠٩ ، و أسد

الغابة ؛ و الاصابة ، و في ذكر أيام معاوية و سيرته من مروج الذهب ٢ ر ٥٤ ؛ و اليعقوبي ٢ ر ١٩٥ ؛ و ابن كثير ٨ ر ٢٨ ؛ و ابوالفداء ص ١٩٤ ؛ و في حوادث سنة ٤٤ عند ابن الاثير ج ٣ ر ١٩٢ بتفصيل واف ؛ و لمح إليه الطبري في ج ٤ ر ٢٥٩ ؛ و بعض أخباره بترجمة يزيد بن المفرغ الشاعر من الاغانى ط . ساسى ج ١٧ ر ٥١ - ٧٣ .

هذا البيت ، فاذا هو قد أعادها جَدَّة ، فذهب إليه المغيرة ، و قال له : إن هذا الأمر لا يمدُّ إليه أحديداً إلا الحسن بن علي ، و قد بايع لمعاوية ، فخذها لنفسك قبل التوطين ؛ قال زياد : فأشّر علي ، قال : أرى أن تنتقل أصلك إلى أصله ، و تصل حبلك بحبله ، و تعير الناس أذنأ صمّاء ، فقال زياد : يا ابن شعبة ! أغرس عوداً في غير منبته ، ثم إن زياد أعزم علي قبول الدعوى ، و أخذ برأي ابن شعبة ، ثم وفد إلى معاوية ، فأرسلت إليه جويرية بنت أبي سفيان عن أمر أخيها معاوية ، فلمّا أتتها كشفت عن شعرها بين يديه ، و قالت : أنت أخي ، أخبرني بذلك أبو مريم ، ثم أخرجه معاوية إلى المسجد و جمع الناس و حضر من يشهد لزياد و كان فيمن حضر أبو مريم السدولي ، فقال له معاوية : بم تشهد يا أبا مريم ؟ فقال أبو مريم : أنا أشهد أن أبا سفيان قدم علينا بالطائف و أنا خمار في الجاهليّة ، فقال ابغني بغيّاً فقلت له : ليس عندي إلا جارية الحرث بن كلدة سمّية ، فقال : ائمني بها علي قدرها و ذفرها ، فقال له زياد : مهلاً يا أبا مريم انما بعثت شاهداً ، و لم تبعث شاتماً ، فقال أبو مريم : لو كنتم أعقيتموني لكان أحب إلي ، و إنّما شهدت بما عاينت و رأيت ، و الله لقد اخذ بكم درعها ، و أغلقت الباب عليهما ، و قعدت دهشانا ، فلم ألبت أن خرج عليّ يمسح جبينه ، فقلت : مه يا أبا سفيان ؟ فقال : ما أصبت مثلها يا أبا مريم لولا استرخاء من ثديها ، و ذفر من فيها ، فقام زياد فقال : أيّها الناس ! هذا الشاهد قد ذكر ما سمعتم ، و لست أدري حقّ ذلك من باطله ؛ و إنّما كان عبيد و الداء مبروراً ، أو ولياً مشكوراً ، و الشهود أعلم بما قالوا ؛ فقام يونس بن عبيد بن أسد بن علاج الثقفي أخو صفية مولاة سمّية ، فقال : يا معاوية ! قضى رسول الله ﷺ أن الولد للفراش ، و للعاهر الحجر ؛ و قضيت أنت أن الولد للعاهر ، و أن الحجر للفراش مخالفةً لكتاب الله تعالى ، و انصرفاً عن سنة رسول الله ﷺ بشهادة أبي مريم عليّ زنا أبي سفيان ، فقال معاوية : و الله يا يونس لتنتهين أو لأطيرن بك طيرة بطيماً و وقوعها ، فقال يونس : و هل إلا إلى الله ، ثم أقع قال : نعم و استغفر الله ، و قال عبد الرحمن بن الحكم :

مُغلغلةً عن الرجل اليماني

و ترضى أن يقال أبوك زاني

ألا أبلغ معاوية بن حرب

أتعضب أن يقال أبوك عفت

فأشهد أنَّ رحمك من زياد كرحم الفيل من وُلد الأتان
قال ابن الاثير: وكان استلحاقه أوّل ما رُدّت به أحكام الشريعة علانية، فإنَّ رسول
الله ﷺ قضى بالولد للفراش، وللعاهر بالحجر (١٧٧)؛

شرى معاوية: دهاة الرجال في عصره بالإمرة، والمال، والإستلحاق بالنسب؛
وصانع الرؤساء؛ وداهن أعداءه؛ وبذل وافر المال؛ وتظاهر بالحلم والإغضاء عن خصومه
أجمعين حتّى إذا اتّسق له الأمر؛ وتمّ له الملك أظهر دخيلة نفسه؛ وجعل الخلافة
ملكاً عضواً. فأمر بأن يُصطفى له الصفراء والبيضاء، فلا تقسم بين الناس ذهب ولا
فضة (١٧٨)؛ واستصطفى لنفسه ما كان لكسرى وآل كسرى من الصوافي في أرض الكوفة
وسوادها. فبلغت جبايته خمسين ألف ألف درهم من أرض الكوفة وسوادها.

وكتب إلى عبد الرحمن بن أبي بكره بمثل ذلك في أرض البصرة، وأمرهم أن
يحملوا إليه هدايا النيروز والمهرجان، فكان يحمل إليه في النيروز وغيره والمهرجان
عشرة آلاف ألف (١٧٩).

وفعل معاوية بالشام والجزيرة: واليمن مثل ما فعل بالعراق من استصفاء ما
كان للملوك من الضياع؛ وتصييرها لنفسه خالصة، وأقطعها أهل بيته وخاصته. وكان
أوّل من كانت له الصوافي في جميع الدنيا، حتّى بمكة والمدينة، فإنه كان فيهما شيء.

(١٧٧) نقلتها ملخصة من مروج الذهب في ذكره لمع من أخبار معاوية والكامل لابن
الاثير في ذكره حوادث سنة اربع و اربعين هجرية، و انساب الاشراف ج ١؛ ومن أراد
المزيد فليراجع قصة استلحقاق زياد من كتاب عبدالله بن سبا - المدخل - .

(١٧٨) بترجمة الصحابي الحكم بن عمر و الغفاري من طبقات ابن سعد ٧ ر ٢٨؛
و الاستيعاب ج ١ ر ١١٧؛ والطبرى ٦ ر ١٤١؛ و ابن الاثير ٣ ر ٢٠٢؛ و النبلاء
٢ ر ٣٤٠، و لفظه: كتب زياد: ان أمير المؤمنين أمر أن تصطفى له الصفراء والبيضاء،
فكتب اليه انى وجدت كتاب الله قبل كتاب امير المؤمنين وأمر منا ديفاندى: أن اغدو على
فيئكم. فقسمه بينهم فوجه معاوية من قيده وحبسه. فمات فدفن في قيوده وقال: انى مخاصم.

(١٧٩) اليعقوبى ط. دار بيروت ج ٢ ر ٢١٨.

يحمل في كل سنة من أوساق التمر و الحنطة (١٨٠) واطع فدكا مروان خاصة (١٨١) .
ثم شدّد النكير على من ناوأه ؛ و لما صار إلى المدينة أتاه جماعة من بني هاشم ،
و كلموه في أمورهم ، فقال : أما ترضون يا بني هاشم ! أن نقرّكم على دمائكم و قد قتلتم
عثمان ؟ حتّى تقولوا ما تقولون ! فوالله لأنتم أحلّ دماً من كذا و كذا ؛ و أعظم في
القول فقال له ابن عباس : كلّ ما قلت لنا يا معاوية من شرّ بين دفتيك ، أنت و الله أولى
بذلك منّا ، أنت قتلت عثمان ، ثمّ قتت تغمص على الناس أنك تطلب بدمه ، فانكسر
معاوية . . . الحديث . ثمّ كلمه الأ نصار ، فاغلظ لهم في القول ، و قال لهم : ما فعلت
نواضحكم ؟ قالوا : أفنيناها يوم بدر لما قتلنا أخاك و جدك و خالك ؛ و لكننا نعمل
ما أوصانا به رسول الله . قال : ما أوصاكم به ؟ قالوا : أوصانا بالصبر . قال : فاصبروا .
ثمّ أدلج معاوية إلى الشام ولم يقض لهم حاجة (١٨٢) .

و أمر معاوية بمنبر النبي ﷺ أن يحمل من المدينة إلى الشام و قال : لا يترك
هو و عصا النبي بالمدينة ، وهم قتلة عثمان ، و طلب العصا ؛ و حرّك المنبر فكسفت الشمس
فتر كهما . و قيل : إن الصحابة منعه عن ذلك (١٨٣) .

و كان أشدّ الناس بلاه يومذاك شيعة عليّ خاصة ؛ فقد كان أمر ولاته بلعن عليّ على
المنابر ، و قال للمغيرة بن شعبة : لما ولّاه الكوفة سنة إحدى و أربعين : قد أردت إيصاءك
بأشياء كثيرة أنا تاركها اعتماداً على بصرك ؛ و لست تاركاً إيصاءك بخصلة ؛ لا تترك شتم
عليّ و زممه ، و الترحم على عثمان ، و الاستغفار له ، و العيب لأصحاب عليّ و الإقصاء
لهم ، و الإطراء لشيعة عثمان ، و الإيدناء لهم ، فأقام المغيرة عاملاً على الكوفة لا يدع
شتم عليّ ، و الوقوع فيه ؛ و الدعاء لعثمان ، و الاستغفار له ؛ و كان حجر بن عدي يردّ
عليه ؛ ثمّ توفي المغيرة ، و ولي زياد مكانه ، فوقع بينه و بين حجر ما وقع مع المغيرة ؛

(١٨٠) المصدر السابق ص ٢٣٤ و (الوسق) بفتح أوله و ثانيه ستون صاعاً أو حمل بعير .

(١٨١) المصدر السابق ص ٣٠٥ .

(١٨٢) (اليقوي ط . دار بيروت ٢٢٣٢ و النواضح ، مفرداتها الناضح : البعير يستقى عليه

(١٨٣) ابن الاثير ٣ ر ١٩٩ و مروج الذهب . ط . السعادة ج ٣ ر ٣٥ .

و في رواية أن زياداً أطال يوماً الخطبة ، وأخّر الصلاة ، فخشي حجر أن تفوت الصلاة ، فنادى : الصلاة ، فاستمرّ زياد في خطبته ، فنادى حجر : الصلاة ؛ إلى ثلاث مرّات ؛ فضرب حجر يده إلى كفّ من الحصى في وجه زياد ؛ و ثار إلى الصلاة ، و ثار الناس معه إلى الصلاة ؛ فقطع زياد خطبته ، وصلى بهم ، ثم أمر الشرط أن يأتوا به ، فمنعه قومه وأخفوه ، حتى استأنوا له على أن يرسله إلى معاوية ، فأجابهم إلى ذلك ، فسجنه و أحد عشر من أصحابه ، ثم كتب عليه شهادة أنه شتم الخليفة ، و دعا إلى حربه ، و أخرج عامله . . . و شهد عليه بعضهم في الكتاب ؛ و كتب في الشهود اسم شريح بن هانئ ، ثم أرسلهم مع الكتاب إلى معاوية ، فلحق بهم شريح ، و أرسل معهم كتاباً إلى معاوية ؛ فلمّا بلغوا إلى معاوية قرأ الشهادة على حجر ، و قرأ كتاب شريح ، فإذا فيه : بلغني أن زياداً كتب شهادتي ، وإن شهادتي على حجر أنه يقيم الصلاة ، ويؤتي الزكاة ، و يدين الحجّ والعمرة ، و يأمر بالمعروف ، و ينهى عن المنكر ، حرام الدم و المال ، فإن شئت فاقتله ؛ و إن شئت فدعه . فقال معاوية : أما هذا فقد أخرج نفسه من شهادتكم ، و حبس القوم بمرج عنداء (١٨٤) ، و شفع خواصّ معاوية في بعضهم فأطلقهم ؛ و بعث إلى من بقي منهم يعرض عليهم البراءة من عليّ ، و اللعن له و إلاّ قتلهم ؛ فقالوا : لسنا فإليّ ذلك ؛ فحفروا لهم القبور ، و أحضرت الأكفان ؛ و قام حجر و أصحابه يصلّون عامّة الليل ، فلمّا كان الغد قد موهم ليقتلوهم ، فقال لهم حجر : أتركوني أتوضأ وأصليّ ، فأنيّ ما توضّأت إلاّ صلّيت ؛ فتركوه فصلّى ، ثمّ انصرف منها و قال : و الله ما صلّيت صلاة قطّ أخفّ منها ، ولو لأن تظنّوا في جزعاً من الموت لاستكثرت منها ، ثمّ قال : اللهمّ إنّنا نستعديك على أمّتنا . . . أما و الله لأن قتلتهموني بها فأنيّ لأوّل المسلمين كبّر في نواحيها (١٨٥) ، و أوّل فارس من المسلمين هلك في واديها . . . ثمّ مشى إليه قاتله بالسيف ، فارتعد ، فقالوا له : زعمت أنك لا تجزع من الموت ، فأبرأ من صاحبك ، و ندعك ، فقال : و مالي لأجزع ! و أرى قبراً محفوراً ، و كفنّاً منشوراً ، و سيفاً مشهوراً ، و إنّي و الله إن جزعت من القتل لا أقول ما يستخط

(١٨٤) مرج عنداء : حوالى دمشق .

(١٨٥) قد ذكر ابن كثير بترجمة حجر من اسد الغابة : أنه قالها أول ما قدم مرج عنداء .

الربّ؛ فقتلوه و قتلوا ستة معه ، و قال اثنان منهما : ابعثوا بنا إلى أمير المؤمنين ، فإننا نقول في هذا الرجل مقالته ، فأذن لهما معاوية ؛ فقال لأحدهما : أتبرأ من دين عليّ الذي يدين الله به ؟ فسكت ، فشفعوا فيه ، فأطلق سراحه ، ونفاه إلى الموصل ؛ و أمّا الآخر ، فقال له معاوية : يا أخا ربيعة ! ما تقول في عليّ ؟ قال : دعني و لا تسألني فهو خير لك ! قال : و الله لا أدعك ، قال : اشهد أنّه كان من الذاكرين لله تعالى كثيراً ، و من الأمرين بالحقّ ، و القائمين بالقسط ، و العافين عن الناس ، قال : فما قولك في عثمان ؟ قال : هو أوّل من فتح أبواب الظلم ، و أغلق أبواب الحقّ ، قال : قتلت نفسك ! قال : بل أياك قتلت ، و لاربيعة بالوادي ، يعني ليشفعوا فيه . فردّه معاوية إلى زياد ، و أمره ان يقتله شرّ قتلة فدّفنه حيناً (١٨٦) .

و في الاستيعاب (١٨٧) : ان حجراً قال لمن حضره من أهله : لا تنزعوا عني حديداً ، و لا تغسلوا عني دماً ، فإنني ملاق معاوية على الجادة .

قتل معاوية كثيراً من شيعة عليّ من أشباه حجر و عذّب . و ذلك حنقاً منه عليهم ، و توطيداً ملكه ، و في سبيل تشييد ملكه لم يرتدع معاوية عن أيّ منكر يفعله مع أعدائه ، أو أوليائه ؛ و قد انصرف في أوّل عهده إلى توطيد أساس ملكه . و من بعده إلى توريثه لعقبه .

توريث السلطة

إنّ معاوية لما تمّ الأمر له أراد أن يجعله وراثته في عقبه فأخذ يدبّر الأمر لذلك قال ابن عبد ربّه (١٨٨) : « و لم يزل يروّض الناس لبيعته - أي بيعة يزيد - سبع سنين .

(١٨٦) أوردتها ملخصة من الطبري ج ٦ ر ١٥٥ - ١٦٠ ؛ في ذكره حوادث سنة احدى و خمسين ؛ و ابن الاثير كذلك ج ٣ ر ٢٠٢ - ٢٠٩ ؛ و راجع الاغانى ١٦ ر ١٠ و ابن عساكر ج ٢ ر ٣٧٩ .

(١٨٧) في الترجمة ٥٤٨ من الاستيعاب ؛ و اسد الغابة ١ ر ٣٨٥ - ٣٨٦ ؛ و هو حجر بن عدى الادبر الكندى الملقب بحجر النخير ؛ و كان من فضلاء الصحابة و فد إلى النبي ، و شهد القادسية .

(١٨٨) العقد الفريد في تاريخ الخلفاء ج ٣ ر ١٢٩ ط . الجمالية .

يشاور ويعطي الأقارب و يداني الأبعد ، و كان شأنه في ذلك شأنه في تشييد الملك لنفسه في بادئ أمره . ففي كلتا الحالين كان بغري بالإمرة و المال ، وإن أعيته الحيلة لم يتورع عن أي شيء حتى القتل و الإغتيال .

بيعة يزيد في الكوفة

قال ابن الاثير (١٨٩) : وكان ابتداء بيعة يزيد و أوله من المغيرة بن شعبة ، فإن معاوية أراد أن يعزله عن الكوفة ، و يستعمل عوضه سعيد بن العاص ، فبلغه ذلك ، فسار إلى معاوية ، و قال لأصحابه : إن لم أكسبكم ولاية و إمارة لأفعل ذلك أبداً ، و مضى حتى دخل على يزيد و قال له : قد ذهب أعيان أصحاب النبي ﷺ ، و كبراء قريش ، و ذو و أسنانهم ، و إنما بقي أبناؤهم ، و أنت من أفضلهم ، و أحسنهم رأياً ، و أعلمهم بالسنة و السياسة ، و لا أدري ما يمنع أمير المؤمنين أن يعقد لك البيعة ؛ قال : أو ترى ذلك يتم ؟ قال : نعم . فأخبر يزيد أباه ، فأحضر المغيرة ، و استخبره ؛ فقال المغيرة : قد رأيت ما كان من سفك الدماء و الإختلاف بعد عثمان ، و في يزيد منك خلف فاعقد له ، فإن حدث بك حادث كان كهفاً للناس ، و خلفاً منك ، و لا تسفك دماء ، و لا تكون فتنة ؛ قال : و من لي بهذا ؟ قال : أ كفيك أهل الكوفة ، و يكفيك زياد أهل البصرة ، و ليس بعد هذين المصرين أحد يخالفك ؛ قال : فارجع إلى عمك و تحدث مع من تثق إليه في ذلك ، و ترى و ترى ؛ فرجع إلى أصحابه ، و قال : لقد وضعت رجل معاوية في غرز بعيد الغاية على أمة محمد ، و فتقت عليهم فتقلاً يرتق أبداً ؛ ثم رجع المغيرة إلى الكوفة ، و أوفد مع ابنه موسى عشرة ممن يثق بهم من شيعة بني أمية ، و أعطاهم ثلاثين ألف درهم ، فقدموا عليه ، و زينوا له بيعة يزيد ، فقال معاوية : لا تعجلوا بذنا ، و كونوا على رأيكم ؛ ثم قال لموسى سرّاً : بكم اشتري أبوك من هؤلاء دينهم ؟ قال : بثلاثين ألفاً ، قال : لقدهان عليهم دينهم !

زياد في بيعة يزيد

و كتب معاوية إلى زياد و هو بالبصرة : أن المغيرة قد دعا أهل الكوفة إلى البيعة

(١٨٩) في حوادث سنة ست و خمسين من ابن الاثير ج ٣ ر ٢١٤ - ٢١٥ ؛ و الطبري

ليزيد بولاية العهد بعدي، وليس المغيرة بأحقّ بابن أخيك منك، فإذا وصل إليك كتابي فادع الناس قبيلك إلى مثل ما دعاهم إليه المغيرة، وخذ عليهم البيعة ليزيد، فلما قرأ زياد الكتاب دعا برجل من أصحابه يشقّ بفضله وفهمه فقال: إنني أريد أئتمنك على ما لم أئتمن عليه بطون الصحايف؛ أيت معاوية، فقل له: يا أمير المؤمنين! إن كتابك ورد عليّ بكذا؛ فما يقول الناس إذا دعوناهم إلى بيعة يزيد؟ وهو يلعب بالكلاب والقرود! ولبس المصبغ! ويُد من الشراب! ويمشي على الدُفوف؛ وبحضرتهم الحسين بن عليّ، وعبدالله بن عباس، وعبدالله بن الزبير، وعبدالله بن عمر؛ ولكن تأمره أن يتخلّق بأخلاق هؤلاء حولاً وحولين، فعسيناً أن نموه على الناس؛ فلما صار الرسول إلى معاوية وأدى إليه الرسالة، قال: ويلى عليّ ابن عبید! والله لقد بلغني أن الحادي حداله «إن الأمير بعدي زياد»؛ والله لأردنه إلى أمّه سمية وأبيه عبید (١٩٠).

وفي الطبري وابن الأثير (١٩١) بتفصيل أو في. وفيه: إن الرسول قال لزياد: لا تُفسد على معاوية رأيّه، ولا تبغض إليه ابنه، وألّفي أن يزيد فأخبره أن أمير المؤمنين كتب إليك يستشيرك في البيعة له وأنتك تتخوف خلاف الناس عليه لهنات ينقومونها عليه، وأنتك ترى له ترك ما ينقم عليه. وأن زياداً قبل ذلك، فقدم الرسول على يزيد فذكر ذلك له، فكفّ عن كثير ممّا كان يصنع؛ وكتب زياد معه إلى معاوية يشير بالتؤدة وأن لا يعجل؛ فقبل منه، فلما مات زياد عزم على البيعة لابنه يزيد فأرسل إلى عبدالله ابن عمر مائة ألف درهم فقبلها فلما ذكر البيعة ليزيد، قال ابن عمر: هذا أراد! إن ديني إذن عليّ لرخيص (١٩٢).

بيعة يزيد في الشام

قال ابن عبد البرّ في الاستيعاب (١٩٣): إن معاوية لمّا أراد البيعة ليزيد خطب

(١٩٠) اليعقوبي في تاريخه ط. اوروباج ٢ ر ٢٦١ - ٢٦٢.

(١٩١) الطبري ٦ ر ١٦٩ - ١٧٠؛ وابن الأثير ٣ ر ٢١٤ - ٢١٥.

(١٩٢) وفي تاريخ ابن كثير ٩ ر ٥؛ وذكر قبول ابن عمر ذلك؛ وفي الحلية ٢٩٦ ر ١.

ولم يذكر وقت ارساله إليه.

(١٩٣) بترجمة عبدالرحمن في الاستيعاب المرقمة ١٦٩٧ ج ٢ ر ٣٩٦؛ واسد الغابة ←

أهل الشام وقال لهم : يا أهل الشام ! قد كبرت سنِّي ، و قرب أجلي ، و قد أردت أن أعقد لرجل يكون نظاماً لكم ، و إنما أنا رجل منكم ؛ فأروني رأيكم ؛ فأصفقوا واجتمعوا و قالوا : رضينا عبد الرحمن بن خالد ؛ فشق ذلك على معاوية ، و أسرها في نفسه ؛ ثم إنَّ عبد الرحمن بن خالد مرض ، فأمر معاوية طبيباً عنده يهودياً ، و كان عنده مكيئاً أن يأتيه ، فيسقيه سقية يقتله بها ، فأناه فسقاه فانخرق بطنه فمات .

و قال الطبري و ابن الأثير (١٩٤) : و أمر ابن ائال النصراني أن يحتال في قتله و ضمن له أن يضع عنه خراجه ما عاش و أن يولِّيه خراج حمص . . . فوفى معاوية بما ضمن له .

و قال ابن عبد البر : ثم دخل أخوه المهاجر بن خالد دمشق مستخفياً ، هو و غلام له ، فرصدا ذلك اليهودي ؛ فخرج ليلاً من عند معاوية و معه قوم هربوا عنه ، فقتله المهاجر ؛ ثم قال ابن عبد البر : و قصته مشهورة عند أهل العلم .

بيعة يزيد في المدينة

في الإمامة و السياسة : إنَّ معاوية كتب إلى مروان و كان واليه على المدينة : أن يذكر بيعة يزيد لهم ، فأبى ذلك ، و أبته قريش ، و كتب إلى معاوية : إنَّ قومك قد أبوا إجابتك إلى بيعتك ابنك ، فأرني رأيك ؛ فعزله معاوية عن عمله ، و ولي سعيد بن العاص المدينة ؛ فذهب مروان مع جمع من بني أمية إلى الشام غضبان ؛ و أغلظ الكلام

← ج ٣ ر ٢٨٩ .

و عبد الرحمن هو ابن خالد بن الوليد المخزومي ، قال ابن عبد البر : و كان ممن أدرک النبي ، و كان من فرسان قريش و شجعانهم ، و كان له فضل ، و هدى حسن ، و كرم الأمانة كان منحرفاً عن علي ، و ذكر ان أخاه المهاجر الاتي ذكره كان مع علي بصفين .

(١٩٤) الطبري ٦ ر ١٢٨ ؛ و ابن الأثير ٣ ر ١٩٥ و قد ذكرنا : أن خالد بن عبد الرحمن ابن خالد هو الذي قتل ابن آثال ، و قد ذكر اغتياله كذلك في المغتالين من الاشراف ص ٤٧ ؛ و ابن كثير في حوادث سنة ٤٦ ج ٨ ر ٣١ ، و الاغانى ١٤ ر ١٣ ؛ و أورده ابن شحنة مختصراً راجعه بهامش ابن الاثير ١١ ر ١٣٣ .

لمعاوية ؛ فقابله معاوية باللين ؛ وزاد في عطائه ؛ و أرجعه راضياً . (١٩٥) .

ثم أراد معاوية أن يُغري بين بني أمية ليفرق كلمتهم ، فأمر سعيد بن العاص بهدم دار مروان ، وتصفية أمواله ، كما حدث بذلك ابن الأثير وقال (١٩٦) : في سنة أربع وخمسين عزل معاوية سعيد بن العاص عن المدينة ، واستعمل مروان ؛ وكان سبب ذلك : أن معاوية كان قد كتب إلى سعيد بن العاص أن يهدم دار مروان ، ويقبض أمواله كلها ليجعلها صافية ، ويقبض منه فداك ، وكان وهبها له ، فراجع سعيد بن العاص في ذلك ، فأعاد معاوية الكتاب بذلك ، فلم يفعل سعيد ، ووضع الكتابين عنده ، فعزله معاوية ، و ولّى مروان ، و كتب إليه يأمره بقبض أموال سعيد بن العاص ، وهدم داره ، فأخذ الفعلة و سار إلى دار سعيد ليهدمها فقال له سعيد : يا أبا عبد الملك ! أتهدم داري ؟ قال : نعم كتب إليّ أمير المؤمنين ولو كتب إليك في هدم داري لفعلت . فقال : ما كنت لأفعل ؛ قال : بلى والله ، قال : كلا ! و أراه كتابي معاوية إليه بذلك ، وقال له : إنما أراد معاوية أن يُحرّض بيننا ، فقال مروان : أنت والله خير منّي ، و عاد و لم يهدم دار سعيد ؛ و كتب سعيد إلى معاوية : العجب ممّا صنع أمير المؤمنين بنا في قرا بتنا ، إنّه يضغن بعضنا على بعض ، فأمر المؤمنين في حلمه و صبره على ما يكره من الأخبثين ، و عفوهم ؛ و إدخاله القطيعة بيننا و الشحنةاء ، و توارث الأولاد ذلك ، فو الله لو لم تكن أولاد أب واحد لما جمعنا الله عليه من نصرة أمير المؤمنين الخليفة المظلوم ، و إجتماع كلمتنا لكان حقاً على أمير المؤمنين أن يرعى ذلك ، فكتب إليه معاوية يعتذر .

المغتالون في بيعة يزيد

وجد معاوية في حياة اثنين من كبار المسلمين عائقاً لما يرومه من تولية ابنه العهد من بعده ، فاعتال كلاهما بمفرده ليزيل آخر عقبة عن سبيله .

(١٩٥) الامامة والسياسة ١٤٤١-١٤٦ ، وقد اوردها ملخصاً ، واورده المسعودي باختصار مع اختلاف في جواب معاوية له . راجع المسعودي تحقيق محمد محي الدين ج ٣٧٣ .

(١٩٦) ابن الأثير ٣ ر ٢١٢ - ٢١٣ . و الطبري ٦ ر ١٦٤ - ١٦٥ .

روى أبو الفرج في مقاتل الطالبين^(١٩٧) وقال: « وأراد معاوية البيعة لابنه يزيد، فلم يكن شيء أثقل عليه من أمر الحسن بن علي، وسعد بن أبي وقاص؛ فذس إليهما سمّاً فماتتا منه ».

و سبب ثقل أمر الحسن وسعد عليه: أن سعداً كان الباقي من الست أهل الشورى الذين رشّحهم عمر للخلافة من بعده^(١٩٨)، وأمّا الحسن فلما جاء في معاهدة الصلح بينهما: أن يكون الأمر للحسن من بعده^(١٩٩) وليس لمعاوية أن يعهد به إلى أحد^(٢٠٠).

أمّا إنّه كيف اغتالهما، فلم نجد من يشرح كيف اغتال سعداً، أمّا الحسن . فقد روى المسعودي^(٢٠١) وقال: « إن جمعة بنت الأشعث بن القيس الكندي سقته السم؛ وقد كان معاوية دس إليها: إنك إن احتلت في قتل الحسن وجّهت إليك بمائة ألف درهم، وزوجتك يزيد؛ فكان ذلك الذي بعثها على سمّه؛ فلمّا مات وفي لها معاوية بالمال، وأرسل إليها: إنّنا نحب حياة يزيد، وأولئك لو فينا لك بتزويجه ».

(١٩٧) مقاتل الطالبين ص ٤٣؛ وفي أنساب الاشراف ج ١ ر ٤٠٤: « توفي سعد بن أبي وقاص والحسن بن علي بعد ما مضت من امرة معاوية عشر سنين، وكانوا يرون أنه سمهما؛ وابن أبي الحديد ٤ ر ١١١ و ١٧ .

(١٩٨) راجع قصة الشورى في عبدالله بن سبأ ص ١١٨ - ١٢٦ .

(١٩٩) ابن كثير ٨ ر ٤١؛ وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٣٨؛ والاصابة بترجمة الحسن؛ وابن قتيبة ص ١٥٠؛ وابن أبي الحديد ٤ ر ١٣ .

(٢٠٠) المدائني كما روى عنه ابن أبي الحديد في شرحه ج ٤ ر ٨؛ والصواعق ٨١ .

(٢٠١) مروج الذهب بهامش الكامل ٦ ر ٥٥، و قريب منه ما في مقاتل الطالبين،

ص ٧٣، وذكر اغتياله بالسم من قبل معاوية في ترجمته من الاستيعاب؛ وسبط ابن الجوزي في التذكرة وابن عساكر ٤ ر ٢٢٦ وفي اسماء المغتالين من الاشراف ص ٤٤؛ وذكر اليعقوبي في ج ٢ ر ٢٢٥ ط . داربيروت: أن الحسن لما حضره الوفاة قال لاختيه الحسين: « يا أخي ان هذه آخر ثلاث سقيت فيه السم، و لم اسقه مثل مرتي هذه، و أنا ميت من يومى هذا » .

ولم يصرح باسم من سمه، و كذلك فعل ابن الاثير فانه صرح في ج ٢ ر ١٩٧ بان

زوجته سمته و سكت عن ذكر معاوية؛ وذكر ذلك ابن شحنة بهامش ابن الاثير ١١ ر ١٣٢ و راجع ابن كثير ٨ ر ٤٣، وشرح النهج ٤ ر ٤ .

إغتيال معاوية سعداً و الحسن في سبيل بيعة يزيد كما اغتال في سبيل ذلك عبد الرحمن بن خالد قبلهما ، و نرى أنه اغتال أيضاً عبد الرحمن بن أبي بكر في هذا السبيل كما سنشرحه بعد هذا إن شاء الله .

البيعة

استقدم معاوية الوفود من البلاد لبيعة يزيد ، فهدد من خالفه ، و أجزل عطاء من بايعه (٢٠٢) و ولى بعضهم الإمارة (٢٠٣) ثم ارتحل إلى الحجاز لأخذ البيعة من أهل الحرمين بعد أن استعصى أمرهم على ولاته ، تبعاً منهم لأمر أربعة من كبار المسلمين الذين أبوا البيعة ؛ و هم كل من الحسين بن علي ، و عبد الله بن الزبير ، و عبد الله بن عمر ، و عبد الرحمن بن أبي بكر .

قال ابن الأثير (٢٠٤) : و كان معاوية يعطي المقارب ، و يداري المباعد و يلطف به حتى استوثق له أكثر الناس و بايعه ، فلمّا بايعه أهل العراق و الشام سار إلي الحجاز في ألف فارس ، فلمّا دنا من المدينة لقيه الحسين بن عليّ أوّل الناس . . . ثمّ روى : أنّه كيف جابه الحسين و باقي الأربعة بالغلظة ، و أنّه لم يأذن لهم بالدخول عليه في المدينة ، و أنّه لمّا دخل على عائشة ، و قد كان بلغها أنّه ذكر الحسين و أصحابه ، فقال : لأقتلنهم إن لم يبايعوا ، و شكاهم إليها ، فوعظته ، ثمّ ذكر : أنّه خرج إلى مكة فلقية الناس و تلقاه أولئك نفر ، فرحبّ لهم ، و وصلهم ، ثمّ جمعهم ، و عرض عليهم الأمر ، فقال له ابن الزبير :

إختر منّا إحدى ثلاث : إمّا أن تصنع صنيع رسول الله إذ لم يستخلف ! فبايع الناس أبا بكر ؛ أو كصنيع أبي بكر إذ عهد إلى رجل من قاصية قريش ليس من بني أبيه ، أو كصنيع عمر إذ جعلها شورى بين ستمة ليس فيهم أحد ولده ، فقال معاوية : هل عندكم

(٢٠٢) راجع العقد الفريد ج ٣ ر ١٢٩ - ١٣١ ؛ وابن الاثير ٣ ر ٢١٦ .

(٢٠٣) كسعيد بن عثمان اذ ولاه خراسان ؛ راجح تهذيب ابن عساكر ٦ ر ١٥٥ ؛

والطبرى ٦ ر ١٧١ ؛ وابن الاثير ٣ ر ٢١٨ ؛ وابن كثير ٨ ر ٧٩ - ٨٠ .

(٢٠٤) ابن الاثير ٣ ر ٢١٦ - ٢١٨ ؛ والعقد الفريد ٣ ر ١٣٠ - ١٣١ .

غير هذا؟ قالوا: لا؛ قال: إني أتقدم إليكم وقد أعذر من أنذر! إني قائل مقالة أقسم بالله لئن رد عليّ رجل منكم كلمة في مقامي هذا لا ترجع إليه كلمته حتى يضرب رأسه، فلا ينظر امرؤ منكم إلا لنفسه، ولا يبغي إلا عليها. وأمر أن يقوم علي رأس كل رجل منهم رجالان بسيفها، فإن تكلم بكلمة يرد بها عليه قوله قتلاه؛ ثم خرج بهم إلى المسجد، فرقى المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إن هؤلاء الرهط سادة المسلمين وخيارهم لا يستتر أمر دونهم، ولا يقضى إلا عن مشورتهم، وإنهم قد رضوا وبايعوا ليزيد، وبايعوا علي اسم الله فبايع الناس، ثم قرّبت رواحله، فركب ومضى إلى المدينة، وأخذ البيعة من أهلها، وانصرف إلى الشام، فقال الناس لأولئك الرهط: زعمتم أنكم لا تبايعون؟! فأخبروهم بمكيدة معاوية.

لقد أظننا القول في ترجمة معاوية لتوقف فهم علل وضع الحديث في عصره على تحليل شخصيته المعقدة أولاً، وثانياً لتوقف فهم العلائق بينه وبين أم المؤمنين واللاتي سندرسه فيما يلي على ذلك.

بين أم المؤمنين ومعاوية

وجدنا في معاوية خصماً لدوداً لعليّ، حاربه في حياته، ولم ينس اللعن عليه بعد مماته (٢٠٥)، ووجدنا أم المؤمنين أيضاً تحارب عليّاً في حياته، وتسجد لله شكراً عند ما يبلغها نبأ وفاته، ثم تنشد:

فألفت عصاها واستقرّ بها النوى
كما قرّ عينا بالأياب المسافر

ووجدناها تحتجب عن الحسنين (٢٠٦)، وهما من ذرية زوجها، وإذا لاحظنا

ما رواه اليعقوبي، وأبو الفرج نرى أن الخصومة قد امتدت بينها وبين بني هاشم، وجمعت بينها وبين بني أمية، عامّة، ومعاوية خاصّة، إلى آحاد بعيدة، روى اليعقوبي (٢٠٧)

(٢٠٥) راجع ما سبق من أمر حجر، وسيأتي بتفصيل أوفى إن شاء الله.

(٢٠٦) راجع قبله ص ٢٠٣ - ٢٠٥ من هذا الكتاب.

(٢٠٧) اليعقوبي في ذكر وفاة الحسن ٢ ر ٢٠٠، ومقاتل الطالبين ص ٧٥؛

وتذكرة خواص الامّة ص ١٢٢؛ وفي روضة الاوائل لابن شحنة؛ بهامش ابن الاثير

١١ ر ١٣٣ ولفظه: وكان أوصى أن يدفن عند جده (ص) فمنعت من ذلك عائشة.

وقال: - إنَّ الحسن بن علي عند ما أحضر أوصى إلى أخيه الحسين ، وقال له : إنَّ أنا مت فادفني مع رسول الله ، فما أحدٌ أولى بقربه منِّي إلا أن تمنع من ذلك ، فلا تسفك فيه حجمة دم ، فلمَّا توفِّي وأُخرج نعشه يراد به قبر رسول الله - وفي مقاتل الطالبين : ركبَت أمُّ المؤمنين بغلاً واستنقرت بني أمية : مروان بن الحكم و من كان هناك منهم و من حشمتهم ، وقيل في ذلك :

فيوماً على بغلٍ و يوماً على جمل

و في تاريخ اليعقوبي : ركب مروان بن الحكم و سعيد بن العاص ، فمنعامن ذلك و ركبت عائشة بغلة شهباء ، و قالت : بيتي و لا آذن فيه لأحد ، فأتاها القاسم بن محمد بن أبي بكر ، فقال : يا عمّة ! ما غسلنا رؤسنا من يوم الجمل الأحمر ، أتريد ين أن يقال : يوم البغلة الشهباء ، فرجعت ، و اجتمع مع الحسين بن علي جماعة من الناس ، فقالوا له : دعنا و آل مروان ، فوالله ما هم عندنا إلا كأكلة رأس ، فقال : إنَّ أخي أوصاني ألا أريق فيه حجمة ، فدفن الحسن في البقيع .

هذه الخصومة المشتركة قدقرّبت بين أم المؤمنين و معاوية و جعلتها موضع رعاية معاوية و ولاته .

رعايتها في المال

أخرج أبو نعيم (٢٠٨) عن عبد الرحمن بن القاسم و قال : أهدى معاوية لعائشة ثياباً و ورقاً و أشياء توضع في أسطوانها . . . الحديث .
و عن عروة : أن معاوية بعث إلى عائشة بمائة ألف (٢٠٩) .
و أخرج ابن كثير عن عطاء قال : بعث معاوية إلى عائشة و هي بمكة بطوق قيمته مائة ألف فقبلته (٢١٠) .

(٢٠٨) حلية أبي نعيم ٢ ر ٤٨ و «الورق» : الدراهم المضروبة .

(٢٠٩) حلية أبي نعيم ٢ ر ٤٧ ؛ والنبلاء ٢ ر ١٣١ ؛ وابن كثير ٧ ر ١٣٦-١٣٧ ؛

والمستدرک ٤ ر ١٣ .

(٢١٠) ابن كثير ٧ ر ١٣٧ ؛ والنبلاء ٢ ر ١٣١ و آخر الحديث : قسمته بين امهات

المؤمنين .

و اخرج ابن سعد (٢١١) وقال : دخل المنكدر بن عبد الله على عائشة ، فقالت : لك ولد؟ قال : لا ، فقالت : لو كان عندي عشرة آلاف درهم لوهبتهما لك ، قال : فما أمست حتى بعث إليها معاوية بمال ، فقالت : ما أسرع ما ابتليت ، و بعثت إلى المنكدر بعشرة آلاف درهم فاشترى منها جارية .

و روى ابن كثير عن سعيد بن العزيز و قال : قضى معاوية عن عائشة أم المؤمنين ثمانية عشر ألف دينار ، و ما كان عليها من الدين الذي كانت تعطيه الناس (٢١٢) .
و كذلك كان الأمراء من البيت الأموي أيضاً كانوا يبعثون إليها بالهدايا كما فعل عبد الله بن عامر والي البصرة فإنه بعث إليها بنفقة و كسوة (٢١٣) .

نفوذ كلمتها

أخرج ابن سعد في طبقاته (٢١٤) في قصة مرّة بن أبي عثمان مولى عبد الرحمن ابن أبي بكر و قال : « إن مرّة صاحب نهر مرّة أتى عبد الرحمن بن أبي بكر ، وكان مولا هم ، فسأله أن يكتب له إلى زياد في حاجة له ، فكتب من عبد الرحمن إلى زياد و نسبه إلى غير أبي سفيان (٢١٥) فقال : لا اذهب بكتابك هذا ، فيضربني ، قال : فأتى عائشة فكتبت له : « من عائشة أم المؤمنين إلى زياد بن أبي سفيان » قال : فلمّا جاء بالكتاب ، قال له : إذا كان غداً فجنني بكتابك ، قال : و جمع الناس ، فقال : يا غلام اقرأه ، قال فقراه : « من عائشة أم المؤمنين إلى زياد بن أبي سفيان » ، قال : ففضى له حاجته .

و في مادة « نهر مرّة » من معجم البلدان (٢١٦) : قال :

(٢١١) طبقات ابن سعد ٥ ر ١٨ في ترجمة المنكدر .

(٢١٢) ابن كثير ٨ ر ١٣٦ ؛ والنبلاء ٢ ر ١٣١ حتى ثمانية عشر ألف دينار .

(٢١٣) مسند أحمد ٦ ر ٧٧ و ٢٥٩ ، و عبد الله هذا كان ابن خال عثمان ، راجع ترجمته

في هذا الكتاب ص ١٠٨ .

(٢١٤) طبقات ابن سعد ٧ ر ٩٩ .

(٢١٥) يظهر من قوله : « نسبه إلى غير أبي سفيان » أنه كان قد كتب : (إلى زياد بن

عبيد) فحذر من إيصال الكتاب إليه .

(٢١٦) وأخرجه البلاذري في ص ٣٦٠ - ٣٦١ من فتوح البلدان كذلك ، و ابن

قتيبة في المعارف ، و في تهذيب ابن عساكر ٥ ر ٤١١ .

نهر مرة بن أبي عثمان ، ثم أورد القصّة ، و قال : سرّ بذلك و أكرم مرّة و أطفه ، و قال للناس : هذا كتاب أمّ المؤمنين إليّ - إلى قوله - ثمّ أقطع مائة جريب على نهر الأبلّة و أمر أن يحفر لها نهر ، فنسب إليه . . .) الحديث .
و كتبت إليه عائشة في وصاة برجل ، فوَّقع في كتابها : « هو بين أبويه » (٢١٧) أي أنّه سيلقي من البرّ و الإحسان كما لو كان بين أبويه .

دور المعارضة

استقام الأمر لمعاوية بعد جهد كبير ، فأراد أن يورث الخلافة لعقبه من بعده ، فعارضه الناس حتّى أولياؤه ، فقلّب لهم ظهر المـجـنّ ، و في هذا الدور عظمت أمّ المؤمنين على معارضيّه و أيديتهم ، ففترت العلائق بينهما ، و أوّل بادرة بينهما كانت في أمر وساطتها لحجر قال أبو الفرج (٢١٨) .

إنّ عائشة بعثت عبد الرحمن بن الحرث بن هشام إلى معاوية في حجر و أصحابه فقدم عليه و قد قتلهم - إلى قوله - و كانت عائشة تقول : لولا أنّا لم نغيّر شيئاً إلاّ آلت الأمور إلى أشدّ ممّا كنّا فيه لغيّرنا قتل حجر ، أما و الله إن كان مسلماً ما علمته حاجتاً معتمراً .

إنّ أمّ المؤمنين تقصد بقولها : لولا أنّا لم نغيّر شيئاً إلاّ آلت الأمور إلى أشدّ ممّا كنّا فيه : ما غيرت فيه على عثمان حتّى قتل ، فألت الأمور بها إلى أشدّ باستيلاء عليّ على الخلافة حيث قالت فيه : ليت السماء أطبقت على الأرض إن تمّ ذلك ، ثمّ أرادت تغييره ، فحاربتّه ، فخرست ابن عمّها طلحة ، وابنه ، و زوج أختها الزبير ، وهي تخاف بعد هذا إن غيرت على معاوية أن يؤل الأمر إلى أشدّ ممّا هي فيه ، فكظمت غيظها و سكنت عنه .

و ممّا قالت في قتل حجر :

أما والله لو علم معاوية أنّ عند أهل الكوفة منعة ما اجتراً على أن يأخذ حجراً

(٢١٧) العقد الفريد ٤ ر ٢١٧ .

(٢١٨) الاغانى ١٦ ر ١٠ ؛ والطبرى ٤ ر ١٩٢ ؛ وابن الاثير ٣ ر ٢٠٩ .

و أصحابه من بينهم حتى يقتلهم بالشام ، ولكن ابن آكلة الأكباد (٢١٩) علم أنه قد ذهب الناس ، أما والله إن كانوا لجمعمة العرب عداءً ، و منعة ، و فقهاً ، و لله درّ لبيد حيث يقول :

ذهب الذين بعاش في أكنافهم و بقيت في خلف كجلد الأجر
لا ينفعون ولا يرعى خيرهم و يعاب قائلهم وإن لم يشغب

ملاقات وعتاب

في الاستيعاب و أسد الغابة (٢٢٠) : أن معاوية لما قدم المدينة دخل على عائشة (رض) فكان أول ما قالت له في قتل حجر ، في كلام طويل ، فقال معاوية : دعيني و حجراً حتى نلتقي عند ربنا .

و من الكلام الطويل الذي دار بينهما ما رواه ابن عبد البر (٢٢١) أيضاً حيث قال : لما حج معاوية جاء إلى المدينة زائراً فاستأذن على عائشة (رض) فلما قعد ، قالت له : يا معاوية ! أمنت أن أخبأ لك من يقتلك بأخي محمد بن أبي بكر ؟! فقال : بيت الأمان دخلت ، و قالت : يا معاوية ! أما خشيت الله في قتل حجر و أصحابه ، قال : إنما قتلهم من شهد عليهم !

و في مسند أحمد (٢٢٢) أنه قال في جوابها : ما كنت لتفعليه و أنا في بيت أمان ! و قد سمعت النبي يقول : الإيمان قيد الفتك . كيف أنا في الذي بيني و بينك ؟ و في حوارجك ؟ قالت : صالح ، قال : فدعينا و إياهم حتى نلتقي عند ربنا عزّ و جل ! انتهى إننا نعلم أن محمد بن أبي بكر كان قد قتل سنة سبع و ثلاثين ، و حجر بعد الخمسين ،

(٢١٩) تعرض في قولها هذا الى فعل هند بغزوة احد حيث لاكت كيد حمزة عم النبي : و « لبيد » شاعر مخضرم نيف على المائة ، و توفي في عصر عثمان أو معاوية .
راجع ترجمته في الاغانى ١٤ ر ٢١١ ، و اسد الغابة ٤ ر ٢٦١ . و فيه اشارة الى تمثيلها بشعره .

(٢٢٠) بترجمة حجر .

(٢٢١) بترجمة حجر من الاستيعاب ؛ و تاريخ ابن كثير .

(٢٢٢) مسند أحمد ٤ ر ٩٢ .

فلما ذاسكتت أمّ المؤمنين كلّ هذه السنوات الطوال عن مطالبة معاوية بدم أخيها!؛ حتى إذا قُتل حجر ذكرته!؛ نرى أنّ السبب في ذلك أنّها كانت قد أوفدت الحارث من المدينة إلى الشام تشفع في حجر، وانتشر خبر ذلك في البلاد و فيما الناس مع أمّ المؤمنين واثقون من نجاح مسعاها، و إذا بالوفد يرجع خائباً؛ و لم يسبق لها مثل ذلك، فعظم عليها، و غضبت على معاوية، و جابته بقوارص الكلم، و ذكرته بدم أخيها المهذور بعد زهاء خمس عشرة سنة، فلان لها معاوية، و ذكرها بما بينهما، و بسوابقه في قضاء حوائجها، غير أنّ كلّ ذلك لم يخفّف من سورة غضبها، و بقيت حانقة عليه خاصّة، و على بني أميّة عامّة، لأنّ الخلاف بينهما كان قد اتّسعت شقته بعد مخالفة عبد الرحمن شقيق أمّ المؤمنين لبيعة يزيد، و موته الفجائي إثر هذه المخالفة؟ و قد أخرج البخاري قصة مخالفته باختزال في صحيحه (٢٢٣) و قال:

كان مروان والياً على الحجاز استعمله معاوية، فخطب فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يبايع بعد أبيه، فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر: شيئاً، فقال: خذوه، فدخل بيت عائشة، فلم يقدروا عليه، فقال مروان: إنّ هذا الذي أنزل الله فيه: «والذي يقول لوالديه أفّ لكما أتعدانني» فقالت عائشة من وراء الحجاب: ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن إلا أنّ الله أنزل عذري.

و روى ابن الأثير (٢٢٤) أنّ معاوية كتب إلى مروان في بيعة يزيد، فقام مروان خطيباً فقال:

إنّ امير المؤمنين قد اختار لكم، فلم يأل، و قد استخلف ابنه يزيد بعده، فقام عبد الرحمن بن أبي بكر، فقال: كذبت والله يا مروان! و كذب معاوية ما الخيار أردتما لأمة محمد، و لكنكم تريدون أن تجعلوها هرقلية كلّما مات هرقل قام هرقل، فقال مروان: هذا الذي أنزل الله فيه «و الذي قال لوالديه أفّ لكما» الآية، فسمعت عائشة

(٢٢٣) البخاري ٣ ر ١٢٦، في تفسير سورة الاحقاف.

(٢٢٤) ابن الاثير ٣ ر ١٩٩ في حوادث سنة ٥٦؛ و ينبغي أن تكون هذه القصة

بعد القصة الاولى من أمره مروان بهدم دار سعيد و بالعكس و بعد أن روض من نفوس بني امية على اخذ البيعة ليزيد.

مقاتلته من وراء الحجاب ، فقامت من وراء الحجاب ، وقالت : يا مروان ! يا مروان ! فأنتصت الناس ، وأقبل مروان بوجهه ، فقالت : أنت القائل لعبد الرحمن أنه نزل فيه القرآن ، كذبت والله ما هو به ، ولكنّه فلان بن فلان ، ولكنك فضض من لعنة الله . وفي رواية ، فقالت : كذب والله ما هو به ، ولكن رسول الله لعن أبا مروان ومروان في صلبه ، فمروان فضض من لعنة الله عز وجل^(٢٢٥) . انتهى

لم يستطع مروان من أخذ البيعة ليزيد فقدم معاوية الحجاز حاجباً ، ودخل المدينة وكان من خبره معهم ما ذكرنا بعضه ، ومن خبرهم أيضاً ما رواه ابن عبد البر^(٢٢٦) حيث قال :

فعد معاوية على المنبر يدعو إلى بيعة يزيد ، فكلمه الحسين بن علي ، وابن الزبير ، وعبد الرحمن بن أبي بكر ، فكان كلام ابن أبي بكر : أهرقليّة؟! إذا مات كسرى كان كسرى مكانه ، لانفعل والله أبدأ ، وبعث إليه معاوية بمائة ألف درهم بعد أن أبي البيعة ليزيد ، فردّها عليه عبد الرحمن ، وأبى أن يأخذها ، وقال : أبيع ديني بدنياي؟! فخرج إلى مكة ، فمات بها قبل أن تتم البيعة ليزيد بن معاوية .

وذكر ابن عبد البر بعده وقال : إن عبد الرحمن مات فجاءة بموضع يقال له : « الجشبي »^(٢٢٧) على نحو عشرة أميال من مكة فدفن بها ، ويقال : إنه توفّي في نومة نامها ، ولما اتصل خبر موته بأخته عائشة أم المؤمنين (رض) ظنعت من المدينة حاجة

(٢٢٥) أخرج القصة بتفصيلها في الاغانى ١٦ ر ٩٠ - ٩١ ، وراجع ترجمة الحكم ابن أبي العاص من الاستيعاب ، و اسد الغابة ، والاصابة ، والمستدرک ٤ ر ٤٨١ ، وابن كثير ٨ ر ٨٩ ، وراجع الاجابة ص ١٤١ ؛ و ترجمة عبد الرحمن في ابن عساكر ٤ ر ٢٢٦ ؛ و « الفضض » القطعة من الشيء .

(٢٢٦) بترجمة عبد الرحمن من الاستيعاب ٢ ر ٣٧٣ ، و اسد الغابة ٣ ر ٣٠٦ ، والاصابة ٢ ر ٤٠٠ ، و شذرات الذهب في حوادث سنة ٥٣ هـ .

(٢٢٧) قال الحموي : الجشبي : جبل بأسفل مكة بينه وبين مكة ستة أميال مات عنده عبد الرحمن فجاءة ، فحمل على رقاب الرجال الى مكة ، فقدمت عائشة من المدينة ، وأتت قبره وصلت عليه وتمثلت البيتين .

حتى وقفت على قبره ، وكانت شقيقته ، فبكت عليه و تمثّلت :

و كنّا كَنَدَ مَانِي جَذِيمَةَ حَقْبَةَ من الدهر حتى قيل لن يتصدّعا
فلّما تفرّقنا كَانِي و مالِكاً لطول اجتماع لم نَبِتَ معا (٢٢٨)

أما والله لو حضرتك لدفنتك حيث مكانك ، ولو حضرت ما بكيت .

دبّ الخلاف بين أمّ المؤمنين و بنِي أُمَيَّة من جديد ، و وقع الشرّ ، و خسرت أمّ المؤمنين في هذه المعركة شقيقها عبدالرحمن ؛ حيث مات مَيَّةً مجهولة ؛ بل مَيَّة معلومة حين مات في طريقه إلى مكّة ، كما مات الأَشتر (٢٢٩) في طريقه إلى مصر ؛ مات عبدالرحمن بن أبي بكر كما مات عبد الرحمن بن خالد ، وسعد بن أبي وقاص ، والحسن بن عليّ ، مات هؤلاء جميعاً ليفسحوا المجال لأخذ البيعة ليزيد .

وقع الشرّ بين أمّ المؤمنين و بنِي أُمَيَّة من جديد ، و فقدت أمّ المؤمنين شقيقها

(٢٢٨) البيتان لتمام بن نويرة اليربوعي في مريثته لاختيه مالك حين قتله خالد بن الوليد يوم البطح ؛ و جذيمة ؛ هو جذيمة بن الابرش من ملوك الحيرة و كان له نديمان ضرب بهما المثل .

يقول تمام : كنت وأخي مالك كنديمي جذيمة مدة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا و لما تفرّقنا بعد قتله أصبحنا كأننا لم نبت معا ، و تمثّلت ام المؤمنين بالبيتين في شأنها و أخيها عبدالرحمن .

راجع مروج الذهب للمسعودي في ذكره ملوك الحيرة .

(٢٢٩) الاشر هو مالك بن الحرث النخعي ؛ أدرك الرسول ؛ وكان رئيس قومه ، شترت عينه في اليرموك ، فلقب بالاشتر ؛ وله مواقف شهيرة في الجمل و صفين مع عليّ ؛ و في سنة ثمان و ثلاثين و لاه على مصر ، فُدس معاوية الى دهقان كان بالعريش - العريش كانت مدينة من أول أعمال مصر من ناحية الشام - أن احتل بالسلم للاشتر ، فأترك لك خراجك عشرين سنة ، فلما نزل الاشر العريش سمه الدهقان في عسل ، فقال معاوية : « لله جنود من العسل » ؛ مروج الذهب ط . بيروت ٢ ر ١٣٩ ، و راجع المغتالين من الاشراف ص ٣٩ ؛ و اليقوي ٢ ر ١٣٩ ط . بيروت ؛ و معجم البلدان لغة بعلبك ، و شرح النهج ٢ ر ٢٩ ، و ترجمته من الاستيعاب ، و اسد الغابة ، و الاصابة ، و الطبري في حوادث سنة ٣٨ - ٣٩ .

في هذه المرة ، و ليس لها من الأنصار ما تستطيع أن تقيمها حرباً عوان على بني أمية بعد أن فقدت طلحة و الزبير ، و محمد بن طلحة و عبدالرحمن بن أبي بكر إلى آخرين؛ فتمثلت بشعر لسبيد :

ذهب الذين يُعاش في أكنافهم و بقيت في خلف كجلد الأجر
لا ينفعون و لا يُرجى خيرهم و يعاب قائلهم و ان لم يشغب
تقدم السن بأُمّ المؤمنين ، فلا تستطيع الر كوب ، و قطع المفاوز لإشعال نار الحرب
على آل أمية بالسيف ، فأعلنت عليهم حرب الدعاية ، وبدأت بمروان أمير المدينة الغشوم ،
فجابهته بما ورد عن الرسول في أبيه ، من لعنه أباه ، و هو في صلبه ، و أنه فضض من
لعنة الله ، و نرى أنها لم تكتف بذكر الحديث في ذم بني أمية حسب ، و انما أخذت
تحدث في هذا الدور بما سمعته عن رسول الله في فضل علي و فاطمة و أمها خديجة ، إرغاماً
لبني أمية عامة ، و لمعاوية خاصة ، فإنه لم يكن أشدّ على معاوية من نشر فضائل علي
و فاطمة . و خاصة لمكان الحسين بين المسلمين ، فقد كان يومذاك المرشح الأوّل للخلافة
الإسلامية ؛ إذن فما ورد من الحديث النزر اليسير عن أمّ المؤمنين في فضل علي و فاطمة
و أمها خديجة ينبغي أن يكون ذلك كلّهُ في هذا الدور .
و من المظنون أن أغلب ما روي عنها من الندم على موقفها يوم الجمل كان بدوهُ
من هذا الوقت ؛ ثم بقيت على ذلك الى آخر أيامها .

ندمها من يوم الجمل

روى الطبري (٢٣٠) عن أبي جندب أنه قال : دخلت على عائشة (رض) بالمدينة ،

فقلت : من أنت ؟

قلت : رجل من الأزد أسكن الكوفة .

قلت : أشهدتنا يوم الجمل ؟

قلت : نعم .

قالت : لنا أم علينا ؟

قلت : عليكم .

قالت : أفتعرف الذي يقول : يا أمنا يا خير أم نعلم !

قلت : نعم ، ذلك ابن عمي فبكت حتى ظننت أنها لاتسكت . و روى ابن الأثير (٢٣١)

و قال : ذكر لعائشة يوم الجمل ، فقالت : والناس يقولون : يوم الجمل !؟ قالوا لها : نعم ، فقالت : وددت أنني لو كنت جلست كما جلس صواحيبي و كان أحب إلي من أن أكون ولدت من رسول الله بضع عشرة كلهم مثل عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، أو مثل عبدالله بن الزبير .

و روى مسروق (٢٣٢) وقال : كانت عائشة (رض) إذا قرأت : « و قرن في بيوتكن » ،

بكت حتى تبل خمارها .

و اخرج ابن سعد (٢٣٣) في طبقاته : أن ابن عباس دخل على عائشة قبل موتها

فأنتى عليها : فلمّا خرج ، قالت : لابن الزبير . أئننى عليّ عبدالله بن عباس و لم أكن

أحب أن أسمع أحداً اليوم يئننى عليّ لوددت أنني كنت نسياً منسياً - اي حيضة - إنتهى .

و في بلاغات النساء (٢٣٤) : أن عائشة لما احتضرت جزعت فقيل لها : أتجزعين ؟

يا أمّ المؤمنين ! و ابنة أبي بكر الصديق ، فقالت : إن يوم الجمل لمعترض في حلقي .

ليتني مت قبله ، أو كنت نسياً منسياً .

و روى ابن سعد أيضاً : أن عائشة قالت : و الله لوددت أنني كنت شجرة ؛ و الله

لوددت أنني كنت مدرة ؛ و الله لوددت أن الله لم يكن خلقي .

و روى أيضاً أن عائشة قالت عند وفاتها : إنني قد أحدثت بعد رسول الله ، فادفوني

(٢٣١) بترجمة عبدالرحمن من اسد الغابة ٣ ر ٢٨٤ ، وطبقات ابن سعد ٥ ر ١ .

(٢٣٢) ابن سعد في طبقاته ٨ ر ٥٦ ط . اروبا ؛ وفي تفسير الاية من الدر المنثور .

(٢٣٣) طبقات ابن سعد ٨ ر ٥١ ؛ والبخارى ٣ ر ١١ في تفسير النور ؛ و حلية

الاولياء ٢ ر ٤٥ بترجمة عائشة ، وهو الذى فسر « نسياً منسياً » بالحيضة ، و تفصيله فى مسند

أحمد ١ ر ٢٧٦ و ٣٤٩ .

(٢٣٤) بلاغات النساء ص ٨ ، وفي تذكرة الخواص بتفصيل أوفى .

مع أزواج النبي ﷺ . قال الذهبي^(٢٣٥) تعني بالحديث : مسيرها يوم الجمل . وروى الذهبي وقال : و توفيت في الليلة السابعة عشرة من شهر رمضان بعد الوتر سنة ثمان وخمسين ، فأمرت أن تدفن من ليلتها ، فاجتمع الأنصار وحضروا ، فلم تر ليلة أكثر ناساً منها ، وحمل معها جريد الخِرْق ، وقال الراوي : ورأيت النساء بالبقيع كأنه عيد ؛ وصلى عليها أبو هريرة ، و كان خليفة مروان .

و كان مدة عمرها : ثلاثاً وستين سنة ، و أشهراً^(٢٣٦) .

لقد تتبّعنا حياة أمّ المؤمنين عائشة منذ أيامها الأولى في بيت الرسول حتّى آخر ساعات حياتها في عصر معاوية ؛ ودرّسنا نواحي شخصيتها الفدّة في كل مكان ؛ وبقى درس بعض مزاياها اللاتي سنستعرضها فيما يلي .

جودها

أخرج أبو نعيم عن عبدالرحمن بن القاسم - ابن أخيها محمد - قال : أهدني لها سلال من غنّب ، فقسمته ، و رفعت الجارية سلّة ، و لم تعلم بها عائشة (رض) : فلمّا كان الليل جاءت به الجارية ، فقالت عائشة (رض) : ما هذا ؟ قالت : ياسيّدتي ! - أويأأمّ المؤمنين ! - رفعت لنا كلة ، قالت عائشة (رض) : أفلا عنقوداً واحداً ؟ و الله لأأكلت منه شيئاً .

و عن أمّ ذرّة - وكانت تغشى عائشة - قالت : بعثت بمال إليها في غير ارتين^(٢٣٧) ، قالت : أراه ثمانين أو مائة ألف ، فدعت بطبق و هي يومئذ صائمة ، فجلست تقسم بين الناس ، فأمت و ما عندها من ذلك درهم ، فلمّا أمت ، قالت : يا جارية ! هلّمي فطري ؛ فجاءتها ببخبز و زيت ، فقالت لها أمّ ذرّة : أما استطعت ممّا قسمت اليوم أن تشتري لنا لحماً بدرهم نفطر عليه !؟ قالت : لا تعنّفيني ، لو كنت ذكرّ تيني لفعلت^(٢٣٨) .

(٢٣٥) النبلاء ٢ ر ١٣٤ - ١٣٥ ؛ والمستدرک ٤ ر ٦ .

(٢٣٦) النبلاء ٢ ر ١٣٦ .

(٢٣٧) (الغرارة) بكسر أوله : الجوالق .

(٢٣٨) وفي النبلاء ٢ ر ١٣١ ، أن عبدالله بن الزبير كان قد بعث ذلك إليها ، وانا

نرى ذلك بعيداً عن خلق ابن الزبير .

وعن عروة - ابن أختها - قال : لقد رأيت عائشة (رض) تقسم سبعين ألفاً وإنها لترقع جيب درعها .

و صعب علي ابن الزبير السكوت عن كل هذا ، فقد حدث أبو نعيم وغيره وقالوا : إن عائشة باعت رباعها ، فقال ابن الزبير : لا حرجن عليها ، فقالت عائشة (رض) : لله عليّ إلا أكلّم ابن الزبير حتى أفرق الدنيا ، فطالت هجرتها ، فاستشفع ابن الزبير بكل أحد ، فأبت أن تكلمه ؛ فقالت : والله لا آثم فيه أبداً ، فلما طال هجرتها جاء مع المسور بن مخرمة ، و عبد الرحمن بن الأسود إلى باب عائشة و قد شملاه بأرديتهما فاستأذنا عليه أن يدخلنا و من معهما ، فأذنت ، فدخلوا عليها ، فاعتنقها ابن الزبير ، فبكي و بكت عائشة (رض) بكاء كثيراً ؛ و ناشدها ابن الزبير الرحم ، فلما أكثروا عليها كلمته ، ثم بعثت إلى اليمن ، فابتيع لها اربعين رقة ؛ (٢٣٩)

هذه بعض القصص عن جوهرها ، و مرّ ذكر بعضها الآخر في باب رعاية معاوية إياها في المال .

صلتها للرحم

كانت أمّ المؤمنين و صولاً للرحم ، حانية على أقربائها ، و في هذا الخلق الكريم بلغت الذروة ، بل جاوزت الحدود المعروفة فيه ، و كانت تقمتها على مناوئتهم من آثار شفقتها عليهم ، و فيما سبق ذكره من ترجمتها لا أكثر من دليل على ذلك ، و من أجلى مظاهر حنوها على أقربائها قصتها مع أخيها محمد بن أبي بكر ، فانها بعد أن اشتركا في الإجهاد على عثمان ، اختلفا بعده ، فدخل محمد تحت راية عليّ ، و جرد السيف في وجهها ، و حاربها في البصرة ، حتى إذا انتهت المعركة أمره عليّ أن يتعاهد أخته . فلما أدخل رأسه إليها ، قالت : من أنت و يلك ! ؟ قال : أبعض أهلك إليك ! قالت : ابن الخثعمية ؟ قال : نعم ، قالت : الحمد لله الذي عافاك ؛ (٢٤٠)

(٢٣٩) أخرج أحاديث جوهرها جميعاً أبو نعيم في حليته ج ٢ ر ٤٧ - ٤٩ ، و سير النبلاء

للذهبي ج ٢ ر ١٢٩ .

(٢٤٠) راجع قبله ص ١٨٠ .

ثم قتل محمد هذا في مصر، وأدخل رأسه في جيفة حمار، وأحرق، وبلغ ذلك عائشة، فبكت بكاءً شديداً.

ولما بلغ أم حبيبة أخت معاوية بن أبي سفيان قتل محمد، وتحريقه شوت كبشاً، وبعثت به إلى عائشة تشفياً بقتل محمد بطاب دم عثمان، فقالت عائشة: قاتل الله ابنة العاهرة، والله لا أكلت شواء أبداً، ثم ضمت عياله إليها (٢٤١).

قال القاسم بن محمد بن أبي بكر: لما قتل معاوية بن خديج الكندي، وعمرو بن العاص أبي بمصر، جاء عمي عبد الرحمن بن أبي بكر، فاحتلمني وأختاً لي من مصر، فقدم بنا المدينة، فبعثت إلينا عائشة، فاحتلمتنا من منزل عبد الرحمن إليها، فما رأيت والدة قط، ولا والدأ أبر منها، فلم نزل في حجرها على فخذيها، ثم بعثت إلى عمي عبد الرحمن، فلما دخل عليها، قالت له بعد حمد الله والثناء عليه: يا أخي! إنني لم أزل أراك معرضاً عنّي منذ قبضت هذين الصبيين منك، والله ما قبضتهما تطاولاً عليك، ولا تهمة لك فيهما، ولا لشيء تكرهه، ولكنك كنت رجلاً زانساً، وكانا صبيين لا يكفیان من أنفسهما شيئاً، فخشيت أن ترى نساؤك منهما ما يتقدرن به من فيمح أمر الصبيان، فكنت ألطف لذلك، وأحق لولايته، أما الآن، فقد قويا على أنفسهما وشباً، وعرفا ما يأتیان، فهامها هذان، فضمتهما إليك، وكن لهما كحجبة بن المضرب أخي كندة، ثم ذكرت له: أن الحجبة كان له أخ مات، وترك صغاراً، فكان عمهم يؤثرهم على بنيه، ثم عرض له سفر، فأوصى بهم امرأته، فغاب أشهراً، ثم رجع، فرأى الصبيان قد ساءت حالهم، فقال لامرأته: ويلك مالي أرى بني أخي مهزليل، وبني سماناً!؟ قالت: قد كنت أواسي بينهم ولكنهم كانوا يعبثون ويلعبون، ثم خلا بالصبيان وسألهم فقالوا: كانت سيئة معنا، ما كانت تعطينا من القوت إلا قديماً صغيراً من اللبن، فغضب وقال لرعايا إبله لما أراحا عليه: إذ هبا فأنتما وابلكما لبني أخي (٢٤٢).

(٢٤١) تذكره خواص الامة في ذكره حرب الخوارج ط. التجف ١١٤؛ وفي التمهيد

والبيان ص ٢٠٩، ذكر امتناعها عن أكل الشواء.

(٢٤٢) اوردها ملخصة من الاغانى ٢١ ر ٩ - ١٠ في أخبار حجة بن المضرب.

إِنَّ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ بَكَتْ أُخْيَهَا الْقَتِيلَ مُحَمَّدًا - وَلَمْ تَنْسَهُ مَدَى حَيَاتِهَا ؛ وَرَعَتْ حَقَّهُ إِذْ انْتَزَعَتْ صَغِيرِيهِ مِنْ بَيْتِ عَمِّهِمَا خَشِيَةً تَقَدَّرَ نَسَائُهُ مِنْهُمَا . وَرَبَّتَهُمَا فِي كَنْفِهَا كَالْأُمَّةِ الْحَنُونِ ، حَتَّى إِذَا اشْتَدَّ سَاعِدُهُمَا ، وَآنَ أَنْ يُرْجَى مِنْهُمَا الْخَيْرُ دَفَعْتَهُمَا إِلَى عَمِّهِمَا بَعْدَ أَنْ أَوْصَتْهُ أَنْ يَكُونَ لِهَمَا كَحَجَّيَّةِ بْنِ الْمَضْرَبِ حِينَ آثَرَ بَنِي أُخْيِهِ عَلَى بَنِيهِ ، وَبِذَلِكَ رَعَتْ حَقَّ الْحَيِّ بَعْدَ الْمَيِّتِ ، وَحَفِظَتْ حَقُوقَ الصَّغَارِ مِنَ الضِّيَاعِ .

وَمِنْ آثَارِ شَفَقَتِهَا عَلَى ذَوِي قُرْبَاهَا إِعْطَاؤُهَا عَشْرَةَ آلَافٍ مَلْنِ بَشَرَهَا بِحَيَاةِ ابْنِ الزَّبِيرِ إِذَا التَّقَى مَعَ الْأَشْتَرِ فِي حَرْبِ الْجَمَلِ (٢٤٣) .
هَذِهِ إِلَى كَثِيرٍ مِنْ نِظَائِرِهَا فِي حَيَاةِ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ تَكْشِفُ عَنْ مَدَى حُدُبِهَا عَلَى أَقْرَبَائِهَا وَرِعَايَتِهَا لَهُمْ .

بلاغتها

لَا بَدَّ لِلشَّخْصِيَّاتِ الْمُؤَثَّرَةِ فِي نَفُوسِ الْبَشَرِ ، وَالْمُوجَّهَةِ إِيَّاهُمْ مِنْ بَصَرِ بِمَوَاقِعِ الْكَلَامِ ، وَبِلَاغَةِ فِي الْقَوْلِ ، وَجِزَالَةِ الْأَسْلُوبِ ، وَقَدْ أُوتِيَتْ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ حِطًّا وَافِرًا مِنْ كُلِّ ذَلِكَ .

قَالَ مَعَاوِيَةَ بَعْدَ انْصِرَافِهِ مِنْ بَيْتِهَا ، وَكَانَ مَتَّكِمًا عَلَى يَدِ مَوْلَاهَا ذُكْوَانَ : وَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ قَطُّ أَبْلَغَ مِنْ عَائِشَةَ لَيْسَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ (٢٤٤) .

وَقَالَ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ : سَمِعْتُ خُطْبَةَ أَبِي بَكْرٍ ، وَعَمْرٍ ، وَعُثْمَانَ ، وَعَلِيٍّ ، وَالْخُلَفَاءَ بَعْدَهُمْ ، فَمَا سَمِعْتُ الْكَلَامَ مِنْ فَمِ مَخْلُوقٍ أَفْخَمَ ، وَلَا أَحْسَنَ مِنْهُ مِنْ فَمِ عَائِشَةَ (٢٤٥) .
وَسَأَلَ مَعَاوِيَةَ زِيَادًا يَوْمًا : أَيُّ النَّاسِ أَبْلَغُ ؟ فَقَالَ لَهُ : « أَنْتِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ » ، فَقَالَ لَهُ : « أَعَزَمَ عَلَيْكَ » ، فَقَالَ لَهُ : « حَيْثُ عَزَمْتَ عَلَيَّ فَأَبْلَغُ النَّاسِ عَائِشَةَ » ، فَقَالَ مَعَاوِيَةَ : « مَا فَتَحَتْ بَابًا قَطُّ تَرِيدُ أَنْ تَبْلُغَهُ إِلَّا أَغْلَقْتَهُ ، وَلَا أَغْلَقْتَ بَابًا تَرِيدُ أَنْ تَفْتَحَهُ » .

(٢٤٣) العقد الفريد ٣ ر ١٠٢ ط . الجمالية في ذكره حرب الجمل .

(٢٤٤) النبلاء ٢ ر ٢٢٩ .

(٢٤٥) > ٢ ر ١٣٤ .

إلا فتحتته ، (٢٤٦) .

وفيما مرّ علينا من محاورات أمّ المؤمنين مع أمّ سلمة و أبي الأسود الدئلي ، و كتبها ، و خطبها في حرب البصرة و غيرها (٢٤٧) دلائل على صدق قول معاوية .

و كانت كثيراً ما تتمشّل في كلامها بأشعار لبيد و غيره . وقد حدّثت هي نفسها و قالت : رويت للبيد نحواً من ألف بيت (٢٤٨) .

و قالوا : ربما روت عائشة القصيدة ستين بيتاً أو أكثر (٢٤٩) .

و ذلك بما وهبها الله من ذاكرة قويّة ، و إليها كانت تعزي علمها بالطبّ ، قال عروة : ما رأيت أحداً أعلم بالطبّ من عائشة (رض) ، فقلت : يا خالة ! ممن تعلّمت الطبّ ؟ قالت : كنت أسمع الناس ينعت بعضهم لبعض فأحفظه (٢٥٠) ، و كانت تقرأ المصحف ولا تكتب (٢٥١) .

ما كانت تلبس من الزينة

لم تنس أمّ المؤمنين قول الله تعالى : « قل من حرّم زينة الله التي أخرجها لعباده » و كانت تلبس ما رواه ابن سعد عن القاسم بن محمّد بن أبي بكر قال :

كانت تلبس المعصرات ، و الخواتم من ذهب . و « المعصر » : المصّبغ باللون الأصفر .

و عن شميصة أنّها دخلت على عائشة ، و عليها ثياب من هذه السيد الصفاق (٢٥٢)

و درع ، و خمار ، و نقبة قد لوّنت بشيء من عصفور . « الدرع » : قميص المرأة و « الخمار » :

ما تغطّي المرأة رأسها ، و « نقبة » ما تغطّي بها وجهها .

(٢٤٦) تهذيب ابن عساكر ٥ ر ٤١٧ .

(٢٤٧) راجع قبله ص ١٢٤ ؛ و ١٢٧ ؛ و ١٢٨ ؛ و ١٣٥ ؛ و ١٤٥ .

(٢٤٨) النبلاء ٢ ر ١٣٨ .

(٢٤٩) » ٢ ر ١٣٦ .

(٢٥٠) » ٢ ر ١٢٨ .

(٢٥١) فتوح البلدان ص ٤٧٢ .

(٢٥٢) السيد الصفاق لم أجد في معاجم اللغة تفسيراً يناسب الكلمتين .

و عن عروة كانت لعائشة كساء خزّ تلبسه ، فكسته عبدالله بن الزبير ، و في رواية :
مِطْرَفَ خَزٍّ : و المطرف رداء من خزّ ذواعلام .

و انّ محمّد بن الاشعث أهدى إليها فرواً فكانت تلبسه في البرد .

و عن أمينة رأيت على عائشة ملحفة مُورّسة ، و خماراً جَبِشَانِيّاً إلى السواد ما هو .
« الملحفة » : اللباس فوق سواه . و « المورّسة » من الثياب : المُصَبَّغَةُ بالورس ، وهو صبغ
يتخذ منه الحمرة للوجه (٢٥٣) .

و عن معاذة العدويّة قالت : رأيت على عائشة ملحفة صفراء (٢٥٤) .

و عن بكرّة بنت عقبة أنّها دخلت على عائشة و هي جالسة في معصرة (٢٥٥) .

و عن أبي مليكة : رأيت عليها درعاً مُضْرَجاً ، فقيل له : و ما المُضْرَجُ ، قال :
هذا الذي تسمونه بالمورد (٢٥٦) .

و عن القاسم كانت عائشة تحرم في الدرع المعصر . و أنّها كانت تلبس الأحمرين
الذهب و المعصر ، و هي محرمة (٢٥٧) .

و عن عبد الرحمن بن القاسم عن أمّه أنّها قالت : رأيت على عائشة ثياباً حُمْراً
كأنّه الشرّ و هي محرمة (٢٥٨) .

و عن عطاء قال : كنت آتي عائشة أنا و عبيدة بن عمير ، و هي مجاورة في جوف
ثبير في قبّة لها عليها غشاؤها ، و قد رأيت عليها و أنا صبيّ درعاً معصراً (٢٥٩) .

رأيها في رضاع الكبير

كات أمّ المؤمنين عائشة على أثر إرجاع الخلفاء إليها في السنن منذ عهد الشيخين

(٢٥٣) الروايات التي هنا من طبقات ابن سعد ٨ ر ٦٩ - ٧٣ بترجمة عائشة .

(٢٥٤) بترجمتها من النبلاء للذهبي ٢ ر ١٣٢ ؛ و في الطبقات ملحفاً معصراً .

(٢٥٥) بترجمتها من طبقات ابن سعد ، و النبلاء للذهبي .

(٢٥٦) بترجمتها في المصدرين السابقين .

(٢٥٧) > > >

(٢٥٨) في الطبقات .

(٢٥٩) بترجمتها في النبلاء و « ثبير » : جبل بأسفل مكة .

حتى عصر معاوية - عدا علي بن أبي طالب - أكثر أمهات المؤمنين حاجة ملاقاته المستفتين . كما أنها اشتركت في حوادث سياسية عنيفة مما لم نعهد لغيرها من أمهات المؤمنين أن يشتركن في نظائرها . فلعل هذا وذاك كان الباعث لها أن تتأول في حديث رضاع سالم مولى أبي حذيفة خلافاً لسائر أمهات المؤمنين . وحديث رضاع سالم في مسند أحمد (٢٦٠) كما يلي :

عن عائشة قالت : أتت سهيلة بنت سهيل بن عمرو ، - وكانت تحت أبي حذيفة بن عتبة - رسول الله ﷺ ، فقالت : إن سالمًا مولى أبي حذيفة يدخل علينا ، وأنا فضّل (٢٦١) ، وإنما كنت نراه ولداً ، وكان أبو حذيفة تبناه كما تبنى رسول الله ﷺ زيدا ، فأنزله الله : « ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله » ، فأمرها رسول الله ﷺ عند ذلك أن ترضع سالمًا ، فأرضعته خمس رضعات ، وكان بمنزلة ولدها من الرضاعة ، فبذل كانت تأمر أخواتها وبنات أخواتها أن يرضعن من أحببت عائشة أن يراها ، ويدخل عليها ، وإن كان كبيراً خمس رضعات ، ثم يدخل عليها ، وأبت أم سلمة و سائر أزواج النبي ﷺ أن يدخلن عليهن بتلك الرضاعة أحداً من الناس حتى يرضع في المهد ، وقلن لعائشة : والله ما ندري لعلها كانت رخصة من رسول الله لسالم دون الناس .

وقد ورد في صحيح مسلم تفصيل هذه القصة في ستة أحاديث (٢٦٢) و آخرها في لفظ مسلم :

وقلن لعائشة : والله ما نرى هذا إلا رخصة أرخصها رسول الله ﷺ لسالم خاصة فما هو بداخل علينا أحد بهذه الرضاعة ولارائينا .

(٢٦٠) مسند أحمد ٦ ر ٢٧٠ - ٢٧١ .

(٢٦١) المرأة فضل : أى فى ثوب واحد .

(٢٦٢) صحيح مسلم باب رضاعة الكبير ج ٤ ر ١٦٨ - ١٧٠ ؛ وفى طبقات ابن سعد

ج ٨ ر ٢٧٠ - ٢٧١ ترجمة سهيلة ؛ وفى روايته : أبى أزواج النبى (ص) أن يأخذن بهذا ؛

وقلن : إنما هذه رخصة من رسول الله (ص) لسهيلة ؛ وفى ترجمة سالم ج ٣ ر ٨٧ ، من

الطبقات قريبا منه .

وكان سالم بن عبدالله بن عمر من اولئك ، فقد ذكر ابن سعد (٢٦٣) أن أم المؤمنين عائشة أرسلته إلى أم كلثوم زوج عبد الله بن ربيعة لترضعه ليدخل عليها ، و يسمع منها . . . الحديث :

وفرى أن الحديث الآتي يؤيد رأي أم سلمة ، وسائر أزواج النبي في حديث الرضاع : في صحيح مسلم (٢٦٤) عن مسروق قال : قالت عائشة دخل علي رسول الله ﷺ و عندي رجل قاعد ، فاشتد ذلك عليه ، ورأيت الغضب في وجهه قالت : فقلت يا رسول الله ! إنه أخي من الرضاعة ، قالت : فقال أنظرن إخوتكن من الرضاعة فإنما الرضاعة من المجاعة .

و قال النووي في شرحه : قوله عليه السلام : « أنظرن إخوتكن » أي تأملن و تفكرن ما وقع من ذلك هل هو رضاع صحيح بشرطه من وقوعه في زمن الرضاعة ؟ فإنما الرضاعة من المجاعة . وهو علة لوجوب النظر والتأمل ، و «المجاعة» مفعلة من الجوع يعني أن الرضاعة التي تثبت بها الحرمة ، و تحل بها الخلوة ، هي حيث يكون الرضيع طفلاً يسد اللبن جوعته ، ولا يحتاج إلى طعام آخر ، والكبير لا يسد جوعته إلا الخبز ، فليس كل مرتضع لبن أم أخاً لولدها ، و في سنن الترمذي : « لا يحرم من الرضاع إلا ما فتق الأمعاء ، أي ما وقع من الصبي موقع الغذاء ، بأن يكون في مدة الرضاع و هي معروفة في الفقه على خلاف فيها . . . (٢٦٥) .

و الرواية هذه في سنن الترمذي (٢٦٦) عن أم سلمة ، و تتممة الرواية هكذا : « إلا ما فتق في الأمعاء في الثدي و كان قبل الفطام » .

(٢٦٣) طبقات ابن سعد ٨ ر ٤٦٢ ؛ بترجمة ام كلثوم بنت أبي بكر ؛ و ترجمة سهلة زوجة أبي حذيفة ص ٢٧١ منه .

(٢٦٤) صحيح مسلم ج ٤ ر ١٧٠ ، و قد أورد الحديث هذا بعده بطرق أخرى عن غير طريق ام سلمة . أيضاً .

(٢٦٥) أوردنا هذا من شرح النووي المطبوع بهامش صحيح مسلم ج ٤ ر ١٧٠ .

(٢٦٦) سنن الترمذي ط . المصرية الاولى ج ٥ ر ٩٦ - ٩٧ و «قال ابو عيسى»

هو الترمذي صاحب السنن .

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ، وغيرهم أن الرضاعة لا تحرم إلا ما كان دون الحولين، وما كان بعد الحولين الكاملين، فإنه لا يحرم شيئاً. انتهى

نوادير وطرائف

لم تكن أم المؤمنين بالمتقشفة في حياتها بل كانت تحب الظرافة، والظرفاء؛ ومما رواها عنها في ذلك ما ذكره ابن عبد ربّه (٢٦٧). قال:

كان في المدينة في الصدر الأول مُغنّ يقال له: قند، وهو مولى سعد بن أبي وقاص، وكانت عائشة تستظرفه، فضربه سعد، فحلفت عائشة: لا تكلمه حتى يرضى عنه قند. فدخل عليه سعد، وهو وجع من ضربه، فاسترضاه، فرضي عنه، وكلمته عائشة. ومن ظرفها ما رواه ابن عبد ربّه في العقد الفريد (٢٦٨).

وقال: دخل الحسن بن عليّ عليّ معاوية، وعنده ابن الزبير، وأبو سعيد بن عقيل بن أبي طالب، فلما جلس الحسن، قال معاوية: يا أبا محمد! أيهما كان أكبر عليّ أمّ الزبير؟ قال: ما أقرب بينهما، عليّ كان أسنّ من الزبير، فقال ابن الزبير: ورحم الله الزبير، فتبسّم الحسن، فقال أبو سعيد بن عقيل بن أبي طالب: دع عنك عليّاً والزبير إن عليّاً دعا إلى أمر فاتبع، وكان فيه رأساً، ودعا الزبير إلى أمر كان فيه الرأس امرأة، فلما تراءت الفئتان، والتقى الجمعان نكص الزبير على عقبيه، وأدبر منهزماً قبل أن يظهر الحقّ فيأخذه، وأويد حض الباطل فيتركه، فأدر كه رجل لو قيس ببعض أعضائه لكان أصغر من شبره، فضرب عنقه، وأخذ سلبه، وجاء برأسه، ومضى عليّ قدماً كعادته مع ابن عمّه ونبيّه ﷺ، فرحم عليّاً، ولا رحم الزبير، فقال ابن الزبير: أما والله لو أن غيرك تكلم بهذا يا أباسعيد! لعلم، قال: إن الذي تعرض به يرغب عنك وأخبرت عائشة بمقاتلتهما، فمرّ أبو سعيد بفنائها، فنادته يا أحو! يا خبيث! أنت القائل لابن أختي كذا وكذا؟! فالتفت أبو سعيد فلم ير شيئاً، فقال: إن الشيطان ليراك

(٢٦٧) العقد الفريد ٦٤ - ٣٤.

(٢٦٨) العقد الفريد ٤ ر ١٤ - ١٥، و شرح النهج ٣ ر ٧، قال: روى أبو عثمان.

من حيث لا تراه ، فضحكت عائشة ، و قالت : لله أبوك ! ما أخبت لسانك !
 في هذه القصة أراد معاوية أن يُغري بين الحسن و ابن الزبير ، كما كان يفعل
 أبداً مع سروات قريش من إغراء بعضهم على بعض ، و أصاب كيدُه هنا مقتل ابن الزبير ،
 وسلم منه الحسن لإدراكه مرمى معاوية من وراء سؤاله ، أمّا أمّ المؤمنين ، فكانت
 كعادتها أبداً متحفّزة ؟ للدفاع عن ذوي قراباتها ، و مهاجمة مناوئهم .
 و من نوارد حديثها أيضاً ما في مسند أحمد (٢٦٩) قال : جاء عمار و معه الأشر

يستأذن على عائشة ، قال : يا أمّة ! فقالت : لست لك بأُمّ ! قال : بلى ، و إن كرهت ،
 قالت : من هذا معك ؟ قال : هذا الأشر ، قالت : أنت الذي أردت قتل ابن أُختي ؟ قال :
 قد أردت قتله ، و أراد قتلي ، قالت : أمّا لو قتله ما أفلحت أبداً ! سمعت رسول الله ﷺ
 يقول : لا يُحِلُّ دم امرئ مسلم إلاّ إحدى ثلاثة : رجل قَتَلَ فِقْتَل ، أو زنى بعد ما
 أُحصن ، أو رجل ارتدّ بعد إسلامه . انتهى

رضي الله عنك يا أمّ المؤمنين ! أفلا قلت ذلك لابن اختك عبد الله حيث حاول قتل
 الأشر ، ثمّ أكان الأمر منحصرأ بابن اختك ؟ فما بال سائر المسلمين الذين قتلوا في تلك
 المعركة الرهيبة ؟

و منها ما رواه ابن عبد ربّه (٢٧٠) قال : دخلت أمّ أو في العبدية على عائشة بعد
 وقعة الجمل ، فقالت لها : يا أمّ المؤمنين ! ما تقولين في امرأة قتلت ابناً لها صغيراً ؟ قالت :
 و جبت لها النار ، قالت : فما تقولين في امرأة قتلت من أولادها الأكبر عشرين ألفاً في
 صعيد واحد ؟ قالت : خذوا بيد عدوّ الله . انتهى

كانت هذه الطرأة قاسية مع أمّ المؤمنين فإنّها و إن كانت من عبد القيس و قد قتل
 من رجالها أمثال حكيم بن جبلة المئات مع عليّ غير أنّه لم يكن لها أن تجابه أمّ المؤمنين
 بهذه القسوة بعد تلك المدة .

(٢٦٩) مسند أحمد ٦ ر ٢٠٥ .

(٢٧٠) العقد الفريد في ذكره خاتمة و وقعة الجمل ؛ و عيون الاخبار لابن

كان وقع حرب الجمل على نفس أم المؤمنين شديداً ، ولم يذهب أثرها على نفسها مرَّ الأيام ، وقد رأينا فيما مرَّ بعض كلامها الذي تصرَّح فيه على ندمها من المشاركة في تلك الحرب و لعلَّ الحديث الآتي منها أيضاً من آثار ندمها ذلك .
 في العقد الفريد ، قالت عائشة : المغزل بيد امرأة أحسن من الرمح بيد المجاهد في سبيل الله (٢٧١) .

و على قد ما كان ذكر تلك الحرب سيئاً على نفس أم المؤمنين كان ذلك مبهجاً لحزب معاوية يشيدون بذكورها في كل حين .
 قال ابن عبد ربّه (٢٧٢) : قدم يزيد بن منية من البصرة على معاوية ، وهو أخو يعلى بن منية صاحب جمل عائشة (رض) و متولّي تلك الحروب ، و رأس أهل البصرة ، و كانت ابنة يعلى عند عتبة بن أبي سفيان ، فلمّا دخل على معاوية شكّاه ، فقال : يا كعب ! إعطه ثلاثين ألفاً ، فلمّا ولى ، قال : و ليوم الجمل ثلاثين ألفاً أخرى . . . الحديث .
 و قال عمرو بن العاص لعائشة : « لوددت إنك كنت قتلت يوم الجمل » . فقالت : « و لم ؟ لا أبالك ! » فقال : « تموتين بأجلك و تدخلين الجنة ، و نجعلك أكبر التشنيع على عليّ » (٢٧٣) .

و من حديث أم المؤمنين مع عمرو أيضاً ما رواه مسروق (٢٧٤) و قال : ذكر عندها - أي عائشة - إنَّ علياً (رض) قتل ذا الثدية ، فقالت لي : إذا أنت قدمت الكوفة ، فاكتب لي ناساً ممّن شهد ذلك ممّن تعرف من أهل البلد ، فلمّا قدمت وجدت الناس اشياء ، فكتبت لها من كل شيع عشرة ممّن شهد ذلك ، قال : فأتيتمها بشهادتهم ، فقالت : لعن الله عمرو بن العاص ، فأنه زعم لي أنه قتله بمصر .

و في تاريخ ابن كثير بعد هذا : ثمَّ أرخست عينيها فبكت ، فلمّا سكنت عبرتها ،

(٢٧١) العقد الفريد ٢ ر ٤٥٥ .

(٢٧٢) العقد الفريد ١ ر ٢٩٩ و ٢ ر ٦٨ ط . مصر الثانية .

(٢٧٣) في الكامل للمبرد ط . ليدن ، ص ١٥١ .

(٢٧٤) في المستدرک ج ٤ ر ١٣ ؛ و نعتة بالصحة على شرط الشيخين ، و كذلك

قال الذهبي في تلخيصه ، و في النبلاء ٢ ر ١٤١ ، و ابن كثير ٨ ر ٣٠٣ .

قالت : رحم الله علياً لقد كان على الحق . وما كان بيني وبينه إلا كما يكون بين المرأة وأهائها .

و كان السبب في ادعاء عمر و أنه هو الذي قتل ذا الشدية ما كانوا يروونه عن النبي في زمه و مدح قاتله (٢٧٥) ، فأراد عمرو بما ادعاه أن يصدق عليه مدح الرسول .

بهذا نختم البحث عن حياة أم المؤمنين ؛ و نعود إلى ترجمة معاوية ، لنستخلص منها ما يعيننا على درس دواعي وضع الحديث في عصره .

نتاج البحث

نفست أُمِّيَّة على هاشم زعامة قريش في الجاهليَّة ، حتَّى إذا جاءهم حفيد عبد المطلب بن هاشم بالإسلام ؛ كان من الطبيعي أن يتزعم أبو سفيان بن حرب بن أُمِّيَّة كفسار قريش في حروبها لرسول الله ؛ و يكون ألد أعدائه عليه ، و يضطهد المستضعفين من الذين آمنوا ، حتَّى إذا شاء الله أن يمن على نبيه بالنصر ، و فتح مكة ، و صم قريشاً باللقاء فبقيت عليهم سببة أبد الدهر . و كسر سيادة أبي سفيان مع كسره أصنام قريش ؛ ثم امتد العمر بأبي سفيان حتَّى أغلظ له أبو بكر في القول ، فأدهش ذلك أباه أبو قحافة ، فقال له ابنه : يا أبة ! إن الله قد رفع بالإسلام بيتك و وضع بيته ، و عاش حتَّى حمل عمر على ظهره الحجارة في مكة ؛ و ضربه بالدرة بين عينيه ؛ فقالت هند في مرارة قاتلة : أبصر به ! أما و الله لرب يوم لو ضربته لاقشعرك بك بطن مكة ، فقال عمر : صدقت ، و لكن الله رفع بالإسلام أفواماً و وضع آخرين .

أصبح المستضعفون في الجاهلية أئمة في الإسلام ، وأصبحوا الوارثين ، و مر عليهم أبو سفيان فقالوا - آسفين - : ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها ؛ ثم يدور الزمن دورته ، و إذا بأُمِّيَّة في عصر عثمان تتلاقف الإمارة تلافف الصببية الكرة ، ففي كل بلد منهم أمير مدلّ بسلطانه ؛ و إذا بالأئمة الوارثين بالأمس يعودون مستضعفين

(٢٧٥) راجع حرب النهروان سنة ٣٨ من الطبري ، وابن الاثير ، وابن كثير ج ٨ ر

في الأرض، معدن بين، تنفيهم السلطة من بلد إلى بلد، وإذا بقريش تعود إلى خيلائها فيقول قائلهم: «إنَّ السواد بستان لقريش!» وكان نتيجة ذلك تمخض البلاد عن ثورة جاحجة تطيح بالخليفة الأموي قتيلا في داره؛ ثم يعود الأمر بقوة المهاجرين و الأنصار إلى هاشم رغم أنف أمية التي أصبحت ذليلة في المدينة، ورغم تابعيها من سرّوات قريش، فيثيروها حرباً شعواء على عليّ بالبصرة، فتُمنى بالفشل. كل ذلك يجري ومعاوية أمير على الشام منذ عهد الشيخين يستغلّ الفرص لتمشيد ملكه، فساوم علياً على إمارة مصر و الشام، و لمّا لم يجبه عليّ إلى ذلك، قاتله في صفين باسم الطلب بدم عثمان، وبعد التحكيم رجع إلى الشام وأخذ يرسل جيوشه ليغيروا على البلاد الإسلامية؛ يقتلون الصغير و الكبير، و يسبون النساء المسلمات، و يحرّقون و يهدمون، و كان حصار أحد جيوشه في تلك الغارات ثلاثين ألف قتيل من المسلمين، و بعد عليّ لم يبايع الحسن مع المسلمين، و تقدّم بجيشه إلى العراق، و أغرى بالحسن قواده ليغتالوه، فصالحه بعد أن جرح بشروط لم يف بواحدة منها معاوية؛ و إنمّا قال بعد دخوله الكوفة: و الله ما قاتلتكم لتصلّوا و لالتصوموا، و إنكم لتفعلون ذلك، و إنمّا قاتلتكم لأنتمر عليكم، و كلّ شرط أعطيته الحسن فتحت قدنيّ هاتين.

و في هذا الدور اضطرّ في سياسته إلى المدارة، فأعطى الجزية لملك الروم؛ و أغدق العطاء على الرؤساء؛ و جلب دُهاة الرجال بالإمرة، و المال، و الاستلحاق بالنسب، حتّى إذا اتسق له الملك، جدّد سنن كسرى و قيصر، فاستصفى الصفراء و البيضاء، و اتخذ الصوافي في البلاد، و أمر أن يحمل إليه هدايا النيزوز و المهرجان.

دواعي وضع الحديث

في عصر معاوية انتشر أصحاب الرسول - المستضعفون في الأرض - الذين كانوا قد التقوا حول عليّ في الكوفة. انتشروا في البلاد بعد عام الجماعة؛ و التفّ المسلمون حولهم في كل مكان يستمعون إلى أحاديثهم و يأخذون منهم معالم دينهم؛ و كان الحديث يوم ذاك يدور في أندية المسلمين عن صفين، و الجمل، و الفتنة في عصر عثمان، و في كلّه زمّ لأمية؛ و عن الفتوح في عصر الشيخين؛ و جلّ ما فيه من

المدح لغير أُمّية؛ و يتبارى أصحاب الرسول في ذكر غزواته و حروبه ، و تعذيب قريش إياهم؛ و هنا لك تخشع النفوس ، و تستمع إلى الحديث بإجلال و إكبار . و الحديث هذا كما ذكرنا كلّه مجد لهاشم ، و في جلّه ذمّ لأُمّية؛ فإنّهم كانوا يذكرون كرون للناس (٢٧٦) غزوة بدر ، و كيف قتلوا جدّ معاوية و خاله و أخاه ، و غيرهم من أفراد أسرته ، و كيف سبوا فيها من سبوا من أهله و ذويه؛ و يذكرون غزوة أحد ، و كيف بقرت هند عن كبد حمزة ولا كتته ، و كيف نادى أبوسفيان فيها : أعلِ هُبَل ، و ينشدون شعر حسان في هند ، و ما هجاها ، و ما كانوا يغمزون من نسب معاوية . و يذكرون إسلام أبي سفيان و بنيه ، و كيف أَلّف النبي قلوبهم على الإسلام بالمال في حنين؛ و يذكرون أنّ أبا سفيان لم يكن مخلصاً في إسلامه ، فقد قال بعد إسلامه : لو عاودت الجمع لهذا الرجل . و قال في حنين : لانتهبي هزيمتهم دون البحر . و قال يوم اليرموك حين رأى فرار المسلمين : إيه بني الأصفر ! و عند ما ركبهم المسلمون : و يح بني الأصفر ! و أنشد :

و بنو الأصفر الكرام ملو ك الروم لم يبق منهم مذكور

كلّ هذا يجري في سلطان معاوية : و العربيّ في الجزيرة كان لا يعنى بشيء عنايته بالتعسّي بأمجار القبيلة ، ينفق ما عزّ و غلا في سبيل نشر آثارها ، و هذا ما لم يمح أثره الإسلام ، و إنّما خفّفه في نفوس النزر اليسير من معتقيه ، و لم يكن معاوية من ذلك النزر اليسير ، فإنّه لم يتطبع بالخلق الإسلامي في مدّة مكثه القصيرة ، بالمدينة ، و كيف يكون غير هذا و قد رأيناه في أيام إمارته بالشام يأكل الربا ، و يُحمل إليه رّوايا الخمر ، و يتلاعب بأموال المسلمين ، و يقوم الخطيب و يمدحه في وجهه ، و يعقد المجالس للمفاخرة ، و يقول في بعضها : قد عرفت قريش أنّ أبا سفيان كان أكرمها و ابن أكرمها إلا ما جعل الله لنبيه ﷺ فإنّه انتخبه و أكرمه ، و إنّني لأظنّ أبا سفيان لو ولد الناس كلّهم لم يلد إلا حازماً (٢٧٧) .

(٢٧٦) و لولا تحديشهم بكل ذلك لما انتهى اليها أخبار تلك الغزوات بتفاصيلها .

(٢٧٧) في ذكر حوادث سنة ٣٣ من الطبري ج ٥ ر ٨٩ ، و ابن الاثير ج ٣ ر ٥٩

من محاوراة بين معاوية و المسييرين من قراء أهل الكوفة الى الشام . و قد أوردته باختصار .

أرايت مفاخرةً أبعد من هذا في التيهه! يرى أن أباه لو ولد الناس كلهم لم يلد إلا حازماً. وإن أباه كان أكرمها وابن أكرمها لولانبوته النبي! كان هذا حد مفاخرته في أيام إمارته، أما في عصر خلافته فقد كانت حدود مفاخرته أبعد مدى من هذا وأقوى؛ فقد اجتمعت لديه يومذاك إلى داعي المفاخرة دواعي أخرى، كانت في حسابه أهم من دواعي التغني بأمجاد القبيلة، فإنه كان قد أصبح ملكاً يبذل قصارى جهده في تثبيته وترسيخ أساسه، وكيف يتم له ذلك وفي المسلمين من يقول له في وجهه: مقال صعصعة ابن صوحان العبدي:

ولقد كنت أنت وأبوك في العير والنفير ممن أجلب على رسول الله ﷺ إنما أنت طليق وابن طليق أطلقكما رسول الله، فأنتى تصحّ الخلافة لطلق (٢٧٨).
ومقال عبد الرحمن بن غنم الأشعري لأبي هريرة وأبي الدرداء عند ما أرسلهما معاوية إلى علي:

وأيّ مدخل لمعاوية في الشورى!؟ وهو من الطلقاء الذين لا تجوز لهم الخلافة! وهو وأبوه من رؤس الأحزاب (٢٧٩) وكيف يستقرّ له الأمر بعد قول عمر:
هذا الأمر في أهل بدر ما بقي منهم أحد، ثمّ في أهل أحد، ثمّ في كذا وكذا، وليس فيها لطلق ولالولد طليق ولالمسلمة الفتح (٢٨٠).

وقول عليّ فيه: وخلاف معاوية إيتاي الذي لم يجعل الله له سابقة في الدين، ولا سلف صدق في الإسلام، طليق ابن طليق، وحزب من الأحزاب، لم ينزل الله ورسوله وللمسلمين عدواً؛ هو وأبوه حتى دخلا في الإسلام كارهين مكرهين (٢٨١).
وقال له: وأعلم أنّك من الطلقاء الذين لا تحلّ لهم الخلافة ولا تعقد معهم الإمامة

(٢٧٨) راجع أخباره في أيام معاوية من مروج الذهب ج ٣ ر ٥٠ ط. السعادة سنة ٧٧.

(٢٧٩) كما في ترجمته من الاستيعاب ج ٢ ر ٤١٧ وأشار إليه في اسد الغابة ج ٣ ر ٣١٨.

(٢٨٠) اسد الغابة ج ٤ ر ٣٨٧؛ والطبقات ط. ليدن ٣ ر ٢٤٨.

(٢٨١) صفين ٢٢٧، والطبرى ٦ ر ٤، وابن الاثير ٣ ر ١٢٥.

ولا يدخلون في الشورى (٢٨٢)

و مقال عبدالله بن بديل يوم صفين فيه :

ان معاوية ادعى ما ليس له ؛ و نازع الأمر أهله ، و من ليس مثله . - إلى قوله -
قاتلوا الفئة الباغية الذين نازعوا الأمر أهله ؛ و قد قاتلتهم مع النبي ﷺ و الله ما هم
في هذه بازكى و لا أتقى ، و لأبر منها ، قوموا إلى عدو الله ، و عدوكم ؛ رحمكم الله (٢٨٣)

و مقال عمار فيها : يا أهل الإسلام ! أتريدون أن تنظروا إلى من عادى الله و رسوله ؟
و جاهدهما ، و بغى على المسلمين ، و ظاهر المشركين ، فلما أراد الله أن يظهر دينه ، و ينصر
رسوله ، أتى النبي ﷺ فأسلم ؛ و هو والله فيما يرى راهب غير راغب ؛ و قبض الله رسوله ﷺ
و إننا و الله لنعرفه بعداوة المسلم ، و مودة المجرم ، ألا و إنه معاوية ، فالعنوه ، لعنه الله
و قاتلوه ، فإنه ممن يطفى نور الله ، و يظهر أعداء الله (٢٨٤)

و مقال الأسود بن يزيد لعائشة : ألا تعجبين من رجل من الطلقاء ينازع أصحاب
محمد في الخلافة ؟ قالت : و ما تعجب من ذلك ؟ فهو سلطان الله يؤتیه البر و الفاجر ؛ و قد
ملك فرعون أهل مصر أربع مائة سنة ؛ و كذلك غيره من الكفار (٢٨٥)

و كتب إليه الحسن : فالיום فليتعجب المتعجب من توثبك يا معاوية ! على أمر
لست من أهله ؛ لا بفضل في الدين معروف ، و لا أثر في الإسلام محمود ، و أنت ابن حزب
من الأحزاب ، و ابن أعدى قريش لرسول الله ، و لكتابه . . (٢٨٦)

و قال له : شعبة بن غريص .

انك كنت ميت الحق في الجاهلية ، و ميتته في الإسلام أما في الجاهلية ،

(٢٨٢) العقد الفريد في أخبار علي و معاوية ٢ ر ٢٨٤ ، و نهج البلاغة ٢ ر ٥ ،

و شرحه ١ ر ٢٤٨١ و ج ٣ ر ٣٠٠ .

(٢٨٣) صفين ص ٢٦٣ ؛ و الطبرى ٦ ر ٩ ؛ و ابن الاثير ٣ ر ١٢٨ ؛ و الاستيعاب

١ ر ٣٤٠٠ بترجمته ؛ و شرح النهج ٢ ر ٤٨٣ .

(٢٨٤) صفين ص ٢٤٠ ؛ و الطبرى ٦ ر ٧ ؛ و ابن الاثير ٣ ر ١٠٢٦ .

(٢٨٥) الدر المشهور للسيوطي ٦ ر ١٩٠ ؛ و في ابن كثير ٨ ر ١٣٦ .

(٢٨٦) مقاتل الطالبين ٢٢ ؛ و شرح النهج ٤ ر ١٢١ .

فقاتلت النبي و الوحي حتى جعل الله كيدك المرود؛ و أمّا في الإسلام ، فمنعت ولد رسول الله ﷺ الخلافة ، و ما أنت وهي !؛ و أنت طليق ابن طليق ! (٢٨٧)

كيف يستقرّ له الملك ؟ و هذه أقوال أئمة المسلمين فيه ! حتى انّ أمّ المؤمنين لم تستطع أن تدافع عنه بأكثر من قولها : إنّ ذلك سلطان الله يؤتیه البرّ و الفاجر . كيف يستقرّ له الملك ؟ و يتمّ له ما يريد من جعل الخلافة وراثه في عقبه ؟ و هذه أقوال أئمة المسلمين فيه ! و في المسلمين الحسن و الحسين ، و اراثا مجد هاشم ، و سبطا الرسول ، و قد خصّهما المسلمون بالحبّ و الإكبار ، إذن لا بدّ طعاوية في ما يريد من توطيد ملكه ، و توريثه لعقبه من أن يصرف المسلمين عن بيت عليّ خاصة إلى بيته : بيت أمية ، فأعلن على هذا البيت و أشياعه و تابعيه حرباً يشيب من هولها الوليد ، و بذل في سبيل هذه الحرب ما ملك من مكر ، و دهاء ، و مال ، و قوّة ، و لمّا لم تكن له سابقة حسنة في الإسلام ليتشبّث بها فيما يريد لم يكن له بدّ من التذوّع بدم عثمان للوصول إلى ما يروم .

روى الطبري (٢٨٨) و قال : استعمل معاوية المغيرة بن شعبه على الكوفة سنة إحدى و أربعين ، فلمّا أمره عليها دعاه ، و قال له : قد أردت إيضاءك بأشياء كثيرة أنا تاركها اعتماداً على بصرك ، و لست تاركاً إيضاءك بخصلة ، لا تترك شتم عليّ و ذمّه ، و الترحم على عثمان ، و الاستغفار له ، و العيب لأصحاب عليّ ، و الإقصاء لهم ، و الإطراء لشعبة عثمان ، و الإيداء لهم ، فقال له المغيرة : قد جرّبت و جرّبت ، و عملت قبلك لغيرك ، فلم يذممني ، و سبّلو فتحمّد أو تدمّم ، فقال : بل نحمد إن شاء الله .

و روى المدائني في كتاب الأحداث و قال : كتب معاوية نسخة واحدة إلى عمّاله بعد غام الجماعة : أن برئت الذمّة ممّن روى شيئاً من فضل أبي تراب ، و أهل بيته ، و كان أشدّ البلاء حينئذ أهل الكوفة .

(٢٨٧) في الإغاني ط . دار الفكر ٣ ر ٢٥ في أخبار شعبة بن غريظ ؛ و أشار

إليه ابن حجر في الإصابة في ترجمة سعنة بن غريظ المرقمه ٣٢٤٥ ج ٢ ر ٤١ .

(٢٨٨) في حوادث سنة إحدى و خمسين من الطبري ٦ ر ١٠٨ . و ابن الأثير ٣ ر ٢٠٢ .

وكتب معاوية^(٢٨٩) إلى عماله في جميع الآفاق ألا يجيزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة، وكتب إليهم أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحببيه، وأهل ولايته، والذين يروون فضائله، ومناقبه، فادنوا مجالسهم، وقرّبوهم، وأكرموهم، واكتبوا إليّ بكلّ ما يروي كلّ رجل منهم، واسمه، واسم أبيه، وعشيرته، ففعلوا ذلك حتّى أكثروا في فضائل عثمان، ومناقبه لما كان يبعث إليهم معاوية من الصلوات، والكساء، والحباء، والقطايح، ويُفضيه في العرب منهم والموالي، فكثرت ذلك في كلّ مصر، وتنافسوا في المنازل، والدنيا، فليس يجيء أحد مردود من الناس عاملاً من عمال معاوية، فيروي في عثمان فضيلة أو منقبة إلا كتب اسمه، وقرّب به وشفّعه، فلبثوا بذلك حيناً، ثمّ كتب إلى عماله أن الحديث في عثمان قد كثر، وفشا في كلّ مصر، وفي كلّ وجه، وناحية، فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة، والخلفاء الأولين، ولا تتركوها خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلا وأتوني بمنافض له في الصحابة، فإنّ هذا أحبّ إليّ وأقرّ إلى عيني، وأدحض لحجّة أبي تراب، وشيعته، وأشدّ عليهم من مناقب عثمان، وفضله، فقرئت كتبه على الناس، فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها، وجرى الناس في رواية ما يجري هذا المجرى حتّى أشادوا بذلك على المنابر، وألقي إلى معلّمي الكتاتيب، فعلموا صبيانهم، وغلماهم من ذلك الكثير الواسع، حتّى روه، وتعلّموه كما يتعلّمون القرآن، وحتّى علّموه بناتهم، ونساءهم، وخدمهم، وحشمهم، فلبثوا بذلك إلى ما شاء الله...، فظهرت أحاديث كثيرة موضوعة، وبهتان منتشر، ومضى على ذلك الفقهاء، والقضاة والولاة... (الحديث^(٢٩٠)).

وقد روى ابن عرفة المعروف بنفطويه، وهو من أكابر المحدثين، وأعلامهم في تاريخه ما يناسب هذا الخبر وقال: إن أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة

(٢٨٩) قد نقل كتاب معاوية هذا أيضاً أحمد أمين في فجر الاسلام ٢٧٥ .

(٢٩٠) في شرح «من كلام له» وقد سأله سائل عن أحاديث البدعة من شرح النهج

ج ٣ ر ١٥ - ١٦ ، أورد ابن أبي الحديد الروائين المرويتين عن (المدايني) .

افتعلت في أيام بني أمية تقرّباً إليهم بما يظنون أنّهم يرغبون به أنوف بني هاشم (٢٩١) و كان معاوية قبل هذا سابقة في الوضع و الدس ، و منها ما روى الطبري عنه ، أنّه لما أيس معاوية من قيس أن يتابعه على أمره ، شقّ عليه ذلك ، لما يعرف من حزمه و بأسه ، و أظهر للناس قبيلته : أن قيس بن سعد قد تابعكم ، فادعوا الله له ، و اختلق معاوية كتاباً من قيس بن سعد ، فقرأه على أهل الشام ، وهو :

« بسم الله الرحمن الرحيم : للأمير معاوية بن أبي سفيان من قيس بن سعد : سلام عليك ، فإنني أحمّد إلكم الله الذي لا إله إلا هو ، أمّا بعد : فإنّ قتل عثمان كان حدّاً في الإسلام عظيماً ، و قد نظرت لنفسي ، و ديني ، فلم أر يسعني مظاهرة قوم قتلوا إمامهم مسلماً محرماً برّاً تقيّاً ، فنستغفر الله عزّ و جلّ لذنوبنا ، و نسأله العصمة لديننا ، ألا وإنني قد ألقيتُ إلكم بالسّلم (٢٩٢) و إنني أجبّتك إلى قتال قتلة عثمان (رض) ، إمام الهدى المظلوم ، فعولّ عليّ فيما أحببت من الأموال ، و الرجال أعجله إلك إن شاء الله ، و السلام على الأمير ، و رحمة الله ، و بركاته ، (٢٩٣) .

هكذا كان معاوية لا يتحرّج من الكذب و الاختلاق فيما فيه تأييد لسياسته ، و يوم امتدّ سلطانه وعمّ البلاد و العباد ، و ازداد حاجته إلى الوضع و الاختلاق ، استمدّ في ذلك من غيره .

و في هذه الحرب حرب الدعاية ، و مسابقة وضع الحديث لدمّ جماعة و مدح آخرين استجاب لمعاوية جماعة من الصحابة نظراء المغيرة بن شعبة ، و عمرو بن العاص ، و سمرة بن جندب ، و أبي هريرة ، من طلاب الإمرة ، و المال ممّن كان في دينه رقّة ، و في نفسه ضعف .

روى ابن أبي الحديد (٢٩٤) عن أبي جعفر الإسكافي و قال : إنّ معاوية وضع قوماً

(٢٩١) المصدر السابق ؛ و ص ٢١٣ من فجر الاسلام .

(٢٩٢) السلم : الاستسلام .

(٢٩٣) الطبري : ٥ ر ٢٢٩ - ٢٣٠ ؛ و شرح النهج ٢ ر ٢٤ و النجوم الزاهرة

في ملوك مصر و القاهرة ١ ر ١٠١ ، و أشار إليه ابن الاثير في ٣ ر ١١٦ .

(٢٩٤) شرح النهج ١ ر ٣٥٨ .

من الصحابة وقوم آمن التابعين على رواية أخبار قبيحة في علي عليه السلام تقمضى الطعن فيه ، والبراءة منه ، وجعل لهم على ذلك جعلاً يرغب في مثله ، فاختلّفوا ما أرضاه منهم أبو هريرة ، وعمرو بن العاص ، والمغيرة بن شعبة ، و من التابعين عروة بن الزبير ، روى الزهري : أن عروة ابن الزبير حدّثه قال : حدّثني عائشة ، قالت : كنت عند رسول الله إذ أقبل العباس و علي ، فقال : يا عائشة ! إن هذين يموتان على غير ملّتي ، أو قال : ديني .

و روى عبد الرزاق عن معمر قال : كان عند الزهري حديثان عن عروة عن عائشة في علي عليه السلام فسألته عنهما يوماً ، فقال : ما تصنع بهما و بحدِيثهما ؟ الله أعلم بهما إنني لأتّهمهما في بني هاشم ! قال : فأما الحديث الأوّل ، فقد ذكرناه ، و أما الحديث الثاني فهو أن عروة زعم أن عائشة حدّثته قالت : كنت عند النبي صلى الله عليه وآله إذ أقبل العباس و علي ، فقال : يا عائشة ! إن سرّك أن تنظري إلى رجلين من أهل النار فانظري إلى هذين قد طلعا ، فنظرت فإذا العباس و علي بن أبي طالب .

و أمّا عمرو بن العاص ، فقد روى فيه الحديث الذي أخرجه البخاري (٢٩٥) ومسلم في صحيحيهما مسنداً متصلاً بعمرو بن العاص ، قال : سمعت النبي يقول - جهاراً غير سرّ (٢٩٦) - إن آل أبي طالب ليسوا لي بأولياء ؛ إنّما وليي الله ، و صالح المومنين .

و في البخاري بعده بطريق آخر عنه : و لكنّ لهم رحماً أبْلها ببلالها - يعني أصلهما بصلتها . انتهى .

و أمّا أبو هريرة ؛ فقد روى الأعمش وقال : لما قدم أبو هريرة العراق مع معاوية عام الجماعة ، جاء إلى مسجد الكوفة ، فلمّا رأى كثرة من استقبله من الناس ، جثا على ركبتيه ، ثم ضرب صلّته مراراً ؛ وقال : يا أهل العراق ! أتزعمون أنّي أكذب على الله و على رسوله و أأحرق نفسي بالنار ؛ و الله لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : إنّ لكلّ نبي حرماً و إنّ

(٢٩٥) قد أورد البخاري هذا الحديث في صحيحه ج ٣ ر ٣٤ كتاب الادب باب يبل

الرحم ببلالها بطريقين عن ابن العاص .

(٢٩٦) هذه الزيادة في رواية البخاري الثانية عن ابن العاص .

حرمي بالمدينة ما بين عير إلى ثور (٢٩٧) فمن أحدث فيها حدثاً، فعليه لعنة الله، والملائكة، والناس أجمعين؛ وأشهد بالله أن علياً أحدث فيها. فلما بلغ معاوية قوله، أجازته، وأكرمه، وولاه المدينة.

وأمّا سمرة فقد قال أبو جعفر شيخ ابن أبي الحديد فيه: قد روي: أن معاوية بذل لسمرة بن جندب مائة ألف درهم حتى يروي أن هذه الآية نزلت في علي عليه السلام ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام. وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد. وأن الآية الثانية نزلت في ابن ملجم وهي قوله تعالى: «ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله» (٢٩٨)، فلم يقبل، فبذل له مائتي ألف درهم، فلم يقبل، فبذل له أربع مائة ألف درهم فقبل (٢٩٩).

استجاب لمعاوية جمع من الصحابة والتابعين، فأصابوا من دنيا معاوية العريضة. وخالفه آخرون، فأصابهم التشريد والتقتيل؛ ووقع بين الطرفين معارك ضارية كانت نتائجها آلاف الأحاديث الموضوعة التي ورثناها اليوم من جانب؛ ومن آخر آلاف الضحايا البريئة من خيار المسلمين.

وكان سمرة هذا ممن امتثل أوامر معاوية، فأصاب الإمرة في البصرة، فأسرف في قتل من خالفه.

روى الطبري (٣٠٠) وقال: سئل ابن سيرين: هل كان سمرة قتل أحداً؟ فقال: وهل يحصى من قتل سمرة بن جندب! استخلفه زياد على البصرة وأتى الكوفة، فجاء وقد قتل ثمانية آلاف من الناس، وروى أنه قتل في غداة واحدة سبعة وأربعين كلهم قد جمع القرآن.

(٢٩٧) قال ابن أبي الحديد في شرحه: الظاهر أنه غلظ من الراوي لأن ثوراً بمكة... والصواب ما بين عير إلى احد.

(٢٩٨) الآية: ٢٠١ و ٢٠٢ من سورة البقرة؛ والثانية الآية: ٢٠٤ من سورة البقرة.

(٢٩٩) هذه الروايات وردت في شرح النهج ج ١ ر ٣٥٨ - ٣٦١.

(٣٠٠) في حوادث سنة ٥٠ من الطبري ج ٦ ر ١٣٢ وابن الأثير ٣ ر ١٨٩.

و قال : مات زياد و على البصرة سمرة بن جندب فأقره معاوية أشهراً ثم عزله ، فقال سمرة : لعن الله معاوية ، والله لو أطعت الله كما أطعت معاوية ما عذبني أبداً (٣٠١) .

و كان منهم المغيرة بن شعبه ، فإنه أقام سبع سنين و أشهراً في الكوفة لا يدع شتم عليّ و الوقوع فيه ، و العيب لقتلة عثمان ، و اللعن لهم ، و الدعاء لعثمان بالرحمة ، و الاستغفار له ، و التزكية لأصحابه . غير أن المغيرة كان يداري ، فيشتد مرة ، و يلين أخرى ، روى الطبري (٣٠٢) : أن المغيرة بن شعبه قال لصعصعة بن صوحان العبدي ، و كان المغيرة يومذاك أميراً على الكوفة من قبل معاوية : « إياك أن يبلغني عنك أنك تعيب عثمان عند أحد من الناس و إياك أن يبلغني عنك أنك تذكر شيئاً من فضل عليّ علانية فإنك لست بذاك من فضل عليّ شيئاً أجمله بل أنا أعلم بذلك ، ولكن هذا السلطان قد ظهر ، و قد أخذنا باظهار عيبه للناس ، فنحن ندع كثيراً مما أمرنا به ، و نذكر الشيء الذي لانجد منه بداً ندفع به هؤلاء القوم عن أنفسنا تقيّة ، فإن كنت ذا كراً فضله ، فازكره بينك و بين أصحابك ، و في منازلكم سرّاً ، و أما علانية في المسجد ، فإن هذا لا يحتمله الخليفة لنا و لا يعذرنا فيه . . . » الحديث .

و أما زياد ، فإنه كان أشد من غيره من ولاة معاوية في هذا الأمر ؛ و قد سبق ذكر قصته مع حجر ؛ و من قصصه في هذه المعركة أيضاً ما وقع بينه و بين صيفي بن فسيل ، فإنه أمر فجيء به إليه ، فقال له : يا عدو الله ! ما تقول في أبي تراب ؟ قال : ما أعرف أبا تراب ؛ قال : ما أعرفك به ! قال : ما أعرفه ، قال : أما تعرف عليّ بن أبي طالب ؟! قال : بلى ، قال : فذاك ، - و بعد محاورة بينهما - قال : عليّ بالعصا ، فقال : ما قولك في عليّ ؟ قال : أحسن قول أنا قائله في عبد من عبيد الله أقوله في أمير المؤمنين ، قال : اضربوا عاتقه بالعصا حتى يلصق بالأرض ؛ ف ضرب حتى ألصق بالأرض ؛ ثم قال : أفلعوا عنه ، فتر كوه ، فقال له : إيه ما قولك في عليّ ؟ قال : و الله لو شرطتني بالمواسي و المدي

(٣٠١) في حوادث سنة ٥٢ من الطبري ج ٦ ر ١٦٤ ، و ابن الاثير ٣ ر ٢١٢

و قد أورتها منهما باختصار .

(٣٠٢) الطبري ج ٦ ر ١٠٨ في ذكره حوادث سنة ٤٣ هـ .

ما قلت إلا ما سمعت مني ، قال لتلعننه أو لأضربن عنقك ، قال : إذا و الله تضربها قبل ذلك ، فأسعد و تشقى ، قال : ادفعوا في رقبتك ، ثم قال : أو قروه حديداً و اطرحوه في السجن ، ثم قتل مع حجر (٣٠٣) .

و كتب إلى معاوية في رجلين حضرميين (٣٠٤) أنهما على دين علي و رأيه ، فأجابته من كان على دين علي و رأيه ، فاقتله ، و امثل به ؛ فصلبهما على باب دارهما بالكوفة (٣٠٥) .

كما أمره بدفن الخثعمي الذي مدح علياً و عاب عثمان حياً ، فدفنه حياً (٣٠٦) .
و ختم حياته بما ذكره المسعودي ، و ابن عساکر ، قال ابن عساکر : جمع أهل الكوفة فملاً منهم المسجد و الرحبة و القصر ، ليعرضهم على البراءة من علي (٣٠٧) و قال المسعودي : و كان زياد جمع الناس بالكوفة بباب قصره يجرّضهم على لعن علي ، فمن أبي ذلك عرضه على السيف ثم ذكر أنه أصيب بالطاعون في تلك الساعة فأفرج عنهم .
و كان عمرو بن الحمق الخزاعي ممن أصابه التشريد و القتل في هذه المعركة ، فأنه فر إلى البراري ، فبحثوا عنه حتى عثروا عليه ، فحزوا رأسه ، و حملوه إلى معاوية ، فأمر بنصبه في السوق ، ثم بعث برأسه إلى زوجته في السجن - و كان قد سجنها في هذا السبيل - فالتقي في حجرها (٣٠٨) .

عمت هذه السياسة البلاد الإسلامية ، و اتبعتها و نفذها غير من ذكرنا من الأمراء

(٣٠٣) الطبري ٦ ر ١٤٩ ؛ و ابن الاثير ٣ ر ٢٠٤ ، و الاغانى ١٦ ر ٧ ،
و ابن عساکر ٦ ر ٤٥٩ .

(٣٠٤) نسبة الى حضرموت من بلاد اليمن .

(٣٠٥) المجبر ص ٤٧٩ .

(٣٠٦) راجع قبله ص ٢٦٠ في ذكر قصة حجر بن عدى .

(٣٠٧) المسعودي في أيام معاوية ج ٣ ر ٣٠ ؛ و ابن عساکر ٥ ر ٤٢١ .

(٣٠٨) المعارف لابن قتيبة ١٢٧ ، و الاستيعاب ٢ ر ٥١٧ ، و الاصابة ٢ ر ٥٢٦ ،

و تاريخ ابن كثير ٨ ر ٤٨ ، و المجبر ص ٤٩٠ .

أيضاً ، كبسر بن أرطاة في ولايته البصرة ، وابن شهاب في الري ^(٣٠٩) فقد كانت لهم قصص في ذلك ذكرها المؤرّخون ، ثم أصبحت هذه سياسة بني أمية التقليدية ، و لعن علي ابن أبي طالب على منابر الشرق و الغرب ما عدا سجستان ، فإنه لم يلعن علي منبرها إلا مرة ، و امتنعوا على بني أمية ، حتّى زادوا في عهدهم أن لا يلعن علي منبرهم أحدٌ في حين كان يلعن على منبر الحرمين ^(٣١٠) .

وقد كانوا يلعنون عليّاً على المنابر بمحضر من أهل بيته ، و قصصهم في ذلك كثيرة نكتفي منها بذكر واحدة أوردها ابن حجر ^(٣١١) في تطهير اللسان ، و قال : إنَّ عمراً صعد المنبر فوقع في عليّ ، ثم فعل مثله المغيرة بن شعبه ، فقبل للحسن : اصعد المنبر لتردّ عليهما ، فامتنع إلا أن يعطوه عهداً أنّهم يصدّ قوه إن قال حقاً ، و يكذبوه إن قال باطلاً ، فأعطوه ذلك ، فصعد المنبر ، فحمد الله و أثنى عليه ، ثم قال : أنشدك الله يا عمرو ! يا مغيرة ! أتعلمان أن رسول الله ﷺ لعن السائق و القائد أحدهما فلان ، قالا : بلى ، ثم قال : يا معاوية ! و يا مغيرة ! ألم تعلمنا أن النبي ﷺ لعن عمراً بكل قافية قالها لعنة ، قالا : اللهم بلى . . . الحديث .

و لما كان الناس لا يجلسون لاستماع خطبهم لما فيها من حديث لا يرتضونها ، خالفوا السنة و قدّموا الخطبة على الصلاة . قال ابن حزم في المحلى ^(٣١٢) : أحدث

^(٣٠٩) في حوادث سنة ٤١ هـ من الطبري ٦ ر ٩٦ ، و ابن الاثير ٣ ر ١٦٥ ، و ابن شهاب في ابن الاثير ٣ ر ١٧٩ في ذكر استعمال المغيرة على الكوفة من (حوادث سنة احدى و أربعين) .

^(٣١٠) أوردها ملخصة من معجم البلدان ج ٥ ر ٣٨ ط . المصرية الاولى في لغة سجستان ، و هي من بلاد ايران .

^(٣١١) في تطهير اللسان ص ٥٥ ، قال وجاء بسند رجاله رجال الصحيح الا واحد فمختلف فيه لكن قواه النهي بقوله : انه أحد الاثبات ، و ما فيه جرح أصلاً ، ثم أورد الحديث .

و يؤيد هذا الحديث ما أورده في ص ٢٣٠ من هذا الكتاب راجع الهامش المرقم ٨٢ من تلك الصفحة .

^(٣١٢) المحلى لابن حزم تحقيق أحمد محمد شاكر ج ٥ ر ٨٥ - ٨٦ ؛ و راجع

كتاب الام للشافعي ١ ر ٢٠٨ .

بنوا مية تقديم الخطبة على الصلاة، واعتلوا بأن الناس كانوا إزاصلوا ثم كوهم، ولم يشهدوا الخطبة، وذلك لأنهم كانوا يلعنون علي بن أبي طالب (رض) فكان المسلمون يقرّون، وحقّ لهم ذلك.

و في الصحيحين (٣١٣) وغيرهما عن أبي سعيد الخدري قال :

خرجت مع مروان - وهو أمير المدينة - في أضحى أو فطر، فلما أتينا المصلّى إذا منبر بناه كثير بن الصلت، فاذا مروان يريد أن يرتقيه قبل أن يصلي، فجذبت بثوبه، فجبذني، فارتفع، فخطب قبل الصلاة، فقلت له: غيرتم والله. فقال: يا أبا سعيد! قد ذهب ما تعلم. فقلت: ما أعلم والله خير ممّا لا أعلم، فقال: إنّ الناس لم يكونوا يجلسون لنا بعد الصلاة، فجعلتها قبل الصلاة.

و كانوا لا يكتفون بذلك، بل يأمرّون الصحابة به أيضاً، ففي صحيح مسلم (٣١٤)

و غيره عن سهل بن سعد قال :

استعمل على المدينة رجل من آل مروان، فدعا سهل بن سعد، فأمره أن يشتيم عليّاً، فأبى سهل، فقال له: أمّا إذا أبيت فقل: لعن الله أبا التراب، فقال سهل: ما كان لعلّي اسم أحبّ إليه من أبي التراب، وإن كان ليفرح إذا دُعِيَ بها، فقال له: أخبرنا عن قصّته، لم سمّي أبا تراب؟ قال: جاء رسول الله ﷺ بيت فاطمة، فلم يجد عليّاً في البيت، فقال: ابن ابن عمك؟ فقالت: كان بيني وبينه شيء، فغاضبني، فخرج، فلم يقبل عندي، فقال رسول الله ﷺ لا نسان: انظر أين هو؟ فجاء، فقال: يا رسول

(٣١٣) البخارى ٢ ر ١١١ و مسلم ٣ ر ٢٠، و سنن ابى داود ١ ر ١٧٨؛

و ابن ماجه ١ ر ٣٨٦، و البيهقى ٣ ر ٢٩٧، و فى مسند احمد ٣ ر ١٠ و ٢٠ و ٥٢ و ٥٤ و ٩٢، و اسم المعترض على مروان فى مسند احمد غير أبى سعيد.

(٣١٤) أوردته ملخصاً عن صحيح مسلم ٧ ر ١٢٤ باب مناقب على، و أورده البخارى

محر فافى صحيحه باب مناقب على، و فى باب نوم الرجل فى المسجد من كتاب الصلاة ج ٢ ر ١٩٩،

و فى ارشاد السارى ج ٦ ر ١١٢: أن هذا الوالى هو مروان بن الحكم؛ و راجع

البيهقى ٢ ر ٤٤٦.

الله! هو في المسجد راقد، فجاءه وهو مضطجع، وقد سقط رداؤه عن شقيقه، فجعل رسول الله ﷺ يمسحه عنه، ويقول: قم أبا التراب، قم أبا التراب.

وعن عامر بن سعد بن أبي وقاص، قال: أمر معاوية سعداً، فقال: ما منعك أن تسب أبا التراب؟ فقال: أمّا ما ذكرت ثلاثاً قالهنّ له رسول الله ﷺ فلن أسبّه، لأن تكون لي واحدة منهنّ أحبّ إليّ من حمر النعم.

سمعت رسول الله ﷺ يقول له وقد خلفه في بعض مغازيه، فقال له عليّ: يا رسول الله! خلفتني مع النساء والصبيان؟ فقال له رسول الله ﷺ: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنّه لانبوة بعدي، وسمعته يقول يوم خيبر: لأعطين الراية رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله؛ قال: فتناولنا لها، فقال: ادعوا لي عليّاً فأنتي به أرمء، فبصق في عينه، ودفع الراية إليه، ففتح الله عليه، ولما نزلت هذه الآية: «قل: تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم» دعا رسول الله ﷺ عليّاً، وفاطمة، وحسناً، وحسيناً، فقال: اللهم! هؤلاء أهلي (٣١٥).

ورواه المسعودي (٣١٦) عن الطبري هكذا: قال: لما حجّ معاوية طاف بالبیت ومعه سعد، فلما انصرف معاوية إلى دار الندوة، فأجلسه معه على سريريه، ووقع في عليّ، وشرع في سبّه، فزحف سعد، ثمّ قال: أجلستني معك على سريرك؟ ثمّ شرعت في سبّ عليّ، والله لأن يكون فيّ خصلة واحدة من خصال لعليّ أحبّ إليّ، ثمّ ساق الحديث باختلاف يسير وذكر في آخره أنّه قال: وأيم الله لادخلت لك داراً ما بقيت، ثمّ نهض.

أمّا ابن عبد ربّه فقد أورده باختصار في أخبار معاوية من العقد الفرید (٣١٧) قال:

(٣١٥) مسلم ٧ ر ١٢٠، والترمذی ١٣ ر ١٧١؛ والمستدرک ٣ ر ١٠٨ و ١٠٩؛

وزاد فلا والله ما ذكره معاوية بحرف حتى خرج من المدينة، والاصابة ٢ ر ٥٠٩؛ والنسائي في الخصائص ص ١٥.

(٣١٦) مروج الذهب ج ٣ ر ٢٤ في أيام معاوية، ثم ذكر ماصدر عن معاوية في

المجلس مما أربأ بقلمي عن ذكره.

(٣١٧) العقد ٣ ر ١٢٧.

و لما مات الحسن بن عليّ و حجّ معاوية ، فدخل المدينة ، و أراد أن يلعن علياً على منبر رسول الله ﷺ فقيل له : إن ههنا سعد بن أبي وقاص . ولا نراه يرضى بهذا ، فابعث إليه و خذ رأيه ، فأرسل إليه و ذكر له ذلك ، فقال : إن فعلت لأخرجن من المسجد ، ثم لأعود إليه ، فأمسك معاوية عن لعنه حتى مات سعد ، فلما مات لعنه على المنبر ، و كتب إلى عمّا له أن يلعنوه على المنابر ، ففعلوا ، فكتبت أمّ سلمة زوج النبي ﷺ إلى معاوية إنكم تلعنون الله ورسوله على منابركم ، و ذلك أنكم تلعنون عليّ بن أبي طالب ، و من أحبّه ؛ و أنا أشهد الله أن الله أحبّه ، و رسوله ، فلم يلتفت إلى كلامها ؛ انتهى .

كان معاوية ذات نفسية معقدة بما كان يُغمز عليه من نسبه ، و يُعاب عليه من مواقف بيته من الإسلام و زاده تعقيداً ما كان يرى من إنلال الإسلام بيته الرفيع في الجاهلية ، و ما وصمه النبيّ و وصم أباه و أخاه بأنهم الطلقاء ، و كان يزيد تعقيداً على تعقيد ما كان يرى من ارتفاع ذكر بني هاشم ، و خلوده عبقاً أبد الدهر حين كان يرى خمول ذكر أبيه و سائر أبناء بيته ، و كان ما ذكرنا من مواقف الصحابة و خيار المسلمين يزيد في نار حقه تأججاً حين لا يستطيع من إبراز دخيلة نفسه حتى إذا خلا بالمغيرة ذات ليلة كشف له عن سرّه المكتوم .

روى زبير بن بكار في كتابه الموقفيات عن مطرف بن المغيرة بن شعبة أنه قال : - و فدت مع أبي المغيرة إلى معاوية فكان أبي يأتيه يتحدث عنده ثم ينصرف إليّ ، فيذكر معاوية ، و يذكر عقله ، و يعجب مما يرى منه ، إذ جاء ذات ليلة ، فأمسك عن العشاء ، فرأيتُه مغتماً ، فانتظرتُه ساعة ، و ظننت أنه لشيء حدث فينا ، أو في عملنا ، فقلت له : مالي أراك مغتماً منذ الليلة ؟ قال : يا بنيّ إليّ جيئت من عند أخبت الناس ، قلت له : وما ذلك ؟ قال : ذلك له ، و قد خلوت به : إنك قد بلغت سنك يا أمير المؤمنين ! فلو أظهرت عدلاً ، و بسطت خيراً ، فإنك قد كبرت ، و لو نظرت إلى إخوانك من بني هاشم ، فوصلت أرحامهم ، فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه ، فقال لي : هيئات ! هيئات ! ملك أخوتيم فعدل ، و فعل ما فعل ، فوالله ما غداً أن هلك ، فهلك ذكره إلا أن يقول قائل : أبو بكر ؛ ثم ملك أخو عدي فاجتهد و شمر عشر سنين ، فوالله ما غداً أن هلك فهلك ذكره

إلا أن يقول قائل : عمر ؛ ثم ملك أخونا عثمان فملك رجل لم يكن أحد في مثل نسبه فعمل ما عمل ، و عمل به ، فوالله ما غدا أن هلك فهلك ذكره ، وذكر ما فعل ، و أن أخا هاشم يُصرخ به في كل يوم خمس مرات : أشهد أن محمداً رسول الله فأبي عمل ببقى مع هذا لا أم لك ؛ لا والله إلا دفناً دفناً (٣١٨)

وكان معاوية يرغب أشد الرغبة أن لا يبقى من بني هاشم نافع نارعلى ما وصفه علي في قوله : والله لودّ معاوية : أنه ما بقي من بني هاشم نافع ضرة إلا طعن في بطنه إطفاء لنور الله ، و يأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون (٣١٩)

و حيث لم يتأت له ذلك جدّ في إطفاء ذكرهم ، و حشر جنوده لوضع أحاديث في ذمهم ودفع ما وصم به بيته ، فان ورد عن الرسول أحاديث في لعنه ، و لعن أبيه ، و لعن آل أبيه ، و غيرهم من بني أمية ، كالحكم بن أبي العاص ، و أمثاله ، فليتحدث الناس أن الرسول قد قال : اللهم إنما أنا بشر فأبي المسلمين لعنته ، أو سببته فاجعله له زكاة و طهوراً (٣٢٠)

إن هذا الحديث و أمثاله سلاح ذات حدّين : في صالح معاوية فإنه حين يرخص عن أسرته ما وُصموا به يضع من رسول الله ، و يجعله في عداد من لا يملكون أنفسهم عند الغضب خلافاً لقول الله فيه ، « و إنك لعلى خلق عظيم » و قوله فيه : « و لا ينطق عن الهوى » ، و قد فات قصد معاوية عن كثير من المسلمين ، فجاروه فيما يريد ، وهو إذ لم يستطع إظهار دخيلة نفسه عن الرسول فإنه استطاع ان يعلنها صريحة سافرة في مجالات أخرى كالدفاع عن عثمان ، و ذويه ، و سياسته ؛ و الخط من علي ، و آله ، و أشياعه و سياسته ، على ما سبق من الإشارة إليه آنفاً ، وكان معاوية شديداً على من لم يجاريه في هذه السياسة ، يذيقهم الهوان ، و يصلبهم ، و يدفنهم أحياء ، و قد عاصرت أم المؤمنين ، و كانت مرعية الجانب في بادئ عهده ، و كانا على وفاق تام في حرب علي ، أما موقفها من سياسته في معركة التحدّث خاصة ، فيكشفها لنا حديثها الآتي في عثمان .

(٣١٨) ذكره المسعودي في حوادث سنة اثنتي عشرة و مائتين بها مش ابن الاثير

ج ٩ ، ص ٤٩٠ ، و شرح النهج ج ١ ر ٤٦٣ .

(٣١٩) مروج الذهب تحقيق محمد محي الدين ج ٣ ر ٢٨٠ ، في ذكر أيام معاوية .

(٣٢٠) سند رسها و نظائرها في القمص الثاني من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى .

حديثها في عثمان

في منسند أحمد (٣٢١) عن النعمان بن بشير قال : « كتب معاوية كتاباً إلى عائشة قال : فقدمت على عائشة ، فدفعت إليها كتاب معاوية ، فقالت : يا بني ألا أحدثك بشيء سمعته من رسول الله ﷺ ، قلت : بلى ، قالت : فإني كنت أنا و حفصة يوماً من ذلك عند رسول الله ﷺ فقال : لو كان عندنا رجل يحدثنا ، فقلت : يا رسول الله ألا أبعث لك إلى أبي بكر ؟ فسكت ، ثم قال : لو كان عندنا رجل يحدثنا ، فقالت حفصة : ألا أرسل لك إلى عمر ؟ فسكت ، ثم قال : لا ، ثم دعا رجلاً فسار به بشيء ، فما كان إلا أن أقبل عثمان ، فأقبل عليه بوجهه ، و حديثه ، فسمعته يقول له : يا عثمان إن الله عز و جل لعله يقمصك قميصاً فإن أراوك على خلعه فلا تخلعه ثلاث مرار ، فقلت : يا أم المؤمنين ! فأين كنت عن هذا الحديث ؟ (٣٢٢) فقالت : يا بني و الله لقد أنسيته حتى ما ظننت أنني سمعته . انتهى

في هذا الحديث كتاب من معاوية إلى عائشة ، ثم رواية من عائشة عن النبي أنه كان قد أوصى إلى عثمان ألا يخلع نفسه عن الخلافة ، فما علاقة كتاب معاوية بحديث أم المؤمنين هذا . . . ؟! أكان معاوية قد طلب منها في الكتاب أن تدافع عن عثمان ! ؟ أم أنها أرادت أن يروي عنها نعمان عند معاوية هذا الحديث ؟ أم ماذا ؟! و أياماً كان الأمر ، فإن هذا الحديث ، و نظائره الآتية في باب أحاديثها ؛ وأحاديثها اللاتي تتضمن

(٣٢١) ج ٦ ر ١٤٩ و هذا سنده نسي عبدالله نسي أبي . . .) و قد حدثت نظير هذا الحديث الى أبي سهلة ، قالت عائشة : قال رسول الله (ص) : ادعوا الى بعض أصحابي فقلت : أبو بكر ؟ قال : لا ، قلت ابن عمك علي ؟ قال : لا ، قلت : عثمان ؟ قال : نعم ، فلما جاء قال : تنحى و جعل يساره و لون عثمان يتغير فلما كان يوم الدار ، و حصر فيها قلنا : يا أمير المؤمنين ! ألا تقاتل ! قال رسول الله عهد الى عهدا و أنا صابر بنفسى عليه .

راجع تهذيب ابن عساكر بترجمة عثمان و أنساب الاشراف ج ٥ ر ١١ .

(٣٢٢) يقصد ما بدر منها من أمرها المسلمين بقتل عثمان ، و قولها فيه : اقتلوا

نعلنا فقد كفر .

فضائل أبيها أبي بكر ، والخليفة عمر ، وابن عمها طلحة ، و أمثالهم تجعلها على رأس من أرضى معاوية في سياسته في الحديث ؛ ولا بدّ أنّها كانت في نشر فضائل ذويها وأشياهم أشدّ اهتماماً من غيرها ، إذ « ليست الثكلى كالمستأجرة » (٣٢٣) ونحن اليوم لا يهمنا نشر فضائل هذا أو ذاك ، ولا بثّ مثالب غيرهم ، وإنّما يهمنا من هذه الأحاديث ما سندكره في خاتمه البحث .

خاتمة البحث

ألّمنا بحياة أمّ المؤمنين عائشة (رض) تمهيداً لدرس أحاديثها ، فوجدناها حكيمة في قيادة الجيوش ، قديرة على تهديم الحكم القائم متى ما شاءت تهديمه ، ذات حنكة في فنون السياسة ، خبيرة بما يؤثر في النفوس ، و كانت إلى ذلك أطوع الناس في الناس ، و كانت متها لكّة في برّ ذوي قرباها و حفظ مصالحهم ، شديدة في نعمتها على خصومها ، فذّة في حدّة طبعها ، رقيقة في إحساساتها ، و كان في طبعها طموحاً إلى بلوغ القمة من كلّ شيء ؛ و تحطّم كلّ ما يقف في سبيلها .

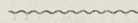
هذه أهمّ مناحي عظمة أمّ المؤمنين ، و ليس لنا أن نصف لها من العظمة ما لم تتّصف بها ، كما ليس لنا أن نختلق للشاعر الملهم بطولات لم تكن فيه ، و للعالم المدره فنّاً لم يكن له ، ولا لأمّ المؤمنين أولاداً لم تنجبهم من الرسول ، بل علينا أن نعرف أمّ المؤمنين كما كانت ، و نعرف غيرها من الشخصيات الاسلامية كما كانوا ؛ و ليس لنا ان نصف لهم ما لم يكن فيهم لأننا أحببنا لهم ذلك .

ألّمنا بنواحي من حياة أمّ المؤمنين ، فوجدناها من عظيمات النساء الخالدات ، و لعلنا لا نجد لها نظيراً خلال أحقاب كثيرة من التاريخ .

درسنا حياة أمّ المؤمنين ، فوجدناها قويّة في دفاعها عن أنصارها ومعارضة خصومها ، و تهديم كياناتهم الاجتماعي ، و جدها ترسل الكلمة في تأييد من تشاء تأييده ، فإذا الكلمة تبقى له و ساماً خالداً مع التاريخ كما كانت ترسل الكلمة القارصة في تحطيم خصومها ، فتبقى عليه و صمة سوداء في التاريخ الى ما شاء الله ، و جدها ترسل الكلمة للتهديم أو

التأييد ، فاذا الكلمة تنطلق على الأفواه ، وتسير بها الركبان ، ثم تستقر في بطون الكتب ليستعرضها القرون والأجيال ، وهذه أهم مجالات عظمتها .
والذي يهمننا من جميع ما ذكرنا أننا وجدناها في كل ذلك تنتزع من حياة الرسول لما تشاء ، فاذا أرادت التحريض على عثمان ، أخرجت نعلاً ، وقالت : هذا نعل الرسول ، وإذا أرادت تحطيم مروان ذكرت قول النبي فيه ، ولعنه ، وفي بيان فضل عثمان وحياته ، حدثت عن ستر الرسول فخذته عنه ، بعد أن كانت مكشوفة أمام غيره ، وهكذا حديثها في غير عثمان ، وغير مروان ، وبذلك أصبح حديثها أكثر استعراضاً لحياة الرسول من أي حديث آخر ، وهذا ما دفعنا إلى تجشّم هذا البحث لأننا نريد أن نبحث عن الرسول وحياته ، فقد بعث لنا إماماً وقُدوة ، فليعذرنا من ينكر علينا هذا البحث ، وليعلم بأن كل ذلك لا يقلل من حرمة أم المؤمنين لدينا (فلها بعد حرمتها الأولى) (٣٢٤) .

وللبحث عن أحاديثها راجعنا الصحاح ، والمسانيد ، والتفاسير ، والسير ، والتواريخ ، واستخرجنا منها أبحاثاً عقدنا لدراستها أبواب القسم الثاني من هذا الكتاب ، وفقنا الله تعالى لنشره بحوله وقوته ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .



المستدرک

١ - يضاف ما يلي :

- | ص | بعد | س |
|-----|-----|--|
| ١١ | « | ١٣ : وكنيتها أمّ عبد الله ، تكنّت باسم ابن أختها عبد الله بن الزبير ، راجع نسب قريش ص ٢٣٧ ، و ترجمتها من الاستيعاب . |
| ٣٧ | « | ٦ : و عن ذكوان مولى عائشة ، قال : قدم درج من العراق فيه جوهر إلى عمر ، فقال لأصحابه : أتدرون ما ثمنه ؟ فقالوا : لا . ولم يدروا كيف يقسمونه ! فقال : أتأذنون أن أرسل به إلى عائشة لحب رسول الله إيساها ؟ قالوا : نعم . فبعث به إليها ، فقالت : ما ذا فتح الله على ابن الخطّاب ، اللهم ! لا تبقيني لعطيته لقابل ؛ النبلاء . ١٣٣٢ . |
| ٣٧ | « | ٢١ : لم أجد ما رواه ابن أبي الحديد من قول عمر للزبير إلا ما أورده الطبري عن (سيف بن عمر) و سيف معروف بالكذب والوضع . |
| ٧٩ | « | ٢٠ : وقد أورد ابن عبد ربّه القصّة تامّة في العقد الفريد ج ٤٢٤ - ٣٤٣ . |
| ١٠٥ | « | ٧ : وقالت : أشهد أن عثمان جيفة على الصراط ، شرح النهج ج ٤٥٨٤ . |
| ١٦٠ | « | ١٠ : وفي تاريخ اعثم ١٧٦ ، أنه ركب (دلدل) بغلة رسول الله ، و روى البلاذري في الأنساب ٥١١١ أنها كانت هديّة المقوقس ملك الاسكندرية إلى رسول الله ، و أنها بقيت إلى زمان معاوية . |

٢ - صحح هكذا

ص	س	ص	س	ص
١٣٧	١٤	١٧٢	٩	ما ينهزم
١٥٢	٢١	١٧٣	١٢	وشي
١٥٩	٦	١٩٥	١٢	النهج ١ ر ٣٥٨
١٦٢	١٠	١٩٨	١٥	٥٧١
١٦٧	١	٢٠١	٥	ابن عساكر ٥٧١
١٧١	٨			

و تركنا من الاغلاط مالا يخفى على القارىء اللبيب ،

•❖•

شكر على فضل

طبع الكتاب بطهران والمؤلف في الكاظمية ، وأشرف على تصحيح أكثره فضيلة العالم النبيل الحاج السيد محمد حسين الطهراني .
و ساعد على طبعه التاجر الوجيه الحاج قاسم الهمداني جزاهما الله عن العلم والدين خيراً ، و وقفهما لما يحب ويرضى .

الجمعة ١٧ ربيع الاول سنة ١٣٨٠ هـ

مرضى عسكري

أهم مصادر البحث

- ١- القرآن الكريم
- ٢- مسند الطيالسي
- ٣- صفين نصر بن مزاحم ، تحقيق عبدالسلام.
- ٤- سيرة ابن هشام تحقيق محمد محيي الدين.
- ٥- طبقات ابن سعد . ط ، ليدن ، وبيروت.
- ٦- صحيح البخارى ط . ببى ، و مصر .
- ٧- بلاغات النساء لابن طيفور ط . النجف.
- ٨- الجمل لابي مخنف برواية ابن ابي الحديد.
- ٩- الاحداث للمدائنى » »
- ١٠- الموفقيات لزيير بن بكار » »
- ١١- المجبر لمحمد بن حبيب ط . حيدرآباد .
- ١٢- صحيح مسلم ط . مصر ١٣٣٤ .
- ١٣- المعارف لابن قتيبة .
- ١٤- عيون الاخبار »
- ١٥- الكامل للمبرد ط . ليدن وغيرها .
- ١٦- نسب قريش ط . القاهرة .
- ١٧- العثمانية للمجاهظ ط . القاهرة .
- ١٨- البيان والتبيين للمجاهظ ط . السندوبى .
- ١٩- تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة .
- ٢٠- سنن ابن ماجه تحقيق محمد فؤاد .
- ٢١- سنن ابي داود السجستاني ط . لكهنو .
- ٢٢- سنن الترمذى .
- ٢٣- سنن النسائى . ط . القاهرة
- ٢٤- خصائص النسائى ط . النجف .
- ٢٥- فتوح البلدان للبلاذرى ط . القاهرة ١٣١٩
- ٢٦- الانساب له ج ١ ط . معهد المخطوطات . ج ٥ ط . اورشليم .
- ٢٧- تاريخ يعقوبى ط . اوروبا وبيروت .
- ٢٨- الطبرى تاريخه الكبير ط . المصرية الاولى .
- ٢٩- ترجمة تاريخ أعثم ط . بمبى .
- ٣٠- الاشتقاق لابن دريد ، تحقيق عبدالسلام .
- ٣١- العقد الفريد ط . مختلفة .
- ٣٢- مروج الذهب للمسعودى ط . مختلفة .
- ٣٣- الاغانى ط . دارالكتب ، و ساسى ، و بيروت .
- ٣٤- مقاتل الطالبين ط . القاهرة ١٣٦٥ .
- ٣٥- فهرس ابن النديم ط . مصر ١٣٤٨ .
- ٣٦- مستدرک الحاكم ط . حيدرآباد .
- ٣٧- تاريخ بغداد للخطيب .
- ٣٨- المغتالين من الاشراف مصور المجمع العلمى العراقى .
- ٣٩- نهج البلاغة جمع الشريف الرضى شرح محمد عبده .
- ٤٠- الاستيعاب ط . حيدرآباد .
- ٤١- حلية ابي نعيم .
- ٤٢- الفائق للزمخشري .
- ٤٣- ربيع الابرار له .

- ٤٤- الملل والنحل للشهرستاني .
 ٤٥- تاريخ ابن عساكر ط . المجمع العلمي العربي .
 ٤٦- صفوة الصفوة لابن الجوزي .
 ٤٧- نهاية اللغة لابن الاثير .
 ٤٨- معجم البلدان لياقوت ، وقد أرمز اليه بياقوت .
 ٤٩- اسد الغابة لابن الاثير .
 ٥٠- الكامل له وأرمز اليه بابن الاثير .
 ٥١- تذكرة خواص الامة ط . ايران والنجف .
 ٥٢- شرح ابن أبي الحديد ط . مصر الاولى والثانية وقد أرمز اليه بشرح النهج .
 ٥٣- الاجابة للزر كشي تحقيق سعيد الافغانى .
 ٥٤- الرياض النضرة لمحب الدين الطبرى .
 ٥٥- جوامع السيرة لابن حزم .
 ٥٦- المحلى له تحقيق أحمد محمد شاكر .
 ٥٧- جمهرة أنساب العرب له .
 ٥٨- تاريخ أبي الفداء - المختصر .
 ٥٩- البداية والنهاية لابن كثير و قد أرمز اليه بابن كثير .
 ٦٠- التمهيد والبيان لابن أبي بكر مصور دارالكتب المصرية .
 ٦١- وفيات الاعيان لابن خلكان .
 ٦٢- تاريخ ابن خلدون .
- ٦٣- تاريخ ابن شحنة بهامش الكامل لابن الاثير .
 ٦٤- النخطط للمقريزى .
 ٦٥- امتاع الاسماع له .
 ٦٦- تاريخ الاسلام للذهبي .
 ٦٧- سير النبلاء له وارمز اليه بالنبلاء .
 ٦٨- تلخيص المستدرك له .
 ٦٩- الاصابة لابن حجر ط . مصر ١٣٥٨ هـ .
 ٧٠- تهذيب التهذيب له .
 ٧١- تاريخ الخلفاء للسيوطى .
 ٧٢- الدر المنثور له .
 ٧٣- كنز العمال للمتقى .
 ٧٤- منتخبه بهامش مسند أحمد .
 ٧٥- تاريخ الخميس وأرمز اليه بالخميس .
 ٧٦- الصواعق المحرقة لابن حجر الهيثمى .
 ٧٧- القاموس للفيروز آبادى .
 ٧٨- لسان العرب لابن منظور .
 ٧٩- تاج العروس للزبيدي .
 ٨٠- كشف الظنون لحاجي خليفة .
 ٨١- تهذيب تاريخ ابن عساكر .
 ٨٢- خلاصة تهذيب الكمال لصفى الدين .
 الى غيرها من مصادر سند كرها مع تراجمها و تراجم مؤلفيها بعد انتهائنا من القسم الثانى من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى

الفهرس

الاهداء . التمهد ، صعوبات الدراسة - ٣ ؛ ام المؤمنن عائشة فى سطور - ٩ .

أدوار من حياتها

فى بيت الرسول ١٥ - ٣٣ ؛

سماتها ، حزنها المفرد كلما بنى الرسول بزوجة - ١٥ ؛ تعقبها النبى ليلا -
١٦ ؛ كسر أواني أزواج الرسول - ١٧ ؛ مع صفة - ١٨ ؛ مع سودة - ١٩ ؛ مع الواهبات
أنفسهن للنبى ، ومع مليكة - ٢٠ ؛ مع أسماء - ٢١ ، مع مارية - ٢٢ ؛ مع ذكرى
خديجة - ٢٤ ؛ مع ابنة خديجة ، و صهرها - ٢٥ ؛ الخلاصة - ٣٢ .

على عهد الشيخين ٣٣ - ٥٢ ؛

ترجمة الشيخين - ٣٥ ؛ ارجاعهما اليها فى الفتيا - ٣٦ ؛ تفضيلها فى العطاء ،
وحج نساء النبى - ٣٧ ؛ أحاديثها فى عصر الشيخين - ٣٩ ؛ عصور الحديث - ٤٠ ؛
تحديثها رثاء الجن لعمر - ٤٠ ؛ تبادل الحب ، وجعل بيتها داراً للشورى - ٤٨ ؛
نتيجة البحث - ٥١ .

فى عصر الصحيرين ٥٣ - ٢٠٥ ؛

ترجمة الصحيرين - ٥٤ ؛ تأييد عثمان ، و حديثها فيه فى أول عهده - ٥٦ ؛ نقص
عطاها ، و اختلافها معه - ٥٨ ؛ الحوادث التى اختلفت فيها معه : تولية الوليد بن

عقبة الكوفة، و اختلافه مع ابن مسعود - ٥٩؛ بين عثمان و ابن مسعود - ٦٣؛ الوليد و شاعره النصراني زييد - ٦٥؛ الوليد و الساحر - ٦٦؛ علائم الثورة في امرة الوليد - ٦٨؛ سكر الوليد، وحده - ٧٠؛ عمار و عثمان - ٧٧؛ قيادتها الجماهير ضد عثمان - ٨١، قصة أخيها محمد و عثمان - ٨٢؛ محنة المسلمين و موقف علي منها - ٨٦؛ مسير المسلمين الى عثمان، و مواقف الصحابة منه - ٨٩؛ منع طلحة الماء عنه، و قتله - ١١٢؛ دفن الخليفة، و بيعة علي - ١١٥؛ رأيها في قتل الخليفة - ١١٧؛ موقفها من بيعة علي - ١١٨؛ علي و المتخلفين عن بيعته - ١١٩؛ غايتنا من عرض الحوادث - ١٢١؛

حرب الجمل - بواعث حرب الجمل - ١٢٢؛ تهيؤ أصحاب الجمل للحرب - ١٢٣؛ النزاع على امارة الجيش - ١٢٤؛ الحوآب - ١٢٧؛ ركب الجمل خارج البصرة - ١٢٨؛ مصالحة عامل علي، ثم غدره - ١٣١؛ النزاع على امامة الصلاة - ١٣٣؛ احتجاج الطرفين؛ و مواقفهم قبل الحرب - ١٣٣؛ تفصيل يوم الجمل الاول - ١٣٩؛ استمداد علي من الكوفة - ١٥١؛ تلاقي الجيشين و المراسلة - ١٥٢؛ الاعذار قبل الحرب - ١٥٦؛ رجوع الزبير عن الحرب، و مقتله - ١٦١؛ مقتل طلحة - ١٦٤؛ لواء الجيشين، و الموت حول الخطام - ١٦٧؛ الخطام بيد قريش - ١٦٩؛ بيد ضبه - ١٧٠؛ أراجيزهم - ١٧٣؛ الازد حول الخطام - ١٧٤؛ ابن الزبير و الاشر - ١٧٥؛ اشتداد الحرب - ١٧٧؛ عقر الجمل، و انتهاء الحرب - ١٧٨؛ رعاية ام المؤمنين؛ و العقو العام - ١٨١؛ اعادة ام المؤمنين الى بيتها - ١٨٤؛ حصيلة الحرب - ١٨٦؛ التحزب، و الحرب الكلامية - ١٨٨؛ ام المؤمنين من خلال هذه الحرب - ١٨٩؛ ابن الزبير وراء هذه الحرب - ١٩٤؛ اسطورة عبدالله بن سبأ - ١٩٧؛ ام المؤمنين بعد الجمل - ٢٠٣.

مع معاوية ٢٠٧ - ٢٠٥؛

ترجمته - ٢٠٩؛ نسبه - ٢١٠؛ بيته في الجاهلية - ٢١٣؛ تحزبهم ضد الاسلام - ٢١٣؛ معاوية في الجاهلية و الاسلام - ٢٢٨؛ معاوية و عبادة - ٢٣١؛

و أبي ذر - ٢٣٤ ؛ مع المسييرين - ٢٣٧ ؛ معاوية في قتل عثمان ؛ و بيعة علي -
 ٢٣٩ ؛ غارات معاوية على بلاد المسلمين - ٢٤١ ؛ أمره أن يقتلوا من لم يكن
 على رأيهم - ٢٤٢ ؛ قتل الاطفال - ٢٤٧ ؛ عدد الضحايا في الغارات - ٢٤٩ ؛ اغتيال
 علي ، و دسائس معاوية مع الحسن - ٢٥١ ؛ صلح الحسن - ٢٥٢ ؛ معاوية في أول
 عهده - ٢٥٣ ؛ استلحاق زياد - ٢٥٤ ؛ استصفاؤه الاموال - ٢٥٧ ؛ التشديد على
 شيعة علي ، و قتل حجر - ٢٥٨ ؛

بيعة يزيد ؛

توريث السلطة - ٢٦٠ ؛ بيعة يزيد في الكوفة - ٢٦١ ؛ في الشام - ٢٦٢ ؛
 في المدينة - ٢٦٣ ؛ المغتالون للبيعة - ٢٦٤ ؛ البيعة - ٢٦٦ ، بين ام المؤمنين
 و معاوية - ٢٦٧ ، رعايتها في المال - ٢٦٨ ، نفوذ كلمتها - ٢٦٩ ، معارضتها
 لمعاوية - ٢٧٠ ، ملاقاتهما - ٢٧١ ، معارضة أخيها ، و موته الفجائي - ٢٧٣ ، ندمها
 من الجمل - ٢٧٥ ، جودها - ٢٧٧ ، صلتها للرحم - ٢٧٨ ، بلاغتها - ٢٨٠ ، ما
 كانت تلبس من الزينة - ٢٨١ ، رأيها في رضاع الكبير - ٢٨٢ ، نوادر و طرف -
 ٢٨٥ ، دواعي وضع الحديث - ٢٨٩ ، حديثها في عثمان - ٣٠٥ ، خاتمة البحث - ٣٠٦ ،
 المستدرك - ٣٠٨ ، أهم مصادر البحث - ٣١٠ ، الفهرس .



ثلاثة أبحاث

ثلاثة أبحاث لا يستغنى عن قراءتها المعنيون بدراسة تاريخ الإسلام
و حديث نبويه ، وهي :

١ - أبو هريرة ، تأليف فقيه العلم و الدين المغفور له
السيد عبد الحسين شرف الدين ، من لبنان .

٢ - أضواء على السنة المحمدية تأليف العالم المصري
الشيخ محمود أبورية ، من مصر .

٣ - سلسلة دراسات في الحديث و التاريخ للمؤلف .
من العراق .

و قد صدر منها أولاً عبدالله بن سبأ - المدخل - ثم
أحاديث أم المؤمنين عائشة .

وقد بقي منها العدد الأوّل ثلاث مؤثرات على
الحديث و التاريخ ، و أحاديث الصحابة ، و تتمّة أحاديث سيف .

ثلاثة أبحاث

ثلاثة أبحاث لا يستغنى عن قراءتها المعنيون بدراسة تاريخ الإسلام
و حديث نبية ، وهي :

١ - أبو هريرة ، تأليف فقيه العلم و الدين المغفور له
السيد عبد الحسين شرف الدين ، من لبنان .

٢ - أضواء على السنة المحمدية تأليف العالم المصري
الشيخ محمود أبو ريرة ، من مصر .

٣ - سلسلة دراسات في الحديث و التاريخ للمؤلف .
من العراق .

و قد صدر منها أولاً عبدالله بن سبأ - المدخل - ثم
أحاديث أم المؤمنين عائشة .

وقد بقي منها العدد الأول ثلاث مؤثرات على
الحديث و التاريخ ، و أحاديث الصحابة ، و تمة أحاديث سيف .

الناشر

مكتبة الصدوق و مكتبة النجاح
طهران بغداد

LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

Princeton University Library



32101 073540989

